

لَوْ أَنَّ الْفَجْرَ

فِي

فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ

تأليف

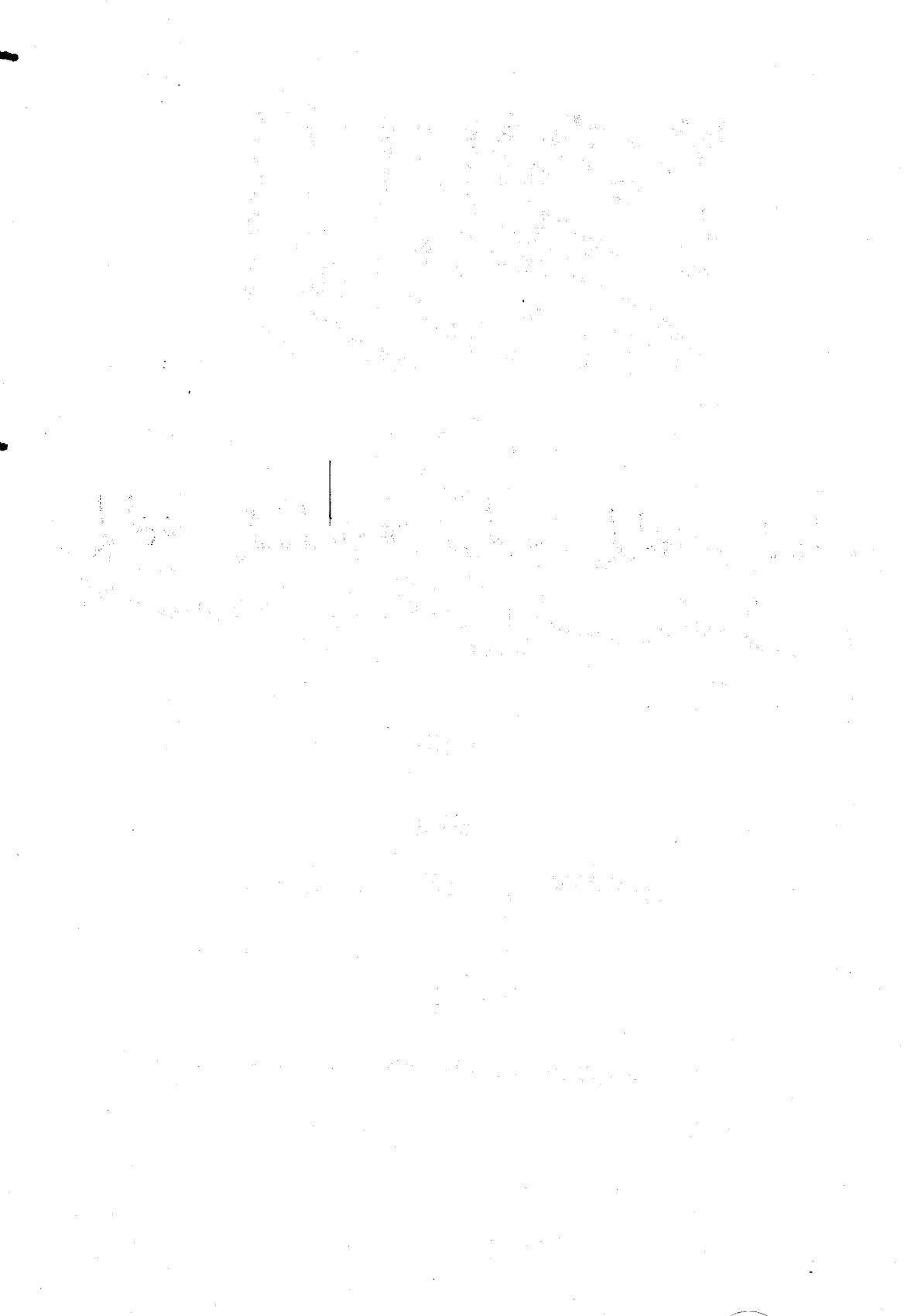
الدكتور

السيد بن حسين العفاني

المجلد الأول

الناشر بالمملكة العربية السعودية

دار ماجد عسيري — جدة



أنوار الفجر
في فضائل أهل بدر
المجلد الأول

حقوق الطبعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م

كل الحقوق
محفوظة

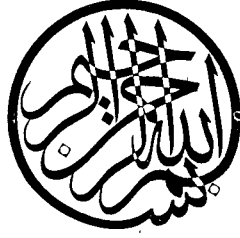
٢٠٠٥ / ٢٢١٠١

رقم الایداع

الناشر بالمملكة العربية السعودية

دار ماجد عسيري - جدة

٠٠٩٦٦٥٤٣٤٦١٥١



الإهداء

إلى
ولديّ ونورَ عَيْنِي وريحانتيّ من الدنيا
أبي الفداء سيف الإسلام عبد الله
وأبي عبد الله أحمد ياسين سيد حسين العفاني
سيرًا على الطريق النير طريق أهل بدر خير أهل الدنيا
تشبهًا بهم.. ونسجًا على منوالهم.. وأسأل الله تعالى أن
يجعلكما من سادات المسلمين، من العبّاد العلماء الربّانيين...
وأن يجعل لكما في قلوب المؤمنين وُدًّا، وأن يصب عليكما
الخير صبًّا، وأن يرزقكما أفضل الشهادة في سبيله
فهذا سبيل القوم إن كنت تبغي وتعقل عن مولاك آداب ذوي القدر

المؤلف





مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٦١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

● أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا، وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

● وَبَعْدُ:

أَضْوَاءُ مِنْ أَنْوَارِ الْفَجْرِ كَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ.. أَطِيبَ مِنْ أَرِيحِ الْأَزْهَارِ كَانَ حَدِيثُ يَوْمِ الْفُرْقَانِ.. وَتَبَقِيَ غَزْوَةُ بَدْرٍ أُمَّ الْمَعَارِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِرْقَانًا فِي مَجْرَى التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..

* كانت فرقانًا بين الحق والباطل بمعنى أشمل وأوسع وأدق وأعمق كثيرًا..

* كانت فرقانًا بين الحق الأصيل الذي قامت عليه السماوات والأرض - وهو: تَفَرُّدُ

اللَّهُ - تَعَالَى - بالألوهية، وعبودية الكون كله لله ﷻ، وخضوع الكون كله لتدييره - تَعَالَى - بلا مُعْتَبٍ ولا شريك -، وبين الباطل الزائف الطارئ الذي كان يُعْمُ الأرض إذ ذاك، وَيَطْغَى على ذلك الحق الأصيل؛ ويقيم في الأرض طواغيت تتصرف في عباد الله بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء.. فَوْقَ بين ذلك الحق الكبير وبين هذا الباطل الطاغى؛ وزيل بينهما، فلم يعودا يلتبسان.

* لقد كانت فرقاناً بين الحق والباطل بهذا المدلول الشامل الواسع الدقيق العميق، على أبعاد وآماد... كانت فرقاناً بين هذا الحق وهذا الباطل في أعماق الضمير.. فرقاناً بين الوجدانية المجردة المطلقة بكل شُعْبِهَا في الضمير والشعور، وفي الخُلُقِ والسلوك، وفي العبادة والعبودية، وبين الشرك في كل صورته.

* كانت فرقاناً بين عهد الصبر والمصابرة والتجمع والانتظار، وعهد المبارزة للأعداء.

* كانت فرقاناً بين عَهْدَيْنِ في تاريخ البشرية... فالبشرية بمجموعها قبل قيام النظام الإسلامي هي غير البشرية بمجموعها بعد قيام هذا النظام.. فصار - شيئاً فشيئاً - مِلْكاً للبشرية كلها.. منارةً ورمزاً لأعلى وأرق وأسمى نظام.

* كانت فرقاناً بين تَصَوُّرَيْنِ لعوامل النصر وعوامل الهزيمة.. فَجَرَتْ وَكُلُّ عوامل النصر الظاهرية في صف المشركين، وَكُلُّ عوامل الهزيمة الظاهرية في صف العصابة المؤمنة؛ حتى لَقَالَ المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ﴾ .. وقد أراد الله - تَعَالَى - أن تجري المعركة على هذا النحو - وهي المعركة الأولى بين الكَثْرَةِ المشركَةِ وَالْقِلَّةِ المؤمنَةِ -؛ لتكون فرقاناً بين تَصَوُّرَيْنِ وَتَقْدِيرَيْنِ لأسباب النصر وأسباب الهزيمة، ولتنتصر العقيدة القوية على الكَثْرَةِ العددية وعلى الزَّادِ وَالْعَتَادِ؛ فيتبين للناس أن النصر للعقيدة الصالحة القوية، لا لمجرد السلاح والعتاد؛ وأن أصحاب العقيدة الْحَقَّةِ عليهم أن يجاهدوا ويخوضوا غمار المعركة مع الباطل غير منتظرين حتى تتساوى القوى المادية الظاهرية؛ لأنهم يملكون قوةً أُخْرَى تُرَجِّحُ الكفة، وأن هذا ليس كلاماً

يُقَالُ، إنما هو واقعٌ مُتَحَقِّقٌ للبيان.

* وأخيرًا فلقد كانت بَدْرٌ فرقانًا بين الحق والباطل بمدلول آخر؛ ذلك المدلول الذي يوحى به قول الله - تَعَالَى - في أوائل هذه السورة: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٧، ٨].

لقد كان الذين خرجوا للمعركة من المسلمين إنما خرجوا يريدون عِيرَ أَبِي سَفِيانٍ واغتنامَ القافلة، فأراد الله - تَعَالَى - لهم غَيْرَ ما أرادوا؛ أراد لهم أن تفلت منهم قافلة أبي سَفِيانٍ ﴿غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾، وأن يلاقوا نَفِيرَ أَبِي جَهْلٍ ﴿ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾، وأن تكون معركة وقاتل وقتل وأسر، ولا تكون قافلة وغنيمة ورحلة مريحة! وقال لهم الله - سُبحانَهُ -: إنه صنع هذا؛ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾..

وكانت هذه إشارة لتقرير حقيقة كبيرة: «إِنَّ الْحَقَّ لَا يَحِقُّ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ لَا يَنْبُطُلُ - فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي - بِمَجْرَدِ الْبَيَانِ «النَّظَرِيِّ» لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَا بِمَجْرَدِ الْإِعْتِقَادِ «النَّظَرِيِّ» بَأَنَّ هَذَا حَقٌّ وَهَذَا بَاطِلٌ.. إِنَّ الْحَقَّ لَا يَحِقُّ وَلَا يُوجَدُ فِي وَاقِعِ النَّاسِ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ لَا يَنْبُطُلُ وَلَا يَذْهَبُ مِنْ دُنْيَا النَّاسِ إِلَّا بِأَنْ يَتَحَطَّمَ سُلْطَانُ الْبَاطِلِ وَيَعْلُو سُلْطَانُ الْحَقِّ، وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ يَغْلِبَ جُنْدُ الْحَقِّ وَيَظْهَرُوا، وَيُهْزَمَ جُنْدُ الْبَاطِلِ وَيَتَدَجَّرُوا.. فهذا الدين منهج حركي واقعي، لا مجرد «نظرية» للمعرفة والجدل! أو لمجرد الاعتقاد السلبي!

ولقد حق الحق وبطل الباطل بالموقعة؛ وكان هذا النصر العملي فرقانًا واقعيًا بين الحق والباطل بهذا الاعتبار ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾

* إنه لفرقان ندرك اليوم وكل يوم ضرورته حين تختلط الأشياء.
وهكذا كان يوم بدر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ النِّقَى الْجَمْعَانِ﴾ بهذه المدلولات

المتوعة الشاملة العميقة.

لقد أراد الله - وله الفضل والمثمة - أن تكون معركة بدر ملحمة لا غنيمة، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل، ليحق الحق ويثبتته، ويبطل الباطل ويزهقه - أراد أن يقطع دابر الكافرين، فيقتل منهم مَنْ يُقْتَل، ويؤسر منهم من يُؤسر، وتُذَلُّ كبرياؤهم، وتُخَصَّد شوكتهم وتعلو راية الأسلام وتعلو معها كلمة الله، ويُكِّن الله للعصبة المسلمة أن تعيش بمنهج الله، وتتطلق به لتعبيد الناس لربهم، ودحر طواغيت الشرك والكفر.. وأن يكون هذا التمكين عن استحقاق لا جزاف - تعالى الله عن الجزاف، وبالجهاد والجهاد، وتكاليف الجهاد ومعاناته في ميدان القتال.

* وينظر الناظر اليوم، وبعد اليوم، ليرى الآماد المتطاولة بين ما أرادته العصبة المسلمة لنفسها يومذاك وما أرادته الله لها، بين ما حسبته خيراً لها وما قدره الله لها من الخير.. ينظر فيرى الآماد المتطاولة؛ ويعلم كم يخطيء الناس حين يحسبون أنهم قادرون على أن يختاروا لأنفسهم خيراً مما يختاره الله لهم؛ وحين يتضررون مما يريد الله لهم مما قد يعرضهم لبعض الخطر أو يصيبهم بشيء من الأذى.. بينما يكمن وراء الخير الذي لا يخطر لهم ببال، ولا بخيال!

فأين ما أرادته العصبة المسلمة لنفسها مما أراد ما الله لها؟ لقد كانت تمضي - لو كانت لهم غير ذات الشوكة - قصة غنيمة. قصة قوم أغاروا على قافلة فغنموها! فأما بدر فقد مضت في التاريخ كله قصة عقيدة. قصة نصر حاسم وفرقان بين الحق والباطل. قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح المزودين بكل زاد؛ والحق في قلة من العدد، وضعف في الزاد والراحلة. قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله، وحين تتخلص من ضعفها الذاتي. بل قصة انتصار حفنة من القلوب من بينها الكارهون للقتال! ولكنها بيقيتها الثابتة المستعلية على الواقع المادي، وبيقينها في حقيقة القوي وصحة موازينها، قد انتصرت على من فيها، وخاضت المعركة والكفة الراجحة رجحاناً ظاهراً في جانب الباطل؛ فقلبت بيقينها ميزان الظاهر؛ فإذا الحق

راجع غالب.

ألا إن غزوة بدر - بملاساتها هذه - لتمضي مثلاً في التاريخ البشري. ألا وإنها لتقرر دستور النصر والهزيمة؛ وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة.. الأسباب الحقيقية لا الأسباب الظاهرة المادية.. ألا وإنها لكتاب مفتوح تقرأه الاجيال في كل زمان وفي كل مكان، ولا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها. فهي آية من آيات الله، وسنة من سننه الجارية في خلقه، ما دامت السماوات والأرض..

* وعلى المسلمين في كل زمان ومكان أن يقفوا طويلاً أمام «بدر» وقيمها الحاسمة التي تقرّها؛ والأبعاد الهائلة التي تكشفها بين ما يريده الناس لأنفسهم وما يريده الله لهم.

معركة بدر .. وأهل بدر

نتكلم في جمعنا هذا عن معركة بدر وعن أهل بدر وهم سادات المسلمين بل وسادات الخلق أجمعين خلا النبيين والمرسلين.. نتكلم عن البدرين من الصحابة وهم الذين شُرّف بهم الدنيا وأضاءت، وتبّلت بهم القيم، وطابت بهم الأرض وثوركت.. الرجال البديرون الشاهقون أعظم ثلّة ظهرت في دنيا العقيدة والإيمان.. الذين استطالت رعوسهم إلى السماء فلامستها، واقتربت السماء من رعوسهم فتوجّتها، نشرف بالحديث عن سموهم وعلوّهم وتفانيهم وصمودهم ويقينهم الناهض وشمائلهم الغالية، ألقوا على البشرية كلها أبلغ الدروس، ولقنوها العظمة الباهرة التي تبدو من فرط إعجازها كأنها الأساطير.

حين نتكلم عن أشرف ثلّة من المقربين الذين قرّبهم الله ﷻ وسبقت لهم من ربهم الحسنى .. لا نقف على أطلال التاريخ لذرف الدموع وسكب العبرات، وإنما لاستلهاهم أعظم المعاني.. ونفحة من عطرهم يُعطر بها الوجود كله، ويطيب بها كل طيب.. ونقطة من أنهار فضلهم تروى كل العطاشى في كل أرض وجبل.

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يُقال له قليل
كل بطل منهم تُكتب في مناقبه المجلدات وتطول في الكتابة الأنفاس.. ولكن في
عصرنا هذا ضعفت الهمم عن القراءة والعلم فاكتفينا بالقليل من مناقبهم.. وعسى
يطول بنا العمر حتى أكتب في القريب العجل جدا ما أوقف قلمي عليه إلى الممات
وهو جمعي وكتابي «نسائم الأسحار من فضائل الصحابة الأبرار»
وقد أخذت تراجم البدرين من كتابي الكبير «فرسان النهار» وأضفت إليها غزوة
بدر.

والله أسئله أن يجمعني بالبدرين في أعالي الفردوس.. اللهم إني أتوسل إليك
بحبي لهم أن تلحقني بهم ونبههم في غرفات الجنان.. واكتب لجمعي هذا القبول بين
شباب الأمة ليسيروا على دربهم وينهجوا نهجهم
سيأخذ ثأر الله أنصار دينه فله أوس آخرون وخرزج
وأخر دعوانا أجمد الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

السيد بن حسين العفاني

الأربعاء ٣ شعبان ١٤٢٦ هـ

٢٠٠٥ / ٩ / ٧

إنتصار الإسلام في يوم بدر

بقلم

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ورضي الله عن قادة الفتح الإسلامي وجنوده الغر الميامين. قضى رسول الله ﷺ، فترة حياته المباركة في مكة المكرمة من بعثته رحمة للعالمين إلى هجرته إلى المدينة المنورة في الجهاد الأكبر لوضع الأسس السليمة لدولة الإسلام موحدًا من أجل الجهاد.

وفي هذه الفترة لاقى المسلمون أذى كثيرًا: طوردوا وعذبوا، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

وهاجر المسلمون إلى المدينة بأنفسهم تاركين ذويهم الأقربين تحت رحمة أعدائهم في خطر داهم مقيم، فابتدأت في المدينة فترة الجهاد الأصغر من حياة سيد القادات وقائد السادات عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانت حياته الغالية في المدينة من هجرته إليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهادًا من أجل التوحيد.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿١٣٩﴾، فركبت خيل الله عليها فرسان النهار ورهبان الليل: البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، لا مدد لهم ولا كمين، يهدرون بالقرآن الكريم وبذكر الله ويرددون في دعائهم: «يا نصر الله اقرب».

وفي بدر، التقى الظلام بالنور، والكفر بالإيمان، والباطل بالحق، والتقت الجاهلية بالإسلام، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

ودارت في بدر رحى معركة طاحنة بين فئتين غير متكافئتين: فئة قليلة مؤمنة، وفئة

كثيرةٌ كافرة، فانتصرت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.

ولست أعرف معركة حاسمة من معارك الحرب الحاسمة، كيوم بدر، انتصرت فيه العقيدة السليمة على العقيدة الفاسدة، فكانت العقيدة وحدها هي السلاح الأول والأخير للمنتصرين.

كان المشركون أكثر عدداً من المسلمين، وكانوا أحسن عدداً وأغنى في قضاياهم الإدراية: كان عدة أصحاب رسول الله ﷺ ثلاث مئة وبضعة عشر، وكان عدة المشركين ألفاً، وكان مع المسلمين فرسان، وكان مع المشركين مائة فرس، وكان المسلمون حفاة عراة جياعاً، وكان المشركون ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً من الإبل، وكان المسلمون من قبائل شتى، وكان المشركون من قريش!!

إنه انتصار عقيدة لا مرء، فكيف كان ذلك؟

لقد بدل الإسلام العقول والنفوس من حال إلى حال! كان الرسول القائد ﷺ مثلاً شخصياً رائعاً لأصحابه في التضحية والفداء.

كان المسلمون يوم بدر كل ثلاثة على بعير، فكان إذا كانت عقبة النبي ﷺ قال له صاحبه: «اركب حتى نمشي عنك»، فيقول: «ما أنتما بأقوى على المشي مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما».

وعند نشوب القتال يوم بدر، خرج ثلاثة من رجالات المشركين وقادتهم فدعوا إلى البراز، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الأنصار، وأحب أن تكون الشوكة بيني عمه وقومه، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني هاشم! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوكم بباطلهم ليطفئوا نور الله».

وفي المعركة كان النبي ﷺ يضرب بنفسه لأصحابه في الشجاعة والإقدام أروع الأمثال. قال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: «لما كان يوم بدر وحضر الناس، اتقينا

برسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس بأثماً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه». وكان رسول الله ﷺ في أثر المشركين بعد إنهيار صفوفهم يتلو الآية الكريمة: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٥٥)، فأجهز على جريحهم وطلب مدبرهم. وبعد المعركة سلم رسول الله ﷺ الغنيمة للمسلمين الذين حضروا بدرًا، وأخذ سهمه مع المسلمين، لا فرق بينه وبين أي مسلم آخر.

لم يستأثر بالدعة والأمن بل قاتل هو قتال الأبطال الصناديد أمام المقاتلين من أصحابه، ولم يؤثر ذوي قرباه بالراحة والاطمئنان بل آثرهم بالنزال والطعان، فلما انتصر المسلمون كان نصيبه من الغنائم نصيب أحدهم لا يزيد.

لقد كان الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه أسوة حسنة لأصحابه بأعماله لا بأقواله، وشتان بين الأعمال والأقوال، فلا موعظة في كلام لم يمتلى من نفس صاحبه ليكون عملاً، فيتحول في النفوس الأخرى عملاً ولا يبقى كلاماً. ذلك هو الرسول القائد ﷺ، أما جنوده فكان أمرهم كله عجباً.

أخي النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فأخي مثلاً بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع - رضي الله عنهما -، فقال سعد لعبدالرحمن: «إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي إلى نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها».

هذا مثال واحد للإيثار الذي كان نتيجة من نتائج هذا التأخي. وفي الطريق إلى بدر، هتف متكلم المهاجرين: «والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك حتى تنتهي إليه». وهتف متكلم الأنصار: «فامض يا نبي الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منا رجل واحد».

ويوم بدر، قتل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أباه^(١). وكان أبو بكر رضي الله عنه مع المسلمين،

(١) رواية لا تثبت.

وكان ابنه عبدالرحمن مع المشركين، وكان عتبة بن ربيعة مع قريش، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين.

في هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والأخوة بالأخوة!.

خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف!..

وفي يوم بدر، تسابق المسلمون إلى الشهادة، وكان كل واحد منهم يتمنى أن يموت قبل صاحبه، وكان كل واحد من المشركين يتمنى أن يموت صاحبه قبله، وكان الشهيد يردد وهو يحتضر: «وعجلت إليك رب لترضى».

وبعد معركة بدر، استشار النبي ﷺ أصحابه في مصير الأسرى، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: «أرى أن تمكني من فلان - قريب عمر - فأضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هuada للمشركين، وهؤلاء صنائدهم وأئمتهم وقادتهم».

وكان فداء أسرى بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك، فمن لم يكن عنده شيء كان فداؤه أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة.

هكذا كان جنود رسول الله ﷺ يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، ويؤثرون عقيدتهم على آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم، بل يؤثرون عقيدتهم على أنفسهم، فيتسابقون إلى الشهادة، فيقول أحدهم للآخر: «هنيئاً لك الشهادة»، وتقول الأمهات والأخوات والزوجات حين يعلمن باستشهاد ذويهن «الحمد لله الذي أكرمهم بالشهادة».

وهؤلاء قادة وجنودا، يبنون للمستقبل، فيعتبرون العلم فريضة لا نافلة، ويعتبرونه عبادة لا تجارة، ويعتبرونه غاية لا وسيلة!..

كانوا أخوة في الله يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وكانوا كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا، وكانوا كالجسد السليم المعافى إذ اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى!..

هؤلاء قادة وجنود، كانوا يبنون ولا يهدمون، ويعمرون ولا يخربون، ويفعلون

ولا يقولون..

كان انتصار المسلمين في بدر، إيداناً بمولد دولة الإسلام عملياً، فقاد المسلمون بعدها العالم إلى الخير والصلاح والمدنية والنور قروناً طويلة.
وكان انتصارهم بالإسلام، ولن ينتصروا بغيره، وتاريخ المسلمين خير دليل على ذلك.

كان العرب في الجاهلية متفرقين فتوحدوا بالإسلام، وكانوا أعداء فآلف الإسلام بين قلوبهم، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الإسلام منها، فأصبح العرب بالإسلام (وحدة) رصينة، و(دولة) عظيمة و(أمة) متماسكة و(قوة) ضاربة وجدت لها متنفساً بالفتح الإسلامي العظيم، فسارت رايات العرب المسلمين تهدي الدنيا، وتحضر العالم، وتمدن الناس، فامتدت دولة الإسلام من سيبيريا شمالاً إلى فرنسا غرباً إلى الصين شرقاً إلى المحيط جنوباً.

كانوا ضعفاء فأصبحوا بالإسلام أقوياء، وكانوا أعداء فأصبحوا أخوة، وكانوا أعداء فأصبحوا أخوة، وكانوا مستعبدين فأصبحوا فاتحين..!
ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فأصبحوا مستعمرين مستعبدين أذلاء غثاء كغثاء السيل، والله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

أصبح هؤلاء الخلف يستوردون المبادئ من الشرق والغرب مبهورين متخاذلين، وأصبحوا يتعشقون تراث الأجنبي ويحتقرون تراثهم، ويتدارسون تاريخ أعدائهم ويتركون تاريخهم وراءهم ظهرئياً، حتى أصبحنا نسمع بعض العرب والمسلمين يقولون ويكتبون ويذيعون علناً باسم الثقافة وباسم التحرر ما لم يستطع أن يقوله أو يكتبه أو يذيعه المبشرون وأعداء الإسلام!..!

وإذا كان أكثر المستشرقين قد بذلوا قصارى جهودهم لتعميق آثار الاستعمار الفكري بين العرب والمسلمين، فما عذر المستغربين من العرب المسلمين!؟

إن الدعوة التي تبناها المبشرون وعملاء الاستعمار وأذئابهم في إبعاد الدين الإسلامي عن الحياة، دعوة مريية هدفها إبعاد العرب عن الناحية المعنوية في حياتهم، فالعرب جسم والإسلام روحه، ولا بقاء للجسم بدون روح.

والدعوة التي تبناها هؤلاء لاستعمال العامية بدل العربية الفصحى دعوة مريية، هدفها أن يجعلوا من الأمة العربية أمماً، ومن الشعب العربي شعوباً، لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الرسول ﷺ ولغة قادة الفتح وجنوده ولغة الفكر وجنوده.

والدعوة التي تبناها هؤلاء لإشاعة الفحشاء والتخث في العرب خلافاً لعقيدتهم وتقاليدهم، دعوة مريية لا تخدم غير الاستعمار وأعداء العرب وإسرائيل، وكيف

تنتظر من الديوثين والبغايا أن يبذلوا أرواحهم في ميادين الشرف والفداء!!؟؟

إني أتحدى كل من يزعم أن هناك عقيدة أفضل من عقيدتنا، وأن هناك رجالاً أعظم من رجالنا وأن هناك تاريخاً أنصع من تاريخنا، وأن هناك تراثاً أروع من تراثنا.. والذين يزعمون أنهم طردوا الاستعمار العسكري والاستعمار السياسي، والاستعمار الاقتصادي من بلادهم، ثم يعملون ليلاً ونهاراً على ترسيخ الاستعمار الفكري في بلادهم، لم يصنعوا شيئاً أكثر من إخراج الاستعمار من باب ضيق وإدخاله بمحض إرادتهم من باب فسيح.

نطرد الاستعمار ثم نترجم قوانينه ونعمل بها نصّاً وروحاً، فنشيع في بلادنا فجور

القانون...!

ونتخلص من الاستعمار ثم نستورد مبادئه ونطبقها حرفياً، فنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ونحارب الاستعمار ثم نستورد منه التحلل الخلقي، فنفسد جيلنا الصاعد ونشيع بينهم الفاحشة والمنكر! عقوبة السارق في الإسلام قطع اليد، فيقول على ذلك الجهلاء منا: أن ذلك رجعية، وهذا همجية وهو لا يتفق مع روح القرن العشرين!! وعقوبة السارق في أعظم دول الاشتراكية الإعدام، فيقول عن ذلك الجهلاء منا:

هذه تقدمية، وهذه مثالية وهذا يتفق مع روح القرن العشرين!!
 فلمصلحة من هذا التهافت الدليل؟؟!! وأي استعمار فكري شنيع نعاني؟؟!!
 إن الذين يدعون بأن السلوك السياسي لا علاقة له بالسلوك الشخصي التزاماً
 بالمبادئ الخلقية الرفيعة، واهمون كل الوهم أو أغبياء كل الغباوة أو عملاء كل
 العمالة.

والذين يريدون إشاعة الفحشاء والتخث في أبنائنا لا يخدمون غير الاستعمار
 وإسرائيل.

إن عقيدتنا المستمدة من رسالة السماء، وتاريخنا الذي هو التطبيق العملي لتعاليم
 الإسلام، ورجالنا الذين هم الترجمة العملية لروح الإسلام، وتراثنا الذي هو حصيلة
 الفكر الإسلام، هي أعظم وأرفع وأنصح وأروع وأتقى وأطهر وأسمى وأبهر من كل ما
 وجد على الأرض من عقائد وتواريخ وتراث.

وأتحدى كل من يدعي خلاف ذلك، إلا أن يكون جاهلاً أو غيبياً أو عميلاً، فلا
 يجدي شيء مع الجهلاء والأغبياء والعملاء..

إن الماضي هو أساس الحاضر والمستقبل، فكيف نتنكر لماضيينا المجيد؟
 وهل هناك عاقل يبدأ ببناء البنيان أول ما يبدأ من قمته!!؟
 إننا سُدنا بالإسلام عقيدةً وعملاً وتضحيةً وفداءً، ولن نسود بغيره أبداً مهما
 نحاول من محاولات..

إن الإسلام مفخرة الدنيا ومعجزة العالم، فيجب أن نهاجم به أعداء الإسلام.
 ويا أتباع محمد ﷺ في كل مكان من دار الإسلام:

يجب أن تهاجموا بالإسلام أعداء الإسلام، فلا يقولن قائل بعد اليوم، إنني أدافع
 عن الإسلام، لأن الإسلام أقوى من أن يدافع عنه إنسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٤٨) ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا
 وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٤٩) ﴿

تمسكوا بالإسلام بما فيه من تكاليف التضحية والفداء، وبذلك وحده تعودوا إلى قيادة العالم كما فعل أجدادكم من قبل، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِبَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

رددوا معي ما كان يردده السلف الصالح من رجالنا الغر الميامين: «يا نصر الله اقترب».

إننا مع المسلمين في كل مكان على أعدائهم في كل مكان فهم إخواننا في الدين، وهم أخوتنا في الله، والله يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وعلينا واجب نصرهم، والذي لا ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً عليه ألا يدعي الإسلام.


إننا مع لغة القرآن، لغة النبي ﷺ، ولغة العرب الفاتحين، على دعاة العامية الذين يتظاهرون بالشعارات الزائفة ويخفون ما لا يظهرون.

وكل من لا يكون مع مبادئ القرآن ولغة القرآن من الحاكمين والمحكومين، منحرف عن الحق، يعمل لحساب الاستعمار وإسرائيل ولو تظاهر بالعروبة والإسلام.

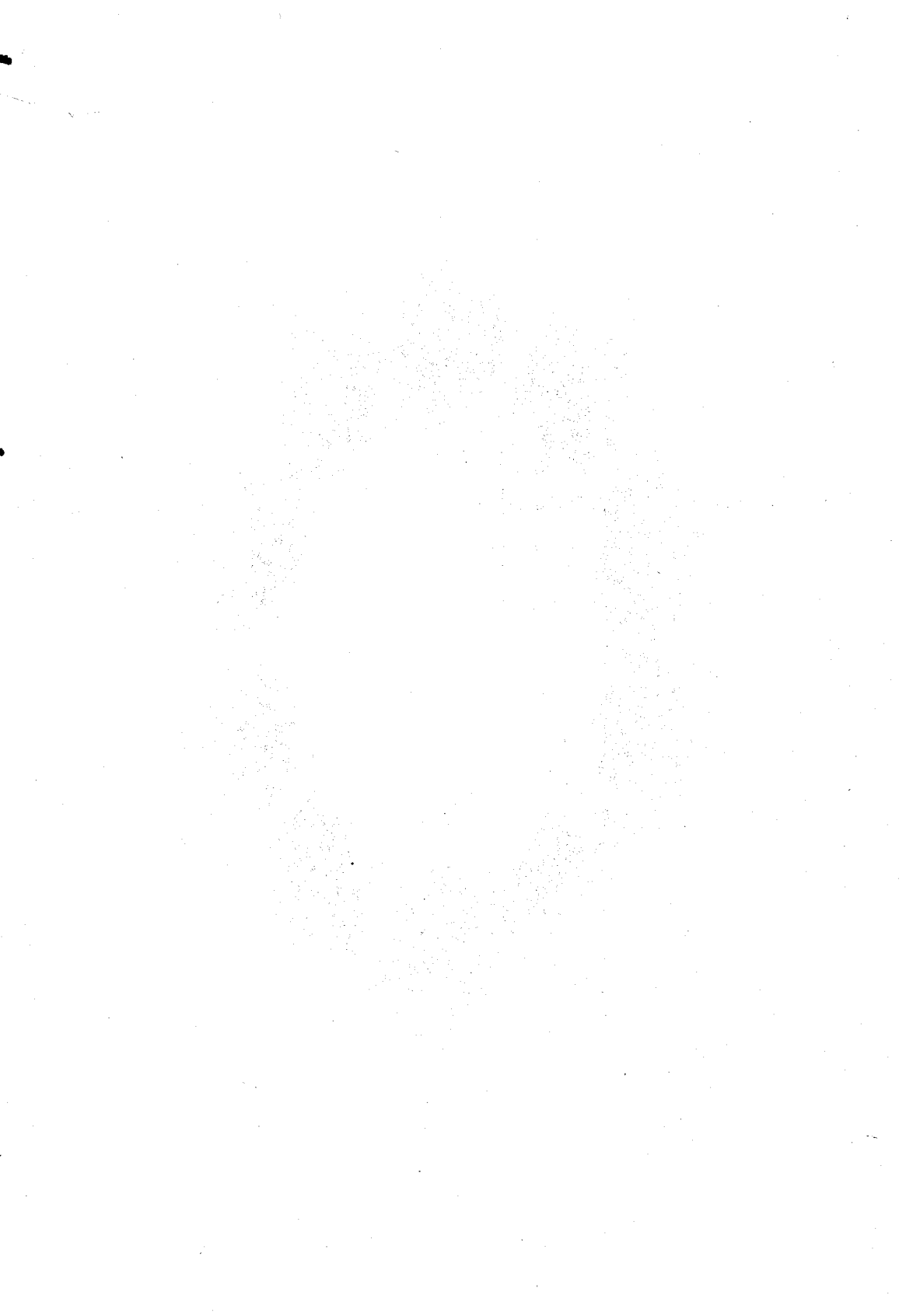
وإلى هؤلاء المنحرفين من الحاكمين والمحكومين، أقول مذكراً منذراً ما قاله الله في القرآن الكريم: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٩٥﴾﴾.

وحد الله العرب من المحيط إلى الخليج تحت لواء الإسلام، وجعل وحدتهم قاعدة رصينة لوحدة المسلمين من المحيط إلى المحيط، فالعرب بالإسلام كل شيء، والعرب بغير إسلام لا شيء..

والحمد لله كثيراً، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله: سيد القادات وقائد السادات، رجل الرجال وبطل الأبطال، ورضي الله عن أصحابه وعن كل من يخدم العرب والإسلام بأمانة وإخلاص.

A decorative floral border with a central oval frame. The border consists of repeating floral motifs with pointed leaves and small flowers, arranged in a circular pattern around the central oval. The central oval contains the title text in Arabic.

عبير الفجر
في ذكر غزوة بدر



عبير الفجر في ذكر غزوة بدر

غَزْوَةُ بَدْرِ الْعُظْمَى

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَقَى الْجَمْعَانِ﴾ (١)

● موقع بدر:

قال ابن حجر: بدر: هي قرية مشهورة تُسببت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها، ويقال: بدر بن الحارث، ويقال بدر اسم البئر التي بها، سُميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها.

كما نقل الحافظ أن الواقدي حكى إنكاره ذلك عن غير واحد من شيوخ بني غفار، وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد.

قال الزهري: كانت بدر متجرا يؤتى في كل عام.

وقال ابن كثير: بدر محلة بين مكة والمدينة تُعرف ببئرها منسوبة إلى رجل حفرها يقال له بدر بن النارين ، وأضاف قال الشعبي: بدر بئر لرجل يسمى بدرا. وهي الآن تقع على بعد ١٥٠ كم من المدينة من الجهة الغربية على الطريق القديم المتجه إلى مكة.

● زمن غزوة بدر

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «التمسوها - يعني ليلة القدر - في سبع عشرة، وتلا هذه الآية ﴿يَوْمَ التَّلَقَى الْجَمْعَانِ﴾ يوم بدر، قال: أو تسع عشرة، أو إحدى

(١) أخرجه أبو داود (١٣٨٤)، والبيهقي (٣١٠/٤)، وابن أبي شيبة (٧٥/٣-٧٦)، والطبراني في الكبير (٩٠٧٤)، (٩٥٧٩)، وعبدالرزاق في المصنف (٩٦٩٧)، والطحاوي (٥٤/٢) وابن نصر المروزي في مختصر قيام رمضان ص (١٠٨)، والحاكم في المستدرک (٢٠/٣-٢١)، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبري في تاريخ (٢٦٦/٢) بإسناد صحيح. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٦/٦) إلى سعيد بن منصور وابن مردويه.

وعشرين^(١).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «أما غزوة بدر فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم، واتفقوا على أنها كانت في رمضان، قال ابن عساکر: والمحفوظ أنها كانت في يوم الجمعة، وزوي أنها كانت يوم الاثنين وهو شاذ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشرة، وقيل: ثاني عشرة، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة».

وخلاصة الأمر كما جاء في قول ابن حجر أن الخروج كان في الثاني عشر، والسابع عشر يوم الوقعة، والتاسع عشر كما في قول ابن مسعود الثاني هو انتهاء الغزوة وخاصة أن الرسول ﷺ كان يقيم في عرضه أي قوم يغزوهم ثلاثاً، وكذا فعل في بدر^(٢).

قال الله - تعالى :- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال الله - تعالى :- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرِهُونَ﴾ ⑤ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ⑥ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ⑦ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ⑧﴾ [الأنفال: ٥ - ٨]، وما بعدها إلى تمام القصة من سورة «الأنفال»،

قال ابن إسحاق^(٣)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ بِأبي سُفْيَانَ صَخْرٍ بِنِ حَزْبٍ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ فِي عَيْرٍ لِقْرِيشٍ عَظِيمَةٍ، فِيهَا أَمْوَالٌ وَتِجَارَةٌ، وَفِيهَا ثَلَاثُونَ رَجُلًا أَوْ أَرْبَعُونَ، مِنْهُمْ مَخْرَمَةٌ بِنُ نَوْفَلٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ.

(١) صحيح السيرة النبوية لابراهيم العلي ص (١٥٨) ت طبع دار النفائس - الطبعة الأولى.

(٢) اعتمدنا هنا كلام الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية وأضافنا إليه إضافات من غيره من المصادر.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٦٠٦.

قال موسى بن عُقْبَةَ، عن الزُّهْرِيِّ^(١): كان ذلك بعدَ مَقْتَلِ ابْنِ الحَضْرَمِيِّ بشَهْرَيْنِ.
قال^(٢): وكان في العَيْرِ ألفٌ بعيرٍ، تَحْمِلُ أموالَ قُرَيْشٍ بأَسْرِهَا إِلَّا حَوْطِطَ بْنَ عَبْدِ
الْعَزَّى، فلهذا تَخَلَّفَ عن بدرٍ.

قال ابنُ إسحاق^(٣): فحدَّثني محمدُ بنُ مُسلمٍ بنِ شهابٍ، وعاصمُ بنُ عُمرَ بنِ
قَتَادَةَ، وعبدُاللهُ بنُ أبي بكرٍ، ويزيدُ بنُ رومانَ، عن غزوةِ بنِ الزُّبَيْرِ، وغيرهم من
عُلَمَائِنَا، عن ابنِ عباسٍ، كُلُّ قَدٍ حَدَّثَنِي بعضُ الحديثِ، فاجْتَمَعَ حديثُهُم فيما سُقْتُ
من حديثِ بدرٍ، قالوا: لَمَّا سَمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ بأبي سُفيانَ مُقبِلاً مِنَ الشَّامِ، نَدَبَ
المُسلِمِينَ إليهم وقال: «هذه عَيْرُ قُرَيْشٍ فيها أموالُهُم، فاخْرُجُوا إليها؛ لَعَلَّ اللهُ
يُنْقِلُكُمْوهَا». فانتَدَبَ الناسُ، فَخَفَّ بعضُهُم وثَقُلَ بعضٌ؛ وذلك أَنَّهُم لم يَظُنُّوا أَنَّ
رسولَ اللهِ ﷺ يَلْقَى حرباً، وكان أبو سُفيانَ، حينَ دنا مِنَ الحِجَازِ، يَتَحَسَّسُ^(٤)
الأخبارَ، ويسألُ مَنْ لَقِيَ مِنَ الرُّكبانِ؛ تَخَوُّفاً على أموالِ الناسِ، حتى أصابَ خَبيراً من
بعضِ الرُّكبانِ؛ أَنَّ محمداً قد اسْتَنَفَرَ أصحابَه لك ولعيرِك، فحذِرَ عندَ ذلك، فاستأجَرَ
ضَمْضَمَ بنَ عمرو الغِفَارِيِّ، فبَعَثَهُ إلى مَكَّةَ، وأمرَه أن يَأْتِيَ قُرَيْشاً فيسْتَنْفِرَهُم إلى
أموالِهِم، ويُخَبِرَهُم أَنَّ محمداً قد عَرَضَ لها في أصحابِهِ، فخرَجَ ضَمْضَمُ بنُ عمرو
سريعاً إلى مَكَّةَ.

قال ابنُ إسحاق^(٥): فحدَّثني مَنْ لا أَنَّهُم، عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عباسٍ، ويزيدُ بنُ

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣ / ١٠٢، والذهبي في تاريخ الإسلام جزء المغازي ص ١٠٣، كلاهما من طريق موسى بن عقبة به مطولاً.

(٢) أي الزهري، انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٦٠٦، ٦٠٧.

(٤) تحسس الخبر / تطلبه، والتحسس شبه التسمع والتبصر. اللسان (ح س س).

(٥) سيرة ابن هشام ١ / ٦٠٧ - ٦٠٩، كما أخرجه الطبري في تاريخه ٢ / ٤٢٨، من طريق محمد بن إسحاق به. حوادث السنة الثانية وسنده صحيح إلا أنه مرسل، وقد جاءت حادثة عاتكة من طرق متعددة وفيها مقال، قال ابن حجر في الإصابة ٤ / ٣٤٧ وبهذه الطرق يتقوى الحديث فيرتفع الحديث إلى درجة الحسن لغيره والله أعلم.

رُومانٌ عن عُزْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَا: وقد رَأَتْ عاتِكةُ بنتُ عبدِ المُطَّلِبِ، قبلَ قُدومِ ضَمُضَمٍ إلى مَكَّةَ بثلاثِ لَيالٍ، رُؤْيَا أَفْرَعَتْهَا، فَبَعَثَتْ إلى أخيها العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، فقالتُ له: يا أخي، واللَّهِ لقد رأيتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْطَعْتَنِي^(١)، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ على قومِكَ منها شَرٌّ ومُصِيبَةٌ، فَاكْتُمَ عَلَيَّ ما أُحَدِّثُكَ. قالَ لها: وما رَأَيْتِ؟ قالتُ: رأيتُ راكِبًا أَقْبَلَ على بعيرٍ له، حتى وَقَفَ بالأَبْطَحِ، ثُمَّ صَرَخَ بأعلى صوتِهِ: أَلَا انْفِرُوا، يَا لَعْدُزُّ^(٢)، لِمَصَارِعُكُمْ في ثلاثِ. فَأَرَى الناسَ اجْتَمَعُوا إليه، ثُمَّ دَخَلَ المسجدَ والناسُ يَنْبَغُونَهُ، فبينما هم حَوْلَهُ، مَثَل^(٣) به بعيرُهُ على ظَهْرِ الكعْبَةِ ثُمَّ صَرَخَ بِمِثْلِهَا: أَلَا انْفِرُوا، يَا لَعْدُزُّ، لِمَصَارِعُكُمْ في ثلاثِ. ثُمَّ مَثَلَ به بعيرُهُ على رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ، فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا، فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي، حتى إذا كانَتْ بأَسْفَلِ الجبلِ ارْفَضَّتْ^(٤)، فما بَقِيَ بيتٌ من بُيوتِ مَكَّةَ ولا دَارٌ إلا دَخَلَتْها منها فِلْقَةٌ^(٥). قالَ العباسُ: واللَّهِ إِنَّ هذِهِ لِرُؤْيَا، وَأَنْتِ فَاكْتُمَيْيها، لا تَذْكُرِيها لأحدٍ.

ثُمَّ خَرَجَ العباسُ فَلَقِيَ الوَلِيدَ بنَ عُثْبَةَ، وكانَ له صديقًا، فَذَكَرَها له واسْتَكْتَمَهُ إِياها، فَذَكَرَها الوَلِيدُ لأبيه^(٦) عُثْبَةَ، فَفَشَا الحَدِيثُ حتى تَحَدَّثَتْ به قُرَيْشٌ. قالَ العباسُ: فَغَدَوْتُ لأطُوفَ بالبيتِ وأبو جهلِ بنُ هشامِ في رَهْطٍ من قُرَيْشٍ قُعودٍ يَتَحَدَّثُونَ بِرُؤْيَا عاتِكةَ، فَلَمَّا رَأَى أبو جهلِ قالَ: يا أبا الفَضْلِ، إذا فَرَعْتَ من طَوافِكَ فَأَقْبِلْ إلينا. فَلَمَّا فَرَعْتُ أَقْبَلْتُ حتى جَلَسْتُ معهم، فقالَ أبو جهلِ: يا بني عبدِ المُطَّلِبِ، متى حَدَّثْتَ فيكم هذِهِ النَّبِيَّةُ؟! قالَ: قلتُ: وما ذلكُ؟ قالَ: تلكَ الرُّؤْيَا التي رَأَتْ عاتِكةُ. قالَ: قلتُ: وما رَأَتْ؟! قالَ: يا بني عبدِ المُطَّلِبِ، أَمَّا رَضِيْتُمْ أَنْ يَنْبَغَا

(١) أي اشتدت علي.

(٢) في الاصل: «يا آل غدره»، وهو لفظ الطبري. قال السهيلي في الروض ٥/ ١١٦: هكذا هو بضم

العين والدال؛ جمع غُدُور... أي إن تخلفتم فأنتم غُدُرٌ لقومكم.

(٣) مثل: قام منتصبًا. القاموس المحيط (م ث ل).

(٤) ارفضت: تفرقت قطعًا متحطمة.

(٥) الفلقة: القطعة.

(٦) المثبت من السيرة، وتاريخ الطبري.

رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث. فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول، فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكثت عليكم كتاباً؛ أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير شيء، إلا أنني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً. قال: ثم تفرقنا، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت: أفرزتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غير^(١) لشيء مما سمعت؟! قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير، وإيم الله لأتعرضن له، فإذا عاد لأكفيكته. قال: فعدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب، أرى أنني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيت، فوالله إنني لأمشي نحوه، أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد^(٢). قال: قلت في نفسي: ما له، لعنة الله، أكل هذا فرق مني أن أسأله؟! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يضرخ بطن الوادي، واقفاً على بعيره، قد جدع^(٣) بعيره، وحول رخله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة^(٤)، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث. قال: فشعلني عنه وشعلته عني ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعبير ابن الحضرمي؟! والله ليعلمن غير ذلك. وذكر موسى بن عتبة^(٥) رؤيا عاتكة، كنعو من سياق ابن إسحاق.

(١) الغير: الاسم من قولك: غيرت الشيء فتغير. اللسان (غ ي ر). تعني أنه لم ينكر عليه قوله.

(٢) اشتد في غذوه: أسرع.

(٣) جدع: قطع الأنف والأذن والشفة، وهو بالأنف أخص، فإذا أطلق، غلب عليه. انظر النهاية

٢٤٦ / ١

(٤) اللطيمة: الجمال التي تحمل العطر والبز، غير الميرة. والمعنى أدركوها. انظر النهاية ٢٥١ / ٤.

(٥) انظر دلائل النبوة لليهقي ٣ / ١٠٣، ١٠٤.

قال (١): فلما جاء ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرٍو على تلك الصَّفَةِ، خافوا من رُؤْيَا عَاتِكَةَ، فَخَرَجُوا على الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ.

قال ابنُ إسحاق (٢): فكانوا بينَ رَجُلَيْنِ؛ إمَّا خارجٍ وإمَّا باعِثٍ مكانه رجلاً، وأوعِبتُ قُرَيْشٌ (٣)، فلم يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهَا أَحَدٌ، إِلَّا أَنَّ أَبَا لَهَبٍ بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعَثَ مكانه العاصِيَّ بَنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، اسْتَأْجَرَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ كانت له عليه، قد أفلَس بها.

قال ابنُ إسحاق (٤): وحدثني ابنُ أبي نَجِيحٍ، أَنَّ أُمِّيَّةَ بَنَ خَلْفٍ كان قد أَجْمَعَ القُعودَ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وهو جالسٌ في المسجدِ بينَ ظَهْرَانِي قَوْمِهِ، بِمِجْمَرَةٍ يَحْمِلُهَا، فيها نازٌ ومِجْمَرٌ (٥)، حتى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قال: يا أبا عليٍّ، اسْتَجْمِرْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ. قال: قَبَّحَكَ اللهُ، وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ. قال: ثُمَّ تَجَهَّزْ، وَخَرَجْ مَعَ النَّاسِ، هَكَذَا قال ابنُ إسحاقٍ في هذه القِصَّةِ. وقد رَوَاهَا البخاريُّ (٦) على نَحْوِ آخَرٍ، فقال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عِثْمَانَ، حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ، ثنا إبراهيمُ بْنُ يوسُفَ، عن أبيه، عن أبي إسحاقٍ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدِ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ كان صديقاً لأُمِّيَّةَ بَنِ خَلْفٍ، وكان أُمِّيَّةٌ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ، نَزَلَ على سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وكان سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ على أُمِّيَّةَ، فلَمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِراً، فنَزَلَ

(١) أي موسى بن عقبة، انظر المصدر السابق ٣ / ١٠٥ بنحوه. وتاريخ الإسلام جزء المغازي ص ١٠٤ بنحوه.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٦٠٩، ٦١٠.

(٣) أوعبت قريش: أي خرجوا بأجمعهم. انظر النهاية ٥ / ٢٠٦.

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ٦١٠.

قال الحافظ في الفتح ٧ / ٢٨٤ ضمن شرح حديث البخاري الآتي: بين ابن إسحاق - في روايتنا هذه - الصفة التي كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأي نفسه في ترك الخروج من مكة.

(٥) المِجْمَرَةُ: ما يُوضَعُ فيه الجمر مع البُحُور. والمِجْمَرُ: العود يُبَخَّرُ بِهِ.

(٦) البخاري (٣٩٥٠).

على أُمِّيَّةَ بَمَكَّةَ، فقال لأُمِّيَّةَ: انظُرْ لي ساعةَ خَلْوَةٍ؛ لَعَلِّي أَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نَصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ: مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: هَذَا سَعْدٌ. قَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ آوَيْتُمْ الصُّبَاةَ^(١)، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ، لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ، مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللَّهِ، لَئِن مَنَعْتَنِي هَذَا، لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ. فَقَالَ لَهُ أُمِّيَّةُ: لَا تَرُفَعِ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيُؤَدِّي أَهْلَ الْوَادِي، قَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمِّيَّةُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ». قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. فَفَزِعَ لَذَلِكَ أُمِّيَّةُ فَرَعَا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرِي مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ أُمِّيَّةُ: وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ فَقَالَ: أَذْرِكُوا عَيْرَكُمْ. فَكَّرَهُ أُمِّيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللَّهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجُودَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ. ثُمَّ قَالَ أُمِّيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، جَهِّزْنِي. فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِيُّ؟ قَالَ: لَا، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا. فَلَمَّا خَرَجَ أُمِّيَّةُ، أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنَزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ.

وقد رواه البخاري في موضع آخر^(٢)، عن أحمد بن إسحاق، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق به نحوه. تفرد به البخاري^(٣).

(١) قال الحافظ في الفتح ٧ / ٢٨٣: الصباة؛ بضم المهملة وتخفيف الموحدة، جمع صابي بموحدة مكسورة ثم تخانية خفيفة بغير همزة، وهو الذي ينتقل من دين إلى دين.

(٢) البخاري (٣٦٣٢).

(٣) قال المصنف في جامع المسانيد ٥ / ٢٤٨: وهو من عزيز الحديث وأعظمه.

وقد رواه الإمام أحمد^(١) عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد، كلاهما عن إسرائيل، وفي رواية إسرائيل: قالت له امرأته: والله إن محمداً لا يكذب.

قال ابن إسحاق^(٢): ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا. وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر، في ابن الحفص بن الأختيف من بني عامر بن لؤي؛ قتله رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص، فقتل عامراً وحاض بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه^(٣) بأستار الكعبة، فحافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم.

قال ابن إسحاق^(٤): فحدثني يزيد بن زومان، عن عروة بن الزبير، قال: لما أجمعت قريش المسير، ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك أن يثيبهم، فتبدى لهم إبليس في صورة شرافة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكان من أشرف بني كنانة، فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه. فخرجوا سراغاً.

قلت: وهذا معنى قوله - تعالى -^(٥): ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤٨) [الأنفال: ٤٧، ٤٨]. غرهم،

(١) المسند ١ / ٤٠٠. (إسناده صحيح).

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٦١٠، ٦١١ بتصرف، فسياق السيرة مطول.

(٣) أي سيف عامر، كما في السيرة مفصلاً؛ أن مكرزاً حاض بطن عامر بسيف عامر نفسه، ثم علق سيف عامر بأستار الكعبة.

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ٦١٢. وسنده صحيح لكنه مرسل.

(٥) انظر التفسير [أي تفسير ابن كثير] ٤ / ١٦ - ١٩.

لعنه الله، حتى ساروا، وسار معهم مَنزِلَةٌ مَنزِلَةٌ، ومعه جُنُودُهُ ورايأته، كما قاله غيرُ واحدٍ منهم. فَأَسْلَمَهُمْ لِمَصَارِعِهِمْ، فَلَمَّا رَأَى الْجِدَّ وَالْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ لِلنَّصْرِ، وَعَايِنَ جِبْرِيلَ، نَكَّصَ عَلَى عَقْبَيْهِ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾. وهذا كقولهِ - تعالى - (١): ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦].

وقد قال الله - تعالى - (٢): ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. فإبليس، لعنه الله، لما عاين الملائكة يومئذٍ تنزل للنصر، فرَّ ذاهبًا، فكان أول من هرب يومئذٍ، بعد أن كان هو المُشجِّع لهم، المُجبر لهم، كما عَرَّهْم ووَعدَهُمْ ومَنَّاهُمْ، وما يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا.

وقال يونس عن ابن إسحاق (٣): خَرَجَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الصَّغْبِ وَالذَّلُولِ، فِي تِسْعِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ مُقَاتِلًا، مَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ يَقُودُونَهَا، وَمَعَهُم الْقِيَانُ يَضْرِبُونَ بِالذُّفُوفِ، وَيُغْنِيْنَ بِهَجَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَكَرَ (٤) الْمُطْعِمِينَ لِقُرَيْشٍ يَوْمًا يَوْمًا.

● الْمُطْعِمُونَ الْمَمُولُونَ لَجِيْشِ قُرَيْشٍ

ذَكَرَ الْأُمَوِيُّ (٥) أَنَّ أَوَّلَ مَنْ نَحَرَ لَهُمْ، حِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ، أَبُو جَهْلٍ؛ نَحَرَ لَهُمْ عَشْرًا، ثُمَّ نَحَرَ لَهُمْ أُمِيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ بَغْشَفَانَ تِسْعًا، وَنَحَرَ لَهُمْ شَهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو بِقُدَيْدٍ عَشْرًا، وَمَالُوا مِنْ قُدَيْدٍ إِلَى مِيَاهِ نَحْوِ الْبَحْرِ، فَظَلُّوا فِيهَا وَأَقَامُوا بِهَا يَوْمًا، فَتَحَرَ لَهُمْ

(١) انظر التفسير ٨ / ١٠١، ١٠٢.

(٢) انظر التفسير ٥ / ١٠٩.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣ / ٣٢، من طريق يونس به مطولاً.

(٤) أي ابن إسحاق، وكذا هذه اللفظة في سياق خبر الدلائل. يعني ذكر ابن إسحاق هذه الأسماء.

(٥) لم نجده عن الأموي، وأخرجه الواقدي في مغازيه ١ / ١٤٤ عن موسى بن عقبة. والبيهقي في الدلائل

٣ / ١٠٩، ١١٠ باختلاف يسير؛ فعنده بعد ذكر عتبة: «فنحر لهم أبيه ومنبه ابنا الحجاج - أو قال:

العباس بن عبدالمطلب - عشراً، ونحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعاً، ونحر لهم أبو البخترى على

ماء بدر عشر جزائر، ونحر لهم مقيس الجمحي على ماء بدر تسعاً».

شِيئَةٌ بِنُ رَيْبَعَةَ تَسْعًا، ثُمَّ أَضْبَحُوا بِالْجُحْفَةِ، فَنَحَرَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ عُثْبَةُ بْنُ رَيْبَعَةَ عَشْرًا، ثُمَّ أَضْبَحُوا بِالْأَبْوَاءِ، فَنَحَرَ لَهُمْ نُبَيْئَةٌ وَمُنَبِّئَةٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ عَشْرًا، وَنَحَرَ لَهُمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَشْرًا، وَنَحَرَ لَهُمْ عَلِيُّ مَاءِ بَدْرِ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ عَشْرًا، ثُمَّ أَكَلُوا مِنْ أَزْوَادِهِمْ. قَالَ الْأُمَوِيُّ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْهَذَلِيُّ قَالَ: كَانَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ سِتُّونَ فَرَسًا وَسِتُّ مِئَةَ دِرْعَمٍ، وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَسَانِ وَسِتُّونَ دِرْعَمًا.

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيهم من مكة، ومسيرهم إلى بدر. وأما رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق^(١): وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي لَيَالٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي أَصْحَابِهِ، وَاسْتَعْمَلَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ^(٢) عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، وَرَدَّ أَبَا لُبَابَةَ مِنَ الرُّوحَاءِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَدَفَعَ اللُّوَاءَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ، وَكَانَ أَيْضًا، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَايَتَانِ سَوْدَاوَانِ؛ إِحْدَاهُمَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، يُقَالُ لَهَا: الْعُقَابُ. وَالْأُخْرَى مَعَ بَعْضِ الْأَنْصَارِ.

قال ابن هشام^(٣): كَانَتْ رَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

وقال الأموي: كَانَتْ مَعَ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ.

قال ابن إسحاق^(٤): وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّاقَةِ قَيْسَ بْنَ أَبِي صَعْصَعَةَ أَخَا

بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ.

وقال الأموي^(٥): وَكَانَ مَعَهُمْ فَرَسَانِ. عَلَى إِحْدَاهُمَا مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَعَلَى

الْأُخْرَى الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَمَرَّةٌ^(٦) سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ، وَمَرَّةٌ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ.

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٢، ٦١٣.

(٢) في السيرة: «عمرو بن أم مكتوم - ويقال اسمه: عبدالله بن أم مكتوم - أخا بني عامر بن لؤي».

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) لم نجده عن الأموي، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٣/ ١١٠ عن موسى بن عقبة. وانظر تاريخ

الإسلام، جزء المغازي ص ١٠٨.

(٦) هنا وفيما يأتي، في م، ص: «من».

وقد روى الإمام أحمد^(١)، من حديث أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد.

وروى البيهقي^(٢)، من طريق ابن وهب، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي^(٣)، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس أن عليًا قال له: ما كان معنا إلا فرسان؛ فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود. يعني يوم بدر.

قال الأموي^(٤): حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن البيهقي^(٥) قال: كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان؛ الزبير بن العوام على الميمنة، والمقداد بن الأسود على الميسرة.

قال ابن إسحاق^(٦): وكان معهم سبعون بعيرًا يعتقبونها^(٧)، فكان رسول الله ﷺ وعلي ومزند بن أبي مزند يعتقبون بعيرًا، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة^(٨) يعتقبون بعيرًا. كذا قال ابن إسحاق، رحمه الله - تعالى -.

وقد قال الإمام أحمد^(٩): حدثنا عفان، عن حماد بن سلمة، حدثنا عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير؛ كان أبو لبابة وعلي زميلني رسول الله ﷺ قال: فكانت عقبته^(١٠) رسول الله ﷺ فقالا: نحن نمشي عنك. فقال: «ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأعنى عن الأجر

(١) المسند ١ / ١٢٥، ١٣٨. (إسناده صحيح).

(٢) دلائل النبوة ٣ / ٣٩.

(٣) انظر تهذيب الكمال ٣٤ / ٣٠٣.

(٤) انظر تاريخ الإسلام، جزء المغازي ص ٧٩.

(٥) انظر تهذيب الكمال ٣ / ٧٠.

(٦) سيرة ابن هشام ١ / ٦١٣.

(٧) يعتقبونها: أي يتعاقبونها في الركوب واحدًا بعد واحد. اللسان (ع ق ب).

(٨) انظر أسد الغابة ١ / ١٥٦، والإصابة ١ / ١٣٥.

(٩) المسند ١ / ٤١١. (إسناده صحيح).

(١٠) يقال: جاءت عقبه فلان. أي جاءت نوبته ووقت ركوبه. اللسان (ع ق ب).

منكما». وقد رواه النسائي^(١) عن الفلاس، عن ابن مهدي، عن حماد بن سلمة به. قلت: ولعل هذا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الرؤحاء، ثم كان زميلا علي ومروث بدّل أبي لبابة. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد^(٢): حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا سعيد، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تُقطع من أعناق الإبل يوم بدر. وهذا على شرط «الصحيحين». وإنما رواه النسائي^(٤)، عن أبي الأشعث، عن خالد بن الحارث، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به. قال شيخنا الحافظ المزي في «الأطراف»^(٥): وتابعه سعيد بن بشير^(٦)، عن قتادة، وقد رواه هشام، عن قتادة، عن زُرارة، عن أبي هريرة^(٧). فالله أعلم.

وقال البخاري^(٨): حدّثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب قال: سمعتُ كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، إلا في غزوة تبوك، غير أنني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يُعاتب الله أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمّع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. تفرّد به.

(١) النسائي في الكبرى (٨٨٠٧).

(٢) المسند ٦ / ١٥٠. قال الهيثمي في المجمع ٥ / ١٧٤: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر تهذيب الكمال ٩ / ٣٣٩.

(٤) النسائي في الكبرى (٨٨٠٩) عن شعبة عن قتادة به، وليس عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة كما ذكره المصنف متابعا لشيخه الحافظ المزي في تحفة الأشراف. وهو بلفظ: «أمر بالأجراس تقطع».

(٥) تحفة الأشراف.

(٦) انظر تهذيب الكمال ١٠ / ٣٤٩.

(٧) السنن الكبرى (٨٨١٠).

(٨) البخاري (٣٩٥١).

قال ابن إسحاق^(١): فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجيش، ثم مر على ثوبان، ثم على ملى، ثم على غميس الحمام، ثم على صخيرات اليمام^(٢)، ثم على السبالة، ثم على فج الزوحاء، ثم على شنوكة، وهي الطريق المعتدلة، حتى إذا كان بعزق الطيبة، لقي رجلاً من الأعراب، فسأله عن الناس، فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلم على رسول الله ﷺ. قال: أوفيكُم رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم. فسلم عليه ثم قال: لئن كنت رسول الله، فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه. قال له سلمة بن سلامة ابن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل علي، فأنا أخبرك عن ذلك؛ نزلت عليها، ففي بطنها منك سخلة. فقال رسول الله ﷺ: «مه، أفحشت على الرجل». ثم اعرض عن سلمة، ونزل رسول الله ﷺ سجسج، وهي بئر الزوحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف، ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية، يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها، حتى إذا جزع واديًا^(٣) يقال له: رُحقان^(٤). بين النازية وبين مضيق الصفراء، ثم على المضيق، ثم انصب منه، حتى إذا كان قريبًا من الصفراء، بعث بشبس بن عمرو الجهني، حليف بني ساعدة، وعدي بن أبي الزعباء، حليف بني النجار إلى بدر، يتحسسان^(٥) له الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وغيره. وقال موسى بن عقبة^(٦): بعثهما قبل أن يخرج من المدينة، فلما رجعا فأخبراه

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٣، ٦١٤.

(٢) في معجم البلدان. صخيرات الشام المثلثة المضمومة، وقيل: الشاممة بلفظ واحدة الشام... وهو منزل رسول الله ﷺ إلى بدر. معجم البلدان ٣/ ٣٧٢. و«صخيرات» جاء هكذا بالخاء المعجمة في التسخ، وفي سيرة ابن هشام، ومعجم ما استعجم ٣/ ٨٢٧، ومعجم البلدان، لكنه جاء في النهاية ٣/ ١٣ «صخيرات» بالخاء المهملة، وهو موافق لترتيبه الألف بائي.

(٣) جزع الوادي: قطعه غرضًا. الوسيط (ج ز ع).

(٤) انظر معجم البلدان ٢/ ٧٩٨.

(٥) في السيرة: «يتحسسان». وهما بمعنى.

(٦) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٠٢ عن موسى بن عقبة.

بخبر العير؛ استنفر الناس إليها. فإن كان ما ذكره موسى بن عتبة وابن إسحاق محفوظاً، فقد بعثهما مرتين. والله أعلم.

قال ابن إسحاق، رَحِمَهُ اللهُ (١): ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدمهما، فلما استقبل الصفراء، وهي قرية بين جبلين، سأل عن جبلتيهما: ما أسمائهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما: مُسَلِّحٌ. للآخر: مُخْرِيٌّ. وسأل عن أهلتهما، فقيل: بنو النار، وبنو خزاعي، بطنان من غفار. فكرههما رسول الله ﷺ والمُرور بينهما وتفاعلاً (٢) بأسمائهما وأسماء أهلتهما، فتركهما والصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين، على وادٍ يقال له: دَفِرَانُ. فجزع فيه ثم نزل، وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سوت بنا إلى بزك الغماد (٣)، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعاه له. ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس». وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برءاء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره، إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: «أجل». قال: فقد آمتا بك، وصدقتناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك،

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٦١٤.

(٢) الفأل مهموز فيما يشتر ويسوء. النهاية ٣ / ٤٠٥.

(٣) برك الغماد: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن. معجم البلدان ١ / ٥٨٩.

فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعتك بالحق، لو استغرقت بنا البحر فحضته لحضناه معك، ما تحلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله. قال: فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه. ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم» (١). هكذا ذكر ابن إسحاق، رحمه الله.

وله شواهد من وجوه كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري في «صحيحه» (٢):
 حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، عن مخرق، عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه، أحب إلي مما عدل به؛ أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك.

فرايت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره. انفرد به البخاري دون مسلم، فرواه في مواضع من «صحيحه»، من حديث مخرق به (٣). ورواه النسائي (٤) من حديثه، وعنده: جاء المقداد يوم بدر على فرس. فذكره.

وقال الإمام أحمد (٥): حدثنا عبيدة، هو ابن حميد، عن حميد الطويل، عن أنس قال: انتشر النبي ﷺ مخرجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فأشار عليه عمر، ثم استشارهم، فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله يا معشر

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن هشام في السيرة ١ / ٦١٤ - ٦١٥، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وأخرجه الطبراني وإسناده حسن كما في الجمع ٦ / ٧٣، والبيهقي في دلائل النبوة ٣ / ٣٢.

(٢) البخاري (٣٩٥٢).

(٣) البخاري (٤٦٠٩) من طريقين عن مخرق.

(٤) النسائي في الكبرى (١١١٤٠).

(٥) المسند ٣ / ١٨٨.

الأنصار^(١). فقال بعض الأنصار: يا رسول الله، إننا لا نقولُ كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. ولكن، والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرِّكَ الْعِمَادِ لَأَتَّبَعْنَاكَ. وهذا الإسنادُ ثلاثيٌّ على شرطِ الصحيح.

● كلمات للحياة والخلود :-

يا لسحر العقيدة وعظم تأثيرها في النفوس كلمات تشفّ وترف عن إيمان عميق ضارب بأغوار النفوس المطمئنة.. الموقنة بدينها ونيبها وربها لا يتزعزع ولا يتأرجح أمام المحن بل يشتد ويقوى ويترجم عن نفوس شاهقة تتحدى الأعاصير والأزمات التي تعصف بالجبال.. وتبقى هذه الكلمات منارة على الطريق وعلمًا على علو همة الجليل القرآني الفريد.

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخِيضَها^(٢) البحرَ لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرِّكَ الْعِمَادِ^(٣) لَفَعَلْنَا، قال: فنذب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بُدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا^(٤) قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول ما لي عِلْمٌ بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمّية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربه فقال: نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان، فإذا تركوه

(١) وفي المسند: «فقال قائل الأنصار: تستشيرنا يا نبي الله؟».

(٢) نخيضها: يعني الخيل.

(٣) بَرِّكَ الْعِمَادِ: بَرِّكَ هذا هو المعروف المشهور في كُتُب الحديث، وقال بعض أهل اللغة: صوابه كسر الراء، كذا ذكره القاضي عياض في شرح مسلم وأما الْعِمَادِ فبعين معجمة مكسورة ومضمومة لغتان مشهورتان لكن الكسر أفصح، وهو المشهور في روايات المحدثين، والضم هو المشهور في كُتُب اللغة. وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل. وقال إبراهيم الحربي: برك العمد وسعفات هجر كناية يُقال فيما تباعد. وهي من جهة اليمن تُقابل الحبشة وبينها عرض البحر.

(٤) الروايات: جمع راوية، والراوية: العبير أو البغل أو الحمار الذي يُستقى عليه الماء.

فسأله فقال: مالي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمّية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضًا ضربه ورسول الله ﷺ قائم يُصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذّبكم».

قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان قال ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا فما ماط^(١) أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ^(٢)».

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٧ / ٢٨٨): «وفيه نظر لأن سعد بن عباد لم يشهد بدرًا، وإن كان يُعدّ فيهم لكونه بمن ضرب له بسهمه، ويُمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرّتين:

الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بيّن في رواية مسلم ولفظه (أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان) والثانية: كانت بعد أن خرج كما في حديث ابن مسعود في قصة المقداد».

* وقد روى بن أبي حاتم في «تفسيره»، وابن مردويه^(٣) عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إني أُخبرْتُ عن عير أبي سفيان أنها مُقبِلَةٌ، فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير، لعل الله يُغنمناها؟». فقلنا: نعم. فخرج وخرجنا، فلما سِرنا يومًا أو يومين، قال لنا: «ما تروون في القوم، فإنهم قد أُخبروا بمخرجكم؟».

فقلنا: لا والله، ما لنا طاقة بقتال القوم، ولكننا أَرَدْنَا العير. ثم قال: «ما تروون في قتال القوم؟». فقلنا مثل ذلك. فقال المقداد بن عمرو: إذا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون. قال: فتَمَتَّينا معشر الأنصار لو أننا قلنا مثل ما قال المقداد، أحب إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيم.

(١) ماط: تباعد.

(٢) رواه مسلم (١٧٧٩) - باب غزوة بدر، وأحمد نحوه «المسند» (٣ / ٢٥٧، ٢٥٨).

(٣) نظر الدر المنثور للسيوطي ٣ / ١٦٣، والتفسير ٣ / ٥٥٥.

قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ، ﷺ، عَلَى رَسُولِهِ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال: ٥]، وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ (١).

وَرَوَى ابْنُ مَرْذُوقٍهُ أَيْضًا (٢)، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصِ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ، خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ؟». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ بَكَذَا وَكَذَا. قَالَ: ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ؟» فَقَالَ عُمَرُ مِثْلَ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ؟». فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْتِيكَ، فَوَالَّذِي أَكْرَمَكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مَا سَلَكْتُهَا قَطُّ، وَلَا لِي بِهَا عِلْمٌ، وَلَئِنْ سِرَّتْ حَتَّى تَأْتِيَنَّكَ الْغَمَادُ مِنْ ذِي يَمِينٍ، لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ، وَلَا نَكُونُ كَالَّذِينَ قَالُوا لِمُوسَى: أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَّبِعُونَ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَأَخَذْتَ اللَّهُ إِلَيْكَ غَيْرَهُ، فَانظُرِ الَّذِي أَخَذْتَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَاغْضِبْ لَهُ، فَصَلِّ جِبَالَ مَنْ شِئْتَ، وَأَقْطَعْ جِبَالَ مَنْ شِئْتَ، وَعَادِ مَنْ شِئْتَ، وَسَالِمٍ مَنْ شِئْتَ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ. فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى قَوْلِ سَعِيدٍ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ الْآيَاتِ. وَذَكَرَهُ الْأَمْوِيُّ (٣) فِي «مَغَازِيهِ»، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ: وَأَعْطَيْنَا مَا شِئْتَ، وَمَا أَخَذْتَ مِمَّا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا إِجْمًا تَرَكْتِ، وَمَا أَمَرْتِ بِهِ مِنْ أَمْرٍ، فَأَمَرْنَا تَبِعْ لِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ سِرَّتْ حَتَّى تَبْلُغَ الْبَرَكَةَ مِنْ عُغْمَدَانَ (٤)، لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ.

(١) انظر التفسير ٣ / ٥٥٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٥٠٧)، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة به، وذكره المصنف في التفسير ٣ / ٥٥٥ بسند ابن مردويه. والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ١٦٣، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه.

(٣) انظر سبل الهدى والرشد ٤ / ٤٢، ٤٣.

(٤) غمدان: حصن في رأس جبل بناحية صنعاء، وغمدان: قبة سيف بن ذي يزن، وقيل: قصر معروف

باليمن. وغمدان: موضع. اللسان (غ م د).

قال ابن إسحاق^(١): ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذِفْرَانَ، فسلك على ثنأيا يُقال لها: الأصافرُ. ثم انحطَّ منها إلى بلد يُقال له: الدَّبَّةُ^(٢). وتَرَكَ الحِثَّانَ بيمين، وهو كَثِيبٌ عَظِيمٌ كالجبل العظيم، ثم نزل قريثًا من بدر، فركب هو ورجُلٌ من أصحابه. قال ابن هشام: هو أبو بكر.

● إنا لا نستعين بمشرك:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «خرج رسول الله ﷺ قتل بدر، فلما كان ببحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يُذكر منه جراً ونجدة، وفرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدرکه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: لا. قال: «فارجع فلن استعين بمشرك»، قالت: ثم مضى، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل. فقال له: كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة: قال: «ارجع فلن استعين بمشرك»، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء. فقال له كما قال أول مرة: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال نعم. فقال له رسول الله ﷺ: «فانطلق».

* وعن علي رضي الله عنه قال: «لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتوينها^(٣)، فأصابنا بها وعك، فكان النبي ﷺ يتخبَّر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا بها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: كم القوم؟ فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٥، ٦٦١، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٣٥، حوادث السنة الثانية.

(٢) الدَّبَّةُ: بلد بين الأصافر وبدر. معجم البلدان ٢/ ٥٤٧.

(٣) اجتوينها: أصابهم الجوى وهو المرض وراء الجوى إذا تناول وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموا.

فأتى، ثم إن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجُر؟ قال: عشر لكل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «القوم ألف كل جزور مائة ونيفها»^(١).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترأينا الهلال... (إلى أن قال): «ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق! ما أخطؤوا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ»^(٢).

قال ابن إسحاق^(٣): وكان بسبب بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرًا، فأنحأ إلى تل قريب من الماء، ثم أخذًا شئًا^(٤) لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبب جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان^(٥) على الماء، والمزومة^(٦) تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غد، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك.

قال مجدي: صدقت. ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عدي وبسبب، فجلسا على بعييريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ، وأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذرًا، حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدًا؟ قال: ما رأيت أحدًا أنكره، إلا أنني قد رأيت راكبين قد أنحأ إلى هذا التل، ثم استقيا في شئ لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مئناهما، فأخذ من أبعار بعييريهما فقتته، فإذا

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٧، وأبو داود (٢٦٦٥)، في الجهاد - باب في المبارزة من حديث علي وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم ٣/ ١٨٧ - ١٨٨ عن ابن عباس وسنده غير حارثة بن مضرب وهو ثقة. انظر كشف الأستار ١٧٦١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٣)، وأحمد في المسند ١/ ٢٦، والنسائي في الجوائز باب أرواح المؤمنين ٤/ ١٠٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٧، ٦١٨.

(٤) الشن: القرية الصغيرة.

(٥) أي تلازم أحدهما الأخرى لذئن عليها.

(٦) المزومة: المدينة.

فيه التّوَى، فقال: هذه والله عَلَائِفُ يَثْرِبُ. فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وجهه عيره عن الطريق، فساحل بها^(١) وترك بدرًا بيسار، وانطلق حتى أَسْرَعَ، وأقبلت قريشٌ، فلما نزلوا الجُحْفَةَ، رأى جهنم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف زُويًا، فقال: إني رأيتُ فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرتُ إلى رجلٍ قد أقبل على فرس، حتى وقف ومعه بعيرٌ له، ثم قال: قُتِلَ عُتْبَةُ بنُ ربيعةَ، وشيئةُ بنُ ربيعةَ، وأبو الحكم بن هشام، وأمّيةُ بنُ خلف، وفلانٌ، وفلانٌ. فعدّ رجالاً ممن قُتِلَ يوم بدرٍ من أشراف قريش، ثم رأيتُه ضَرَبَ في لَبَّةِ بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خبائء من أخبية العسكر إلا أصابه نضخ من دمه. فبلغتُ أبا جهل، لعنه الله، فقال: هذا أيضًا نبيٌّ آخَرُ من بني المطلب، سيعلّم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

قال ابن إسحاق^(٢): ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرّجتم لتتمنّوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجّها الله، فازجّعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نزعج حتى نرد بدرًا. وكان بدرٌ مؤسسًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوق كل عام. فتقيم عليه ثلاثًا، فتتخرّ الجزر، وتطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا، فامضوا. وقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، وكان حليفًا لبني زهرة، وهم بالجحفة: يا بني زهرة، قد نجى الله لكم أموالكم، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنّعوه وماله، فاجعلوا بي جنتها وازجّعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرّجوا في غير ضيعة، لا ما يقول هذا. قال: فرجعوا، فلم يشهدوا زهري واحدًا؛ أطاعوه وكان فيهم مطاعًا، ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس، إلا بني عدي، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأحنس، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحدًا. قال: ومضى القوم، وكان بين طالب بن أبي

(١) فساحل بها: أخذها إلى طريق الساحل.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٨، ٦١٩.

طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش مُحَاوَرَةً، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خَرَجْتُمْ معنا، أن هَواكُم مع محمد. فرجع طالب إلى مكة مع مَنْ رَجَعَ، وقال في ذلك:

لَاهُمْ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبَ فِي غُضْبَةٍ مُحَالِفٍ مُحَارِبِ
فِي مِقْنَبٍ^(١) مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبُ غَيْرَ السَّالِبِ
وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبُ غَيْرَ الْغَالِبِ

قال ابن إسحاق^(٢): وَمَضَتْ قَرِيشٌ حَتَّى نَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَادِي، خَلْفَ الْعَقْتَقَلِ وَبَطْنِ الْوَادِي، وَهُوَ يَلِيلٌ، بَيْنَ بَدْرِ وَبَيْنَ الْعَقْتَقَلِ، الْكَثِيبِ الَّذِي خَلْفَهُ قَرِيشٌ، وَالْقَلِيبُ بَدْرٌ، فِي الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا مِنْ بَطْنِ يَلِيلٍ إِلَى الْمَدِينَةِ.
قُلْتُ: وَفِي هَذَا قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾. أَي: مِنْ نَاحِيَةِ السَّاحِلِ. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢] الآيات.

● الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله:-

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال:].

لقد كانت صورة الخروج بطراً ورثاء الناس وصدوا عن سبيل الله حاضرة أمام العصبية المسلمة؛ يرونها في خروج قريش بالصورة التي خرجت بها؛ كما كانت صورة العقبة لهذا الخروج حاضرة فيما أصاب قريشاً التي خرجت في ذلك اليوم بفخرها وعزها وكبريائها تحاد الله ورسوله: وعادت في آخر اليوم بالذل والخيبة والانكسار والهزيمة.. وكان الله - سبحانه - يذكر العصبية المسلمة بشيء حاضر له

(١) مقنب: جماعة الخيل مقدار ثلاث مائة أو نحوها.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٩، ٦٢٠.

وقعه وله إيحائه.

والبطر والمراءة والصد عن سبيل الله تتجلى كلها في قوله أبي جهل، وقد جاءه رسول أبي سفيان - بعد أن ساحل بالعبير فنجت من رصد المسلمين - يطلب إليه الرجوع بالنفير، إذ لم تعد بهم حاجة لقتال محمد وأصحابه. وكانت قريش قد خرجت بالقيان والدفوف يغنون وينحرون الجزر على مراحل الطريق. فقال أبو جهل: «لا والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم ثلاثًا، ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدًا».. فلما عاد الرسول إلى أبي سفيان برد أبي جهل قال: «واقوماه! هذا عمل عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) كره أن يرجع. لأنه ترأس على الناس فبغى، والبغي منقصة وشؤم، إن أصاب محمد النفير ذلنا».. وصحت فراسة أبي سفيان، وأصاب محمد ﷺ النفير؛ وذل المشركون بالبطر والبغي والرياء والصد عن سبيل الله؛ وكانت بدر قاصمة الظهر لهم ونالهم ما نالهم من الذل والخيبة والخسار والانكسار.

● الرأي الحكيم للحجاب بن المنذر رضي الله عنه: -

قال ابن إسحاق: حُدِّثت عن رجال من بني سلمة، أنهم ذكروا أن الحُباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلًا أنزلك الله، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فأمض بالناس حتى نأتني أدنى ماءٍ من القوم فننزله، ثم نُغَوِّرُ^(١) ما وراءه من القُلبِ^(٢)، ثم نبتني عليه حَوْضًا فَنَمْلَأُهُ مَاءً، ثم نُقاتِلُ القومَ، فنشرب ولا يشربون. فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي».

(١) نُغَوِّرُ: قال أبو الخشنى: من وراه بالعين المعجمة فمعناه نذهبه وندفنه، ومن رواه بالعين المهملة - وهو لفظ رواية الطبري - فمعناه نفسده. شرح غريب السيرة ٢ / ٣٥.

(٢) القُلبُ: جمع قَلْبٍ، وهو البئر قبل أن تُطوى - أي تبنى بالحجارة - فإذا طويت فهي الطُرى. اللسان (ق ل ب).

● البلياء تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع:-

قال ابن إسحاق^(١): وحَدَّثني أبي إسحاق بن يسار، وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما أطمأنَّ القومُ بعَثوا عُمَيْرَ بنَ وهبِ الجُمَحِيِّ، فقالوا: اخزؤ^(٢) لنا القومَ أصحابَ محمدٍ. قال: فاستَجَالَ بفريسه حولَ العسْكَرِ، ثم رَجَعَ إليهم، فقال: ثلاثُ مِئةِ رجلٍ، يَزِيدون قليلاً أو يَنْقُصون، ولكن أمهلوني حتى أنظُرَ؛ اللقومَ كَمِينٍ أو مَدَدٍ. قال: فَضْرَبَ في الوادي حتى أَبْعَدَ، فلم يَرِ شَيْئاً، فَرَجَعَ إليهم، فقال: ما رأيتُ شَيْئاً، ولكن قد رأيتُ، يا معشرَ قُرَيْشٍ، البلياء^(٣) تَحْمِلُ المنايا، نواضح^(٤) يثرب تَحْمِلُ الموتَ النَّاقِعَ، قومٌ ليس لهم مَنَعَةٌ ولا مَلْجَأٌ إلا سيوفُهم، واللّه ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتى يُقْتَلَ رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك؟! فَرَوُوا رأيكم».

● الخلاف في صفوف المشركين حين وصولهم لبدر:-

لما سَمِعَ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ ما قاله عمير، مَشَى في الناسِ، فَأتَى عُتْبَةَ بنَ رِيعَةَ، فقال: يا أبا الوليد، إنَّكَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، والمُطَاعُ فيها، هل لك إلى أن لا تَرَالَ تُذَكَّرُ فيها بخيرٍ إلى آخِرِ الدهرِ؟ قال: وما ذاك يا حَكِيمُ؟ قال: تَوَجَّعُ بالناسِ، وتَحْمِلُ أمرَ حليفك عَمِرو بنِ الحَضْرَمِيِّ. قال: قد فعلتُ، أنت عَلَيَّ بذلك، إنما هو حَلِيفِي، فعَلِيَّ عَقْلُهُ وما أُصِيبُ مِن مالِهِ، فَأتَى ابنَ الحَنْظَلِيَّةِ^(٥) - يَعْنِي أبا جهلٍ - فَأَنِّي لا أَخْشَى أن يَشْجُرَ^(٦) أمرَ الناسِ غيرُهُ. ثم قام عُتْبَةُ حَظِيئاً، فقال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّكم واللّه ما

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٢ - ٦٢٤، وتاريخ الطبري ٤٤١، ٤٤٢ حوادث السنة الثانية.

(٢) حزر الشيء حزرًا: قدره بالتخمين.

(٣) قال أبو ذر: البلياء وهو جمع بلية، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت - صاحب الناقة - فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت. شرح غريب السيرة ٢/ ٣٥.

(٤) النواضح: الإبل التي يستقى عليها الماء.

(٥) الحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مخربة.

(٦) يشجر: معناه يخالف بين الناس، من المشاجرة. ويسجر: يؤقدهم ويحرضهم للحرب من سجر التور.

تَصْنَعُونَ بَأْنَ تَلْقَوْا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا، وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَبْتُمُوهُ؛ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ؛ قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ، أَوْ ابْنَ خَالِهِ، أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ، فَارْجِعُوا، وَخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَإِنْ أَصَابُوهُ، فَذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتُمْ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ، أَلْفَاكُمْ وَلَمْ تَعْرِضُوا^(١) مِنْهُ مَا تُرِيدُونَ. قَالَ حَكِيمٌ: فَانطَلَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أَبَا جَهْلٍ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ نَتَلَ^(٢) دِرْعًا لَهُ، فَهُوَ يَهَيْئُهَا^(٣)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، إِنَّ عُتْبَةَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: انْتَفَخَ وَاللَّهِ سَحْرَهُ^(٤) حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَلَا وَاللَّهِ لَا نَزِجُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَمَا بِعُتْبَةَ مَا قَالَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةَ جَزُورٍ، وَفِيهِمْ ابْنُهُ، فَقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَالَ: هَذَا حَلِيفُكَ يُرِيدُ أَنْ يَزِجَعَ بِالنَّاسِ، وَقَدْ رَأَيْتَ تَأْرَكَ بِعَيْنِكَ، فَقُمْ فَانشُدْ خُفْرَتَكَ^(٥) وَمَقْتَلَ أَخِيكَ. فَقَامَ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَانكشَفَ ثُمَّ صَرَخَ: وَاعْمَرَاهُ وَاعْمَرَاهُ. قَالَ: فَحَمِيَّتِ الْحَرْبُ، وَحَقِيبٌ^(٦) أَمْرُ النَّاسِ، وَاسْتَوْسَقُوا^(٧) عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ، وَأُفْسِدَ عَلَى النَّاسِ الرَّأْيُ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عُتْبَةُ. فَلَمَّا بَلَغَ عُتْبَةُ قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ: انْتَفَخَ وَاللَّهِ سَحْرَهُ. قَالَ: سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ^(٨) مَنْ انْتَفَخَ سَحْرَهُ، أَنَا أَمْ هُوَ.

(١) أَي تَعَرَّضُوا.

(٢) نَتَلَ دِرْعَهُ: أَي أَخْرَجَهَا.

(٣) وَيَهَيْئُهَا: أَي يُصَلِّحُهَا.

(٤) سَحْرَهُ؛ أَي رِيئَتُهُ، يُقَالُ ذَلِكَ لِلْجَبَانِ. انظر النهاية ٢ / ٣٤٦.

(٥) قَالَ السَّهْلِيُّ: أَي اطَّلَبْ مِنْ قَرِيشِ الْوَفَاءِ بِخُفْرَتِهِمْ لَكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ وَجَارًا، يُقَالُ: خَفَرْتُ الرَّجُلَ خَفْرَةً. إِذَا أَجْرْتَهُ. وَالْخَفِيرُ: الْمَجِيرُ. الرُّوسُ الْأَنْفُ ٥ / ١٢٥.

(٦) يُقَالُ: حَقَبَ الْأَمْرَ. إِذَا اشْتَدَّ. انظر المصدر السابق.

(٧) اسْتَوْسَقُوا: اجْتَمَعُوا. اللِّسَانُ (و س ق).

(٨) قَالَ الزَّيْدِيُّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ: يُقَالُ فِي الشَّتْمِ: هُوَ مُصَفِّرُ اسْتِهِ. أَي صَرَاطِ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُوَ مِنَ الصَّفِيرِ لَا الصَّفْرَةِ. انْتَهَى، كَأَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى الْجَبَنِ وَالْحَوْرِ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ عْتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ لِأَبِي جَهْلٍ... يُقَالُ: إِنَّهُ رَمَاهُ بِالْأُبْتَةِ، وَأَنَّهُ يُرْعِفُ اسْتَهُ، وَصُوبَهُ الصَّاعَانِي، وَيُقَالُ: هِيَ كَلِمَةٌ تُقَالُ لِلْمَتَنَمِّعِ الْمَتْرَفِ الَّذِي لَمْ تُنْحَكِ التَّجَارِبُ وَالشَّدَائِدُ. تَاجِ الْعُرُوسِ (ص ف ر).

ثُمَّ التَّمَسَّ عُتْبَةُ بِيْضَةَ؛ لِيُدْخِلَهَا فِي رَأْسِهِ، فَمَا وَجَدَ فِي الْجَيْشِ بِيْضَةً تَسَعُهُ؛ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ اعْتَجَرَ^(١) عَلَى رَأْسِهِ بِبُرُودٍ لَهُ.

وعند ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٠ / ٥): «قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتني من الخير شيء، وعتبة مُتَّكِيَةٌ عَلَى إِيمَاءِ بْنِ رَحْضَةَ الْغَفَّارِيِّ - وَقَدْ أَهْدَى إِلَى الْمُشْرِكِينَ عَشْرَ جَزَائِرٍ - فَطَلَعَ أَبُو جَهْلٍ وَالشُّرُفِيُّ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ لِعْتَبَةَ: انْتَفِخْ سَحْرُوكَ؟ فَقَالَ لَهُ عْتَبَةُ سَتَعْلَمُ. فَسَلَّ أَبُو جَهْلٍ سَيْفَهُ، فَضْرَبَ بِهِ مَتْنَ فَرَسِهِ، فَقَالَ إِيمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ: بِئْسَ الْفَأَلُ هَذَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَتِ الْحَرْبُ».

* ومن حديث عليٍّ عليه السلام قال: «فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر، يسير في القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عليّ ناد حمزة - وكان أقربهم من المشركين -: من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر»، قال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم، وفيكم خير، يا قوم، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنني لست بأجبنكم، فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا، والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعباً، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر إسته، ستعلم اليوم أيُّنا الجبان»^(٢).

* وجاء من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزل المسلمون وأقبل المشركون، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: «إن يكن عند أحدٍ من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا، وهو يقول:

(١) اعتجر: تعتم بغير تاج، أي لم يجعل تحت لحيته منها شيئاً.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في المسند ١ / ١١٧، وأبو داود (٢٦٦٥)، وإسناده صحيح. وقال الهيثمي ٦ / ٧٦ رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة.

«يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، وإنما محمد وأصحابه كأكلة جزور لو التقينا، فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إنني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رعوسهم الأفاعي، وكأن وجوههم السيوف، ثم دعا أخاه وابنه، فخرج يمشي بينهما ودعا للمبارزة»^(١).

● نعاس يغشى المسلمين قبل المعركة، ومطر للطهارة ياللعجب العجائب:-

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]

أما قصة النعاس الذي غشى المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتديره.. لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلّة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته.. فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم، والطمأنينة تفيض على قلوبهم، (وهكذا كان يوم أحد.. تكرر الفزع، وتكرر النعاس، وتكررت الطمأنينة).. ولقد كنت أمر على هذه الآيات وأقرأ أخبار هذا النعاس، فأدركه كحادث وقع، يعلم الله سره، ويحكي لنا خبره.. ثم إذا بي أقع في شدة، وتمر عليّ لحظات من الضيق المكتوم، والتوجس القلق، في ساعة غروب.. ثم تدركني سنة من النوم لا تتعدى بضع دقائق.. وأصبحوا إنساناً جديداً غير الذي كان.. ساكن النفس.. مطمئن القلب.. مستغرقاً في الطمأنينة الواثقة العميقة.. كيف تم هذا؟ كيف وقع هذا التحول المفاجيء؟ لست أدري! ولكنني بعدها أدرك قصة بدر وأحد. أدركها في هذه المرة بكياني كله لا

(١) سنده حسن: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٦): رواه البزار ورجاله ثقات، وانظر «كشف الأستار» (١٧٦٢)، والحاكم ٣/ ١٨٧، ١٨٨، وسنده حسن.

بعقلي. وأستشعرها حية في حسي لا مجرد تصور. وأرى فيها يد الله وهي تعمل عملها الخفي المباشر.. ويطمئن قلبي..

لقد كانت هذه الغشبية. وهذه الطمأنينة، مددًا من أمداد الله للعصبة المسلمة يوم

بدر:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ﴾..

ولفظ (يغشيكم) ولفظ «النعاس» ولفظ «أمنة».. كلها تشترك في إلقاء ظل لطيف شفيف؛ وترسم الظل العام للمشهد، وتصور حال المؤمنين يومذاك، وتجلي قيمة هذه اللحظة النفسية الفاصلة بين حال للمسلمين وحال.

● وأما قصة الماء:

﴿وَيُنزِلْ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾..

فهي قصة مدد آخر من أمداد الله للعصبة المسلمة، قبيل المعركة.

قال علي بن طلحة، عن ابن عباس قال: نزل النبي ﷺ حين سار إلى بدر والمشركون بينهم وبين الماء دملة وعصاة، وأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله - تعالى - وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجننين؟ فأمر الله عليهم مطرًا شديدًا، فشرّب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم، وأمد الله نبيه ﷺ بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمس مئة مجنبة، وميكائيل في خمس مئة مجنبة..

ولقد كان ذلك قبل أن ينفذ رسول الله ﷺ ما أشار به الحباب بن المنذر من النزول

على ماء بدر، وتغوير ما وراءها من القلب.

ففي هذه الليلة - وقبل إنفاذ مشورة الحباب بن المنذر - كانت هذه الحالة التي يذكر

اللَّهُ بها العصبية التي شهدت بدرًا.. والمدد على هذا النحو مدد مزدوج: مادي وروحي. فالماء في الصحراء مادة الحياة، فضلاً على أن يكون أداة النصر. والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة.

ثم هذه الحالة النفسية التي صاحبت الموقف ووسوس بها الشيطان! حالة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء (ولم يكن قد رخص لهم بعد في التيمم، فقد جاء هذا متأخرًا في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة). وهنا تثور الهواجس والوسوس، ويدخل الشيطان من باب الإيمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب! والنفوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزة مهزومة من داخلها.. وهنا يجيء المدد وتجيء النجدة^(١).

﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾..

ويتم المدد الروحي بالمدد المادي، وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال.

﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]. فذكر أنه طهرهم ظاهرًا وباطنًا، وأنه ثبت أقدامهم، وشجع قلوبهم، وأذهب عنهم تخذيل الشيطان، وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر، وهذا تثبيت الباطن والظاهر^(٢).

● بناء العريش للنبي ﷺ :-

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر...^(٣)

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٨٠٠٧٩.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ﴿إِذَا تَسْتَيْثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (٣٩٥٣).

قال ابن إسحاق^(١): فحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث أن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعبد عندك ركائبك، ثم تلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى؛ جلست على ركائبك فالحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حُباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً، ما تخلفوا عنك، يمتنعك الله بهم، يُناصحونك ويُجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش كان فيه.

وكان معه في العريش الصديق كما كان معه في الغار فهو خصوصية للصديق ﷺ.

● مناجاة واستغاثة ودعاء:

جاء في حديث علي السابق ذكره قال: «أصابنا من الليل طش^(٢) من الطر - يعني الليلة التي كانت صبحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والجحف^(٣)، نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد» قال: فلما تطلع الفجر نادى: «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والجحف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحض على القتال^(٤).

* وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مَدَّ يديه فجعل يهتف بربه «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٦٢٠، ٦٢١، وتاريخ الطبري ٢ / ٤٤٠ حوادث السنة الثانية.

(٢) الطش: المطر الضعيف، وهو فوق الرزاز.

(٣) الجحفة: الترس الصغير.

(٤) سبق تخريجه.

فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: «يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمدّه الله بالملائكة»^(١).

* وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قال النبي ﷺ يوم بدر اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد» فأخذ أبو بكر بيده، فقال حسبك فخرج وهو يقول: ﴿سَيَرْزُقُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾^(٢).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاث مئة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، فلما انتهى إليها قال: «اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم» ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا، وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا»^(٣).

حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال: بعض مناشدتك ربك، من باب الإشفاق، لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع، حتى سقط الرداء عن منكبيه، فقال: بعض هذا يا رسول الله، أي: لِمَ تُتعب نفسك هذا التعب، والله قد وعدك بالنصر، وكان رضي الله عنه رقيق القلب، شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ^(٤).
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥ / ٩٤):-

«حكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العريبي أنه قال: كان رسول الله ﷺ في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجهاد - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٧٦٣)، وأحمد (١ / ٣٠ - ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (٣٩٥٣).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الجهاد - باب في نقل السرية من العسكر (٢٧٤٧)، والحاكم (٢ / ١٤٥) وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي ٩ / ٥٧، وحسنه الحافظ في الفتح (٧ / ٢٩٢) والحديث حسن.

(٤) «الروض الأنف» للسهيلي ٥ / ١٣٠.

مَقَامِ الْخَوْفِ، وَالصَّدِيقُ فِي مَقَامِ الرَّجَاءِ، وَكَانَ مَقَامَ الْخَوْفِ فِي هَذَا الْوَقْتِ^(١). يَعْنِي أَكْمَلَ. قَالَ^(٢): لِأَنَّ لِلَّهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، فَخَافَ أَنْ لَا يُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهَا، فَخَوْفُهُ ذَلِكَ عِبَادَةٌ.

قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ: إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ، فِي مُقَابَلَةِ مَا كَانَ يَوْمَ الْغَارِ. فَهُوَ قَوْلٌ مُرَدُّ عَلَى قَائِلِهِ؛ إِذْ لَمْ يَتَدَبَّرْ هَذَا الْقَائِلُ عَوَرَ^(٣) مَا قَالَ، وَلَا لِازِمَهُ، وَلَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَنَقَلَ عَنِ الْخَطَّابِيِّ قَوْلَهُ^(٤) لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ أَوْثَقَ بَرِّهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي تِلْكَ الْحَالِ، بَلِ الْحَامِلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ شَفَقَتَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَتَقْوِيَةَ قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ، فَبَالَغَ فِي التَّوَجُّهِ وَالِدَعَاءِ وَالِابْتِهَالِ لِتَسْكِنِ نَفْسِهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ وَسِيلَتَهُ مُسْتَجَابَةٌ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ مَا قَالَ كَفَّ عَنِ ذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّهُ اسْتَجِيبَ لَهُ لَمَّا وَجَدَ أَبُو بَكْرٍ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالطَّمَآنِينَةِ، فَلِهَذَا عَقَّبَ بِقَوْلِهِ: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ﴾ [القمر: ٤٥].

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ»^(٥) وَأَنْشَدَكَ أَي: أَطْلُبُ مِنْكَ.

وَنَقَلَ الْحَافِظُ ابْنَ حَجْرٍ أَنَّهُ وَرَدَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَتَتْ بِخِيَلِهَا وَفَخَرَهَا تَجَادَلُ وَتَكْذِبُ رَسُولَكَ، فَاللَّهُمَّ نَصْرِكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي»^(٦).

(١) الروض الأنف ٥ / ١٣٠.

(٢) أي السهلي، في تعقيبه على كلام شيخه ابن العربي.

(٣) العور: الشُّنْ وَالقُّحْ.

(٤) معالم السنن للخطابي ٣ / ١٧٠٢ - ١٧٠٣ شرح الحديث (٨٣١) وقد نقله ابن حجر بالمنع، وقد

نقل العيني قول الخطابي كما هو (عمدة القارئ ١٤ / ٧١).

(٥) أخرجه البخاري - كتاب المغازي - فتح الباري (٧ / ٢٨٧) رقم (٣٩٥٣).

(٦) نقله ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة ١ / ٦٢١ وزاد «اللهم احنهم الغداة» والطبري في تاريخه

٢ / ٢٧٧، وابن كثير في البداية والنهاية. وأحنهم: أي أهلكهم.

وعند الطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: «ما سمعنا مُناشداً ينشد ضالة أشدّ مناشدة من محمد لربه يوم بدر: اللهم إني أنشدك ما وعدتني»^(١).

قال السهيلي في «الروض الأنف» (٣/ ٤٧): «سبب شدة اجتهاد النبي ﷺ في الدعاء لأنه رأى الملائكة تنصب في القتال، والأنصار يخوضون غمار الموت، والجهاد تارة يكون بالسلاح وتارة بالدعاء، ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش لأنه لا يقاتل معهم فلم يكن ليريح نفسه، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء.

كما أوضح الحافظ في قوله: «اللهم إن شئت لم تعبد» أنه ورد في حديث عمر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»^(٢) قال ابن حجر: أما «تهلك» بفتح أوله وكسر اللام و«العصابة» بالرفع، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، ولا ستمر المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة. كما أورد ابن حجر ما وقع عند مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال هذا الكلام أيضاً يوم أُحد^(٣).

كما أورد ما رواه النسائي^(٤). والحاكم^(٥) من حديث علي قال: «قاتلت يوم بدر

(١) حسن: رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ١٨١) (١٠٢٧٠) بلفظ «أنشد حقاً له» بدلاً من «ينشد ضالة» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٨٥)، رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه وحسنه ابن حجر في الفتح.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢ / ٨٤ باب الإمداد بالملائكة. قال ابن الأثير: العصابة هم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين. النهاية في غريب الحديث: ٣ / ٢٤٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢ / ٤٨ كتاب الجهاد باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

(٤) ذكر المزي أنه أخرجه النسائي في اليوم والليلة. تحفة الأشراف: ٧ / ٤٤٤ رقم: ١٠٢٧٢. والحديث ذكره ابن كثير نقلاً عن النسائي من كتابه في اليوم والليلة. (ابن كثير، البداية والنهاية: ٣ / ٢٧٥).

(٥) أخرجه الحاكم، المستدرک: ١ / ٢٢٢ وقال في آخره. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وليس في إسناده مذكور بجرح. وعلق عليه الذهبي في التلخيص بقوله: القزاز كذبه أو داود وأما ابن وهب فاختلف قولهم فيه وإسماعيل فيه جهالة. وأخرجه البيهقي عن الحاكم. دلائل النبوة: ٣ / ٤٩. وابن سعد. الطبقات الكبرى: ٢ / ٢٦. ونقله ابن كثير عن البيهقي عن الحاكم. البداية والنهاية: ٣ / ٢٧٥.

شيئاً من قتال. ثم جئت فإذا رسول الله ﷺ يقول في سجوده: يا حي يا قيوم، فرجعت فقاتلت، ثم جئت فوجدته كذلك».

● إذ يريكمهم الله في منامك قليلاً:-

قال - تعالى :- ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا
لَفَسَلْتُمْ وَلَنْ نَنْزِعَهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَئِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٣ - ٤٤].

قال الخافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥ / ٨٥ - ٨٦):-

«عندما تقابل الفريقان، قلل الله كلاً منهما في أعين الآخرين؛ ليجترأ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارضاً لِقوله - تعالى - في سورة «آل عمران»: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣]. فَإِنَّ المعنى في ذلك، على أصح القولين، أَنَّ الفرقة الكافرة تَرى في الفرقة المؤمنة مثلاً على الكافرة، على الصحيح أيضاً، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة؛ أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا، فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً، ثم أيد المؤمنين بنصره، فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم، حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾».

قال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر، حتى إنني لأقول لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة^(١).

كما ذكر أن النسائي قد رواه في اليوم والليلة. وأخرجه الهيثمي وقال في آخره: رواه البزار وإسناده حسن ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك (مجمع الزوائد: ١٥٠ / ١٠).

(١) تفسير الطبري ١٠ / ١٣.

«لقد كان من تدبير الله في المعركة أن يرى رسول الله ﷺ الكافرين في الرؤيا في منامه قليلاً لا قوة لهم ولا وزن. فينبئ أصحابه برؤياه، فيستبشروا بها ويتشجعوا على خوض المعركة.. لم يخبر الله هنا لم أراهم لنبيه قليلاً. فلقد علم - سبحانه - أنه لو أراهم له كثيراً، لَفَتَّ ذلك في قلوب القلة التي معه، وقد خرجت على غير استعداد ولا توقع لقتال، ولضعفوا عن لقاء عدوهم؛ وتنازعوا فيما بينهم على ملاقاتهم: فريق يرى أن يقاتلهم وفريق يرى تجنب الالتحام بهم.. وهذا النزاع في هذا الظرف هو أبأس ما يصيب جيشاً يواجه عدواً!

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يُدَاتِ الصُّدُورُ﴾..

ولقد كان - سبحانه - يعلم بذوات الصدور؛ فلفظ بالعصبة المسلمة أن يعرضها لما يعلمه من ضعفها في ذلك الموقف؛ فأرى نبيه المشركين في رؤياه قليلاً، ولم يرههم إياه كثيراً..

والرؤيا صادقة في دلالتها الحقيقية. فقد رآهم رسول الله ﷺ قليلاً.. وهم كثير عددهم، ولكن قليل غناؤهم، قليل وزنهم في المعركة، قلوبهم خواء من الإدراك الواسع، والإيمان الدافع.. والزاد النافع.. وهذه الحقيقة الواقعة - من وراء الظاهر الخادع - هي التي أراها الله لرسوله؛ فأدخل بها الطمأنينة على قلوب العصبة المسلمة. والله عليم بسرائرهم، مطلع على قلة عددهم وضعف عدتهم، وما تحدثه في نفوسهم لو عرفوا كثرة عدوهم، من ضعف عن المواجهة؛ وتنازع على الالتحام أو الإحجام. وكان هذا تدييراً من تدبير الله العليم بذات الصدور.

وحينما التقى الجمعان وجهًا لوجه، تكررت الرؤيا النبوية الصادقة، في صورة عيانية من الجانبين؛ وكان هذا من التدبير الذي يذكرهم الله به؛ عند استعراض المعركة وأحداثها وما وراءها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ

اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

ولقد كان في هذا التدبير الإلهي ما أغرى الفريقين بخوض المعركة.. والمؤمنون يرون أعداءهم قليلاً.. لأنهم يرونهم بعين الحقيقة! - والمشركون يرونهم قليلاً - ولم يرونهم بعين الظاهر - ومن وراء الحقيقتين اللتين رأى كل فريق منهما صاحبه بها، تحققت غاية التدبير الإلهي؛ ووقع الأمر الذي جرى به قضاؤه.. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١) وهو التعقيب المناسب لتحقيق التدبير ووقوع القضاء.. فهو أمر من الأمور التي مرجعها لله وحده، يصرفها بسلطانه، ويوقعها بإرادته، ولا تند عن قدرته وحكمه. ولا ينفذ شيء في الوجود إلا ما قضاها وأجرى به قدره»^(٢).

* نعم المشركون قليل وإن ملأوا السهل والجبل... مثلما قالت قريش لخُفاف بن إيماء بن رَحْضَةَ، أو أبوه إيماء بن رَحْضَةَ الْغِفَارِيُّ، لما بَعَثَ إلى قُريشِ ابناً له بجزائر أهداها لهم قبل مجيئهم إلى بدر وقال إن أحببتم أن نُؤمِدَّكم بسلاح ورجالٍ، فَعَلْنَا. قال: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِهِ، أَنْ وَصَلْتِكَ رَحِمٌ، وَقَدْ قَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ، فَلَعَمْرِي إِنْ كُنَّا إِنَّمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ، مَا بِنَا ضَعْفٌ عَنْهُمْ، وَإِنْ كُنَّا إِنَّمَا نُقَاتِلُ اللَّهَ، كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ، فَمَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ مِنْ طَاقَةٍ^(٣).

● استفتاح أبي جهل ودعاؤه يوم بدر:-

عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال: «كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: «اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأحنه^(٤) الغداة» فبينما هم على تلك الحال، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال: «أبشز يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته، آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعِدَّتُهُ»^(٥).

(١) الظلال ١٥٢٦ - ١٥٢٧.

(٢) البداية والنهاية ٨٤ / ٥.

(٣) أحنه: أي أهلكه. والحن: الهلاك. وقد حان الرجل وأحانه الله (اللسان ح ي ن).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في المسند ٤٣١ / ٥، والحاكم في المستدرک ٣٢٨ / ٢، وقال صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وأخرجه ابن كثير في السيرة ٤٣٤ / ٢، وسنده حسن.

دعا أبو جهل فرعون هذه الأمة الشقي العنيد المكابر بهلاك قاطع الرحم وأهلكه الله ونزل جبريل لنصرة نبي الله والعصبة المؤمنة.

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فنزلت ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١)

[الأنفال: ٣٣].

● نزول جبريل والملائكة وقتالهم مع المسلمين ببدر:-

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» (٢).

قال - تعالى -: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (٣) [الأنفال: ٩].

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٩) في تفسير سورة الأنفال باب ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ومسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (٢٧٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب شهود الملائكة بدرًا رقم (٣٩٩٥).

(٣) مُرَدِّفِينَ: فوجًا بعد فوج، يُقَالُ رَدَفَنِي وَأَرَدَفَنِي جَاءَ بَعْدِي، نَقَلَ ابْنُ حَجْرٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: (مُرَدِّفِينَ) بِكَسْرِ الدَّالِ فَاعِلِينَ مِنْ أَرَدَفُوا أَي جَاءُوا بَعْدَ قَوْمٍ قَبْلَهُمْ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ رَدَفَنِي جَاءَ بَعْدِي وَهِيَ لُغَتَانِ، وَمَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الدَّالِ فَهُوَ مِنْ أَرَدَفَهُمُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَنْ قَبْلَهُمْ. كَمَا أَوْضَحَ الْحَافِظُ أَنَّ قِرَاءَةَ الْجُمْهُورِ بِكَسْرِ الدَّالِ، وَنَافِعُ بِفَتْحِهَا، كَمَا نَقَلَ عَنِ الْأَخْفَشِ قَوْلَهُ: بَنُو فَلَانٍ يَرَدِفُونَنَا أَي يَجِيئُونَ بَعْدَنَا.

انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٢٤١، وفتح الباري ٨ / ٣٠٦ (٤٦٤٥).

كتاب التفسير، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٤٨٩ لمكي بن أبي طالب حجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٠٧، والإقناع في القراءات السبع (٢ / ٦٥٤) وقال الأخفش: تقول العرب ردفه أمر كما يقولون: تبعه وأتبعه انظر (معاني القرآن) (٢ / ٤٣١).

حَيْرُومٌ فنظر إلى المشرك أمامه فَخَرَّ مُسْتَلْقِيَا فنظر إليه فإذا هو قد حُطِمَ أَنْفُهُ وَشَقَّ وَجْهُهُ كضربة السوطِ فَأخْضَرَ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين»^(١).

وَضَحَّ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُو إِلَهَهُ فَيَالِكَ مِنْ جُنْدِ طَوَى الْجَوِّ جَافِلُهُ
تَنْزَلُ يُزْجِي النَصْرَ تَسَابُ مِنْ عَلِيٍّ شَأْبِيْبُهُ^(٢) نَوْرًا وَيَنْهَلُ وَابِلُهُ
أَحْيِرُومٌ أَقْدِمُ إِنَّهُ الْجِدُّ لَنْ يُرَى سِوَاهُ عَدُوٍّ كَاذِبِ الْبَاسِ هَا زِلُهُ
هُوَ اللَّهُ يَحْمِي دِينَهُ وَيُعِزُّهُ فَمَنْ ذَا يَتَاوِيهِ^(٣)؟ وَمَنْ ذَا يُصَاوِلُهُ؟
ولله در القائل:

دعا فماجث سماء الله وانطلقت كتائب النصر ملء الجوّ تنتظم
لأهم غوثك إن الحق مطلبنا وأنت أعلم بالقوم الأولى ظلموا
جاء الغياث فدين الله منتصر عالي اللواء ودين الشرك منهزم

قال - تعالى :- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران ١٢٤ - ١٢٧].

قال ابن كثير في تفسيره: «اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم «بدر» أو يوم «أحد»؟ على قولين:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وروى هذا عن الحسن البصري، وعامر الشعبي،

(١) رواه مسلم في الجهاد السير - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٧٦٣)، وابن حجر (١٢/١٥٧٣٤).

(٢) الشائب: الدفعات من المطر، جمع شؤبوب. والوابل: المطر الشديد.

(٣) ناواه.

والربيع بن أنس، وغيرهم، واختاره ابن جرير.
قال الحسن: هذا يوم بدر^(١).

عن عامر الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمدُّ المشركين فشَقَّ ذلك عليهم، فأنزل الله - تعالى -: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ إلى قوله: «مسمومين». قال: فبلغت كرزًا الهزيمة، فلم يمد المشركين، ولم يمد الله المسلمين بالخمسة.

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.

فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله في قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟ [الأنفال: ٩، ١٠].

فالجواب أن: التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة آلاف فما فوقها؛ لقوله: ﴿مُرَدِّينَ﴾؛ بمعنى: يردفهم غيرهم، ويتبعهم أوف آخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كان يوم «بدر»، كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم «بدر». والله أعلم.
وقال قتادة: أمدَّ الله المسلمين يوم «بدر» بخمسة آلاف.

القول الثاني: أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ وذلك يوم «أحد»؛ وهو قول مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والزهري، وموسى بن عقبة، وغيرهم، لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف؛ لأن المسلمين فروا يومئذ. زاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف؛ لقوله - تعالى -: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا﴾ فلم يصبروا، بل فروا؛ فلم يمدوا بملك واحد.
﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي: معلمين - بالسيما.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥١٩) رقم (١٣٤٧)، وابن جرير (٧/ ١٧٤) رقم (١٧٤٥).

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كان سيما الملائكة يوم «بدر» الصوف الأبيض، وكان سيماهم - أيضًا - في نواصي خيولهم ^(١).

وقال مجاهد: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾؛ أي: محذقة أعرافها، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذنان الخيل.

وقال قتادة وعكرمة: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾؛ أي: بسيما القتال. وقال مكحول: مسوِّمين بالعمائم.

قال ابن عباس: كانت سيما الملائكة يوم «بدر» عمائم بيض، قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم «حنين» عمائم حمراء، ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم «بدر»، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون ^(٢).

وعن يحيى بن عباد: أن الزبير عليه السلام، كان عليه يوم «بدر» عمامة صفراء معتجراً بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفراء ^(٣).

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: وما أنزل الله الملائكة، وأعلمكم بإنزالهم، إلا بشارة لكم، وتطييناً لقلوبكم وتطميناً، وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء لانتصر من أعدائكم بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾؛ أي: هو ذو العزة التي لا ترام، والحكمة في قدره والأحكام.

ثم قال - تعالى -: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: أمركم بالجهاد؛ لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار، فقال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾؛ أي: ليهلك أمة من الذين كفروا. ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾؛ أي: يخزيهم ويردهم بغيتهم لما لم ينالوا منكم ما أرادوا؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا﴾؛ أي:

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٠) رقم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٨٩) رقم (٢٠٨٥).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٨) رقم (١٣٧٤)، وأخرجه الطبراني في «تفسيره» (٧/ ١٨٨) رقم (٧٧٨٩) بإسناد حسن.

يرجعوا. ﴿حَآبِيَيْنَ﴾؛ أي: لم يحصلوا على ما أمّلوا. (١) هـ.

عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل «بدر» - قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟» قال: «من أفضل المسلمين»، أو كلمة نحوها، قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» (٢).

وبلفظ آخر: «جاء جبريل فقال: ما تعدون من شهد بدرًا فيكم؟ قلت: خيارنا، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة» (٣).

حَيُّوا الْمَلَائِكَةَ الْأَنْبَرَارَ يَفْقِدُهُمْ جِبْرِيلُ فِي غَمْرَاتِ الْهَوْلِ يَفْتَحِمُ
الْأَرْضَ تَرْجُفُ رُغْبًا وَالسَّمَاءُ بِهَا غَيْظٌ يَظَلُّ عَلَى الْكُفَّارِ يَحْتَدِمُ
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه
إياكم بهم إلا بشرى، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾، وإلا فهو - تعالى - قادر على
نصركم على أعدائكم بدون ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾
كما قال - تعالى -: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشَدُّوا الوَثَاقَ
فَمَا مَتَابَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِاللَّهُمَّ
﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤ - ٦].

قال - تعالى -: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ
﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

قال الإمام ابن كثير: «هذه نعمة خفية، أظهرها الله - تعالى - لهم؛ ليشكروه عليها، وهو أنه - تعالى - وتقدس وتبارك وتمجد - أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٤ - ١٧٨).

(٢) رواه البخاري. كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا رقم (٣٩٩٢).

(٣) رواه أحمد والبخاري وابن ماجه عن رفاعة بن رافع الزرقي، وأخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان عن رافع بن خديج.

ودينه وحزبه المؤمنين، يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا.
قال ابن أسحاق: وازروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم. وقيل: كثروا سوادهم.
وقيل: كان ذلك بأن الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت
هؤلاء القوم - يعني: المشركين - يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، فيحدث
المسلمون بعضهم بعضاً بذلك، فتقوى أنفسهم. حكاها ابن جرير، وهذا لفظه بحروفه.
وقوله: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾؛ أي: ثبتوا أنتم المسلمين،
وقووا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألتني الرعب والمذلة والصغار
على من خالف أمري، وكذب رسولي، ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ
كُلَّ بَنَانٍ﴾؛ أي: اضربوا الهام فافلقوها، واحترزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا
الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم.
وقد اختلف المفسرون في معنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾؛ فقيل: معناه اضربوا الرؤوس.
قاله عكرمة.

وقيل: معناه: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾؛ أي: على الأعناق، وهي الرقاب، قاله
الضحاك، ويشهد لهذا المعنى أن الله - تعالى - أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله - تعالى -:
﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ [محمد: ٤].
واختار ابن جرير أنها تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام.
وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم «بدر» يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم،
بضرب فوق الأعناق وعلى البنان، مثل سمة النار قد أحرق به.
وقوله: ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾؛ قال ابن جرير: معناه: واضربوا من
عدوكم - أيها المؤمنون - كل طرف ومفصل، من أطراف أيديهم وأرجلهم.
والبنان: جمع بنانة.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾؛ يعني
بالبنان: الأطراف، وكذا قال الضحاك، وابن جريج.

وقال عكرمة، وعطية العوفي، والضحاك: كل مفصل.

وقال الأوزاعي: ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: اضرب منه الوجه والعين، وارمه بشهاب من نار، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك.

وقال العوفي عن ابن عباس، فذكر قصة «بدر» إلى أن قال: فقال أبو جهل: لا تقتلوهم قتلاً، ولكن خذوهم أخذاً، حتى تعرفوهم الذي صنعوا من طعنهم في دينكم، ورغبتهم عن اللات والعزى. فأوحى الله إلى الملائكة: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَنِيَتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. فقتل أبو جهل - لعنه الله - في تسعة وستين رجلاً، وأسر عقبة بن أبي معيط فقتل صبراً، فوفى ذلك سبعين، يعني: قتيلاً^(١).

● ولله در القائل:

اللَّهُ أَرْسَلَ فِي السَّحَابِ كَتِيبَةً
تَهْوِي مُجَلِّجَةً تَلْهَبُ أَغْيِنَ
لِلخَيْلِ حَمْحَمَةً تُرَاعُ لِهَوْلِهَا
حَيْرُومٌ أَقْدَمُ إِنَّمَا هِيَ كَرَّةٌ
جَبْرِيلُ يَضْرِبُ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهُ
تِلْكَ الْحِصُونُ الْمَانِعَاتُ بِمِثْلِهَا
لِلْقَوْمِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ وَبِنَانِهِمْ

تَهْفُو كَمَا هَفَتِ الْبُرُوقُ اللَّمُخُ^(٢)
مِنْهَا وَتَقْدِفُ بِالْعَوَاصِفِ أَجْنُحُ^(٣)
صَيْدِ الْفَوَارِسِ وَالْعِتَاقُ الْقُرُخُ^(٤)
عَجَلَى تُجَاذِبُكَ الْعِنَانَ فَتَمْرُخُ^(٥)
صَفٌّ تَرْضُ بِهِ الصُّفُوفُ وَتَرْضُحُ^(٦)
تَذْرِي الْمَاعِلِ وَالْحِصُونَ وَتَذْرُحُ^(٧)
نَارَ تُرِيكَ الدَّاءِ كَيْفَ يُبْرِخُ^(٨)

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢ - ٣٤).

(٢) الكتيبة: القطعة من الجيش. تهفو: تسرع.

(٣) مجلجة: مرعدة. أجنح: جمع جناح.

(٤) القارح من الخيل: الذي شق نابه وطلع.

(٥) حيزوم: اسم فرس جبريل.

(٦) ترضح: تكسر.

(٧) تذري وتذرح بمعنى.

(٨) المبرح: المؤلم.

جَفَّتْ جُدُورُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْتَوَى هَذَا النَّبَاتُ النَّاصِرُ الْمُسْتَرِشِحُ (١)
 طَفِقَ الثَّرَى مِنْ حَوْلِهَا لَمَّا اِزْتَوَى مِنْ ذَوْبٍ مُهَجَّتِهَا يَجْفُ وَيَلْبَحُ (٢)
 وَمِنْ الدَّمِ الْمُسْفُوحِ رِجْسٌ مُوبِقٌ وَمُطَهَّرٌ يَلِدُ الْحَيَاةَ وَيَلْقَحُ (٣)

وعند البيهقي من طريق ابن محمد بن جبير بن مطعم أنه سمع عليًا يقول (هبت ريح شديدة لم أر مثلها، ثم هبت ريح شديدة، وأظنه ذكر ثالثة، فكانت الأولى جبريل والثانية ميكائيل والثالثة إسرافيل، وكان ميكائيل عن يمين النبي ﷺ وفيها أبو بكر، وإسرافيل عن يساره وأنا فيها) (٤). ومن طريق أبي صالح عن علي (٥) قال: (قيل لي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يحضر الصف ويشهد القتال).

قال ابن حجر: وأخرجه أحمد (٦). وأبو يعلى (٧). وصححه الحاكم (٨). والجمع بَيْنَهُ وَيَيْنَ الذي قبله ممكن (٩).

نقل ابن حجر عن الشيخ تقي الدين السبكي قوله: سُئِلْتُ عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أَنَّ جبريل قادر على أَنْ يدفع الكفار بريشة من جناحه،

(١) استرشد النبات: طال.

(٢) يلح: ييس.

(٣) موبق: مهلك.

(٤) البيهقي. دلائل النبوة: (٥٥/٣). نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٩/٣) عن أبي يعلى. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨٠/٦) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات. وذكره ابن حجر في المطالب (٢١٢/٤ - ٢١٣) رقم (٨٣٠٥). وعند البيهقي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير.

(٥) البيهقي، الدلائل: (٥٥/٣).

(٦) أحمد، المسند: (١٤٧/١). وقد نقله عنه ابن كثير في البداية (٢٧٨/٣).

(٧) أبو يعلى، مسند أبي يعلى: (٢٨٣/١ - ٢٨٤) حديث رقم (٣٤٠). ورقم (٨٠) من مسند علي.

(٨) الحاكم، المستدرک مع التلخیص: (٦٨/٣) وصححه وواقفه الذهبي. وأخرجه بلفظ عن يمين أحدكما جبريل، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعقب الذهبي بأنه أخرجه مسلم. والحديث أخرجه ابن أبي شيبه المصنف (٣٥٣/٧) حديث رقم (٦٦٦٥٩) باب غزوة بدر الكبرى. والبخاري، البحر الزخار: (٣٠٣/٣) حديث رقم (٧٢٩) ونقله الهيثمي وقال في آخره رواه أحمد بنحوه والبخاري ورجلها رجال الصحيح ورواه أبو يعلى. مجمع الزوائد (٨٥/٦).

(٩) فتح الباري (٣١٣/٧).

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وستتها التي أجزاها الله - تعالى - في عباده، والله - تعالى - هو فاعل الجميع^(١).

روى إسحاق بن راهويه بإسناده عن جبير بن مطعم قال: رأيت قبل هزيمة القوم، والناس يقتتلون، مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل الثمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم^(٢).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضًا قال: «إن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»^(٣).

* ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبدالمطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال: «أسكت فقد أيدك الله بملك كريم»^(٤).

وعن أبي داود المازني: قال: «إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري»^(٥).

(١) فتح الباري (٣١٣/٧).

ذكر العيني هذه الحكمة ونسبها لنفسه دون أن يصرح بأنها من قول السبكي. عمدة القارئ: (١٤/٩٨). كما أنه نقل جميع الروايات التي أوردها ابن حجر في شرحه للحديث نقلًا حرفيًا.

(٢) عزاه ابن حجر في المطالب العالية إلى إسحاق بن راهويه وقال: هذا إسناد حسن إن كان إسحاق بن يسار سمعه من جبير.

(٣) رواه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرًا (٣٩٩٥).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود في الجهاد باب في المبارزة (٢٦٦٥) وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري (٢٩٨/٧). وكذا أخرجه أحمد (١١٧/١)، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس (٣/١٨٧-١٨٨)، عن ابن عباس وسنده حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه ابن هشام (٦٣٣/١)، وأحمد في المسند (٤٥٠/٥) من طريق ابن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني وسنده حسن - والبيهقي في الدلائل: (٥٦/٣)، والطبري في التاريخ: (٤٥١/٢).

وعن البراء رضي الله عنه قال: «جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس، يا رسول الله ليس هذا من أسرني، أسرني رجل من القوم أنزع من هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: (قد آزرك الله بملك كريم)»^(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قال لي النبي ﷺ ولأبي بكر يوم بدر (مع أحد كما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو يكون في الصف)»^(٢).

بهذا يفتخر من يفتخر.. قال حسان في أفخر بيت قالته العرب:

وببئر بدر إذ تُكفُّ مَطِيئُهُمْ جبريلٌ تحت لوائنا ومحمدُ
فيا لعظم شأن البدرين وحديثهم: تقاتل معهم الملائكة، وتحمل جثمان بعضهم
كسعد بن معاذ، وتوارى جثمان أحدهم عامر بن فهيرة، وتغشى مجالسهم الملائكة،
وتُغسَل بعضهم كحمزة بن عبدالمطلب.. والله ما جاد الزمان بمثلهم أبداً بعد النبيين
والمرسلين.

هم الرجال وعيبٌ أن يُقال لِنَ لم يتَّصف بمعاني وصفهم رجلٌ
أما أحاديثهم فكما يقول القائل:
أحاديثٌ لو صيغت لألَّهت بِحُسْنِهَا عن الوشي أَوْ شُمَّتْ لِأَغْنَتْ عن المسك

وأما كُفَّار قريش

فقد قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «أخذتهم ريح عقيم يوم بدر»^(٣).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣/٦)، رواه أحمد وفيه رجل لم يسم.

(١) قال الهيثمي: (٨٥/٦)، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٨٢/٦)، رواه أحمد بنحوه والبزار واللفظ له، ورجالهما رجال الصحيح،

ورواه أبو يعلى، كشف الأستار رقم (١٤٦٧، ١٧٦٢)، أحمد (١٤٧/١)، أبو يعلى رقم: (٣٤٠)،

الحاكم: (١٣٤/٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والحديث إسناده صحيح.

(٣) رجاله ثقات: رواه البزار وقال الهيثمي في «المجمع» (٧٨/٦): ورجاله ثقات انظر كشف الأستار

● ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾
قال - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُيِّنٌ مَّرْضُوضٌ﴾ [٤].

هذا الأسلوب القرآني الذي طبّقه الرسول ﷺ في بدر هو الذي يعطي القائد القدرة الفائقة للسيطرة على الجند.

قال أبو طلحة رضي الله عنه: «غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر»^(١).
وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: صُفِّفْنَا يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَدَرْتُ مِثًّا بَادِرَةً أَمَامَ الصَّفِّ، فَنَظَرُ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ «مَعِيَ مَعِيَ»^(٢).

ومن حديث محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر «أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري، فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق فأقذني: «فكشفت رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: «استقد» قال: فاعتنته فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله: «حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرا»^(٣).

● ما يُضحك الرب من عبده؟

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ، أَنَّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عِبْدِهِ؟ قَالَ: «عَمْسُهُ يَدُهُ فِي الْعَدُوِّ»

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٤٣/٢١) (الفتح الرباني للساعاتي)، وإسناده صحيح كما قال أحمد شاكر في تحقيقه للمسنَد (٣٩/٤) (٢١٩٧، ٢١٩٨)، وقد جاء أيضًا من حديث أبي أسيد الساعدي أخرجه أبو داود بإسناد حسن (٢٦٦٣).

(٢) إسناده حسن: تفرد به أحمد (٤٢٠/٥) وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٠/٥) تفرد به أحمد. وهذا إسناد حسن.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٩٥/٢)، وسنده حسن إلا أنه مرسل، ويُسنده ما جاء عن عبدالله بن جبير الخزاعي في مجمع الزوائد (٨٩/٦)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات على ما في عبدالله بن جبير من ضعف، انظر التهذيب (١٦٨/٥).

حاسراً». فنزع درعاً كانت عليه فقدفها، ثم أخذ سيفه، فقاتل حتى قُتل، ﷺ (١).

● وبدأت المعركة وكان الأسود بن عبد الأسود المخزومي أول وقودها:

وتواجه الفِئتان، وتقابل الفريقان وحضر الخُصمان، بين يدي الرحمن، واستغاث بربه سيّد الأنبياء، وضجّ الصحابة بَصنوف الدعاء، إلى ربّ الأرض والسماء، سامع الدعاء وكاشف البلاء، فكان أول من قُتل من المشركين، الأسود بن عبد الأسد المخزومي. قال ابن إسحاق (٢): وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمته، أو لأموتن دونه. فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربته حمزة، فأطن (٣) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره، تشخّب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يُريد زعم - أن يُبرّ يمينه، وأتبعه حمزة، فضربه حتى قتله في الحوض.

● أول مبارزة في الإسلام:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «أنا أول من يجيشو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿هَذَا نِ حَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة (٤).

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «تقدّم يعني عتبة بن ربيعة، وتبعه ابنه وأخوه، فنأدى من يارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه فقال: لا

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة (١/٦٢٧-٦٢٨) والبيهقي في السنن (٦/٩٩-١٠٠) والطبري في تاريخه (٢/٤٤٨-٤٤٩) من طريق ابن إسحاق وصرح ابن إسحاق بالتحديث فسنده حسن لكنه مرسل.

(٢) سيرة ابن هشام (١/٦٢٤، ٦٢٥)، وتاريخ الطبري (٢/٤٤٥) حوادث السنة الثانية.

(٣) أطنّ قدمه: قطعها. القاموس المحيط (ط ن ن).

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل (٣٩٦٥)، وقد جاء أيضًا عن أبي ذر أيضًا في البخاري (٣٩٦٦)، ومسلم بشرح النووي (١٨/١٦٦)، وابن ماجه (٢٨٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٣/١٦٤)، والطيالسي (٢/٢١).

حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث» فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شبية، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأئخذ كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقلناه، واحتملنا عبيدة»^(١).

وقد وافقت رواية حديث علي هذه بأنه قتل شبية، وحمزة قتل عتبة ثم أعانا عبيدة على الوليد ما رواه الطبراني بإسناد حسنه ابن حجر في الفتح (٢٩٨/٧) عن علي قال «أعنتُ أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا»^(٢).

قال ابن حجر معقبا على حديث علي السابق الذي أخرجه أبو داود من طريق حارثة بن مضرب «وهذا أصح الروايات، لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو اللائق بالمقام، لأن عبيدة وشبية كان شيخين كعتبة وحمزة، بخلاف علي والوليد فكانا شابين»^(٣).

وقالت هند بنت عتبة ترثي أباها:

أَعْيَيْ جُودًا بَدَمَعَ سَرِبٌ^(٤) عَلَى خَيْرِ خِنْدِفٍ^(٥) لَمْ يَنْقَلِبْ
تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُدُوَّةً بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلِّبِ

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في الجهاد باب المبارزة (٢٦٦٥)، وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (٢٩٨/٧)، وأخرجه الحاكم وصححه في المستدرک (١٩٤/٣)، والبخاري مطولا في مسنده انظر البحر الزخار (٢٩٦/٢-٢٩٧) (٧١٩)، وكذا أخرجه أحمد في المسند (١١٧/١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٧/٦-٨٩) وقال: رواه أحمد والبخاري، ورجال أحمد رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم أيضا عن ابن عباس (١٨٧/٣-١٨٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٤/٣) رقم (٢٩٥٥) وفيه «فلم يعب ذلك علي النبي ﷺ»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٥/٦) فيه حسين بن الحسين الأشقر، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور. وحسن الحديث الحافظ بن حجر في الفتح (٢٩٨/٧).

(٣) فتح الباري (٢٩٨/٧).

(٤) سَرِب: سائل.

(٥) خندف: لقب ليلي بنت عمران القضاعية، وتنسب إليها قریش.

يُذِيقُونَهُ حَدَّ أَسْيَافِهِمْ يَعْلُونَهُ^(١) بعد ما قد عَطِبَ
ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة.

● أوامر النبي ﷺ بالتّضح بالنبل:

عن أبي أسيد الساعديّ رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ بدر: (إذا أكتبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم)^(٢).

قال ابن حجر: «إذا أكتبوكم» أي إذا قربوا منكم، والهمزة للتعدية من كَتَبَ بفتحتين وهو القرب ونقل عن ابن فارس قوله: أكتب الصيد إذا أمكنه من نفسه، فالمعنى إذا قربوا منكم فأمكنوكم من أنفسهم فارموهم.

واستبقوا نبلكم أي إلى أن تحصل المصادمة أي استبقوا نبلكم في الحالة التي إذا رميتم بها لا تصيب غالبًا، وإذا صاروا إلى الحالة التي يُمكن فيها الإصابة غالبًا فارموا^(٣).

● ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «ناولني كفاً من حصي» فناوله، فرمى بها وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٤).

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى، فاستقبلنا به فرمى بها وقال: «شاهت الوجوه» فانهزمتنا فأنزل الله ﷻ ﴿وَمَا

(١) أي: يتابعون عليه الضرب.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب من شهد بدرًا (٣٩٨٤، ٣٩٨٥)، وأحمد في المسند (٤٢/٢١).
الفتح الرتاني، والبيهقي في «الدلائل» (٧٠/٣).

(٣) فتح الباري (٣٠٦/٧ - ٣٠٧).

(٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٤/٦): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح انظر الطبراني (١٧٥٠).

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴿١﴾

لم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء، ثم رددهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله في ذلك ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. وهكذا قال عروة، وعكرمة ومجاهد، ومحمد بن كعب، ومحمد بن قيس، وقتاده، وابن زيد وغيرهم (٢). وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في غزوة حنين.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يبين - تعالى - أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنه هو الذي وقَّعهم لذلك، وأعانهم عليه، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾؛ أي: ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم، مع كثرة عددهم وقلة عددكم؛ أي: بل هو الذي أظفركم عليهم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال - تعالى -: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيَنَ﴾ [التوبة: ٢٥]، يُعلم - تبارك وتعالى -، أن النصر ليس عن كثرة العدد، ولا بلبس اللأمة والغُدَد، وإنما النصر من عند الله - تعالى -، كما قال - تعالى -: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ثم قال - تعالى - لنبية ﷺ أيضًا - في شأن القبض من التراب، التي حصب بها وجوه المشركين يوم «بدر»، حين خرج من العريش، بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها، وقال: «شاهت الوجوه»، ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله

(١) سنده حسن: قال الهيثمي في المجمع (٨٤/٦): رواه الطبراني وسنده حسن.

انظر المعجم الكبير (٣١٢٧)، (٣١٢٨)، كما رواه في الأوسط.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٠٤/٩)، (٢٠٥).

عن حاله! ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾؛ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم وكتبهم بها، لا أنت.

عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: رفع رسول الله ﷺ يديه - يعني يوم بدر - قال: «يا رب إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبداً». فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب، فارم بها في وجوههم، فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين.

وقد روى في هذه القصة عروة عن الزبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر، وإن كان قد فعل ذلك يوم «حنين» أيضاً.

عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم «بدر» سمعنا صوتاً من السماء، كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية، فانهزمتنا^(١).

● ﴿وَلِيَبْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾.

قال عروة بن الزبير: أي: ليعرف المؤمنون من نعمته عليهم، من إظهارهم على عددهم، مع كثرة عدوهم وقلة عددهم؛ ليعرفوا بلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته. وهكذا فسّر ذلك ابن جرير أيضاً.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: سميع الدعاء، عليم بمن يستحق النصر الغلب. قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾^(١٨): هذه بشارة أخرى مع ما وصل من النصر، أنه أعلمهم - تعالى - بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل، مصغر أمرهم، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار، ولله الحمد والمنة^(٢).

(١) إسناده حسن: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وإسناده حسن كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٤/٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٠/٧ - ٤٣).

هِيَ حِفْئَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنَ الْحَصَى خَفَّ الْوُقُورُ بِهَا وَطَاشَ الْمَزْجُحُ^(١)
 مِثْلُ الثَّمِيلَةِ مِنْ مُجَاجَةٍ نَافِثٍ وَكَأَنَّهَا هِيَ صَيَّبَتْ يَتَبَدَّخُ^(٢)
 قال الإمام ابن القيم: «اعتقد جماعة أن المراد بالآية: سَلَبَ فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ،
 وإضافته إلى الرب - تَعَالَى ..

وجعلوا ذلك أصلاً في الجبر، وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى
 الرب وحده، وهذا غلط منهم في فهم القرآن.

فلو صحَّ ذلك لوجب طرده في جميع الأفعال، فيقال: ما صليت إذ صليت، وما
 صمت إذ صمت، وما ضحيت إذ ضحيت، ولا فعلت كل فعل إذ فعلته، ولكن الله
 فعل ذلك، فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد - طاعتهم ومعاصيهم - إذ لا
 فرق، فإن خصوه بالرسول ﷺ وحده وأفعاله جميعها، أو رمية وحده؛ تناقضوا،
 فهؤلاء لم يُوقَفُوا لفهم ما أريد بالآية.

وبعد، فهذه الآية نزلت في شأنه رمية ﷺ المشركين يوم «بدر» بقبضة من
 الحصباء، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته^(٣)، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا
 تبلغ هذا المبلغ.

فكان منه ﷺ مبدأ الرمي وهو الخذف، ومن الله - سبحانه وتعالى - نهايته، وهو
 الإيصال.

فأضاف إليه رمي الخذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو
 نهايته، ونظير هذا قوله في الآية نفسها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾. ثم
 قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فأخبره أنه وحده هو الذي تفرَّد
 (١) المرجح: الحلیم.

(٢) الثميلة: البقية. والصيب: المطر. وتبذح السحاب: أمطر.

(٣) صحيح: رواه ابن إسحاق (٢٧٠/٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٣/٣) من حديث حكيم بن
 حزام، قال الهيثمي: (٨٤/٦)، رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وإسناده حسن. ورواه في
 «الكبير» أيضاً (٢٨٥/١) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال الهيثمي (٨٤/٦): ر جاله رجال
 الصحيح. وصححه الألباني كما في «فقه السيرة» ص (٢٣٩).

بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرّد بإيصال الحصى إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه - سبحانه - أقام أسباباً ظاهرة، كدفع المشركين، وتولى دفعهم وإهلاكهم، بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافاً إليه وبه، وهو خير الناصرين^(١).

وقال ابن القيم - أيضاً رَحِمَهُ اللهُ -: «وقد ظن طائفة من الناس أن من هذا الباب قوله - تَعَالَى -: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾».

وجعلوا ذلك من أدلتهم على القدرية، ولم يفهموا مراد الآية.

وليست من هذا الباب، فإن هذا خطاب لهم في وقعة «بدر»، حيث أنزل الله - سبحانه - ملائكته فقتلوا أعداءه، فلم ينفرد المسلمون بقتلهم، بل قتلتهم الملائكة. وأما رميه ﷺ فمقدوره، كان هو الخذف والإلقاء، وأما إيصال ما رمى به إلى وجوه العدو من البعد، وإيصال ذلك إلى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله، ولكن فعل الله وحده، فالرمي يراد به الخذف والإيصال، فأثبت له الخذف بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، ونفى عنه الإيصال بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾^(٢).

فالبلاء الحسن هنا هو النعمة بالظفر والغنيمة والنصر على الأعداء، وليس من الابتلاء الذي هو الامتحان بالمكروه، بل من أبلاء بلاءً حسناً إذا أنعم عليه.

قال: أبلاك الله ولا ابتلاك، فأبلاه بالخير، وابتلاه بالمكاره، غالباً^(٣).

وذهب ابن كثير في «البداية والنهاية» إلى أن النبي ﷺ أخبر بمواضع رؤوس المشركين أكثر من مرة: قبل يوم بدر بيوم أو أكثر، وأخبر به قبل الوقعة في نفس يومها. وخرج النبي ﷺ إلى أصحابه فحرّضهم على القتال وقال: «والذي نفس محمد

(١) مدارج السالكين (٣/٤٢٦-٤٢٧).

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص (٥٩).

(٣) طريق الهجرتين ص (٣٢٠).

بيده لا يُقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً مُحْتَسِباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة». • **بأبي وأمي رسول الله ﷺ:**

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو وكان من أشد الناس بأساً»^(١).

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال: «فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: (لا يقوم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه...) فذكر الحديث وفيه قصة عمير بن الحمام^(٢). «وقد قاتل رضي الله عنه بنفسه الكريمة قتالاً شديداً بيده، وكذلك أبو بكر الصديق، كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضاً وحثاً على القتال، وقاتلا بالأبدان، جمعاً بين المقامين الشريفين»^(٣).

• **لله در علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما :-**
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان سعد يُقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر، قتال الفارس والراجل»^(٤).

ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنت على بئر فكنت يوم بدر أميح وأمتح منه، فجاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة، فلم أر ريحاً أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة، فكانت الأولى ميكائيل في ألف من

(١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٨٦/١)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص: (٥٧)، من طريق وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب به، وهذا إسناد صحيح فقد صحح الشيخان رواية إسرائيل عن جده، وانظر مجمع الزوائد (١٢/٩)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ويشهد له حديث البراء عند مسلم (١٧٧٦)، الجهاد باب في غزوة حنين.

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة - باب ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠١)، وأحمد في المسند (١٣٦/٣ - ١٣٧)، والحاكم في المستدرک (٤٢٦/٣)، وابن سعد في الطبقات (٢٥/٢)، والبيهقي في السنن (٤٣/٩). (٣) البداية والنهاية (١١١/٥).

(٤) قال الهيثمي في المجمع (٨٢/٦): رواه البزار بإسنادين أحدهما متصل والآخر مرسل ورجالهما ثقات. انظر «كشف الأستار» (١٧٦٨ - ١٧٦٩).

الملائكة عن يمين النبي ﷺ، والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي ﷺ، والثالثة جبريل في ألف من الملائكة، وكان أبو بكر عن يمينه، وكنت عن يساره، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله ﷺ على فرسه، فلما استويت عليه حمل بي، فصرت على عنقه فدعوت الله فثبتني عليه، فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطني^(١).
وقد عبر عتبة بن ربيعة عن هيبة المشركين من قريش للصحابة بقوله قبل قتاله: فقد قال عتبة يوم بدر لأصحابه «ألا تزونهم، يعني أصحاب النبي ﷺ»، جُثِيًّا على الركب كانهم حرس، يتلمظون كما تتلمظ^(٢) الحيات. أو قال الأفاعي».

نكوص الشيطان على عقبيه

لما نزلت الملائكة ورآها إبليس، وأوحى الله إليهم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ فَبَيَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢] وتثبيتهم أن الملائكة، كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه، فيقول له: أبشروا فإنهم ليسوا بشيء، والله معكم، كُفُّوا عليهم، ولما رأى إبليس الملائكة ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] وهو في صورة سُراقَة، وأقبل أبو جهل يُحَرِّضُ أصحابه ويقول: لا يَهُولَتِكُمْ خِذْلَانُ سُراقَة إِيَّاكُمْ، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه، ثم قال: واللَّاتِ وَالْعُزَّى، لا نَزِجُ حَتَّى تُفَرِّقَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ فِي الْجِبَالِ، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذًا^(٣).

قال علي بن أبي طلحة^(٤)، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]. قال: أقبلت غير أهل مكة تُريدُ الشامَ، فبلغ ذلك أهل المدينة، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يُريدون العيرَ، فبلغ ذلك أهل مكة، فأسرعوا

(١) رجاله ثقات: رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي في المجمع (٧٧/٦) ورجاله ثقات.

(٢) تتلمظ: تخرج لسانها.

(٣) البداية والنهاية (١١٥/٥).

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٧٨/٣ - ٧٩) واللفظ له، وابن جرير في تفسيره (١٨٦/٩).

السير إليها؛ لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه، فسبقت العير رسول الله ﷺ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يُجِبُّونَ أَنْ يَلْقُوا الْعَيْرَ، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يُرِيدُ الْقَوْمَ، وكرة القوم مسيرهم لشوكة القوم، فنزل النبي ﷺ والمسلمون، وبينهم وبين الماء رَمْلَةٌ دَغَصَةٌ^(١)، فصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم القنط^(٢)، يُوشِوْشُهُمْ: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غابكم المشركون على الماء، وأنتم كذا؟! فأمر الله عليهم مطراً شديداً، فشرّب المسلمون وتطهروا، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان، فصار الرمل لبداً، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم، وأيد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمس مئة من الملائكة مُجَنَّبَةٌ، وميكائيل في خمس مئة من الملائكة مُجَنَّبَةٌ، وجاء إبليس في جنود من الشياطين ومعه رايته، وهم في صورة رجال من بني مُدَلِج، والشيطان في صورة سُراقَةَ بن مالك بن جُعْشَم، وقال الشيطان للمشركين:

﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].
 فلما اضطفت الناس قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فأنصُرْهُ. ورفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تُعْبَدَ في الأرض أبداً». فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنحزبه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده ثم ولّى مدبراً وشيعته، فقال الرجل: يا سُراقَةَ، أما زعمت أنك لنا جاز؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وذلك حين رأى الملائكة. رواه البيهقي في «الدلائل» (٧٠/٣) عن عروة قال:

(١) الدعصة: كتيب الرمل المجتمع.

(٢) القنط: اليأس.

جعل رسول الله ﷺ شعارَ المهاجرين يوم بدر: يا بني عبدالرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبدالله. وشعار الأوس: يا بني عُبيد الله. وسمى خيله: خيل الله.
قال ابن هشام: كان شعار الصحابة يوم بدر أَحَدًا أَحَدًا^(١).
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٨/٥): «وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب، رُمي بهم فقتله.

● مَقْتَلُ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ

قال ابن إسحاق^(٢): «وَأَمَّا نَهْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْفَ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ، كَانَ لَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَكَانَ مِمَّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ، فَلَقِيَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادِ الْبَلَوِيِّ حَلِيفُ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا عَنْ قَتْلِكَ. وَمَعَ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ زَمِيلٌ لَهُ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ جُنَادَةُ ابْنُ مُلَيْحَةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي لَيْثٍ. قَالَ: وَزَمِيلِي؟ فَقَالَ لَهُ الْمُجَذَّرُ: لَا وَاللَّهِ، مَا نَحْنُ بِتَارِكِي زَمِيلِكَ، مَا أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بِكَ وَحَدَّكَ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِذَا لَأْمُوتَنَّ أَنَا وَهُوَ جَمِيعًا، لَا يَتَحَدَّثُ عَنِّي نِسَاءُ مَكَّةَ^(٣) أَنِّي تَرَكْتُ زَمِيلِي حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ. وَقَالَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ وَهُوَ يُنَازِلُ الْمُجَذَّرَ:

لَنْ يُسَلِّمَ^(٤) ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ
قَالَ: فَافْتَتَلَا. فَقَتَلَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

إِنَّمَا جَهَلْتُ أَوْ نَسِيتُ نَسْبِي فَأَثَبْتَ النُّسْبَةَ أَنِّي مِنْ بَلِي
الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْيَزْنِيِّ^(٥) وَالضَّارِبِينَ^(٦) الْكَبِشِ^(٧) حَتَّى يَنْخَبِي

(١) سيرة ابن هشام (٦٣٤/١).

(٢) سيرة ابن هشام (٦٢٩/١، ٦٣٠)، وتاريخ الطبري (٤٥٠/٢). حوادث السنة الثانية.

(٣) في النسخ: «قریش بمكة». وهو لفظ تاريخ الطبري. والمثبت من السيرة.

(٤) في النسخ: «يترك» والمثبت من السيرة.

(٥) اليزني: نسبة إلى ذي يزن، ملك من ملوك اليمن.

(٦) في النسخ: «الطاعنين». والمثبت من السيرة.

(٧) الكبش: سيد القوم وقائدهم.

بَشُرَ بِئِثْمٍ مِّنْ أَبِيهِ الْبَخْتَرِيِّ أَوْ بَشُرُنْ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي
 أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَضْلِي مِنْ بَلِي أَطْعُنُ بِالصُّغْدَةِ^(١) حَتَّى تَنْشِي
 وَأَغِيطُ الْقِرْنَ بَعْضُ^(٢) مَشْرِفِي أَزْرِمُ لِلْمَوْتِ كِإِزَامِ الْمَرِيِّ^(٣)
 فَلَا يَرَى مُجْدَرًا يَفْرِي فَرِي^(٤)

ثم أتى المجدُّ رسولَ الله ﷺ فقال: والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لقد جَهِدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ فَأَتَيْكَ بِهِ، فَأَتَى إِلَّا أَنْ يُقَاتِلَنِي، فَقَاتَلْتُهُ فَقَاتَلْتُهُ.

● مصرع أبي جهل لعنه الله فرعون هذه الأمة:

من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم وما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده، حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها.

قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال: (أيكما قتله؟) فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: (هل مسحتما سيفيكما؟) قال: لا: فنظر في السيفين فقال: (كلا كما قتله)، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن

(١) والصعدة: عصا الرمح ثم سمي الرمح صعدة. شرح غريب السيرة (٣٧/٢).

(٢) في النسخ: «بعصب». والمثبت من السيرة. والعصب: السيف القاطع. اللسان (ع ض ب).

(٣) قال أبو ذر الحشني: «قال ابن أبي الخصال في حاشية كتابه: الإرزام: الشدة، والمرى: الناقة التي يستنزل لبنها بعسر. وقال ابن طريق: الإرزام: رغاء الناقة بحنان. وفي كتاب العين: المرئ: الناقة الغزيرة اللبن. المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٤) يفري فري: يقال: فري يفري فريًا: إذا أتى بأمر عجيب. المصدر السابق الموضع نفسه.

عفراء»^(١).

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: (من ينظر ما صنع أبو جهل؟) فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه أبناء عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه»^(٢). وقال أبو مجلز قال أبو جهل: فلو غير أكار قتلني.

ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً، فقلت: أي عدو الله قد أخزأك الله؟

قال: وبما أخزاني: من رجل قتلتموه، ومعني سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعني سيف له جيد، فضربت يده فوق السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: (الله الذي لا إله إلا هو).

قلت: الله الذي لا إله إلا هو.

قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر اضحك فأخبرته.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انطلق) فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه صلى الله عليه وسلم قال:

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرًا رقم (٣٩٨٨)، ومسلم في الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتل: (١٧٥٢)، الحاكم (٤٢٥/٣) - والطبراني في التاريخ (٤٥٤/٢) - (٤٥٥)، والبيهقي في الدلائل (٨٣/٣ - ٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل رقم (٣٩٦٣)، مسلم في الجهاد، باب قتل أبي جهل رقم (١٨٠٠)، أبو داود في الجهاد باب رخصة في السلاح يقاتل به في المعركة رقم (٢٧٠٩)، أحمد في المسند (١١٥/٣، ١٢٩، ٢٣٦).

فلو غير أكار: قال ابن حجر هذا مرسل.

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٤٤٤/٤): «لو غير أكار قتلني!!» الأكار: الزراع والفلاح، وهو عند العرب ناقص، وأشار أبو جهل إلى ابني عفراء اللذين قتلاه وهما من الأنصار، وهم أصحاب زرع ونخيل، ومعناه لو كان الذي قتلني غير أكار لكان أحب إلي وأعظم لشأني، ولم يكن علي نقص في ذلك».

(هذا فرعون هذه الأمة)^(١).

قال ابن هشام^(٢): وأقبل أبو جهل يومئذ يَزْتَجِرُ وهو يقاتل ويقول:
ما تَنَقِمُ الحربُ العَوَانُ^(٣) مِنِّي بازلُ عامِنِ حديثِ سِنِّي
يُنْشِلُ هذا وَلَدَتْنِي أُمِّي

قال ابن إسحاق^(٤): ولما فرغ رسول الله ﷺ من عَدُوِّهِ، أمر بأبي جهل أن يَلْتَمَسَ في القَتْلَى، وكان أوَّلُ مَنْ لَقِيَ أبا جهلٍ، كما حَدَّثَنِي ثُوْرُ بْنُ زَيْدٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس، وعبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ أيضًا قد حَدَّثَنِي ذلك، قالا: قال مُعَاذُ بن عمرو بن الجَمُوحِ أخو بني سَلَمَةَ: سَمِعْتُ القومَ، وأبو جهلٍ في مِثْلِ الحَرَجَةِ^(٥)، وهم يَقُولون: أبو الحَكَمِ لا يُخَلِّصُ إليه.

فَلَمَّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي، فَصَمَدْتُ^(٦) نَحْوَهُ، فَلَمَّا أُمَكَّنْتِي، حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضْرِبَتُهُ ضَرْبَةً أَطْنَتْ قَدَمَهُ بِنَصْفِ ساقِهِ، فواللَّهِ ما شَبَّهْتُهَا حِينَ طاحَتْ، إِلَّا بِالنَّوَاةِ تَطِيحُ^(٧) مِنْ تَحْتِ مِرْضَخَةِ النَّوَى^(٨) حِينَ يُضْرَبُ بِهَا. قال^(٩): وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكْرِمَةُ عَلَى عَاتِقِي، فَطَرَحَ يَدِي فَتَعَلَّقْتُ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي، وَأَجْهَضَنِي القِتَالُ عَنْهُ، فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي، فَلَمَّا آذَنْتِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا قَدَمِي، ثُمَّ تَمَطَّيْتُ

(١) أخرجه الهيثمي في المجمع (٧٩/٦) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة، قال عنه في التقریب (٢١٦/٢)، صدوق من العاشرة فيكون الحديث حسناً والله أعلم، وانظر الطبراني من حديث (٨٤٦٨ - ٨٤٧٦)، والبيهقي في الدلائل (٢٦١/٢ - ٢٦٢)، والبخاري في المصنف (٢٨٨/١) - أحمد كما في الفتح الرباني (٣٨/٢١).

(٢) سيرة ابن هشام (٦٣٤/١).

(٣) العوان: يقال: حرب عوان؛ وهي التي قُوتِلَ فيها مرة بعد أخرى. الوسيط (ع و ن).

(٤) سيرة ابن هشام (٦٣٤/١، ٦٣٥).

(٥) قال ابن هشام: الحرجة، الشجر الملتف.

(٦) فصمدت: أي قصدت.

(٧) تطيح: أي تطير ساقطةً. انظر النهاية (١٤١/٣).

(٨) المِرْضَخَةُ: حجر يُرْضَخُ - أي يُكسر - به النوى. انظر اللسان (ر ض خ).

(٩) القائل معاذ بن عمرو بن اللؤلؤ.

بها عليها حتى طرختها - قال ابن إسحاق^(١): ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان - ثم مرّ بأبي جهل، وهو عقير^(٢)، مُعوذُ ابنِ عَفْرَاءَ فَضَرَبَهُ حَتَّى أَثْبِتَهُ، وَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ، وَقَاتَلَ مُعَوَّذٌ حَتَّى قُتِلَ، فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بِنِ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ، حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلَى، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنِي: «انظُرُوا، إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَتْلَى إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ فِي رُكْبَتَيْهِ، فَإِنِّي أزدَحمتُ أنا وهو يوماً مَأْدُوبَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُجْدَعَانَ وَنَحْنُ غُلَامَانِ، وَكُنْتُ أَشْفَ^(٣) مِنْهُ بَيْسِيرٍ، فَدَفَعْتُهُ فَوْقَ عَلِيٍّ رُكْبَتَيْهِ فَجَحِشَ^(٤) فِي إِحْدَاهُمَا جَحْشًا لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ بِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ. فَوَجَدْتُهُ بِأَخْرِ رَمَقٍ فَعَرَفْتُهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِهِ - قَالَ^(٥): وَقَدْ كَانَ ضَبَّتْ بِي^(٦) مَرَّةً بِمَكَّةَ، فَأَذَانِي وَلَكَزَنِي - ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَخْرَكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ؟ قَالَ: وَبِمَاذَا أَخْرَانِي؟! قَالَ^(٧): أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ^(٨)، أَخْبِرْنِي لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ؟

قال: قلت: لله ولرسوله.

قال ابن إسحاق^(٩): وَزَعَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: قَالَ لِي^(١٠): لَقَدْ اذْتَفَقَتِ مُرْتَقَى صَعْبًا يَا رُوَيْعِي الْغَنَمِ. قَالَ: ثُمَّ اخْتَرَزْتُ رَأْسَهُ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ. فَقَالَ: «اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

(١) سيرة ابن هشام (١/٦٣٥، ٦٣٦)، وتاريخ الطبري (٢/٤٥٤، ٤٥٥)، من طريقين عن ابن عباس. حوادث السنة الثانية.

(٢) عقير: جريح.

(٣) والشَّف، بفتح الشين وكسرها: الزيادة، والنقصان أيضًا، فهو من الأضداد.

(٤) والجَحْش: الخدش.

(٥) القائل ابن مسعود.

(٦) قال ابن هشام: ضبت: قبض عليه ولزمه.

(٧) القائل هو أبو جهل.

(٨) قال أبو ذر: أعمد من رجل قتلتموه. قال ابن السراج: يريد أكبر من رجل قتلتموه، على سبيل التحقير

منه لفعلمهم به. قال أبو ذر: وعميد القوم: سيدهم: شرح غريب السيرة (٢/٣٨، ٣٩).

قال ابن هشام: ويقال: أعاز على رجل قتلتموه.

(٩) سيرة ابن هشام (١/٦٣٦) وتاريخ الطبري (٢/٤٥٥). حوادث السنة الثانية.

(١٠) أي أبو جهل، لعنه الله.

غيره؟». وكانت بين رسول الله ﷺ، فقلت: نعم، والله الذي لا إله غيره. ثم أقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله. هكذا ذكر ابن إسحاق، رحمه الله. وقال البخاري^(١): حدثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا إبراهيم بن سعيد، عن أبيه، عن جدّه قال: قال عبد الرحمن: إنني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السنن، فكأنني لم آمن بمكانهما^(٢)، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عمّ، أرني أبا جهل. فقلت: يا بن أخي، وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته، أن أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله. قال: فما سرّني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفاء.

وقال أبو إسحاق الفزاري^(٣)، عن الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود قال: أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر، فقلت: قد قتلت أبا جهل. فقال: «الله الذي لا إله إلا هو؟». فقلت: الله الذي لا إله إلا هو.^(٤) مرتين أو ثلاثاً. قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». ثم قال: «انطلق فأرنيه». فانطلقت فأرنيته فقال: «هذا فرعون هذه الأمة». ورواه أبو داود، والنسائي من حديث أبي إسحاق السبيعي^(٥).

وقال الأعمش^(٦)، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: انتهيت إلى

(١) البخاري (٣٩٨٨).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٠٨/٧): فكأنني لم آمن بمكانهما: أي من العدو. وقيل: مكانهما كناية عنهما، كأنه لم يثق بهما؛ لأنه لم يعرفهما، فلم يأمن أن يكونا من العدو. ثم وجدت في مغازي ابن عائد ما يرفع الإشكال؛ فإنه أخرج هذه القصة مطولة بإسناد منقطع وقال فيها: فأشفقت أن يؤتى الناس من ناحيتي لكوني بين غلامين حديثين.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٤٤/١). من طريق أبي إسحاق الفزاري به. (إسناده ضعيف).

(٤) الذي في المسند: «فرددها ثلاثاً».

(٥) أبو داود (٢٧٠٩). والنسائي في الكبرى (٨٦٧٠). صحيح (صحيح سنن أبي داود) (٢٣٥٧).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨١/٩) (٨٤٧٠)، من طريق الأعمش به.

أبي جهل وهو صرِيحٌ وعليه بيضةٌ ومعه سيفٌ جيّدٌ، ومعِي سيفٌ رديءٌ، فجعلتُ
أَنْقِفُ^(١) رأسه بسيفي وأذكُرُ نَقْفًا كان يَنْقِفُ رأسي بمكّة، حتى ضَعَفْتُ يده،
فأخذتُ سيفه، فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة؟ لنا أو علينا؟ أَلَسْتَ زُوَيْعِينَا
بِمكّة؟ قال: فقتلته ثم أتيتُ النبي ﷺ فقلتُ: قتلتُ أبا جهل. فقال: «اللّه الذي لا إله
إلا هو؟». فاستخلفني ثلاث مرّات، ثم قام معي إليهم فدعا عليهم.

أوضح ابن حجر ما جاء في حديث أنس: (ابنا عفراء) أنهما معاذ ومعوذ كما فسر
قوله: (حتى يرد) بفتح الموحدة والراء أي مات كما فسروه، وأورد ابن حجر رواية
السمرقندي في مسلم (حتى برك)^(٢) بكاف بدل الدال أي سقط، وكذا عند أحمد
عن الأنصاري عن التيمي^(٣).

ونقل عن عياض قوله: هذه الرواية أولى، لأنه قد كلم ابن مسعود فلو كان مات
كيف كان يكلمه؟^(٤).

(١) النقف: كسر الهامة عن الدماغ ونحو ذلك. أو ضربها أشد ضرب. تاج العروس (ن ق ف).
(٢) أخرج مسلم حديث أنس في مقتل أبي جهل وفيه حتى برد. واللفظ في شرح النووي حتى برك ثم
قال النووي: هكذا هو في بعض النسخ برك بالكاف وفي بعضها برد بالدال، فمعناه بالكاف سقط إلى
الأرض وبالبدال مات. ثم نقل عن القاضي قوله: رواية الجمهور برد ورواه بعضهم بالكاف قال والأول
هو المعروف. ثم زاد النووي أنّ جماعة من المحققين اختاروا الكاف وأنّ ابني عفراء تركاه عقيرًا وبهذا
كلم ابن مسعود كما ذكره مسلم وله معه كلام آخر كثير مذكور في غير مسلم، وابن مسعود هو
الذي أجهز عليه واحتز رأسه. صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٩/١٢ - ١٦٠).
وانظر تعليقات الشيخ الألباني في حصر الألفاظ في برك ويرد في البخاري ومسلم. المنذري، مختصر
صحيح مسلم تعليق الألباني (الحاشية) ص: (٣١٤). حيث يبدو أنه نقل هذه المعلومات بدون عزوها
إلى مصادرها الأصلية كشرح عياض وغيره.

(٣) حديث أنس برواية (برد) أخرجه أحمد عن يحيى عن شعبة عن التيمي عن أنس (١١٥/٣). أمّا
رواية (برك) فأخرجها أحمد أيضًا عن ابن أبي عدي عن سليمان عن أنس: (١٢٩/٣). وكذلك
أخرجه برواية (برك) أيضًا عن محمد بن عبدالله بن المثني عن سليمان التيمي عن أنس (٢٣٦/٣).
وأخرجه ابن أبي شيبة. المصنف: (١٦٠/٧) حديث رقم (٣٦٦٩٤).
(٤) عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ورقة (٩٢) (أ). كما نقل النووي قول القاضي عياض. شرح
صحيح مسلم: (١٦٠/١٢). والعيني في عمدة القاري (٧٧/١٤).

قال ابن حجر: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (حتى برد) أي صار في حالة من مات، ولم يبق فيه سوى حركة المذبوح، فأطلق عليه باعتبار ما سيؤول إليه، ومنه قولهم للسيوف، بوارد أي قوائل، وقيل لمن قتل بالسيف برد أي أصابه متن الحديد لأن طبع الحديد البرودة، وقيل معنى قوله برد أي فتر وسكن، يقال جد في الأمر حتى برد أي فتر، وبرد النبيذ أي سكن غليانه^(١).

أوضح الحافظ أن عفراء والدة معاذ، واسم أبيه الحارث، وأما ابن عمرو بن الجموح فليس اسم أمه عفراء وإنما أطلق عليه تغييلاً، ويحتمل أن تكون أم معوذ أيضاً تسمى عفراء أو أنه لما كان لمعوذ أخ يسمى معاذاً باسم الذي شركه في قتل أبي جهل ظنه الراوي أخاه، وقد أخرج الحاكم^(٢) عن ابن إسحاق^(٣) حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس، قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح: سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الجرحه: أبو جهل الحكم لا يخلص إليه، فجعلته من شأني فعمدت نحوه، فلما أمكنتني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي قال: ثم عاش معاذ إلى زمن عثمان. قال: ومزّ بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبت به وبه رمق، ثم قاتل معوذ حتى قتل، فمزّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل فوجده بأخر رمق... فذكر ما تقدم، فهذا الذي رواه ابن إسحاق يجمع بين الأحاديث، لكنه يخالف ما في الصحيح من حديث عبدالرحمن بن عوف أنه رأى معاذاً ومعوذاً شدا عليه جميعاً حتى طرحاه، وابن إسحاق يقول: إن ابن عفراء هو معوذ، وهو بتشديد الواو، والذي

(١) فتح الباري (٧/٢٩٤-٢٩٥). قال ابن منظور: برد: مات، وهو صحيح في الاشتقاق لأنه عدم حرارة الروح. ويرد: قتره ضعف وقتر عن هزال أو مرض. وأبرده الشيء: قتره وأضعفه. (لسان العرب) (٣/٨٥). وقال الفيروزآبادي. برد مات. القاموس المحيط (١/٢٨٦).

(٢) أخرجه البيهقي عن طريق أبي عبدالله الحافظ (الحاكم). دلائل النبوة (٣/٨٤-٨٥).

(٣) ونقله ابن هشام عن ابن إسحاق. السيرة النبوية: (١/٦٣٤-٦٣٥). ونقله ابن سيّد الناس عن ابن إسحاق.

عيون الأثر: (١/٣١٣-٣١٤). كما نقله أيضاً ابن كثير. البداية والنهاية (٣/٢٨٧-٢٨٨).

في الصحيح معاذ وهما أخوان، فيحتمل أن يكون معاذ بن عفراء شدّ عليه مع معاذ بن عمرو كما في الصحيح وضربه بعد ذلك معوذ حتى أثبتته ثم حزر رأسه ابن مسعود، فتجمع الأقوال كلها^(١).

أشار الحافظ إلى أن إطلاق كونهما قتلاه يخالف في الظاهر حديث ابن مسعود أنه وجد به رمق، وهو محمول على أنهما بلغا به بضربهما إياه بسيفيهما منزلة المقتول حتى لم يبق به إلا مثل حركة المذبوح، في تلك الحالة لقيه ابن مسعود فضرب عنقه، وأما ما وقع عند موسى بن عقبة^(٢). وكذا عند أبي الأسود عن عروة أن ابن مسعود وجد أبا جهل مصروعاً بيّنه وبيّن المعركة غير كثير متقنعا في الحديد واضعاً سيفه على فخذه لا يتحرك منه عضو، وظن عبدالله أنه ثبت جراحاً فأتاه من ورائه فتناول قائم سيف أبي جهل فاستلّه ورفع بيضة أبي جهل عن قفاه فضربه فوق رأسه بيّن يديه^(٣)، فيحمل على أن ذلك وقع له بعد أن خاطبه بما تقدم^(٤).

قال - تعالى -: ﴿أَفَمَنْ يَبْقَىٰ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٢٤] هي مثل قوله - تعالى -: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: ٤٠] وهو أبو جهل قاله مجاهد^(٥).

وعن بشر بن تميم قال: نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر ﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ﴾

(١) فتح الباري (٢٩٦/٧). وذكر ابن سيّد الناس رواية ابن عائذ من حديث قتادة أن رسول الله ﷺ قال: إن لكل أمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل، قتله الله شر قتلة، قتله ابنا عفراء، وقتلته الملائكة وتدافه ابن مسعود يعني أجهز عليه. (عيون الأثر) (٣٥/١). وروى الواقدي: وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقالك «رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر. فقيل يا رسول الله ومن قتله معهما؟ قال الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله. المغازي (١/ ٩١). ونقل البيهقي حديث الواقدي. دلائل النبوة (٨٨/٣، ٨٩). كما نقله ابن كثير من طريق الحاكم. وقال في آخره: رواه البيهقي: البداية والنهاية (٢٩٨/٣).

(٢) نقله البيهقي عن موسى بن عقبة. دلائل النبوة (١١٦/٣).

(٣) هذا اللفظ أخرجه مطولاً عما هنا الذهبي في المغازي: ص (١١٠-١١١).

(٤) فتح الباري (٢٩٦/٧).

(٥) انظر فتح الباري (٥٤٧/٨).

أبو جهل، ﴿حَيْرٌ أَمْ مِّنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ عمار (١).

قال الحافظ ابن كثير: «قال - تعالى -: ﴿فَتَلَوْتَهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤، ١٥). فكان قتلُ أبي جهلِ على يَدَيِ شابٍّ من الأنصار، ثم بعد ذلك يُوقَفُ عليه عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، ويُمَسِّكُ بلحيته ويضعُدُ على صدره حتى قال له: لقد ارتقيت مُرتقى صعبًا يا زُوَيْعِي الغنمِ. ثم بعد هذا حَزْرُ رأسه واحتمَله حتى وضعه بين يَدَيِ رسولِ اللهِ، فَشَفَى اللهُ به قلوبَ المؤمنين، كان هذا أبلغَ من أن تأتيه صاعقةٌ، أو أن يسقطَ عليه سقفُ منزله، أو يموتَ حَتْفَ أنفه. والله أعلم» (٢).

وأراح اللهُ البشرية كلها والعالم بأسره من كفر أبي جهل ذاك الشقي التَّكِدِ القمئ الذي لو وُزِعَ كفره على الأرض كلها لملاها فطهر اللهُ البشرية من دنسه ورجسه بسيوف الأنصار جزاهم اللهُ عن ربهم ونبیهم خير الجزاء.

● مصرع أمية بن خلف لعنه الله:

روى البخاري عن عبدالرحمن بن عوفٍ قال: كاتبتُ أميةَ بنَ خَلْفٍ كتابًا بأن يحفظني في صاغيتي (٣) بمكة، وأحفظه في صاغيتيه بالمدينة، فلما ذكرتُ الرحمن قال: لا أعرفُ الرحمن، كاتبتني باسمك الذي كان في الجاهلية. فكاتبتُه عبدَ عمرو، فلما كان يومُ بدرٍ، حَرَجْتُ إلى جبلٍ لِأُحَرِّزَهُ حين نام الناسُ، فأبصره بلالٌ، فَخَرَجَ حتى وَقَفَ على مجلسٍ مِنَ الأنصارِ فقال: أميةُ بنُ خلفٍ؟! لا نَجُوتُ إن نجا أميةُ، فَخَرَجَ معه فريقٌ مِنَ الأنصارِ في آثارنا، فلما حَشِيتُ أن يُلْحِقُونَا، خَلَفْتُ لهم ابنته لِأَسْغَلَهُمْ فقتلوه، ثم أتوا حتى تَبِعُونَا، وكان رجلاً ثَقِيلاً، فلما أذركونا قلتُ له: ابْرُكْ.

(١) انظر تفسير الطبري (٢٣/٢١١)، والدر المنثور (٧/٢٢٣).

(٢) البداية والنهاية (٥/١٥٩).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/٢٤٨): الصاغية بصاد مهملة وغير معجمة، خاصة الرجل، مأخوذ من صغى إليه إذا مال قال الأصمعي: صاغية الرجل: كل من يميل إليه، ويُطلق على الأهل والمال.

فَبِرْكَ فَالْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ. فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثْرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ»^(١).
وفي مسند رفاعة بن رافع أن رافع بن مالك والد رفاعة هو الذي قتل أمية بن خلف^(٢).

ومن حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبدالرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ قال: فأقول: نعم.

قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف!
قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت: يا أبا علي اجعل ما شئت، قال: فأنت عبدالإله، قال: قلت نعم.

قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبدالإله فأجبتته فاتحدثت معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو أخذ بيده قال: ومعني أذراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلما رأني قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبدالإله، فقلت: نعم، قال: هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك؟ قال: قلت: نعم ها الله؟

قال: فطرحت الأذراع من يدي، وأخذت بيده ويده ابنه وهو يقول: ما رأيت كالسيوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة باب إذا وكل المسلم حريثاً في دار الحرب رقم (٢٣٠١)، فتح الباري: (٤٨٠/٤)، وابن هشام في السيرة (٦٣٢/١)، باسناد حسن والطبري في التاريخ (٤٥١/٢).
٤٥٣، ومسلم برقم (١٧٥٢).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (١٣٤/٥)، ومستدرک الحاكم (٢٣٢/٣)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٥/٣٤) (٤٥٣٥). قال الهيثمي في المجمع (٨٢/٦): فيه عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف.

قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن»^(١).

● مصرع أبي ذات الكرش عبيد بن سعيد بن العاص لعنه الله
على يد الزبير رضي الله عنه:

الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «لقيت يوم بدر عبيد بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينه فمات».

قال هشام، فأخبرت أن الزبير قال: «لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها».

قال عروة: «فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياه، فلما قُتِل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبدالله بن الزبير، فكانت عنده حتى قُتِل»^(٢).

● قذف قتلى أئمة الكفر في القليب:

عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك، عن أبي طلحة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقتلوا في طوي من أطواء^(٣) بدر خبيث مخبيث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بيدي اليوم الثالث، أمر براحلته فشد عليها رخلها، ثم مشى وأتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته. حتى قام على شفة الركي^(٤)، فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٦٣١)، وسنده صحيح، وقد صرح ابن اسحاق بالتحديث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي - باب - شهود الملائكة بدرًا رقم (٣٩٩٨).

(٣) قال ابن حجر: الأطواء: جمع طوى وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار. الفتح (٣٠٢/٧).

(٤) الركي، بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره: البئر قبل أن تطوى. المصدر السابق. قال الحافظ: ويجمع بين الروايتين بأنها كانت مطوية فاستهدمت فصارت كالركي. انظر المصدر السابق.

آبائهم، يا فلانَ بنَ فلانٍ، ويا فلانَ بنَ فلانٍ: «أَيَسْرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟». فقال عمرُ: يا رسولَ اللَّهِ، ما تُكَلِّمُ مِن أَجْسَادٍ لَا أرواحَ لها؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده ما أنتم بأسمَعَ لِمَا أقولُ منهم». قال قتادةُ: أحياهم اللهُ حتى أسمعَهم قوله؛ توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمةً، وحسرةً، وندمًا^(١).

في قوله: (فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان) أورد ابن حجر رواية حميد عن أنس التي أخرجها ابن إسحاق^(٢). وأحمد^(٣). (فنادى يا عبدة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام). وكذا أخرج أحمد^(٤). ومسلم^(٥) من طريق ثابت عن أنس، فسمى الأربعة، لكن قدم وأخر، وسياقه أتم. قال في أوله (تركهم ثلاثة أيام حتى جيفوا) فذكره. وفيه من الزيادة (فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث، وهل يسمعون؟ ويقول الله - تَعَالَى -: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨] فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لِمَا أقول منهم، لكن لا يستطيعون أن يجيبوا)^(٦). قال ابن حجر: وفي بعضه نظر؛ لأن أمية بن خلف لم يكن في القلب لأنه كان ضخمًا فانتفخ فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه، وقد أخرج ذلك ابن إسحاق من حديث عائشة^(٧) لكن

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥)، وأبو داود (٢٦٩٥)، والترمذي (١٥٥١)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٦٥٧).

(٢) ذكره ابن هشام نقلًا عن ابن إسحاق. ابن هشام. السيرة النبوية: (٦٣٩/١) وابن كثير في البداية (٣/٢٩٢).

(٣) أحمد، المسند (١٠٤/٣). وقد نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٢٩٢/٣-٢٩٣) عن الإمام أحمد. ثم قال: وهذا على شرط الشيخين.

(٤) أحمد، المسند (٢٢٠/٣).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٢٠٧/١٧) باب عرض مقعد الميت عليه وإثبات عذاب القبر والتعزذ منه.

(٦) فتح الباري (٣٠٢/٧).

(٧) سيرة ابن هشام (٦٣٨/١-٦٣٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٥).

يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْقَلِيبِ فَنُودِيَ فِيمَنْ نُودِيَ، لَكُونَهُ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ رُؤَسَائِهِمْ^(١).

قال ابن حجر: وكان الذين طرحوا في القليب كانوا الرؤساء منهم ثم من قريش، وخصوصا بالمخاطبة المذكورة لما كان تقدم منهم من المعاندة، وطرح باقي القتلى في أمكنة أخرى.

كما أوضح الحافظ أن الواقدي أفاد أن القليب المذكور كان حفرة رجل من بني النار فناسب أن يُلقَى فيه هؤلاء الكفار^(٢).

كما أشار الحافظ إلى أن من رؤساء قريش ممن يصح إلحاقه بمن سُمِّي من بني عبدشمس بن عبدمناف عبيدة، والعاص والد أبي أحيحة، وسعيد بن العاص بن أمية، وحنظلة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة بن ربيعة. ومن بني نوفل بن عبدمناف الحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي، ومن سائر قريش نوفل بن خويلد بن أسد، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وأخوه عقيل، والعاصي بن هشام أخو أبي جهل، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي، وعلي بن أمية بن خلف، وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة، ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة، وقيس بن الفاكه بن المغيرة، والأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة، وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي، وأمية بن رفاعه بن أبي رفاعه، فهؤلاء العشرون تنضم إلى الأربعة فتكمل العدة^(٣).

قال ابن حجر: ومن جملة مخاطبتهم ما ذكره ابن إسحاق (حدثني بعض أهل العلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: يا أهل القليب بئس عشيرة كنتم، كذبتموني وصدقتني الناس) الحديث^(٤).

(١)، (٢) فتح الباري (٣٠٢/٧).

(٣) فتح الباري (٣٠٢/٧).

(٤) نقله ابن هشام عن ابن إسحاق: (٦٣٩/١). وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية (٢٩٣/٣).

في قوله: (قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم...) نَبَّه ابن حجر إلى أن قول قتادة موصول بإسناد الحديث الذي تقدمه، وأن قتادة أراد بهذا التأويل الرد على من أنكروا أنهم يسمعون كما جاء عن عائشة أنها استدلت بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾^(١).

وعن هشام بن غزوّة، عن أبيه قال: ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، - أَنَّ ابْنَ عَمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَدَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ». فقالت: وَهَلْ^(٢)، رَحِمَهُ اللَّهُ، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّهُ لَيُعَدَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَكُونُ عَلَيْهِ الْآنَ». قالت^(٣): وذاك مثلُ قوله: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْقَلْبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ، قَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ». وَإِنَّمَا قَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ». ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠]. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾ تقول: حِينَ تَبَوَّأُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ^(٤).

وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث.

وعن ابن عمر قال: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلْبِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ لَهُمْ». وَذُكِرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ». ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ حتى قرأت الآية.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥١/٥):

«قلت: وهذا مما كانت عائشة أم المؤمنين، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، - تَتَأَوَّلُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ - كما قد جُمِعَ ما كانت تَتَأَوَّلُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي جُزْءٍ - وَتَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَعَارِضٌ لِبَعْضِ

(١) فتح الباري (٣٠٢/٧). حديث عائشة أخرجه البخاري رقم (٣٩٧٨ - ٣٩٧٩ - ٣٩٨٠ - ٣٩٨١).

(٢) وهل: غلط.

(٣) البخاري (٣٩٧٩).

(٤) رواه البخاري (٣٩٧٨)، ومسلم (٩٣٢).

الآيات، وهذا المقام مما كانت تُعارض فيه قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. وليس هو بمعارض له، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم؛ للأحاديث الدالة نصًا على خلاف ما ذهبَتْ إليه، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وأرضاهما. اهـ.

وقد بيَّن ابن حجر أنَّ عروة أراد أن يبيِّن مراد عائشة فأشار إلى أن إطلاق النفي في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ مقيَّد باستقرارهم في النار، وعلى هذا فلا معارضة بين إنكار عائشة وإثبات ابن عمر كما ورد ذكره في «الجنائز»^(١)، لكن الرواية التي بعد هذه تدل على أن عائشة كانت تنكر ذلك مطلقًا لقولها إنَّ الحديث إنما هو بلفظ (إنَّهم ليعلمون) وأنَّ ابن عمر وَهَمَّ في قوله: (ليسمعون). ونقل عن البيهقي قوله: العلم لا يمنع من السماع^(٢). قال ابن حجر: والجواب عن الآية لا يُسمِعُهُمْ وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة، ولم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك بل وافقهما أبو طلحة.

كما أشار إلى أن الطبراني أورد من حديث ابن مسعود^(٣) مثله بإسنادٍ صحيح^(٤)، ومن حديث عبدالله بن سيدان نحوه وفيه: (قالوا: يا رسول الله وهل يسمعون؟ قال: يسمعون كما تسمعون، ولكن لا يُجيبون)^(٥) وفي حديث ابن مسعود (ولكنهم اليوم لا يُجيبون)^(٦).

(١) رواه البخاري (٣٩٨٠، ٣٩٨١)، ومسلم (٩٣٢).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري (٢٣٢/٣). حديث عائشة رقم (١٣٧١)، وحديث ابن عمر رقم: (١٣٧٠).

(٣) البيهقي، دلائل النبوة (٩٣/٣) وقد نقله العيني في عمدة القارئ: (٨٥/١٤).

(٤) الطبراني، المعجم الكبير (١٩٨/١٠) رقم (١٠٣٢٠) وذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٤٩/٦).

(٥) فتح الباري (٣٠٣/٧).

(٦) الطبراني، المعجم الكبير (١٩٧/٧) رقم (٦٧١٥). ذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني وعبدالله بن سيدان مجهول. مجمع الزوائد (٩٤/٦).

قال ابن حجر: ومن الغريب أنَّ في «المغازي» لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسنادٍ جيّد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وفيه (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) ^(١). وأخرجه أحمد بإسنادٍ حسن ^(٢)، فإن كان محفوظًا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة ^(٣). كما نقل عن الإسماعيلي قوله: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى ردّ رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبتته غيرها ممكن، لأنّ قوله -تعالى-: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ لا ينافي قوله ﷺ (إنهم الآن يسمعون) لأنّ الاسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله -تعالى- هو الذي أسمعهم بأنّ ابغهم صوت نبيّه ﷺ بذلك ^(٤).

قال ابن حجر: وأما جوابها بأنّه إنما قال إنهم ليعلمون فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيّدتها ^(٥).

ونقل عن السهيلي قوله: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك النبي ﷺ، لقول الصحابة له: (أتخاطب أقوامًا ق جيّفوا؟ فأجابهم) قال: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بأذان رعوّسهم على قول الأكثر أو بأذان قلوبهم ^(٦).

قال ابن حجر: وقد اختلف أهل التأويل في المراد بالموتى في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ وكذلك المراد بمن في القبور، فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته

(١) فتح الباري (٣٠٣/٧).

(٢) ابن هشام (٦٣٩/١).

(٣) أحمد في المسند (١٧٠/٦). ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣/٦).

(٤) فتح الباري (٣٠٣/٧ - ٣٠٤).

(٥) فتح الباري (٣٠٤/٧).

(٦) فتح الباري (٣٠٤/٧).

أصلاً احتاجت معه إلى تأويل قوله: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) وهذا قول الأكثر، وقيل: هو مجاز والمراد بالموتى وبمن في القبور: الكفار، شُبِّهوا بالموتى وهم أحياء^(١)، والمعنى من هم في حالة الموتى أو في حالة من سكن القبر، وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -^(٢).

ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا قال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا) ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر»^(٣).

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكُثيبِ كحطِّ الوُحْيِ في الوَرَقِ القَشِيبِ^(٤)
تداوُلها الرياحُ وكلُّ جَوْنٍ مِنَ الوَسْمِيِّ منهْمِرِ سَكُوبِ^(٥)
فأمسى رَسْمها خَلْقاً وأمست يباباً^(٦) بعدَ ساكنها الحِيبِ

(١) السهيلي، الروض الأنف: (٦٢/٣) وما قبل قوله: (لقول الصحابة له) لم يذكره السهيلي فهو كلام ابن حجر كما يبدو.

وقد نقل العيني قول السهيلي. عمدة القارئ (٨٥/١٤) كما نقله القسطلاني في إرشاد الساري (٦/٢٥٥).

(٢) فتح الباري (٣٠٤/٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٤)، وأحمد (٢٨٧/٣) جيفوا: انتنوا وصاروا جيفا.

(٤) القشيب: الجديد والخلق، وهو من الأضداد. اللسان (ق ش ب).

قال السهيلي في الروض الأنف (١٧٨/٥): أراد حسان بالقشيب ههنا الذي خالطه ما يفسده؛ إما من دنس، وإما من قديم.

(٥) الجون: السحاب الأسود. والوسمي: مطر الخريف. وسكوب: كثير السيلان. شرح غريب السيرة (٤٠/٢).

(٦) يابا: أي قفرا. المصدر السابق.

فَدَعُ عَنْكَ التَّدَكَّرَ كُلَّ يَوْمٍ
وَحَبِزْ بِالذِّي لَا عَيْبَ فِيهِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكَ غَدَاةَ بَدْرِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حِرَاءَ
فَلَأَقَيْتَاهُمْ مَنَا بِجَمْعِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُزَهَفَاتٍ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفُ وَازَرْتَهَا
فِعَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيْعًا
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالِ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا
فَمَا نَطَقُوا وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ (٧): وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (٨):

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ أَوْوَا نَبِيِّهِمْ
إِلَّا خِصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفٌ
مُسْتَبْشِرِينَ بِقَسْمِ (٩) اللَّهِ قَوْلُهُمْ
وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارُ
لَمَّا أَنَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ

(١) في الديوان والسيره: «الصدر».

(٢) وازروه: أزروه.

(٣) خاظي الكعوب: مكتنز شديد. والكعوب: عُقْدُ القَنَاةِ القَنَاة: الرمح الأجوف. انظر المصدر السابق.

(٤) وازرتها: أي كانت وزيرة لها، من الوزر وهو الثقل، أو من الوزر وهو الملجأ. انظر الروض الأنف (٥/٥)

(١٧٩). وصليب: شديد، وذو صلابة. اللسان (ص ل ب).

(٥) الجيوب: وجه الأرض.

(٦) الكباكب: جمع الكبكب والكبكمة وهي الجماعة.

(٧) سيره ابن هشام (١/٦٦٤).

(٨) ديوان حسان ص (٣٨٨، ٣٨٩).

(٩) القسم: بفتح القاف المصدر، وبكسرهما هو الحظ والنصيب. شرح غريب السيره (٤٧/٢).

أَهْلًا وَسَهْلًا فِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ
فَأَنْزَلُوهُ بَدَارٍ لَا يَخَافُ بِهَا
وَقَاسَمُوهُ بِهَا الْأَمْوَالَ إِذْ قَدِمُوا
سِزْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ لِحَيْتِهِمْ
دَلَاهِمُ بَغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ
وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأُورِدْهُمْ
ثُمَّ التَّقِينَا، فَوَلَّوْا عَنْ سَرَاتِهِمْ
الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا:

قال البخاري^(٢): حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، ثنا عَمْرُو، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: هم والله كفار قريش. قال عمرو: هم قريش، ومحمد ﷺ نِعْمَةُ اللَّهِ، ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. قال: النَّارَ يَوْمَ بَدْر.

نقل ابن حجر ما رواه الطبري من طريق أخرى عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية فقال: من هم قال: هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية أخوالي وأعمامك، فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين. ومن طريق علي قال: هم الأفجران بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو أمية فمُتَّعُوا إِلَى حِين.

وعند عبد بن حميد قال عبد الله بن الكواء لعلي ﷺ: من الذين بدلوا نعمة الله كفراً؟ قال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو مخزوم قد كتبهم يوم بدر.

* * *

(١) منجدين: أي قاصدين نجداً وهو المرتفع من الأرض، وغاروا: قاصدين الغور، وهو ما انخفض من الأرض والمعنى أنهم تفرقوا وتشتتوا.

(٢) أخرجه البخاري في باب قتل أبي جهل انظر فتح الباري (٧/٣٠٠-٣٠١) (٣٩٧٦)، (٣٩٧٧)، (٤١٠٠).

مَا بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ

ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ مكث ثلاثة أيام في بدر ثم كلامه لأهل قلب بدر من أئمة الكفر.

الْأَسْرَى

وقد روى الإمام أحمد - واللفظ له - ومسلم، وأبو داود، والترمذي وصححه، وكذا علي بن المديني، وصححه من حديث عكرمة بن عمارة، حدثنا سيماء الحنفي أبو زميل، حدثني ابن عباس، حدثني عمر بن الخطاب، قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر، وهم ثلاث مئة وثيِّف، ونظر إلى المشركين، فإذا هم ألف وزيادة، فذكر الحديث كما تقدّم إلى قوله: فقُتِلَ منهم سبعون رجلاً، وأسير منهم سبعون رجلاً. واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليًا وعمر، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنّي أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضدًا. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا بن الخطاب؟» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تُمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه، وتُمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتُمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت: وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي ﷺ.

فإذا هو قاعدٌ وأبو بكر، ﷺ، وإذا هما يتكبان، فقلت: يا رسول الله، أخزني ماذا يُعيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائك؟ فقال رسول الله ﷺ: «للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، قد عرض عليّ عذابكم أذنى من هذه الشجرة» - لشجرة قريية - وأنزل الله - تعالى -: ﴿مَا

كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴿١﴾ مِنَ الْفِدَاءِ، ثُمَّ أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ، وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ ﴿٢﴾.

وعن ابن عمر، قال: لما أُسِرَ الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ أُسِرَ الْعَبَّاسُ فِيمَنْ أُسِرَ، أُسِرَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: وَقَدْ أُوْعِدْتُهُ الْأَنْصَارُ أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أَتَمِّ اللَّيْلَةَ مِنْ أَجْلِ عَمِّي الْعَبَّاسِ، وَقَدْ زَعَمَتِ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ قَاتَلُوهُ».

قَالَ عُمَرُ: أَفَأَتَيْهِمْ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَأَتَى عُمَرُ الْأَنْصَارَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرْسِلُوا الْعَبَّاسَ. فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نُزِيلُهُ. فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ: فَإِنْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ رِضَى؟ قَالُوا: فَإِنْ كَانَ لَهُ رِضَى فَخُذْهُ. فَأَخَذَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا صَارَ فِي يَدِهِ قَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا عَبَّاسُ، أَسَلِمَ فَوَاللَّهِ لَأَنْ تُسَلِمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُسَلِمَ الْخَطَّابُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ يُعْجِبُهُ إِسْلَامُكَ. قَالَ: وَاسْتَشَارَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أبا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَشِيرَتُكَ؟ فَأَرْسَلَهُمْ. وَاسْتَشَارَ عُمَرَ، فَقَالَ: اقْتُلَهُمْ. فَقَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿٣﴾.

وعن عبدة، عن عليّ قال: جاء جبريلُ إلى النبيّ ﷺ، فقال: خيّر أصحابك في الأسارى، إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل، على أن يقتلَ عامًا قابلاً منهم مثلهم. قالوا: الفداء ويُقتلُ منا. وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، ومنهم من رواه مرسلًا، عن

(١) في النسخ بالتاء «أن تكون له» وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بالياء. انظر حجة القراءات ص (٣١٣).

(٢) رواه أحمد واللفظ له (٣٠١/٣١)، ومسلم - كتاب الجهاد والسير - باب الإمداد بالملائكة (١٧٦٣)، وأبو داود (٢٦٩٠) والترمذي (٣٠٨١)، والطبري في تفسيره (١٨٩/٩).

(٣) صحيح: ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠٢/٣)، وعزاه لابن مردويه. وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٢٩/٢) بنحوه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم. وقال الألباني في الإرواء (٤٦/٥، ٤٧)، وهو كما قال - أي الذهبي - لولا أن فيه إبراهيم بن مهاجر، قال الحافظ: صدوق لين الحفظ.

عبيدة^(١). والله اعلم.

ومن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم، قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْرِكَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، قال: فلقني النبي ﷺ عمر قال: (كاد أن يصيبنا بلاء في خلافك)^(٢).

ومن حديث علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن استطعتم أن تأسروا من بني عبدالمطلب فإنهم قد خرجوا كرهاً»^(٣).

ومن حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهاً، فمن لقي أحداً منهم فلا يقتله»^(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه. فقال: «لا والله لا تدرن منه درهماً»^(٥).

(١) صحيح: رواه الترمذي في سننه (١٥٦٧)، والنسائي في الكبرى (٨٦٦٢)، وابن حبان (٤٧٩٥) الإحسان، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٢٧٢).

(٢) صحيح على شرط مسلم: أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٢٩/٢)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: قلت: على شرط مسلم.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٦٥) وقال ابن حجر: إسناده صحيح في الفتح (٢٩٨/٧) وكذا أخرجه أحمد (١١٧/١)، والحاكم عن ابن عباس (١٨٧/٣-١٨٨) وصححه الحاكم وواقفه الذهبي.

(٤) نقله ابن هشام عن ابن إسحاق مطولاً. السيرة النبوية (٥٩/١).
والحديث أخرجه البزار عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه. البحر الزخار: (٢٩٨/٢). رقم (٧٢٠) والإمام أحمد في المسند (٨٩/١).

ونقله الهيثمي في كشف الأستار (٣١٤/٢). رقم (١٧٦٣). وفي مجمع الزوائد (٨٨/٦) وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات. وقد نقل الطبري والبيهقي وابن كثير عن ابن إسحاق بسنده إلى عبدالله بن عباس. تاريخ الأمم (٢٨١/٢-٢٨٢). الدلائل (١٤٠/٣). البداية والنهاية (٢٨٤/٣).

كما أخرج ابن أبي شيبة الرواية عن عكرمة. المصنف (٣٦٣/٧) رقم (٣٦٧١٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: فتح الباري (٣٢١/٧) (٤٠١٨)، (٢٥٣٧)، (٣٠٤٨).

أطلقوا على جدة العباس سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية الخزرجية أختًا لكونها منهم.

كما أشار ابن حجر إلى أنه ورد عند أبي نعيم في «الدلائل» بإسناد حسن من حديث ابن عباس «كان فداء كل واحد أربعين أوقية، فجعل على العباس مئة أوقية، وعلى عقيل ثمانين، فقال له العباس: ألقراية صنعت هذا؟ قال فأنزل الله - تَعَالَى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيكُمْ﴾ الآية، فقال العباس: وددت لو كنت أخذت مني أضعافها لقوله - تَعَالَى -: ﴿يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾^(١) (٢).

وعن جبير بن مطعم أنّ النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء التتّى لتركتهم له»^(٣).

بيّن ابن حجر أنّ المراد بالتتّى أسارى بدر من المشركين، وأنّ قوله (لتركتهم له) أي بغير فداء، وبيّن ابن شاهين من وجه آخر السبب في ذلك وأنّ المراد بالبيد المذكورة ما وقع منه حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي^(٤)، كما

(١) أبو نعيم. الدلائل (٤٧٦/٢ - ٤٧٧). وقد نقل السيوطي الحديث عن أبي نعيم. الدر المنثور (٤/ ١١٢). نقل السيوطي أيضًا حديث ابن عباس الذي أخرجه الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر... وفيه: «لئن أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية فأعطاني أربعين عبدًا... الدر المنثور (٤/ ١١٢).

(٢) فتح الباري (٣٢٢/٧).

(٣) أخرجه البخاري فتح الباري (٣٢٣/٧) (٤٠٢٤).

(٤) نقل القسطلاني رواية الفاكهي، إرشاد الساري (٢٧٤/٦) ونقل ابن كثير عن الأموي في «مغازيه» رواية لإجارة المطعم بن عدي لرسول الله ﷺ. البداية والنهاية (٣/ ١٣٥).

أخرج الطبراني حديث جبير بن مطعم قال: أتيت رسول الله ﷺ لأكلمه في أسارى بدر فقال: لو أتانا فيهم شفعناه، يعني أباه مطعم بن عدي. قال هشيم وكانت له عند رسول الله ﷺ يد. كما أخرج له حديثه قال: قدمت على رسول الله ﷺ في فداء أهل بدر، فلما كلمته قال: «لو كان مطعم بن عدي عندي ثم كلمني في هؤلاء لأطلقتهم له» وكان مطعم بن عدي عند رسول الله ﷺ يد. الطبراني، المعجم الكبير: (١١٧/٢ - ١١٨) الحديثين أرقام (١٥٠٦، ١٥٠٨). قال العيني (قوله لتركتهم: أي بغير فداء) وأما قال ذلك لليد التي كانت للمطعم وهي قيامه في نقض الصفحة التي كتبها قريش

أشار إلى أن ابن إسحاق ذكر القصة في ذلك مبسوطاً^(١)، وكذلك أوردتها الفاكهي بإسناد حسن مرسل وفيه (أنّ المطعم أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح، وقام كل واحد منهم عند ركن من الكعبة، فبلغ ذلك قريشاً فقالوا له: أنت الرجل الذي لا تُخْفَرُ ذمتك)^(٢).

وقيل المراد باليد المذكورة أنه كان من أشدّ من قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصرهم في الشَّعْبِ^(٣). كما أورد ما رواه الطبراني من طريق محمد بن صالح التمار عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه قال: (قال المطعم بن عدي لقريش: إنكم قد فعلتم بمحمد ما فعلتم، فكونوا أكفّ الناس عنه)^(٤) وذلك بعد الهجرة، ثم مات المطعم بن عدي قبل وقعة بدر، وله بضع وتسعون سنة.

وأشار الحافظ إلى أنه قد ذكر خلاف الأئمة في جواز فداء أسرى الكفار بالمال في باب: ﴿فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ من «كتاب الجهاد»^(٥). قال الحافظ: وقد اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب؟ فقال بعضهم كان رأي أبي بكر لأنه وافق ما قدر الله في نفس الأمر، ولمّا استقر الأمر عليه، ولدخول

على بني هاشم ومن معهم من المسلمين حتى حاصروهم في الشعب ودخول رسول الله ﷺ في جواره حين رجع من الطائف عمدة القارئ (١١٣/١٤).

(١) قصة إجارة مطعم لرسول الله نقلها ابن هشام عن ابن إسحاق. ابن هشام. السيرة النبوية: (٣٨١/١).
أما عن قصة خروجه ﷺ من الطائف لدعوة ثقيف وموقفهم السلبي من الدعوة، انظر ابن هشام. السيرة النبوية: (٤١٩/١ - ٤٢١). وقد أخرج الواقدي الحديث وزاد: وكانت لمطعم بن عدي عند النبي ﷺ إجارة حين رجع من الطائف. (المغازي (١١٠/١) وابن سعد الطبقات (٢١٢/١).

(٢) فتح الباري (٣٢٤/٧).

(٣) فتح الباري (٣٢٤/٧). هذا القول ذكره الكرمانى في شرح البخاري (١٩٥/١٥). كما ذكره الذهبي في المغازي. ص (١٢٦) وزاد بأنّ المطعم توفي في صفر.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير (١٢٣/٢) حديث رقم (١٥٣١). وأخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد (٦/

(٦٨).

(٥) فتح الباري (١٥١/٦ - ١٥٢).

كثير منهم في الإسلام إما بنفسه وإما بذريته التي ولدت له بعد هذه الواقعة، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله في حق من كتب له الرحمة، وأما العتاب على الأخذ ففيه إشارة إلى ذم من آثر شيئاً من الدنيا على الآخرة ولو قل^(١).

وقد قال ابن إسحاق^(٢)، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣٨﴾ يقول: لولا أنني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه، لمسكم فيما أخذتم عذاباً عظيماً. وهكذا زوي عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أيضاً^(٣)، واختاره ابن إسحاق^(٤) وغيره. وقال الأعمش^(٥): سبق منه أن لا يُعذب أحداً شهيداً بدرًا. وهكذا زوي عن سعيد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبيرة، وعطاء بن أبي رباح^(٦).

وقال مجاهد والثوري^(٧): ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: لهم بالمغفرة. وقال الوالي^(٨)، عن ابن عباس: سبق أم الكتاب الأول، أن المغائم وفداء الأسارى حلال لكم، ولهذا قال بعده: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]. وهكذا زوي عن أبي هريرة، وابن مسعود، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، والحسن، وقتادة، والأعمش، واختاره ابن جرير، وقد ترجح هذا القول بما ثبت في

(١) فتح الباري (٣٢٥/٧).

(٢) سيرة ابن هشام (٦٧٥/١، ٦٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٧/١٠). سورة الأنفال آية [٦٨].

(٤) سيرة ابن هشام (٦٧٦/١).

(٥) ذكره المصنف - ابن كثير - في التفسير (٣٤/٤).

(٦) أخرجه عن سعد، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٧/٢٠، ٣٥٨)، وعن سعيد بن جبيرة، الطبري

في تفسيره (٤٦/١)، وذكره عن عطاء بن أبي رباح المصنف في التفسير (٣٤/٤).

(٧) ذكره عن مجاهد، السيوطي في الدر المنثور ٢٠٣/٣ وعزاه لابن أبي حاتم. وعن الثوري، المصنف -

ابن كثير - في التفسير ٣٤/٤.

(٨) ذكره المصنف في التفسير (٣٤/٤).

«الصحيحين» عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشُّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُنْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً».

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربع مئة. وهذا كان أقل ما فودي به أحد منهم من المال، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم (١).

«وقد وَعَدَ اللَّهُ مَنْ آمَنَ بِالْخَلْفِ عَمَّا أَخَذَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ - تَعَالَى - (٢): ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]. وقال الوالبي، عن ابن عباس: نَزَلَتْ فِي الْعَبَّاسِ، ففَادَى نَفْسَهُ بِالْأَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ. قال العباس: فأتاني أربعين عبداً - يعني كلهم يتجزؤ له - قال: وأنا أزوج المغفرة التي وعدنا الله، جل ثناؤه». وكان العباس ﷺ رجلاً مؤسراً ففادى نفسه بمئة أوقية من ذهب قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٦٩/٥ - ١٧٠).

قلت: وهذه المئة كانت عن نفسه، وعن ابني أخوته عقييل ونوفل، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى (٣) أنه كان قد أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «فادعى أنه لا مال عنده، قال: «فأين المال الذي دفنته أنت وأُمُّ الفضل، وقلت لها: إن أصبت في سفري فهذا لبيبي؛ الفضل وعبد الله وقتم؟». فقال: والله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأُمُّ الفضل. رواه ابن إسحاق، عن ابن أبي نجیح، عن عطاء، عن ابن عباس (٤).

(١) رواه أبو داود في سننه.

(٢) «البداية والنهاية» (١٦٩/٥).

(٣) أي: العباس، والأثر أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١٤٢/٣ - ١٤٣).

(٤) الدلائل للبيهقي (١٤٣).

والمشهور أن الأسارى في يوم بدر كانوا سبعين كما في حديث البراء بن عازب^(١) وعاد رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسرى... قال ابن إسحاق: مضى رسول الله ﷺ حتى قَدِمَ المدينة قبل الأسارى بيوم^(٢) وفرَّقَ الأسارى بين أصحابه ولكنه أمر بقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعهما الله.

قتل النَّضْر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيْط، لعهما الله

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٨٩/٥): «كان هذا الرجلان من شرَّ عباد الله وأكثرهم كفرًا، وعنادًا، وبغيًا، وحسدًا، وهجاءً للإسلام وأهله، لعهما الله وقد فعل».

عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «فأدى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف، وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبرًا، قال: من للصبية يا رسول الله؟ قال: (النار)^(٣)».

وعن مسروق أنه قال: - لابن أبي معيط - حدثنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان غير كذاب: «إن رسول الله ﷺ أمر بعنق أهلك أن تضرب صبرًا، ثم مر به فقال: من للصبية بعدي؟ قال: (لهم النار)، حسبك ما رضي لك رسول الله ﷺ^(٤)».

قال ابن إسحاق^(٥): حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفْرَاءِ قَتَلَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ

(١) رواه البخاري (٣٩٨٦).

(٢) سيرة ابن هشام (٦٤٤/١)، و«البداية والنهاية» (١٩٠/٥ - ١٩١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢١٥٢). قال الهيثمي في الجمع (٨٩/٦) وقال: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. وانظر المصنف لعبد الرزاق (٩٣٩٤).

(٤) حسن: أخرجه أبو داود في الجهاد - باب من قتل الأسير صبرًا (٣٦٨٦) وقال الهيثمي في الجمع (٦/٥٩) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وسنده حسن.

(٥) سيرة ابن هشام (٦٤٤/١).

خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِعِرْقِ الطَّبِيَّةِ ^(١) قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ.
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ عُقْبَةُ حِينَ أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَقْتَلِهِ: فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ؟
 قَالَ: «النَّارُ». وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ أَخُو بَنِي عَمِيْرُو بْنِ
 عَوْفٍ، كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُيَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ. وَكَذَا قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ
 فِي «مَغَازِيهِ» ^(٢)؛ وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْأَسَارَى أُسَيْرًا غَيْرَهُ. قَالَ: وَلَمَّا
 أُقْبِلَ إِلَيْهِ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، عَلَامَ أُقْتَلُ مِنْ بَيْنِ مَنْ هَاهُنَا؟ قَالَ:
 عَلَى عَدَاوَتِكَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ.

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ^(٣)؛ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ
 ﷺ بِمَقْتَلِ عُقْبَةَ، قَالَ: أَتَقْتُلُنِي يَا مُحَمَّدُ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ! أَتَدْرُونَ مَا صَنَعَ
 هَذَا بِي؟ جَاءَ وَأَنَا سَاجِدٌ خَلْفَ الْمَقَامِ فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي وَعَمَزَهَا، فَمَا رَفَعَهَا
 حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنِي سَتَنْدُرَانِ ^(٤)؛ وَجَاءَ مَرَّةً أُخْرَى بَسَلَى شَاةً فَأَلْقَاهُ عَلَى رَأْسِي وَأَنَا
 سَاجِدٌ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَعَسَلَتْهُ عَنِ رَأْسِي»، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ^(٥). وَيُقَالُ: بَل قَتَلَ عُقْبَةَ
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فِيمَا ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ^(٦): فَقَالَتْ قَتِيلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، أَخْتُ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ فِي مَقْتَلِ
 أُخْيَاهَا:

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيْلَ مَطْنَةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
 أَبْلِغْ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةً مَا إِنَّ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ ^(٧)

(١) موضع بين مكة والمدينة.

(٢) الدلائل للبيهقي (١١٧/٣) عن موسى بن عقبة.

(٣) انظر «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٤٨/١)، وتاريخ الإسلام - جزء المغازي ص (٦٥).

(٤) تندران: تسقطان.

(٥) سيرة ابن هشام (٦٤٤/١).

(٦) في سيرة ابن هشام أن القائل ابن إسحاق، وفي بعض نسخ السيرة المخطوطة أن القائل بن هشام. انظر

سيرة ابن هشام (٤٢/٢) حاشية (٢)، (٤٣).

(٧) النجائب: الإبل الكرام. وتخفق: تسرع. شرح غريب السيرة (٩٢/٢).

مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ بِوَإِكْفِهَا^(١) وَأُخْرَى تَخْتُقُ
 هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
 أَمَحْمَدٌ يَا خَيْرَ ضِنَّةٍ^(٢) كَرِيمَةٍ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَخْلُ فَحْلٌ مُغْرَقُ^(٣)
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَّتْ وَرُبَّمَا مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْحَنْقُ
 أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِذِيَّةٍ فَلْيَنْفَقَنَّ بِأَعَزُّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ
 وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةٌ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
 ظَلَّتْ سِيوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هِنَالِكَ تُشَقَّقُ
 صَبْرًا يُقَادُّ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا رَسَفَ الْمُقَيْدِ وَهُوَ عَانِ مُوْتَقُ^(٤)

والنضر بن الحارث - لعنة الله - ذكر ابن كثير في التفسير نقلا عن سعيد بن جبير
 والسدي وابن جريج وغيرهم أنه هو الذي نزل فيه ﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ
 سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ ﴿٣١﴾

[الأنفال: ٣١]

فإنه لعنة الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس، وتعلم من أخبار ملوكهم رستم
 واسفنديار، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان
 عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلس جلس النضر فحدثهم من أخبار أولئك؛ ثم
 يقول: بالله أئنا أحسن قصصا؟ أنا أو محمد؟».

لعنة الله على النضر وقد فعل - فإن كان يقول في كتاب الله ﷻ ما يقول.

(١) والواكف: السائل. المصدر السابق.

(٢) الضنن من كل شيء: تشله.

(٣) المغرق: الكريم.

(٤) رسفاً المقيد: رسف في القيد: مشى به رويداً. وعان: أسير.

الغنائم

روى أحمد في المسند بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزَمَ اللهُ العدوَّ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزيمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكرِ يخوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ لا يُصيبُ العدوُّ منه غيرةً، حتى إذا كان الليلُ، وفاءُ الناسِ بعضهم إلى بعضٍ، قال الذين جمعوا الغنائمَ: نحن حويناها فليس لأحدٍ فيها نصيبٌ. وقال الذين خرجوا في طلبِ العدوِّ: لسثم بأحقُّ بها منا، نحن نقتنا منها العدوَّ وهزَمناهم. وقال الذين أحدقوا برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: خِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوَّ مِنْهُ غِيرَةٌ؛ فَاسْتَعَلْنَا بِهِ. فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١]. فقسمها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، على فُوقٍ ^(١) بينَ المسلمين، وكان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا أغار في أرضِ العدوِّ نَقَلَ الرُّبْعَ، فإذا أُقْبِلَ راجعًا نَقَلَ الثُّلُثَ، وكان يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ ليرد قوى المسلمين على ضعيفهم ^(٢).

ومن حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا، أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا)، فتسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله -تعالى- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

(١) أي: قسمها على قدر فُوقِ ناقة، وهو ما بين الحلبتين من الراحة، وتضم فاؤه وتفتح. وقيل: أراد التفضيل في القسمة، كأنه جعل بعضهم أفوق من بعض، على قدر غنائم وبلادهم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٣٢٤/٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٦) رجاله ثقات، وفي (٢٦/٧)، قال رجال الطريقين ثقات وابن حبان رقم (١٦٩٣)، موارد، وابن جرير في التفسير (١٧٢/٩)، والحاكم: (١٣٥/٢، ١٣٦، ٣٢٦)، وقال على شرط مسلم وأقره الذهبي في الموضعين، والبيهقي في السنن: (٢٩٢/٦)، وهذا لفظ أحمد. وقال الساعاتي: (٧٣/١٤)، قال الترمذي هذا حديث صحيح، ثم قال: وأورده الهيثمي وقال رجال أحمد ثقات، ورواه الحاكم في المشدرك وصححه ووافقه الذهبي.

يَنبِئُكُمْ ^{بِط} (١).

وجعل رسول الله ﷺ على النَّفْلِ عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول النجاري.

ومن حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله ﷺ إن الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا، هب لي هذا السيف فقال: (هذا ليس لي ولا لك)، فقلت: عسى أن يعطي هذا من لم يلبى بلائي، فجاءني رسول الله ﷺ، فقال: (إنك سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك) قال: فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية (٢).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله ﷺ: (إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم) وكان النبي وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فاكلتها، فأنزل الله هذه الآية ﴿لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقًا﴾ إلى آخر الآيتين» (٣).

ما أِحْلَتِ الغنائم لأمة من الأمم إلا لهذه الأمة العظيمة، وكان من سبقنا إذا غنموا شيئاً لم يحلّ لهم أن يأكلوه وجاءت نار فأحرقته.

لقد علم الله ما في قلوب الصحابة من الصدق مع الله والتجرد لله، فلما فاتتهم

(١) أخرجه أبو داود في السنن الجهاد باب في النقل رقم (٢٧٣٧)، وابن حبان في الموارد رقم (١٧٤٣)، والحاكم في المستدرک (١٣٢/٢، ٢٢١، ٣٢٦)، وصححه في المواضع الثلاث ووافقه الذهبي، وابن جرير: (٣٦٧/١٣، ٣٦٨)، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه الكتاب، والبيهقي: (٣١٥/٦) وابن كثير في التفسير: (٢٨٤/٢)، وزاد نسبه إلى النسائي وابن مردويه. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٣٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب الأنفال رقم (١٧٤٨)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٣٨/١-٢٣٩) رقم: (٢٠٦٦)، والحاكم (١٣٢/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند: (١٨١/١، ١٨٦)، وأبو نعيم (٣١٢/٨)، والبيهقي (٢٢٩/٦).

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير تفسير سورة الأنفال رقم (٣٠٨٥)، وقال حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٩/٢)، وابن حبان في الموارد (١٦٦٨)، والبيهقي (٢٩٠/٦) وهو كما قال الترمذي.

عير قريش، وصدقوا مع الله ورسوله، أنعم الله عليهم بحلّ الغنائم لهم وللأمة من بعدهم.

قال علي رضي الله عنه قال «كانت لي شارف^(١) من نصيبي من المغنم يوم بدر». أوضح الحافظ أنّ الغرض منه هنا قوله: (من نصيبي من المغنم يوم بدر)، كما أشار إلى أنّه قد استدلّ بقوله: (وكان النبي صلى الله عليه وآله أعطاني شارقاً مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ) أنّ غنيمة بدر، حُصّست خلافاً لما ذهب إليه أبو عبيدة في «كتاب الأموال» أنّ آية الخمس إنّما نزلت بعد قسمة غنائم بدر^(٢). وموضع الدلالة منه قوله (يومئذ).

وعن الزبير رضي الله عنه قال «ضربت يوم بدر للمهاجرين بمئة سهم^(٣). رد إنّما كانوا على التحرير أربعة وثمانين، وكان معهم ثلاثة أفراس، فأسهم لها سهمين سهمين، وضرب لرجال كان أرسلهم في بعض أمره بسهامهم فصح أنّها كانت مئة بهذا الاعتبار.

قال ابن حجر: هذا الذي قاله أخيراً لا بأس به، لكن ظهر أنّ إطلاق المئة إنّما هو باعتبار الخمس، وذلك أنّه عزل خمس الغنيمة ثم قسم ما عداه على الغانمين على ثمانين سهمًا عدد من شهدها ومن ألحق بهم، فإذا أضيف إليه الخمس كان ذلك من حساب مئة سهم^(٤).

والقول بأن الغنائم حُصّست يوم بدر هو قول البخاري والطبري وهو الراجح عند ابن كثير^(٥).

ولقد قسّم النبي الأنفال لما خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق

(١) الشارف: الميسر من النوق.

(٢) الأموال لأبي عبيد ص (٢٨٠).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري (٣٢٤/٧) (٤٠٢٧).

(٤) فتح الباري (٣٢٦/٧).

(٥) انظر البداية والنهاية (١٨١/٥)، وتفسير الطبري (١/١٠).

وبين النَّازية يُقال له سَيْرٌ إِلَى سَرْحَةٍ^(١) به فقسم النَّفل على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفون بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين^(٢).

● زيد حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يحمل البشارة بالنصر إلى المدينة

كانت وقعة بدر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة وثبت في الصحيحين^(٣) أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرَصَةِ^(٤) ثلاثة أيام، وقد أقام ﷺ بعَرَصَةِ بدر ثلاثة أيام، وكان رحيله منها ليلة الاثنين، فركب ناقته ووقف على قلب بدر فقرع أئمة الكفر الذين سُجِبوا إليه، ثم سار ﷺ، ومعه الأسارى والغنائم.

وبعث صلى بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفَتْحِ والنَّصْرِ والظَّفَرِ على مَنْ أَشْرَكَ باللهِ وجَحَدَهُ وبه كَفَرَ؛ أَحَدُهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى أَعَالِي الْمَدِينَةِ، والثاني زيدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى السَّافِلَةِ قال أسامةُ بْنُ زَيْدٍ: فَأَتَانَا الْخَبْرُ حِينَ سَوَيْنَا الثَّرَابَ عَلَى رُقْبَةِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وكان زوجها عثمانُ بْنُ عَفَانَ، ﷺ، قد احتبسَ عِنْدَهَا يُمِرُّضُهَا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وقد ضربَ له رسولُ اللهِ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ فِي بَدْرٍ. قال أسامةُ: فَلَمَّا قَدِمَ أَبِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ جِئْتُهُ وَهُوَ واقِفٌ بِالْمُصَلَّى، وقد غَشِيَهُ النَّاسُ، وهو يَقُولُ: قُتِلَ عُثْبَةُ بْنُ زَيْبَةَ، وشَيْبَةُ بْنُ زَيْبَةَ، وأبو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وأبو الْبَخْرِيِّ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَنُبَيْهَةٌ وَمُنَبِّهَةُ ابْنَا الْحَجَّاجِ.

قال: قلتُ: يا أبتِ، أحمقٌ هَذَا؟ قال: إي واللهِ يا بُنَيَّ^(٥).

ومن حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ خلفَ عثمان بن عفان، وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة الله

(١) سَرْحَةٌ: شجرة.

(٢) البداية والنهاية (١٨٦/٥ - ١٨٧).

(٣) البخاري (٣٠٦٥، ٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥).

(٤) العرصة: هي كل موضع واسع لا بناء فيه. وحكمة الإقامة لإراحة الظهر والتفسي. انظر النهاية (٣/

٢٠٨)، والفتح (١٨١/٦).

(٥) البداية والنهاية (١٨٢/٥ - ١٨٣).

صلى بالبشارة قال أسامة: فسمعت الهيعة، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى وضرب رسول الله ﷺ لعثمان سهمه» (١).
ومن حديث عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: قال: «قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب الحجاب.

قالت سودة: فوالله إنني لعندهم إذ أتينا، فقيل هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو زيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ويده مجموعتان إلى عنقه بحبل، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: «أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا مِتَم كرامًا».

فما انتبهت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: (يا سودة على الله وعلى رسوله)، فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت» (٢).

• رجوع النبي ﷺ إلى المدينة

عاد رسول الله ﷺ بالنصر والظفر والفتح الكبير إلى المدينة، فلما كان بالزُّوحاء لقيه المسلمون يُهَيِّئُونَهُ بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين.

«فقال لهم سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشِ، ما الذي تُهَيِّئُونَنا به؟ والله إن لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزَ صُلْعًا كَالْبُذُنِ الْمُعَقَّلَةِ فَتَحَرْنَاها. فَتَبَسَّمُ رسولُ اللهِ ﷺ ثم قال: «أَيُّ ابْنِ أَخِي، أَوْلَيْكَ

(١) أخرجه البيهقي (١٧٤/٩)، بسند صحيح، والحاكم في المستدرک (٢١٧/٣، ٢١٨)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (١٣٠/٣-١٣١)، والطبري في التاريخ: (٤٥٨/٢)، وقد رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٨/١٤)، مرسلًا عن عروة، والحاكم (٤٨/٣)، عن الزهري مرسلًا، وانظر السيرة النبوية لابن هشام (٦٤٢/١).

* الهيعة: الصوت الذي تفرع منه وتخاف.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٢/٣)، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن جرير في التاريخ (٤٦٠/٢)، وابن هشام في السيرة (٦٤٥/١)، وسنده صحيح.

الْمَلَأُ. قال ابن هِشَامٍ: يعني الأشرافَ والرؤساء»^(١).

● تَلَقَّى قريش نَبأَ الهزيمة

قال ابن إسحاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله الخزاعي فقالوا له: ما وراءك؟

قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأميرة بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البحترى بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسلوه علي؟

فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟

قال: هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا»^(٢).

إن هزيمة أئمة الكفر بيد شيء أكبر من الخيال في عقول أهل مكة.. ما كان يخطر بعقولهم أبدًا لسدرهم وغيهم وعمهم وكبرهم وعُتُوهم وشمخة أنوفهم وغطرستهم فكان ما تلقوه قارعة ومصيبة تهون أمامها كل مصيبة، ونازلة ما مثلها من نازلة.

عن عبدالله بن الزبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «كانت قريش ناحت قتلاها ثم ندمت، وقالوا: لا تنوحوا عليهم، فيبلغ ذلك محمدًا وأصحابه فيشمتوا بكم»^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد عن أبيه قال: «ناحت قريش علي قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمدًا وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا»^(٤) بهم؛ لا يَأْرُبُ عليكم محمدٌ وأصحابه في الفداء»^(٥).

(١) سيرة ابن هشام (٦٤٤/١) والبداية والنهاية (١٨٧/٥).

(٢) إن كان أخرجه بن إسحاق بسنده الصحيح الوارد في بداية غزوة بدر فالحادثة صحيحة والله أعلم، وإلا فالحادثة بلا سند انظر سنده (سيرة ابن هشام) (٦٠٦/١).

(٣) رواه الطبراني، وقال الهيثمي في المجمع (٩٠/٦) رجاله ثقات.

(٤) استأني به: انتظر به.

(٥) أي: لا يتشددون عليكم به.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩٩/٥).

«قلت: وكان هذا من تمام ما عذَّب الله به أحياءهم في ذلك الوقت، وهو تزكُّهم النَّوْحَ على قتلهم؛ فَإِنَّ البكاءَ على الميتِ مما يُئِيلُ فؤَادَ الحزينِ».

• أتبكي أن يضلَّ لها بعير ولا أبكي!؟

قال ابن إسحاق (١): وكان الأسود بنُ المطلبِ قد أُصِيبَ له ثلاثةٌ من ولده؛ زَمْعَةُ، وَعَقِيلٌ، والحارثُ، وكان يُحِبُّ أن يَبْكِيَ على بَنِيهِ. قال: فبينما هو كذلك إذ سَمِعَ نائحةً من الليل، فقال لغلام له، وكان قد ذهبَ بَصَرُهُ: انظُرْ هل أُحِلَّ النَّحْبُ؟ هل بَكَتْ قريشٌ على قتلها؟ لَعَلِّي أبْكِي على أبي حَكِيمَةَ - يَعْنِي ولده زَمْعَةَ - فَإِنَّ جَوْفِي قد احْتَرَقَ. قال: فلَمَّا رَجَعَ إليه الغلامُ قال: إِنَّمَا هي امرأةٌ تَبْكِي على بعيرٍ لها أَضَلَّتْهُ. قال: فذاك حينَ يَقولُ الأسودُ:

أَتَبْكِي أَنْ أَضَلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ عَلَى بَدْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ (٢)
عَلَى بَدْرِ سَرَاةِ بَنِي هُضَيْنِصِ وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلِ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسْوَدِ
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي (٣) جَمِيعًا وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةَ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمَ بَدْرِ لَمْ يَسْوُدُوا (٤)

قال موسى بن عقبة: لما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن، وغفرت خيول كثيرة ورواحل (٥).

(١) سيرة ابن هشام (١/٦٤٨)، وتاريخ الطبري (٢/٤٦٣).

(٢) البكر: الفتى من الإبل، بمنزلة الغلام من الناس. النهاية (١/١٤٩).

(٣) لا تسمى: أي لا تسمي. شرح غريب السيرة (٢/٤٢).

(٤) في هذه الأبيات إقواء.

(٥) البداية والنهاية (٥/١٩٦). وانظر الدلائل للبيهقي (٣/١١٧).

● وبسببها وبَعْدَ سَبْعِ لَيَالٍ مِنْ وَصُولِ الْخَبْرِ إِلَى مَكَّةَ مَاتَ أَبُو لَهَبٍ لَعْنَهُ اللَّهُ، وَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ الْهَابِيَةِ:

قال ابن إسحاق (١): وَحَدَّثَنِي حَسِينُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ غَلَامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ، وَأَسْلَمْتُ أُمُّ الْفَضْلِ، وَأَسْلَمْتُ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيَكْرَهُ خِلَافَهُمْ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ فَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصِ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَكَذَلِكَ كَانُوا صَنَعُوا؛ لَمْ يَتَخَلَّفْ رَجُلٌ إِلَّا بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا، فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبْرُ عَنْ مُصَابِ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قَرِيشَ كَبَتَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ، وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةً وَعِزًّا. قَالَ: وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، وَكُنْتُ أَعْمَلُ الْأَقْدَاحَ أَنْحِثُهَا فِي حُجْرَةٍ زَمَزَمَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْحِثُ أَقْدَاحِي، وَعِنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ، وَقَدْ سَرَّنا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبْرِ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَجْرُ رِجْلِيهِ بِشَرٍّ، حَتَّى جَلَسَ عَلَيَّ طُنْبِ الْحُجْرَةِ (٢)، فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ قَالَ النَّاسُ: هَذَا أَبُو سُفْيَانَ - وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ - بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ قَدْ قَدِمَ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَلُمَّ إِلَيَّ، فَعِنْدَكَ لَعْمَرِي الْخَبْرُ. قَالَ: فَجَلَسَ إِلَيْهِ وَالنَّاسُ قِيَامٌ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتَانًا يَقْتُلُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَأَيْمُ اللَّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ، لَقِينَا رَجُلًا بِيضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْتِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهِ مَا تَلِيَقُ (٣) شَيْقًا وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ. قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَرَفَعْتُ طُنْبَ الْحُجْرَةِ بِيَدِي ثُمَّ قُلْتُ: تَلِكِ وَاللَّهِ الْمَلَأَكْتُةَ. قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً. قَالَ: وَثَاوَرْتُهُ (٤)، فَاحْتَمَلَنِي وَضْرَبَ بِي

(١) سيرة ابن هشام (١/٦٤٦، ٦٤٧)، والبداية والنهاية (٥/١٩٧-١٩٩).

(٢) طنْبُ الْحُجْرَةِ: حَبْلٌ يَشُدُّ بِهِ الْحَبَاءُ.

(٣) مَا تَلِيَقُ: مَا تُبْقِي.

(٤) ثَاوَرَهُ: وَائِهَ.

الأرض، ثم برك عليّ يضرّني، وكنث رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمودٍ من عمود الحجرة فأخذته، فضرّته به ضربةً فلعت^(١) في رأسه شجّة منكرة، وقالت: أسْتَضَعَفْتُهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيْدُهُ؟ فقام مؤلياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة^(٢) فقتلته. زاد يونس، عن ابن إسحاق^(٣): فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون، حتى قال لهما رجلٌ من قريش: ويحكما، ألا تستحيان! إن أباكما قد أنتن في بيته، لا تدفنايه؟! فقالا: إننا نخشى عدوي هذه القرحة. فقال: انطلقا فانا أعينكما عليه. فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد، ما يدئون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدارٍ ثم رضخوا عليه بالحجارة.

وذهب أبو لهب الشقي النكد إلى أمة الهاوية.. ذهب ملعوناً في الدنيا والآخرة.. ذهب اسمه إلى مزبلة التاريخ بعد ذهاب اقرانه إلى قلب بدر.. يسبقونه بأيام قلائل إلى أهمهم سقر.

الوصية بالإحسان إلى الأسارى، وبعث قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراها

قال ابن إسحاق^(٤): حدثني نبيّه بن وهب أخو بني عبدالدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه، وقال: «استَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا». قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مُضْعَبِ بن عمير لأبيه وأمه، في الأسارى، قال أبو عزيز:

(١) فلعت: شقت وشدخت.

(٢) العدسة: برة تشبه العدسة، تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالباً.

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٤٥/٣، ١٤٦).

(٤) المصدر السابق (٦٤٥/١)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٣/٢٢) (٩٧٧)، من طريق ابن إسحاق

به. وقال الهيثمي في المجمع (٨٦/٦): رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

والظاهر أن الإسناد منقطع بين نبيه بن وهب وأبي عزيز؛ فقد ذكره الحافظ في الإصابة (٢٧٤/٧)

بواسطة مجهولة بين نبيه بن وهب وأبي عزيز.

مَرَّ بِي أَخِي مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ: شُدَّ يَدَيْكَ بِهِ؛ فَإِنَّ أُمَّه ذَاتُ مَتَاعٍ لَعَلَّهَا تَفْدِيهِ مِنْكَ.

قال أبو عزيز: فكنْتُ في رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرِ، فَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصُونِي بِالخُبْزِ وَأَكَلُوا التَّمْرَ؛ لَوْصِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَاهُمْ بِنَاءٍ، مَا تَقَعَّ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَثْرَةُ خُبْزٍ إِلَّا تَفَحَّنِي بِهَا، فَاسْتَحْيِي فَأَرُدُّهَا فَيَرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمَسُّهَا.

قال ابن هشام^(١): وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النصير بن الحارث، ولما قال أخوه مضعب لأبي اليسر، وهو الذي أسره، ما قال: قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي؟ فقال له مضعب: إنه أخي دونك. فسألت أمه عن أعلى ما فدي به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم. فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. قلت^(٢): وأبو عزيز هذا اسمه زُرارة، فيما قاله ابن الأثير في «غاية الصحابة»^(٣)، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة^(٤). وكان أخوا مضعب بن عمير لأبويهم، وكان لهما أخ آخر لأبويهما، وهو أبو الروم بن عمير، وقد غلط من جعله قيل أحيد كافراً، ذلك أبو عزرة.

● عمليات الافتداء للأسرى

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «فأدى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف»^(٥).

عن عبد الله بن الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «كانت قريش ناحت قتلاها ثم

(١) سيرة ابن هشام ١/٦٤٦.

(٢) ابن كثير في «البدية والنهاية» (١٩٢/٥).

(٣) أسد الغابة (٢١٣/٦).

(٤) طبقات خليفة (٣٣/١).

(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٩٠).

ندمت، وقالوا: لا تنوحوا عليهم، فيبلغ ذلك محمدًا وأصحابه فيشمتوا بكم، وكان في الأسرى أبو وداعة بن صبرة السهمي فقال رسول الله ﷺ: (إن له بمكة ابناً تاجراً كيساً، ذاملاً، كأنكم قد جاءكم في فداء أبيه) فلما قالت قريش في الفداء ما قالت: قال المطلب: صدقتم والله لئن صدقتم ليثابرن عليكم، ثم انسل في الليل، فقدم المدينة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم^(١).

وكان هذا أول أسير فُدي. وقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم.

● أبو العاص بن الربيع وعفو الرسول عنه وإطلاقه:

ومن حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قالت: «لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لحديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قال: فلما رآها رسول الله ﷺ. رق لها رقة شديدة وقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا)، فقالوا: «نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها».

وهذا لفظ أحمد وفي رواية أبي داود زيادة نوردها فيما يلي:

«وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه، أو وعده، أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: (كونا يبطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتيا بها)^(٢).

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩٠/٦)، رواه الطبراني ورجاله ثقات. يقال ضُبيرة أو صبيره بالصاء المهملة أو لمعجمة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧٦/٦)، وأبو داود في الجهاد باب في فداء الأسير بالمال: (٢٦٩٢)، الحاكم في المستدرک (٣٣٦/٣)، وسكت عليه الحاكم والذهبي، وابن هشام في السيرة (٦٥٣/١) وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات، وابن إسحاق صريح بالتحديث، وقال الساعاتي في الفتح الرباني (١٠٠/١٤)، أخرجه ابن إسحاق في سيرته وإسناده جيد.

● تكليف من لا يجد فداء بتعليم أبناء المسلمين.

ومن حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء يوماً غلام يبكي إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي.

قال: الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبداً»^(١).

ومن حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال العباس: في نزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْرَكَ فِي الْأَرْضِ﴾ فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذت معي، فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم قد تاجر بمال في يده، مع ما أرجو من مغفرة الله - تَعَالَى -»^(٢).

● قريش تلقى بآخر ما في جعبتها من سهام أثناء فداء الأسرى فيرد الله كيدها إلى نحرها ويُسلم عمير بن وهب

عن عروة بن الزبير رحمه الله قال: «جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر، بعد مصاب أهل بدر بيسير وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: «والله ما في العيش بعدهم خير».

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في المسند: (٤٧/٤)، تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح وقال البنافي الفتح الرباني: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وفي إسناده علي بن عاصم فيه كلام لكن وثقه الإمام أحمد، ذحل بدر: ثار بدر.

(٢) إسناده صحيح: قال ابن حجر في «المطالب العالية» (٤٣٠٠): هذا إسناده صحيح، رواه ابن مردويه في التفسير والمسنود، وقال البوصيري: رواه ابن راهوية بسند صحيح.

وابن مردويه في تفسيره، والطبراني. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٨/٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وأخرجه الطبري في تفسيره (٧٣/١٤) تحقيق أحمد شاكر، وإسناده هذا الحديث صحيح.

قال له عمير: صدقت، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال:

عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم علي شأني وشأنك.
قال: سأفعل.

قال: ثم أمر عمير سيفه، فشحذ وسم، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويدكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشرّ وهو الذي حرش بيننا، وحزرتنا^(١) للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه.

قال: فأدخله علي، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة^(٢) سيفه في عنقه فلبيه بها وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون.

ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: (أرسله يا عمر، ادن يا عمير).

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة).

(١) حزر: قدر بالتخمين، والمعنى: أي قدر عددنا.

(٢) حمالة السيف: ما يُعلّق به.

فقال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال: (فما جاء بك يا عمير؟) قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: (فما بال سيف في عنقك؟) قال: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئاً؟

قال: (اصدقني، ما الذي جئت له؟) قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك).

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ: (فقهوا أخوكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا).

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله ﷺ، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم. قال: فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة.

وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً^(١).

(١) ابن هشام في السيرة: (١/٦٦١-٦٦٣) عن ابن إسحاق بسند صحيح مرسلًا، وقال ابن حجر في الإصابة: (٣/٣٦٦) قال موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب مرسلًا وذكر قصة عمير، وقد أخرجه ابن منده من وجه آخر موصولًا، من طريق أبي الأزهر عن عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره وإسناد ابن مندة ظاهره أنه حسن.

أرادت قريش مكراً بالنبي، ويمكرون ويمكر الله لنبيه ﷺ وأوليائه وتكون قاصمة لقريش بإسلام شيطانها عُمر بن وهب.

فَرَحَ النَّجَاشِيُّ ﷺ بِوَقْعَةِ بَدْرٍ

روى البيهقي في «دلائل النبوة» (١٣٣/٣، ١٣٤) بسنده عن عبدالرحمن - رجل من أهل صنعاء ..

قال: أُرْسِلَ النَّجَاشِيُّ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَيْهِ خُلُقَانُ ثِيَابٍ، جَالِسٌ عَلَى التَّرَابِ، قَالَ جَعْفَرٌ: فَأَشْفَقْنَا مِنْهُ حِينَ رَأَيْنَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهَا قَالَ: إِنِّي أَبَشَّرُكُمْ بِمَا يَشْرُكُمْ؛ إِنَّهُ جَاءَنِي مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ عَيْنٌ لِي، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَ نَبِيَّهُ، وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُ، وَأَسِيرَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَقَتِلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، التَّقْوَا بَوَادٍ يُقَالُ لَهُ: بَدْرٌ. كَثِيرٌ الْأَرَاكِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، كُنْتُ أَرْغَى بِهِ لِسَيْدِي - رَجُلٍ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ - إِبْلَهُ. فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: مَا بِاللَّكِ جَالِسًا عَلَى التَّرَابِ لَيْسَ تَحْتِكَ بِسَاطٌ، وَعَلَيْكَ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ^(١)؟ قَالَ: إِنَّا نَجِدُ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى عِيسَى: إِنَّ حَقًّا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَنْ يُحَدِّثُوا لِلَّهِ تَوَاضَعًا عِنْدَمَا يُحَدِّثُ لَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ. فَلَمَّا أَحَدَّثَ اللَّهُ لِي نَصَرَ نَبِيِّهِ ﷺ، أَحَدَّثْتُ لَهُ هَذَا التَّوَضَعَ.

□ ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء:

ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢) فِي تَرْجَمَةِ قُبَاثِ بْنِ أَشِيمِ اللَّيْثِيِّ، مِنْ طَرِيقِ الْوَأْقِدِيِّ وَغَيْرِهِ بِإِسْنَادِهِمْ إِلَيْهِ، أَنَّهُ شَهِدَ يَوْمَ بَدْرِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَذَكَرَ هَزِيمَتَهُمْ مَعَ قَلَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَجَعَلْتُ أَقُولُ فِي نَفْسِي: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ فَرَّ مِنْهُ إِلَّا النِّسَاءُ، وَاللَّهُ لَوْ خَرَجَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ بِأَكْمَتِهَا، رَدَّتْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْخَنْدَقِ، قُلْتُ: لَوْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَتَنَظَّرْتُ إِلَى مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ، وَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي

(١) الأخلاق: جمع الخلق: وهو البالي من الثياب. وانظر سير أعلام النبلاء (٥٠٢/١٥).
 (٢) تاريخ دمشق (٣٨٥/١٤، ٣٨٦)، والطبراني في الكبير (٣٥/١٩) (٧٢).

الإسلام. قال: فقَدِمْتُهَا، فسألْتُ عنه فقالوا: هو ذاك في طَلِّ المسجدِ في مَلَأَ مِنْ أصحابِهِ، فَاتَيْتُهُ وأنا لا أَعْرِفُهُ مِنْ بَيْنِ أصحابِهِ، فسَلَّمْتُ، فقال: «يا قُبَاثُ بنَ أَشِيَمَ، أنتَ القائلُ يومَ بدرٍ: ما رأيتُ مثلَ هذا الأمرِ فَرَّ منه إلا النِّساءُ؟» فقلتُ: أشْهَدُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ؛ فَإِنَّ هذا الأمرَ ما خَرَجَ مِنِّي إلى أَحَدٍ قَطُّ، ولا تَرَمَرَمْتُ^(١) به إلا شَيْئًا حَدَّثْتُ به نفسي، فلولا أَنَّكَ نبيُّ ما أَطَّلَعَكَ اللهُ عليه، هَلُمَّ أَبايَعَكَ على الإسلامِ؛ فَأَسَلَّمْتُ».

● بأبي وأمي أنت يا رسول الله من أعظم قائد ما عرفت له البشرية نظيرًا: قائد ما عرفت مثله البشرية.. يقود أتباعه في أحلك الظروف إلى أعظم نصر.. قال اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه «الرسول القائد»:

«كان النبي ﷺ هو القائد الأعلى للجيش، وكان المسلمون يعملون في المعركة، كيد واحدة تحت قيادة واحدة، يوجههم في الوقت الحاسم للقيام بعمل حاسم، وهذا هو واجب القائد الكفؤ.

وكان ضبط المسلمين تجاه تنفيذ أوامره مثالًا رائعًا للضبط الحقيقي المتين، وإذا كان الضبط أساس الجندية، وإذا كان الجيش الممتاز هو الذي يتحلَّى بضبط ممتاز، فقد كان جيش المسلمين حينذاك جيشًا ممتازًا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني. إن معنى الضبط - فيما أرى - هو إطاعة الأوامر وتنفيذها بحرص وأمانة وعن طيب خاطر.

وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة رائعة وبشوق وطيبة خاطر، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك لأن قائدهم يتحلَّى بصفات القائد المثالي. ضبط للأعصاب في الشدائد، وشجاعة نادرة في المواقف، ومساواة لنفسه مع أصحابه واستشارتهم في كل عمل حاسم.

(١) ترمم: حرك فاه للكلام ولم يتكلم. وأثبتته ابن الأثير في «النهاية» (٣١٣/٢) بزائتين وقال: الزمزمة: صوت حقي لا يكاد يفهم.

كما أن النبي قد أنشأ له قيادة جعل مقرّها رابية تشرف على ساحة المعركة، وجعل لهذا المقر حرسًا بقيادة قائد مسئول هو سعد بن معاذ.

أما المشركون فلم تكن لهم قيادة عامة، حيث كان أكثر قادة مكة مع جيش المشركين، ولكن الذي يظهر أن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة هما أبرز ما في القادة، وكان يُمكن أن يكون أحدهما قائدًا عامًا لجيش مكة، لولا الإختلاف بينهما، ولهذا قاتل جيش مكة قتالاً فوضويًا دونما قيادة موجهة أو تنظيم سابق.

● تعبئة جديدة:

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب:

«طبّق الرسول ﷺ في مسير الاقتراب من المدينة إلى بدر تشكيلاً جديداً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء.

كانت له مقدمة، وقسم أكبر، ومؤخّرة، واستفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات، وتلك هي الأساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء.

أما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب (الصفوف) بينما قاتل المشركون بأسلوب الكرّ والفرّ، ولا بُدّ لنا من بيان الفرق بين الأسلوبين لمعرفة عامل من أهم عوامل انتصار المسلمين.

القتال بأسلوب الكرّ والفرّ، هو أن يهجم المقاتلون بكل قوّتهم على العدو، النشابة^(١) منهم، والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح، مشاة، وفرساناً، فإن صعد لهم العدو وأحسّوا بالضعف نكصوا، ثم عادوا تنظيمهم وكرّوا، وهكذا يكرّون ويفزّون حتى يُكتب لهم النصر أو الفشل.

والقتال بأسلوب الصفوف يكون بترتيب المقاتلين صفّين أو ثلاثة أو أكثر، على حسب عددهم، وتكون الصفوف الأمامية من المسلمين بالرماح لصدّ هجمات

(١) النشابة: هم الذين يرمون بالقوس.

الفرسان، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلمين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء.

وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها، حتى يفقد زخم^(١) المهاجمين بالكرّ والفرّ شدته.. عند ذلك تتقدّم الصفوف متعاقبة للزّحف على العدو يظهر من ذلك أن أسلوب الصفوف يمتاز على أسلوب الكرّ والفرّ بأنه يُؤمّن الترتيب (بالعمق) فتبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية يُعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان، كأن يصد هجوماً مقابلًا للعدو أو يضرب كميناً لم يتوقّعه أو أن يحمي الأجنحة التي يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة.

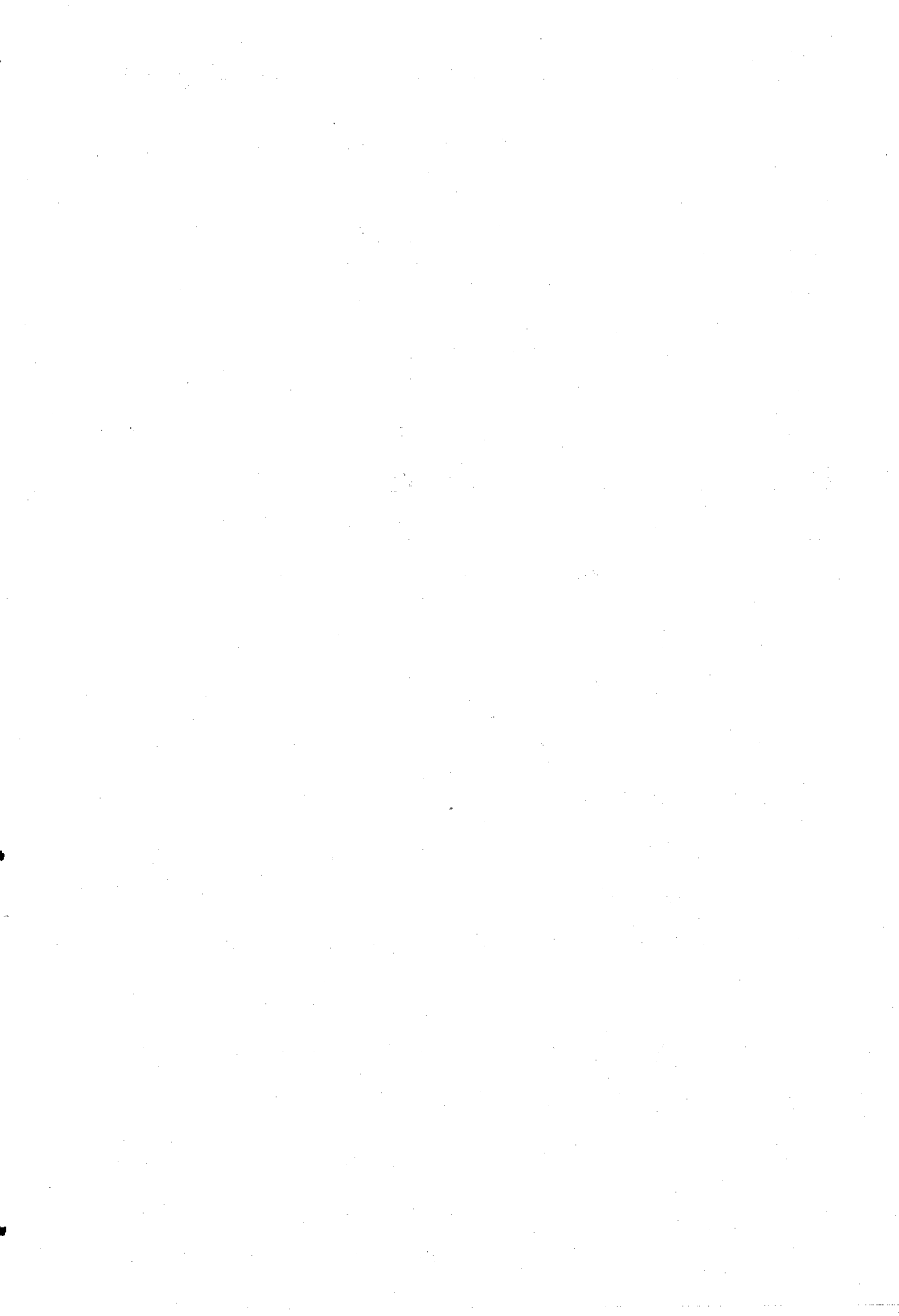
إن أسلوب الصفوف يُؤمّن السيطرة على القوة بكاملها، ويُؤمّن احتياطاً للطوارئ ويصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد، أما أسلوب الكرّ والفرّ (وهو ما سارت عليه قريش في حربها يوم بدر، فيجعل القائد يفقد السيطرة ولا يُؤمّن له أي احتياط للطوارئ).

يقول اللواء محمود شيت خطاب: «إن تطبيق الرسول لأسلوب الصفوف في معركة بدر، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين، والتاريخ العسكري يُخبرنا بأن انتصار القادة العظام - كالاسكندر وهنريال قديماً، ونابليون ومولتكه ورومل ورنشتد حديثاً، هو أنهم طبّقوا أسلوباً جديداً، في القتال غير معروف، أو أنهم قاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة» اهـ.

وهكذا صار للخطة التي ابتدعها الرسول في التعبئة وسار عليها في حربه يوم بدر وامتاز بها على المشركين الذين لم يسبق لهم أن ساروا على مثلها في شيء من حروبهم، صار لها أثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة^(٢).

(١) الزّخم: الدفع الشديد.

(٢) انظر «غزوة بدر الكبرى» لمحمد أحمد بشاميل ص (٢٦٩-٢٧٣).



ما قيل من الشعر في غزوة بدر

وقال كعب بن مالك (١) :

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ تُلَاقِيَ مَعَشَرًا قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ تُلَاقِيَ مَعَشَرًا
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَقْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمْ وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَقْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمْ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلُ غَيْرَنَا وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلُ غَيْرَنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لِيَوَائِهِ وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لِيَوَائِهِ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلٌّ مَجَاهِدٌ فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلٌّ مَجَاهِدٌ
شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَقَدْ عُرِّيتَ بَيْضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَا وَقَدْ عُرِّيتَ بَيْضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَا
بَهَنٌ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا بَهَنٌ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا
فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا لَوَجْهِهِ فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا لَوَجْهِهِ
وَشِيئَةٌ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْتُ (٦) فِي الْوَعَى وَشِيئَةٌ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْتُ (٦) فِي الْوَعَى
فَامَسَّوْا وَقَوَدَ النَّارِ فِي مَسْتَقَرِّهَا فَامَسَّوْا وَقَوَدَ النَّارِ فِي مَسْتَقَرِّهَا
تَلَطَّى عَلَيْهِمْ وَهَى قَدْ شَبَّ حَمِيهَا تَلَطَّى عَلَيْهِمْ وَهَى قَدْ شَبَّ حَمِيهَا
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبَلُوا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبَلُوا

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ١٤ ، ١٥ .

(٢) المأذي: الدروع البيض اللينة. والنقع: الغبار. شرح غريب السيرة ٢ / ٦٠ .

(٣) مقابيس: جمع مقباس، وهو القطعة من النار.

(٤) يزهيها: يحركها.

(٥) وفي السيرة: «غدرنه».

(٦) وفي السيرة: «غادرن».

(٧) الزبر: بفتح الباء، وشكنت لضرورة الشعر، وهي القطع، مفردها زبرة.

لأمرٍ أراد الله أن يَهْلِكُوا به
وقال كعبٌ في يومِ بدرٍ^(٢):

ألا هل أتى عَسَانَ في نَأْيِ دارِها
بأن قد رَمَتْنا عن قِسيِّ عَدَاوَةٍ
لأنَّا عَبَدْنَا اللهَ لم نَزُجْ غيرَه
نبيُّ له في قومِه إِزْثُ عِزَّةٌ
فساروا وسِرْنَا فالتَقَيْنا كأننا
ضَرَبْنَاهم حتى هَوَى في مَكْرِنَا^(٥)
فولوا ودُسْنَاهم ببيضِ صوارِمِ
وقال كعبٌ أيضًا^(٧):

لَعَمْرُ أبيكما يا بُنَيَّ لُؤَيٌّ
لما حَامَتْ فوارِشُكم ببدرِ
ورذناه بنورِ اللهِ يَجْلُو
رسولُ اللهِ يَقْدُمُنَا بأمرِ
فما ظَفِرَتْ فوارِشُكم ببدرِ
فلا تَعَجَلْ أبا سفيانَ وارْقُبْ

على زَهْوٍ لديكم وانتِخاءِ^(٨)
ولا صَبَرُوا به عندَ اللقاءِ
دُجِيَ الظُّلْماءِ عَنَّا والغِطاءِ
مِنَ أمرِ اللهِ أَخَكِمَ بالقضاءِ
وما رَجَعُوا إليكم بالسَّواءِ
جِادَ الخيلِ تَطَلُّعُ مِن كَدَاءِ^(٩)

(١) حمه الله: أي قدره.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢٥ / ٢.

(٣) أرومها: أصولها. وهي جمع أرومة وهي الأصل. شرح غريب السيرة ٧٢ / ٢.

(٤) الكلبي: الجريح.

(٥) المَكْرُ: موضع الحرب. اللسان (ك ر).

(٦) حلفها: أراد به من كان حليفًا فيهم وليس منهم. والصميم: الخالص من القوم. شرح غريب السيرة

٧٢ / ٢.

(٧) سيرة ابن هشام: ٢٥ / ٢، ٢٦.

(٨) الانتخاء: الإعجاب والتكبر أيضًا. شرح غريب السيرة ٧٢ / ٢.

(٩) كداء: جبل بمكة. معجم ما استعجم ٤ / ١١١٧.

بنصرِ اللهِ زُوحِ القُدسِ فيها وميكالَ فيا طيبَ الملاء^(١)
وقال حسانُ بنُ ثابتٍ^(٢) - قال ابنُ هشامٍ^(٣): ويُقالُ: هي لعبداللهِ بنِ الحارثِ
السَّهميِّ :-

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الماذِيّ يَقْدُمُهُم جَلْدُ النَحِيْزَةِ ماضٍ غَيْرُ رِغْدِيْدٍ^(٤)
أَغْنِي رَسولَ إِلِه الخَلقِ فَضَّلَه على البَرِيَّةِ بالتَقْوَى وبالجُودِ
وقد زَعَمْتُمْ بأنْ تَحْمُوا ذِمَارَكُم وماءُ بدرٍ زَعَمْتُمْ غَيْرُ مَوْزُودِ
ثُمَّ ورَدْنَا ولم نَسْمَعْ لِقولِكُم حتى شَرِينا رِوَاءَ غَيْرِ تَصْرِيْدٍ^(٥)
مُسْتَعصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِدِمٍ^(٦) مُسْتَحْكِمٍ من جِبَالِ اللّهِ ممدودِ
فينا الرَسولُ وفينا الحقُّ نَتَبَّعُه حتى المماتِ ونصْرَ غَيْرِ محدودِ
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُسْتَضَاءُ به بدرٌ أنارَ على كَلِّ الأماجيدِ
وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا^(٧):

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هلْ أتَى أهلَ مَكَةِ إِبَارْتُنَا^(٨) الكَفارَ في ساعَةِ العُشْرِ
قَتَلْنَا سِراةَ القومِ عِنْدَ مَجالِنَا فلم يَزِجِعُوا إِلَّا بِقاصِمَةِ الظُّهْرِ
قَتَلْنَا أبا جَهْلٍ وَعِتابَةَ قَبْلَه وشِيبَةَ يَكْبُو لِّليدينِ ولِلنُّخْرِ
قَتَلْنَا سُوَيْدًا ثُمَّ عِتابَةَ بَعْدَه وطُعْمَةَ أيضًا عِنْدَ ثائِرَةِ القَتْرِ^(٩)
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِن كَرِيمٍ مُرْزَأًا^(١٠) له حَسَبٌ في قومِه نابِه الذِّكْرِ

(١) الملاء: أراد الملاء وهم أشرف القوم. مُدَّت لضرورة الشعر. شرح غريب السيرة ٧٣ / ٢.

(٢) ديوان حسان ص ٢٤٢.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢٠ / ٢.

(٤) مستشعري: لابسِي. يقال: استشعرت الثوب. إذا لبسته على جسمك. من غير حاجز. والنحيزة: الطبيعة. والرعديد: الجبان. شرح غريب السيرة ٦٦ / ٢.

(٥) التصريد: الشرب دون الري. اللسان (ص ر د).

(٦) منجدم: منقطع.

(٧) السيرة ٢ / ٢١، ٢٢، وديوان حسان ص ٢٦٦.

(٨) وإبارتنا: إهلاكنا، تقول: أبرنا القوم. أي أهلكناهم. شرح غريب السيرة ٦٧ / ٢.

(٩) ثائرة القتر: ما ثار وارتفع من الغبار. انظر المصدر السابق.

(١٠) رجل مرزأ: أي كريم يُضاب منه كثيرًا. اللسان (رز أ).

تَرَكْنَاهُمْ لِلْعَاوِيَاتِ يَنْتَبِهُنَّ^(١) وَيَضْلُونَ نَارًا بَعْدَ حَامِيَةِ الْقَعْرِ
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ الثَّقِيْنَا عَلَى بَدْرِ
وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(٢): وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا^(٣)؛ يَذُمُّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ عَلَى
فِرَارِهِ يَوْمَ بَدْرِ، وَتَرْكِهِ قَوْمَهُ لَا يُقَاتِلُ دُونَهُمْ:

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَتَنْجُوتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَجْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَجَاءَ بِرَأْسِ طِمْرَةٍ^(٤) وَجَامٍ
تَذُرُّ الْعِنَاجِيحَ الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ مَرَّ الدَّمُوكِ^(٥) بِمُخَصِّدٍ وَرِجَامٍ^(٦)
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَازْمَدَتْ بِهِ وَثَوَى أَحْبَبُّهُ بَشَرٌ مُقَامٍ^(٧)
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرِكٍ نَصَرَ الْإِلَهَ بِهِ ذَوَى الْإِسْلَامِ
طَحَنَتْهُمْ وَاللَّهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَامٍ^(٨)
لَوْلَا الْإِلَهَ وَجَزْيُهَا لَتَرَكَنَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامٍ^(٩)
مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ صَفِيرٍ إِذَا لَاقَى الْأَسِنَّةَ حَامٍ
وَمُجَدِّلٍ^(١٠) لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الْأَعْلَامِ

(١) العاويات: الذئاب والسباع. يبتنهن: يتناوين عليهم مرة بعد مرة. انظر شرح غريب السيرة ٦٨ / ٢.

(٢) سيرة ابن هشام: ١٦ / ٢ - ١٨.

(٣) ديوان حسان ص ١٠٧ - ١١٠.

(٤) الطمر من الخيل: الفرس الجواد. وقيل: المستعد للعدو. والأنثى طمرة. اللسان (ط م ن).

(٥) في النسخ: «الذمول». والمثبت من الديوان والسيرة. والدموك. البكرة السريعة المر.

انظر اللسان: (د م ك).

(٦) العناجيج: جمع عنجوج، وهو الرائع من الخيل. والمخصد: الحبل الشديد القتل. والرجام: حجر يُشَدُّ

بقرقرة الدلو ليكون أسرع لانحدارها. انظر اللسان (ع ن ج)، (ح ص د)، (ر ج م).

(٧) ملأت به الفرجين: يقال للفرس: ملأ فرجه وفروجه. إذا عدا وأسرع به. والإرمداد: سرعة السير،

وشدة العدو. اللسان (ف ر ج)، (ر م د).

(٨) الضرام: ما تضرم به النار من كل سريع الاشتعال، كالحطب وغيره مما ليس له جمر.

الوسيط (ض ر م).

(٩) جزر السباع: اللحم الذي تأكله، يقال: تركوهم جزرا: إذا قتلوهم. وتركهم جزر للسباع والطيور، أي

قطعها. الحوامي: ميامن الحافر ومياسره. اللسان (ج ز ن)، (ح م ي).

(١٠) مجدل: صريع على الأرض.

بالعارِ والذلُّ المُبِينُ إذ رأى
بيضُ السيفِ تَسوقُ كلُّ هُمَامِ
بيدِي أَعْرُ إذا انْتَمَى لم يُخْزِه
نَسَبُ القِصارِ سَمِيدِ مِقْدَامِ^(١)
بيضُ إذا لاقَتْ حَدِيدًا صَمَمَتْ
كالْبَرْقِ تحتَ ظلالِ كلِّ غَمَامِ
وقال حسانُ أيضًا^(٢):

يا حارِ قد عَوَلتَ غيرَ مُعَوِّلِ
إذ تَمْتَطِي سُرْحَ اليَدِينِ نَجِيبَةً
والقَوْمُ خَلْفَكَ قد تَرَكْتَ قتالَهُم
مَرَطَى الجِراءِ طويلاً الأَقْرابِ^(٤)
ألا عَطَفْتَ على ابنِ أُمِّكَ إذ ثَوَى
ترجو النِّجاءَ وليس حينَ ذهابِ
عَجَلَ المَلِيكَ له فأهْلَكَ جَمْعَه
قَعَصَ^(٥) الأَسِنَّةَ ضائعَ الأَسْلابِ
وقال حسانُ أيضًا^(٧):

لقد عَلِمْتَ قُرَيْشٌ يَوْمَ بدرِ
بأنا حينَ تَشْتَجِرُ العَوالِي^(٨)
إلينا في مُضاعِفَةِ الحَديدِ^(١١)
عُداءَ الأَسْرِ والقَتْلِ الشَدِيدِ
حُماءَ الحربِ يَوْمَ أبي الوَلِيدِ^(٩)
يَوْمَ سارا^(١٠) رِيبَةَ^(١٠)

(١) القصار هنا: الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم. والسמיד: السيد.

(٢) سيرة ابن هشام: ١٩ / ٢، ٢٠، وديوان حسان ص ٣٣١.

(٣) يا حار: يا حارث، فلما رنم حذف الثاء. الهياج: الحرب.

(٤) سُرح اليمين: سريعة اليمين. يعني بها فرسا. ومَرَطَى: سريعة. والجِراء: الجري. والأقرباب: جمع قُوب، وهو الخاصرة. شرح غريب السيرة ٦٥ / ٢.

(٥) القعص: القتل بسرعة. المصدر السابق.

(٦) الشنار: أقبح العيب والعار. اللسان (ش ن ر).

(٧) سيرة ابن هشام: ١٩ / ٢، وديوان حسان ص ٢٦٥.

(٨) تشتجر: يعني تختلط وتشتبك في القتال. والعوالي: أعالي الرماح. شرح غريب السيرة ٦٤ / ٢، ٦٥.

(٩) أبو الوليد هو عتبة بن ربيعة.

(١٠) ابنا ربيعة هما عتبة - المشار إليه في البيت السابق - وشيبة.

(١١) يعني بمضاعفة الحديد: الدروع التي ضوعف حلقها ونُسجت حلقَتَيْنِ حلقَتَيْنِ.

انظر اللسان (ض ع ف).

وَفَرَّ بِهَا (١) حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ بِنُو النَّجَارِ تَخَطَّرُ كَالْأَسْوَدِ (٢)
 وَوَلَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ جُمُوعٌ فَهَرَّ وَأَسْلَمَهَا الْحَوِيثُ مِنْ بَعِيدِ (٣)
 لَقَدْ لَاقَيْتُمْ ذُلًّا وَقَشَلًا جَهِيْزًا (٤) نَافِذًا تَحْتَ الْوَرِيدِ
 وَكُلُّ الْقَوْمِ قَدْ وُلُّوا جَمِيْعًا وَلَمْ يَلُوْا عَلَى الْحَسْبِ الثَّلِيْدِ
 وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ أُنَائَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، تَزْنِي عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ (٥)؛
 لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْرَاءُ مَجْدًا وَسُوْدُودًا وَحَلَمًا أَصِيْلًا وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ
 عُبَيْدَةَ فَإِنِّي لَأُضِيْفُ غُزْبِيَّةَ (٦) وَأَرْمَلِيَّةَ تَهْوِي لِأَشْعَثَ (٧) كَالْحِجْدَلِ (٨)
 وَبِكِّيهِ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ سَثْوَةٍ إِذَا أَحْمَرَ آفَاقَ السَّمَاءِ مِنَ الْحَلِ
 وَبِكِّيهِ لِلْأَيْتَامِ وَالرِّيْحُ زَفْرَفٌ (٩) وَتَشْيِيْبٌ (١٠) قَدِرٌ طَالَمَا أَرْبَدَتْ (١١) تَغْلِي
 فَإِن تَصْبِحَ النَّيْرَانُ (١٢) قَدْ مَاتَ ضَوْؤُهَا فَقَدْ كَانَ يُذَكِّيهِنَّ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ (١٣)

(١) في الأصل: «وقربها». وفرَّ بها حكيم: من رواه بالقاف فهو من باب التقريب وهو فوق المشي ودون الجري، ومن رواه «وفرَّ بها» بالفاء فهو من الفرار وهو معلوم. شرح غريب السيرة ٦٥ / ٢. وحكيم هنا، هو حكيم بن حزام الصحابي، ولم يكن أسلم يوم بدر، بل قاتل مع الكفار ونجا منهزمًا، وهو من مسلمة الفتح. انظر أسد الغابة ٤٥ / ٢.

(٢) تخطر: معناه تهتز وتبختر في المشي إلى لقاء أعدائها. شرح غريب السيرة ٦٥ / ٢.
 (٣) الحويث هنا، يقصد به الحارث بن هشام، وهو أخو أبي جهل عمرو بن هشام، يشير حسان إلى فرار الحارث هذا يوم بدر.

(٤) جهيز: سريع. انظر اللسان (ج ه ز).

(٥) انظر سيرة ابن هشام: ٤١ / ١، ٤٢.

(٦) في نسخة: «عزة».

(٧) الأشعث: المتغير، من الشعث، وهو تغيُّر الشعر وتلبُّده. شرح غريب السيرة ٩١ / ٢، وانظر الوسيط (ش ع ث).

(٨) الجِذْل: أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع. الوسيط (ج ذ ل).

(٩) الزفراف والزفراف: الريح الشديدة الهبوب في دوام. كالزفرافة. القاموس المحيط (ز ف ف).

(١٠) في الأصل: «وتشتيت». وفي نسخة: «وتشيبت». والتشيب: إيقاد النار تحت القدر ونحوها، إشارة إلى الكرم. انظر شرح غريب السيرة ٩١ / ٢.

(١١) أزيدت: دفعت بزبدها. والزبد: رغو الغليان. انظر المصدر السابق.

(١٢) في نسخة: «النار».

(١٣) يذكيهن: يوقدهن. والجزل: الغليظ. المصدر السابق.

لِطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لِلتَّمِيسِ الْقِرَى وَمُسْتَبِحٍ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رِسْلِ (١)
 وقال الأُمويُّ في «مغازيه» (٢): حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ قَطَنِ، قَالَ: قَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي رُؤْيَاهَا الَّتِي رَأَتْ وَتَذَكَّرُ بِدَرًّا:

أَلَّا تَكُنْ رُؤْيَايَ حَقًّا وَيَأْتِكُمْ بِتَأْوِيلِهَا فَلْ (٣) مِنَ الْقَوْمِ هَارِبٌ
 رَأَى فَاتَاكُمْ بِالْيَقِينِ الَّذِي رَأَى بَعَيْنَيْهِ مَا تَفْرَى السُّيُوفُ الْقَوَاضِبُ (٤)
 فَقَلْتُمْ وَلَمْ أَكْذِبْ كَذَبْتُ (٥) وَأَمَّا يُكَذِّبُنِي بِالصُّدُقِ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
 وَمَا جَاءَ إِلَّا رَهْبَةً الْمَوْتِ هَارِبًا حَكِيمٌ (٦) وَقَدْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ
 أَقَامَتْ سِيُوفُ الْهِنْدِ دُونَ رِعْوَيْكُمْ وَخَطِيئَةٌ فِيهَا الشُّبَا وَالشُّعَالِبُ (٧)
 كَأَنَّ حَرِيقُ النَّارِ لَمَعَ طُبَاتِهَا (٨) إِذَا مَا تَعَاظَتْهَا اللَّيُوثُ الْمَشَاغِبُ (٩)

(١) المستبح: الرجل الذي يضل بالليل فينبح لتسمعه الكلاب فتنبح، فيعلم بذلك موضع العمران فيقصده. والرَّشَلُ: اللب. المصدر السابق.

(٢) عزاه في سبل الهدى والرشاد ٤ / ٢٠١، ٢٠٢ للأُموي. وأخرجه بنحوه الطبراني في الكبير ٢٤ / ٣٤٨ (٨٦١). قال الهيثمي في المجمع ٦ / ٧٢: رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

(٣) الفل: المنهزم. يُقال للواحد والجمع. الوسيط (ف ل ل).

(٤) تفرى: من الفرى، وهو القطع. والقواضب: جمع قاضب، من القُضْب: وهو القطع. انظر اللسان (ف ر ي) (ق ض ب).

(٥) في الأصل: «عليكم». والمثبت موافق لما في المعجم الكبير، ومجمع الزوائد، وسبل الهدى والرشاد، وهو الذي يستقيم به المعنى ويتضح.

(٦) هو حكيم بن حزام الصحابي، وقد ذكر في القصيدة السابقة.

(٧) في الأصل: «التعالب». والشعالب جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في مجبة السنان. والخطية: نوع من الرماح منسوب إلى الخط، والخط: مرفأ السفن التي تحمل القنا - وهي الرماح - من الهند. وقيل: الخط خط البحرين، وإليه ترفأ السفن إذا جاءت من الهند. وقيل: الخط موضع باليمامة، وهو خط هجر تنسب إليه هذه الرماح؛ لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به.

والشبا: جمع شباة، وشباة كل شيء: حدّ طرفه. وقيل: حدّه.

انظر اللسان (ثعلب)، (خ ط ط)، (ش ب و).

(٨) طباتها: الطبات جمع ظبئة؛ وهي حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك.

اللسان (ظ ب و). تصف عاتكة لمعان الأسنه بأنه كحريق النار. وللمعنى تقدّم خير كأن على اسمها.

(٩) المشاغب: من الشُعْب؛ وهو الخلاف، والمشاعبة، وهي الحُصَاة والمقاتنة. انظر اللسان (ش غ ب).

يعني إذا ما التقت أطراف القتال المتخاصمة المتواجهه، و«اليوث» هنا تصف بها المسلمين.

ألا بأبي يوم اللقاء محمداً
مَرَى بالسيفِ الزُهْهَفَاتِ نُفُوسَكُمْ
إذا عَضَّ مِنْ عُونٍ (١) الحروبِ الغوارِبِ (٢)
كفاحاً كما تَمَرَّى السحابِ الجَنَائِبِ (٣)
وَزُغْزِعَ وَزْدَ بعدَ ذلك صالِبِ (٤)
لَدَى ابنِ أُخِي أُسْرَى له ما تُضَارِبِ (٥)
مِنَ اللّهِ حَيْنَ سَاقٍ وَالْحَيْنَ حَالِبِ (٦)
فكانوا نساءً أم أتى لنفوسهم
فكيف رأى عند اللقاء محمداً
الم يَغْشَكُمْ ضرباً يحاز لوقعه الـ
بنو عمه والحرب فيها التجاربُ
جَبَانٌ وتَبْدُو بالنهارِ الكواكِبُ

(١) عون: جمع عون؛ يقال: حرب عون: قوتل فيها مرة بعد أخرى.
انظر المعجم الوسيط (ع و ن).

(٢) في نسخة: «العوان». والغوارب: جمع غارب، وهو أعلى كل شيء. الوسيط (غ ر ب).
والمعنى أنها تفدى بأبيها محمداً ﷺ، إذا ما اشتدت الحروب، وبلغت شدة القتال منتهاها.

(٣) مَرَى: استخرج نفوسهم واستدرّها. والمرهفات: يقال: أرهفت سيفي؛ أي رَفَقْتَهُ. وكفاحاً: مُواجهَةً
ليس بينهما حجاب.

والجنائب: جمع جَنُوب، تقول: جنبت الريح إذا تحوّلت جنوباً، وسحابةً مجنوبةً إذا هبّت بها الجنوب.
والجنوب: الريح التي تقابل الشمال.

وقال الأصمعي: إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح، وإذا جاءت الشمال نشفت.

انظر اللسان (م و ر)، (ر ه ف)، (ك ف ح)، (ج ن ب).

والمعنى أنهم يستخرجون نفوسهم - أي يقتلهم - بالسيف الحادة المرققة، كما تستخرج رياح الجنوب
الأمطار من السحاب.

(٤) بردت أسيافه: أي قتلت. والورد: الجريء. وصلب: من الصلابة، والصلابة ضد اللين. يعني الشديد
القوي من المقاتلين في الحرب.

انظر القاموس المحيط: (و ر د)، واللسان (ص ل ب).

(٥) في نسخة: «يضارب». والمضاربة بين اثنين أن يضرب كل منهما الآخر، أو يُغالبه ويباريه في الضرب.
الوسيط (ض ر ب).

والمقصود هنا بالمضاربة القتال، أي أنهم أسرى لا يقاتلون.

(٦) الحين: الهلاك. وحالب: من الحلب؛ وهو استخراج ما في الضرع من اللبن، يكون في الشاء والإبل
والبقر.

اللسان (ح ل ب). وإنما يعني هنا أن الهلاك يستخرج أرواحهم من نفوسهم من شدة القتال، وليوقعن
بهم القتل.

حَلَفْتُ لَيْنٍ عَادُوا لَنْضَطَلِيَّتِهِمْ^(١) بحارًا تَرْدَى تَجْرِبَتِهَا^(٢) المَقَانِبُ
كَأَنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ لَمَعَ ظُبَاتِهَا^(٣) لَهَا مِنْ شُعَاعِ النُّورِ قَرْنٌ وَحَاجِبٌ
وَقَالَتْ عَاتِكَةُ أَيْضًا فِيمَا نَقَلَهُ الْأُمَوِيُّ^(٤):

هَلَّا صَبَرْتُمْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ^(٥) بَدْرٍ وَمَنْ يَفْغَى الْوَعَى حَقُّ صَابِرٍ
وَلَمْ تَزْجِعُوا عَنْ مُزْهَفَاتِ كَأَنَّهَا حَرِيقٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ بَوَاتِرٍ^(٦)
وَلَمْ تَضْبِرُوا لِلْبَيْضِ^(٧) حَتَّى أُخِذْتُمْ قَلِيلًا بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْمَسَاعِرِ^(٨)
وَوَلَيْتُمْ نَفْرًا^(٩) وَمَا الْبَطْلُ الَّذِي يُقَاتِلُ مِنْ وَقَعِ السَّلَاحِ بِنَافِرٍ
أَتَاكُمْ بِمَا جَاءَ النَّبِيُّونَ قَبْلَهُ وَمَا ابْنُ أَخِي الْبِرِّ الصُّدُوقُ بِشَاعِرٍ
سَيَكْفِي الَّذِي ضَيَّعْتُمْ مِنْ نَبِيِّكُمْ وَيَنْصُرُهُ الْحَيَّانِ عَمْرُو وَعَامِرُ
وَقَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَزِيهِ أَصْحَابَ الْقَلْبِ مِنْ قُرَيْشِ
الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَهُوَ بَعْدُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ إِذْ ذَاكَ^(١٠):

أَلَا إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ^(١١) دَمْعَهَا سَكْبًا تُبْكِي عَلَى كَفِّ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبًا
أَلَا إِنَّ كَعْبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا وَأَزْدَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا

(١) جاء هذا الشطر في النهاية ١/ ٢٣٣ هكذا:

• بجأواء تُردى حافتيه المقانب •

وقال ابن الأثير شارحًا له: أي بجيش عظيم تجتمع مقانبه من أطرافه ونواحيه. وتردَى بالرداء: لبسه. يعني يخوضون ويعانون تجربتها. والمقانب: جمع مقنّب؛ وهي جماعة الخيل والفرسان. وقيل: هي دون المائة. انظر الوسيط (ر د ي)، واللسان (ق ن ب).

(٢) سكنت التاء للوزن.

(٣) تصف عاتكة لمعان الأسنان بأنه كضوء الشمس. وللمعنى تقدّم خبر كأن على اسمها.

(٤) ذكره في سبل الهدى والرشاد ٤/ ٢٠٢ وعزاه إلى الأموي.

(٥) في صدر البيت خرم، وهو جائز. وانظر ما تقدم في صفحة ٢٠٤.

(٦) البواتر: من البئر وهو استئصال الشيء قطعًا. اللسان (ب ت ر). يعني أنها سيوف قاطعة حادة.

(٧) البيض: يعني السيوف.

(٨) والمساعر: جمع مسعر، وهو مُرَقَد الحرب. الوسيط (س ع ر).

(٩) نفر من المكان: تركه إلى غيره. والمعنى أنهم ولوا هارين منهزمين.

(١٠) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٦، ٢٧.

(١١) في الأصل: «أنفدت». وهو لفظ إحدى روايات السيرة.

وعامرُ تَبَكِّي لِلْمُلِمَّاتِ غُدُوَّةً فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لَهُمْ ^(١) قُزْبَا
 فَيَا أَحْوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَتَوْفَلَا فِدَى لَكُمْ لَا تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبًا
 وَلَا تُضْبِحُوا مِن بَعْدِ وُدِّ وَأَلْفَةِ وَأَحَادِيثَ فِيهَا كُلُّكُمْ يَشْتَكِي التُّكْبَا
 أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ وَحَرْبِ ^(٢) أَبِي يَكْسُومَ ^(٣) إِذْ مَلَّتُوا الشُّغْبَا
 فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ لِأَضْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سَرْبَا ^(٤)
 فَمَا إِنْ جَنِينَا فِي قُرَيْشٍ عَظِيمَةً سِوَى أَنْ حَمَيْتَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرْبَا
 أَحَا ثِقَةَ فِي النَّائِبَاتِ مُرَزًّا ^(٥) كَرِيمًا نَهَا ^(٦) لَا بِخِيَلًا وَلَا دُزْبَا ^(٧)
 يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ ^(٨) يَغْشُونَ بَابَهُ يُؤْمِنُونَ ^(٩) نَهْرًا ^(١٠) لَا تَزُورًا وَلَا صَرْبَا ^(١١)
 فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً تَمْلَلُ ^(١٢) حَتَّى تَضُدُّوا الْخَزْرَجَ الصَّرْبَا

* * *

(١) في السيرة: «لهما».

(٢) في السيرة: «وجيش».

(٣) أبو يكسوم: هو أبرهة.

(٤) قال أبو ذر: والشرب بفتح السين؛ المال الراعي. والشرب بكسر السين؛ القوم، ويقال: النفس، ومنه

قوله في الحديث: «من أصبح آمنًا في سريره...». شرح غريب السيرة ٢ / ٧٤.

(٥) يقال: إن لكريم مرزا: يصيب الناس من ماله ونفعه كثيرًا.

الوسيط (ر ز أ).

(٦) في النسخ: «نناه». والمثبت من السيرة. والثنا ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء، يقال: فلان

حسن وقبيح الثنا. اللسان (ن ث و).

(٧) يقال: ذرب لسانه، إذا كان شتامًا فاحشًا لا يبالي ما قال. الوسيط (ذ ر ب).

(٨) العافون: طالبو المعروف. انظر الوسيط (ع ف و).

(٩) في الأصل: «يثوبون». وأشار محققو السيرة إلى أنها إحدى الروايات. وفي ص: «يأبون». ويؤمنون:

يقصدون. ويثوبون: يرجعون، والمعنى على هذه الرواية أنهم يذهبون مرة بعد مرة، دلالة على كرمه،

فيذهبون ثم يرجعون.

(١٠) كذا في النسخ. وفي السيرة: «بحرًا». وأشار محققوها إلى أن «نهرًا» إحدى الروايات.

(١١) النزور: القليل. والصرب: المنقطع، والقليل من الماء.

انظر شرح غريب السيرة ٢ / ٧٤.

(١٢) أي تتملل.

وانتهت المعركة فانظر حصادها

وهكذا انتهت معركة بدر التي خاضها المسلمون، وهم على غير استعداد لها.. انتهت بنصر عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة لأعدائهم الذين خسروا في هذه المعركة سبعين قتيلًا بينهم أكثر من عشرين من قادتهم وزعمائهم، كما وقع في أسر المسلمين أيضًا سبعون محاربًا بينهم كثير من الزعماء والقادة.

الشهداء البدريون

لقد استشهد من المسلمين في معركة بدر أربعة عشر رجلاً.. ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار. أما شهداء المهاجرين فهم:

(أ) من بني المطلب بن عبد مناف، رجل واحد، وهو:

عبيدة بن الحارث بن المطلب.. قطع رجله عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف (أثناء المبارزة)، فحملة الجيش جريحًا حتى مات بوادي الصفراء، والجيش في طريقه إلى المدينة.

ب - من بني زهرة بن كلاب رجلاً، وهما:

١ - عمير بن أبي وقاص، أخو سعد بن أبي وقاص.

٢ - ذو الشمالين ابن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي (حليف لهم).

ج - من بني عدي بن كعب بن لؤي. رجلاً:

١ - عاقل بن البكير.. حليف لهم. وهو من بني سعد بن ليث بن عبد مناة بن

كنانة.

٢ - مهجع مولى عمر بن الخطاب.

د - من بني الحارث بن فهر، رجل واحد. وهو:

١ - صفوان بن بيضاء.

● عدد شهداء الأنصار وأسمائهم:

أما شهداء الأنصار فهم:

١ - من بني عمرو بن عوف (بطن من الخزرج) رجلان. وهما:

١ - سعد بن خيثمة.

٢ - مبشر بن عبد المنذر بن زبير.

ب - ومن بني الحارث بن الخزرج (بطن من الخزرج) رجل واحد، وهو:

١ - يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له (ابن فسحم).

ج - ومن بني سلمة (بطن من الخزرج) رجل واحد، وهو:

١ - عمير بن الحمام.

د - ومن بني حبيب (بطن من الخزرج) رجل واحد، وهو:

١ - رافع بن المعلى.

هـ - ومن بني النجار (بطن من الأوس) رجل واحد، وهو:

١ - حارثة بن سراقة بن الحارث.

و - ومن بني غنم (بطن من الأوس) رجلان، وهما:

١ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد.

٢ - أخوه، معوذ بن الحارث.. وهذان الأخوان هما ابنا عفراء.

* * *

عدد قتلى المشركين وأسماءهم

أما خسائر المشركين من القتلى في معركة بدر فقد بلغت سبعين رجلاً، وهم كما يلي:

أ - من بني عبد شمس بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً، وهم:

- ١ - عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.. جرحه عبيدة بن عبد المطلب.
 - ٢ - شيبة بن ربيعة بن عبد شمس.. جرحه عبيدة بن الحارث، وذفف عليه علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب.
 - ٣ - الوليد بن عتبة.. قتله علي بن أبي طالب.
 - ٤ - حنظلة بن أبي سفيان بن حرب.. قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ.
 - ٥ - الحارث بن الحضرمي. (حليف لبني عبد شمس).. قتله النعمان بن عاصر.
 - ٦ - عامر بن الحضرمي (حليف لهم أيضاً).. قتله عمار بن ياسر.
 - ٧ - عمير بن أبي عمير.
 - ٨ - وابن لعمير هذا.. والاثنان موليان لبني عبد شمس.
 - ٩ - عبيدة بن سعيد بن العاص.. قتله الزبير بن العوام.
 - ١٠ - العاص بن سعيد بن العاص.. قتله علي بن أبي طالب.
 - ١١ - عقبة بن أبي معيط.. قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، قتله صبيرا في مكان يقال له عرق الظبية وذلك أثناء عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة.
 - ١٢ - عامر بن عبدالله النمري (حليف لهم).. قتله علي ابن أبي طالب.
- ب - ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلاً، وهما:

- ١ - الحارث بن عامر بن نوفل.. قتله خبيب بن اساف.
- ٢ - طعيمة بن عدي بن نوفل. قتله علي بن أبي طالب.

ج - ومن بني أسد بن عبد العزي سبعة نفر:

- ١ - زمعة بن الأسود بن المطلب، قتله ثابت بن الجذع ويقال اشترك في قتله علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب.
 - ٢ - أبو البحري بن هشام (واسمه العاص بن هشام ابن الحارث) قتله المجذر بن زياد البلوي.
 - ٣ - الحارث بن زمعة.. قتله عمار بن ياسر.
 - ٤ - نوفل بن خويلد بن أسد، وهو أخو أم المؤمنين خديجة (وكان من شياطين قريش) قتله علي بن أبي طالب.
 - ٥ - عقيل بن الأسود بن المطلب.. قتله حمزة وعلي.
 - ٦ - عقبه بن زيد (رجل من اليمن حليف لبني أسد).
 - ٧ - ومولى لهم اسمه (عمير).
- د - ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر:

- ١ - النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة.. أسر النضر في المعركة (وكان حامل لواء المشركين)، وقد أمر النبي ﷺ بقتله صبيرا، فنقذ فيه حكم الإعدام علي بن أبي طالب في موضع يقال له (الأثيل) بوادي الصفراء.
 - وكان النضر هذا من شياطين قريش، ومن أكبر مجرمي الحرب، ومن أشد الناس إيذاء للمسلمين.
 - ٢ - زيد بن مليص، مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار.. قتله بلال بن رباح (مولى أبي بكر الصديق يومئذ).
 - ٣ - نبيه بن زيد بن مليص (حليف لهم) من بني مازن ثم من بني تميم.
 - ٤ - عبيد بن سليط (حليف لهم) من قيس.
 - هـ - ومن بني تميم بن مرة، أربعة نفر:
- ١ - مالك بن عبيد الله بن عثمان (وهو أخو طلحة بن عبيد الله) أسر فمات في الأسر. فُغد في القتلى.

٢ - عمرو بن عبدالله بن جدعان.

٢ - عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتله علي بن أبي طالب.

٤ - عثمان بن مالك بن عبيدالله، قتله صهيب بن سنان.

و - ومن بني مخزوم (قبيلة خالد بن الوليد) أربعة وعشرون رجلاً، وهم:

١ - القائد العام لجيش مكة (أبو جهل بن هشام) واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، أقعده بضربة بالسيف، معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته، ثم ذفف عليه عبدالله بن مسعود، حين احتز رأسه.

٢ - العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، قتله عمر بن الخطاب (وهو خاله).

٣ - يزيد بن عبدالله (حليف لهم) وكان من بني تميم.. قتله عمار بن ياسر.

٤ - أبو مسافع الأشعري (حليف لهم) قتله أبو دجانة.

٥ - حرملة بن عمرو (حليف لهم) وهو من الأسد، قتله خارجة بن زيد.

٦ - مسعود بن أبي أمية بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب.

٧ - أبو قيس بن الوليد بن المغيرة (أخو خالد بن الوليد) قتله حمزة بن عبدالمطلب.

٨ - أبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب.

٩ - رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، قتله سعد بن الربيع.

١٠ - المنذر بن أبي رفاعة بن عابد، قتله معن بن عدي ابن الجد بن العجلان.

١١ - السائب بن أبي السائب بن عابد، قتله الزبير بن العوام، وفي رواية ابن

هشام أن السائب هذا، أسلم وحسن إسلامه

(انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٧١١).

١٢ - الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، قتله حمزة بن عبدالمطلب.

١٣ - حاجب بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، قتله

علي بن أبي طالب.

- ١٤ - عويمر بن السائب بن عويمر، قتله النعمان بن مالك القوقلي مبارزة.
 ١٥ - عمرو بن سفيان (حليف لهم) من طيء، قتله يزيد ابن رقيش.
 ١٦ - جابر بن سفيان (حليف لهم أيضًا) وهو من طيء، قتله جابر أبو بردة بن نيار.

- ١٧ - عبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة، قتله علي بن أبي طالب.
 ١٨ - حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله سعد بن أبي وقاص.
 ١٩ - هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله صهيب بن سنان.
 ٢٠ - زهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أسيد، مالك بن ربيعة.
 ٢١ - السائب بن أبي رفاعة، قتله عبدالرحمن بن عوف.
 ٢٢ - عائذ بن السائب بن عويمر، جرحه في المعركة حمزة ابن عبدالمطلب، ثم أسر فافتدى ثم مات متأثرًا بجراحه.
 ٢٣ - رجل من طيء اسمه عمير (حليف لهم من طيء).
 ٢٤ - رجل آخر أيضًا اسمه خيار، (حليف لهم من القارة).
 ز - ومن بني سهم بن عمرو (قبيلة عمرو بن العاص) سبعة نفر، وهم:

- ١ - منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم، قتله أبو اليسر أخو بني سلمة.
 ٢ - ابنه، العاص بن منبه بن الحجاج، قتله علي بن أبي طالب.
 ٣ - أخوه، نبيه بن الحجاج، قتله حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص، اشتركا في قتله.
 ٤ - أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، قتله علي بن أبي طالب. ويقال النعمان بن مالك القوقلي، ويقال.. أبو دجاجة.
 ٥ - عاصم بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، قتله أبو اليسر، أخو بني سلمة.
 ٦ - الحارث بن منبه بن الحجاج، قتله صهيب بن سنان.
 ٧ - عامر بن عوف بن ضبيرة، أخو عاصم بن ضبيرة، قتله عبدالله بن سلمة.

العجلاني. ويقال أبو دجانة.

ح - ومن بني عامر بن لؤي رجلان، وهما:

١ - معاوية بن عامر (حليف لهم من بني عبد القيس)، قتله عكاشة بن محصن على ما قاله ابن هشام.

٢ - معبد بن وهب (حليف لهم من بني كلب بن عوف)، قتله خالد وأياس ابنا الكبير.

ط - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص، أربعة نفر، وهم:

١ - أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، قتله رجل من الأنصار من بني مازن.

٢ - ابنه علي بن أمية بن خلف، قتله عمار بن ياسر.

٣ - أوس بن معير بن لوزان بن سعد بن جمح، قتله علي بن أبي طالب، ويقال قتله الحصين بن الحارث وعثمان بن مظعون.

٤ - سبرة بن مالك (حليف لهم) لا يعرف قاتله.

هذه أسماء الكفرة اللثام، والجهلة الطغام الذين ناصبوا الله ورسوله العداً فذهبوا إلى مزابل التاريخ وإلى أمهم الهاوية.. وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين المرذولين المنكوسين الموكوسين المخذولين شحاً لهم وبُعداً.

* * *

أسرى المشركين وأسماءهم

أما أسرى المشركين الذين وقعوا في أيدي جيش المدينة يوم بدر، فهم أيضًا سبعون رجلاً، وهم كما يلي:

أ - من بني هاشم أربعة نفر، وهم:

- ١ - العباس بن عبدالمطلب.
 - ٢ - عقيل بن أبي طالب أخو علي بن أبي طالب.
 - ٣ - نوفل بن الحارث بن المطلب.
 - ٤ - رجل اسمه (عتبة) حليف لهم.
- ب - ومن بني المطلب بن عبد مناف خمسة نفر، وهم:

- ١ - السائب بن عبيد بن عبد يزيد.
 - ٢ - نعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب.
 - ٣ - عقيل بن عمرو (حليف لهم).
 - ٤ - أخوه تميم (حليف لهم أيضًا).
 - ٥ - ابن لتميم، لا يعرف اسمه (حليف لهم أيضًا).
- ج - ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر، وهم:

- ١ - عمرو بن أبي سفيان بن حرب.
- ٢ - الحارث بن أبي وجرة.
- ٣ - أبو العاص بن الربيع^(١).

(١) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزي بن عبد شمس بن عبد مناف؛ واسمه لقيط، وقيل ياسر، تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ وهما مشركان، وكان رجلاً نبيلاً مشهوراً بالأمانة حتى إنه كان يلقب بالأمين، وكان القرشيون لذلك يأتمنونه على أموالهم، فكان لذلك يتاجر (مضارياً) في أموال كثير من القرشيين الموسرين، واتفق أن عاد مرة من الشام في تجارة كثيرة لأهل مكة، فأراد بعض الصحابة =

- ٤ - أبو العاص بن نوفل بن عبد شمس.
 - ٥ - أبو ريشة بن عمرو (حليف لهم).
 - ٦ - عمرو بن الأزرق (حليف لهم).
 - ٧ - عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي (حليف لهم).
 - ٨ - خالد بن أسيد بن أبي العيص^(١).
 - ٩ - أبو العريض، يسار (مولى العاص بن أمية).
- د - ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر، وهم:

- ١ - عدي بن الحيار بن عدي بن نوفل.
 - ٢ - عثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر.
(حليف لهم من بني مازن بن منصور).
 - ٣ - أبو ثور (حليف لهم).
 - ٤ - نبهان (مولى لهم).
- هـ - ومن بني عبد الدار بن قصي، ثلاثة نفر، وهم:

- ١ - أبو عزيز بن عمير بن هاشم (أخو مصعب بن عمير).
- ٢ - الأسود بن عامر (حليف لهم).

= التعرض له، والاستيلاء على ما معه من أموال باعتبارها أموال العدو، فأعلنت زوجته أنها قد أجزته. فأمن بذلك، ثم خرج إليه بعض الصحابة من غير سلاح، وقالوا له: هل لك أن تسلم، فتغنم ما معك من أموال لمشركي مكة، فقال: بئسما أمرتموني به، أن أفسخ ديني بغدرة، ثم مضى بتجارة أهل مكة حتى وصل إليها وأعطى كل ذي حق حقه، ثم نادى في أهل مكة قائلاً.. يا أهل مكة هل أوفيت ذمتي، قالوا.. اللهم نعم، فأعلن إسلامه آن ذاك وهاجر إلى المدينة، فرد عليه رسول الله ﷺ زوجته زينب بعقد جديد، وقد توفي أبو العاص سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

(١) هو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وهو أخو عتاب بن أسيد الذي جمعه النبي ﷺ أميراً على مكة بعد الفتح أسلم يوم الفتح، وكان أخوه عتاب قد أرسله أميراً على حملة التأديب التي أرسلها لمقاتلة المرتدين.

٣ - عقيل (رجل من اليمن) حليف لهم.

و- ومن بني أسد بن عبد العزّي أربعة نفر، وهم:

١ - السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد.

٢ - الحويرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد.

٣ - سالم بن شماخ (حليف لهم).

٤ - عبدالله بن حميد بن زهير بن الحارث.

ز- ومن بني محزوم بن يعطة عشرة نفر، وهم:

١ - خالد بن هشام بن المغيرة.

٢ - أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة.

٣ - عثمان بن عبدالله بن المغيرة.

٤ - أبو المنذر بن أبي رفاعة.

٥ - أبو عطاء عبدالله بن أبي السائب.

٦ - المطلب بن حنطب بن الحارث.

٧ - خالد بن الأعم (حليف لهم) وهو الذي كان أول من فر منهزما من المعركة،

مع أنه صاحب البيت المشهور الذي يضرب به المثل للثبات..

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يتقطر الدم

٨ - الوليد بن الوليد بن المغيرة (أخو خالد بن الوليد).

٩ - صيفي بن أبي رفاعة بن عابد.

١٠ - قيس بن السائب.

ح- ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص خمسة نفر، وهم:

١ - أبو رداة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم.

٢ - وفرة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سعد بن سهم.

- ٣ - حنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم.
 ٤ - الحجاج بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.
 ٥ - رجل، اسمه (أسلم) مولى نبيه الحجاج.
 ط - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص أحد عشر رجلا وهم:

- ١ - عبدالله بن أبي بن خلف بن وهب.
 ٢ - أبو عزة (عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب).
 ٣ - الفاكهة (مولى أمية بن خلف).
 ٤ - وهب بن عمير.
 ٥ - ربيعة بن دراج بن العنيس بن أهبان بن وهب.
 ٦ - عمرو بن أبي بن خلف.
 ٧ - أبو رهم بن عبدالله (حليف لهم).
 ٨ - ورجل (حليف لهم) ذهب عن ابن إسحق اسمه فلم يذكره.
 ٩ - نسطاس (مولى لأمية بن خلف).
 ١٠ - مولى آخر (لأمية بن خلف) لا يعرف اسمه.
 ١١ - أبو رافع (غلام أمية بن خلف).

ي - ومن بني عامر بن لؤي خمسة نفر، وهم:

- ١ - سهيل بن عمرو. أسره مالك بن الدخشم.
 ٢ - عبد بن زمعة بن قيس.
 ٣ - عبدالرحمن بن منشؤ بن وقدان.
 ٤ - حبيب بن جابر.
 ٥ - السائب بن مالك.

ك - ومن بني الحارث بن فهر أربعة نفر، وهم:

- ١ - الطفيل بن أبي قنيع.
- ٢ - عتبة بن عمرو بن جحدم.
- ٣ - شافع (رجل من اليمن) حليف لهم.
- ٤ - شفيع (رجل أيضًا من اليمن) حليف لهم.

* * *

أسماء البدرين
مرتبة على حروف المعجم وعلى القبائل



أسماء البدرين مرتبة على حروف المعجم وعلى القبائل

الصحابة البدريون سادات المسلمين

سرد ابن إسحاق أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أوسها وخزرجها^(١)، إلى أن قال: فجميع من شهد بدرًا من المسلمين؛ من المهاجرين والأنصار؛ من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره، ثلاث مئة رجل وأربعة عشر رجلاً؛ من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً. وقد سردهم البخاري في «صحيحه» مرتبين على حروف المعجم، بعد البداية برسول الله ﷺ ثم بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

قال البخاري: باب تسمية من سُمي من أهل بدر في «الجامع» الذي وضعه أبو عبدالله، على حروف المعجم:

النبي محمد بن عبدالله الهاشمي ﷺ. إياس بن البكير. بلال بن رباح مولى أبي بكر القرشي. حمزة بن عبدالمطلب الهاشمي. حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش. أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي. حارثة بن الربيع الأنصاري قُتِلَ يوم بدر وهو حارثة بن سراقه كان في النظارة. خبيب بن عدي الأنصاري. خنيس بن حذافة السهمي. رفاعه بن رافع الأنصاري. رفاعه بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصاري. الزبير ابن العوام القرشي. زيد بن سهل أبو طلحة الأنصاري. أبو زيد الأنصاري. سعد ابن مالك الزهري. سعد بن خولة القرشي. سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي. سهل بن حنيف الأنصاري. ظهير بن رافع الأنصاري وأخوه. عبدالله بن عثمان أبو بكر الصديق القرشي. عبدالله بن مسعود الهذلي. عتبة بن مسعود الهذلي. عبدالرحمن بن عوف الزهري. عبيدة بن الحارث القرشي. عبادة بن الصامت

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١ / ٦٧٧ - ٧٠٦.

الأنصاري. عمر بن الخطاب العدوي. عثمان بن عفان القرشي خلفه النبي ﷺ على ابنته وضرب له بسهمه. علي بن أبي طالب الهاشمي. عمرو بن عوف حليف بني عامر بن لؤي. عقبة بن عمرو الأنصاري. عامر بن ربيعة العنزي. عاصم بن ثابت الأنصاري، عويم بن ساعدة الأنصاري. عتبان بن مالك الأنصاري. قدامة ابن مظعون. قتادة بن النعمان الأنصاري. معاذ بن عمرو بن الجموح. معوذ بن عفراء وأخوه. مالك بن ربيعة أبو أسيد الأنصاري. مرارة بن الربيع الأنصاري. معن ابن عدي الأنصاري. مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف. مقداد بن عمرو الكندي حليف بني زهرة. هلال بن أمية الأنصاري - رضي الله عنهم -^(١).

وقد بينَّ ابن حجر أنَّ المراد بالجامع هذا الكتاب، والمراد بمن سُمِّي من جاء ذكره فيه برواية عنه أو عن غيره بأنَّه شهداها لا بمجرد ذكره دون التنصيص على أنه شهداها، وبهذا اقتصر على ما وقع عنده منهم. واستوعبهم الحافظ ضياء الدين المقدسي في «كتاب الأحكام»^(٢) وبينَّ اختلاف أهل السَّير في بعضهم وهو اختلاف غير فاحش. وأورد ابن سيّد الناس أسمائهم في «عيون الأثر»^(٣)، لكن على القبائل كما صنع ابن إسحاق وغيره.

قال ابن كثير^(٤): «وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مُرتبين على حروف المعجم، وذلك من كتاب «الأحكام الكبير» للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، وغيره، بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ.

(١) صحيح البخاري، باب تسمية من سَمِّي من أهل بدر - كتاب المغازي - فتح الباري ٧ / ٣٢٦ - ٣٢٧.
 (٢) ذكر الذهبي أنَّ الحافظ ضياء الدين المقدسي قد جمعها في جزء كبير، فذكر من أجمع عليه ومن اختلف فيه منهم بأنسابهم ورتبهم على حروف المعجم. فبلغ عددهم ثلاثمائة وبضعة وثلاثين رجلًا. ثم قال الذهبي: وأما وقت هذه الزيادة في عددهم من جهة الاختلاف في بعضهم. (المغازي: ص ١٢٢).

(٣) ابن سيّد الناس، عيون الأثر: ١ / ٢٢٦ - ٣٤٠.

(٤) البداية والنهاية (٥ / ٢١٣ - ٢٤٩) - دار عالم الكتب.

حرف الألف

- أُبَيُّ بْنُ كَعْبِ النَّجَّارِيِّ سِيدُ الْقُرَاءِ.
- الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَأَبُو الْأَرْقَمِ عَبْدُ مَنَافِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومِ الْمَخْزُومِيِّ.
- أَسْعَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْفَاكِهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ خَلْدَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ الْعَجْلَانِ.
- أَسْوَدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ غَنَمٍ، كَذَا قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ^(١)، وَقَالَ الْأَمْوِيُّ: سَوَادُ بْنُ رِزَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَدِيِّ، شَكَّ فِيهِ، وَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ^(٢): سَوَادُ بْنُ زُرَيْقِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَقَالَ ابْنُ عَائِدٍ: سَوَادُ بْنُ زَيْدِ^(٣).
- أَسَيْزُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ أَبُو سَلِيطٍ، وَقِيلَ: أَسَيْزُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ سَالِمِ بْنِ ثَابِتِ الْخَزْرَجِيِّ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ.
- أَنَسُ بْنُ قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَوْسِيِّ، كَذَا سَمَاهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ^(٤)، وَسَمَاهُ الْأَمْوِيُّ فِي «السِّيَرَةِ» أَنْثَسًا، قُلْتُ: وَأَنَسُ بْنُ مَالِكِ خَادِمُ النَّبِيِّ ﷺ، لِمَا رَوَى عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ التَّمِيمِيُّ^(٥)، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: قِيلَ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَشْهَدْتَ بَدْرًا؟ قَالَ: وَأَيْنَ أُغِيبُ عَنْ بَدْرِ لَا أُمَّ لَكَ؟!، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ^(٦): أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، ثنا أَبِي، عَنْ مَوْلَى لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ

(١) يعني تسمية «أسود بن زيد» فقط. وقد ذكر هذا القول معزوًا لابن عقبة، ابن الأثير في أسد الغابة ١/ ١٠٣، وابن حجر في الإصابة ١/ ٧٣، ٧٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٨، من رواية زياد البكائي عن ابن إسحاق.

(٣) ذكره بهذه التسمية ابن حجر في الإصابة ١/ ٧٤ ولم يعزها لأحد.

(٤) انظر أسد الغابة ١/ ١٥٠.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١، من طريق عمر بن شبة به.

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١، من طريق محمد بن سعد به.

لأنس: شَهِدْتَ بَدْرًا؟ قَالَ: لَا أُمَّ لَكَ، وَأَيْنَ أُغِيْبُ عَنْ بَدْرِ! قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: خَرَجَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرِ، وَهُوَ غَلَامٌ يَخْدُمُهُ، قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزِينِيُّ فِي «تَهْذِيهِ»^(١): هَكَذَا قَالَ الْأَنْصَارِيُّ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ الْمَغَازِي.

- أَنْسُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ أَنْسٍ^(٢) بْنِ قَيْسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ ابْنِ النَّجَّارِ.
- أَنْسَةُ الْحَبَشِيَّةُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَالِمِ بْنِ غَنَمِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِيِّ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ خَوْلِيٍّ^(٣).
- أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ الْخَزْرَجِيُّ أَخُو عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ.
- إِيَّاسُ بْنُ الْبُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ نَاشِبِ بْنِ غَيْرَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ.

حرف الباء

- بُجَيْرُ بْنُ أَبِي بُجَيْرٍ حَلِيفُ بَنِي النَّجَّارِ.
- بَحَاثُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَزْمَةَ بْنِ أَضْرَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمَّارَةَ الْبَلَوِيِّ حَلِيفُ الْأَنْصَارِ.
- بَسْبَسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَرَشَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ^(٤) بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ رَشْدَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ الْجُهَيْنِيِّ حَلِيفُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَهُوَ أَحَدُ

(١) تهذيب الكمال ٣ / ٣٦٨.

(٢) في الأصل: «معاذ». وانظر أسد الغابة ١ / ١٥٤، والإصابة ١ / ١٣٢.

(٣) ذكر هذا القول ابن عبد البر في الاستيعاب ١ / ١١٧، وابن حجر في الإصابة ١ / ١٥٢. ولم يعزواه لأحد.

(٤) كذا في النسخ، ولعله كذلك في كتاب «الأحكام الكبير» للمقدسي، كما أشار المصنف أنه نقله من

هناك. والذي في الاستيعاب ١ / ١٩٠، وجمهرة الأنساب ص ٤٤٤، وأسد الغابة ١ / ٢١٣ والإصابة

العَيْنَيْن^(١) هو وعدي بن أبي الرُّعْبَاءِ.

- بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورِ الْخَزْرَجِيِّ الَّذِي مَاتَ بِخَيْرٍ مِنَ الشَّاقَةِ الْمَسْمُومَةِ.
- بِشِيرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْخَزْرَجِيِّ وَالِدُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَاعَ الصُّدُوقَ.
- بِشِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَبُو لُبَابَةَ الْأَوْسِيِّ، رَدَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، مِنْ الرُّوحَاءِ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ.

حرف التاء

- تَمِيمُ بْنُ يَعَارِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ جُدَارَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزْرَجِ.
- تَمِيمٌ مَوْلَى خِرَاشِ بْنِ الصُّمَّةِ.
- تَمِيمٌ مَوْلَى بَنِي غَنَمِ بْنِ السُّلَمِ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ^(٢): هُوَ مَوْلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ.

حرف الثاء

- ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْعَجْلَانِ.
- ثَابِتُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَيُقَالُ لثَعْلَبَةَ هَذَا: الْجِدْعُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حِرَامِ بْنِ كَعْبِ بْنِ غَنَمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ.
- ثَابِتُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الثُّعْمَانِ بْنِ حَنْسَاءَ بْنِ عُسَيْرَةَ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ النَّجَّارِيِّ.

(١) يعني أنه كان هو وعدي عيني يتربقان موعد نزول غير أبي سفيان بيليه قبيل الغزوة.

(٢) سيرة ابن هشام: ١ / ٦٩٠.

(٣) أسد الغابة: ١ / ٢٦٦، والإصابة ١ / ٣٨٥.

- ثابتُ بنُ خُنْساءَ بنِ عمرو بنِ مالكِ بنِ عَدِيٍّ بنِ عامرِ بنِ غَنَمِ بنِ عَدِيٍّ النَجَّارِ النَجَّارِيِّ.
- ثابتُ بنُ عمرو بنِ زيدِ بنِ عَدِيٍّ بنِ سَوادِ بنِ مالكِ بنِ غَنَمِ بنِ مالكِ^(١) بنِ النَجَّارِ النَجَّارِيِّ.
- ثابتُ بنُ هَزَّالِ الخَزْرَجِيِّ.
- ثَعْلَبَةُ بنُ حَاطِبِ بنِ عمرو بنِ عُبيدِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ الأوسِ.
- ثَعْلَبَةُ بنُ عمرو بنِ عُبيدِ بنِ مالكِ النَجَّارِيِّ.
- ثَعْلَبَةُ بنُ عمرو بنِ مِخْصَنِ الخَزْرَجِيِّ.
- ثَعْلَبَةُ بنُ عَنَمَةَ بنِ عَدِيٍّ بنِ نَابي السَّلْمِيِّ.
- ثَقْفُ بنُ عمرو، مِن بني حَجْرِ آلِ بني سُلَيْمٍ، وهو مِن حُلَفَاءِ بني كثيرِ بنِ غَنَمِ بنِ دُودَانَ بنِ أسَدِ.

حرف الجيم

- جابرُ بنُ خالدِ بنِ مسعودِ بنِ عبدِ الأشْهَلِ بنِ حارِثَةَ بنِ دينارِ بنِ النَّجَّارِ النَّجَّارِيِّ.
- جابرُ بنُ عبدِاللهِ بنِ رِثَابِ بنِ الثُّعْمَانِ بنِ سِنَانِ بنِ عُبيدِ بنِ عَدِيٍّ بنِ غَنَمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِيمَةَ السَّلْمِيِّ، أحدُ الذين شَهِدُوا العَقَبَةَ.
- قلتُ: فأما جابرُ بنُ عبدِاللهِ بنِ عمرو بنِ حرامِ السَّلْمِيِّ أيضًا، فذَكَرَهُ البُخَارِيُّ فيهِم في مُسْنَدِ^(٢)، عن سَعِيدِ بنِ منصورٍ، عن أبي معاويةَ، عن

(١) الاستيعاب: ١ / ١٩٨، والإصابة ١ / ٣٩٤.

(٢) لعله في كتابه المصنّف في أسماء الصحابة. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١ / ٨٩ قائلاً: ذكره - أي كتاب البخاري - أبو القاسم ابن منده، وأنه يرويه من طريق ابن فارس عنه. أي عن =

الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: كنتُ أُميخ^(١) لأصحابي الماء يوم بدر. وهذا الإسناد على شرط مسلم، لكن قال محمد بن سعيد^(٢): ذكروا لمحمد بن عمر - يعني الواقدي - هذا الحديث، فقال: هذا وهم من أهل العراق. وأنكر أن يكون جابر شهد بدرًا.

● وقال الإمام أحمد بن حنبل^(٣): حدثنا رُوخ بن عبادة، ثنا زكريا بن إسحاق، ثنا أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزوتُ مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعتني أبي، فلما قُتل أبي يوم أُحد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة. ورواه مسلم^(٤)، عن أبي خيثمة عن رُوخ.

● جَبَّارُ بْنُ صَخْرِ السَّلْمِيِّ.

● جَبْرِ^(٥) بْنُ عَتِيكِ الْأَنْصَارِيِّ.

● جُبَيْرُ^(٦) بْنُ إِيَّاسِ الْخَزْرَجِيِّ.

البخاري. وقد أورد ترجمة جابر البخاري في التاريخ الكبير ٢ / ٢٠٧، وأخرج الأثر فيه، عن مسدد عن أبي عوانة عن الأعمش به. وقد صحح إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة ١ / ٤٣٤. وأما من طريق سعيد بن منصور به، فقد أخرجه أبو داود في سننه (٢٧٣١). صحيح (صحيح سنن أبي داود ٢٣٧١).

(١) في م: «أمتح». ولفظ البخاري في التاريخ: «أمنح». والمثبت موافق لما في أبي داود، وإحدى نسخ التاريخ الكبير المخطوطة. انظر التاريخ ٢ / ٢٠٧ حاشية (١). والميخ: أن يدخل البئر فيملاً الماء، وذلك إذا قل ماؤها. اللسان (م ي ح).

(٢) انظر تاريخ دمشق ١١ / ٢١٧.

(٣) المسند ٣ / ٣٢٩.

(٤) مسلم (١٨١٣).

(٥) أسد الغابة ١ / ٣١٧، والإصابة ١ / ٤٥٢.

(٦) أسد الغابة ١ / ٣٢٢، والإصابة ١ / ٤٦٠.

حرف الحاء

- الحارث بن أنس بن رافع الخرجي.
- الحارث بن أوس بن معاذ، ابن أخي سعد بن معاذ الأوسي.
- الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس^(١)، رده عليه الصلاة والسلام، من الطريق، وضرب له بسهمه وأجره.
- الحارث بن خزامة بن عدي بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخرج، حليف لبني زعورا بن عبد الأشهل.
- الحارث بن الصمة الخرجي، رده، عليه الصلاة والسلام، لأنه كسير من الطريق، وضرب له بسهمه وأجره.
- الحارث بن عوفجة الأوسي.
- الحارث بن قيس بن خالد^(٢) أبو خالد الخرجي.
- الحارث بن الثعمان بن أمية الأنصاري.
- حارثة بن شراقة التجاري، أصابه سهم غزب وهو في النظارة، فرفع إلى الفردوس.
- حارثة بن الثعمان بن رافع الأنصاري.
- حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعي، من بني دهمان، هكذا ذكره ابن هشام^(٣) عن غير ابن إسحاق، وقال الواقدي^(٤): حاطب بن عمرو بن

(١) الحارث بن حاطب هو أخو ثعلبة بن حاطب.

(٢) أسد الغابة ١ / ٤١١، ٦ / ٨١، والإصابة ١ / ٥٩٣ وسيرة ابن هشام: ١ / ٧٠٠.

(٣) سيرة ابن هشام: ١ / ٦٨٨، وليس عنده: «الأشجعي من بني دهمان».

(٤) انظر مغازي الواقدي ١ / ١٥٦.

عبد شمس بن عبد ود، وكذا ذكره ابن عائذ في «مغازيه»، وقال ابن أبي حاتم^(١): حاطب بن عمرو بن عبد شمس، سمعته من أبي، وقال: هو رجل مجهول.

- الحباب بن المنذر الخزرجي، ويُقال: كان لواء الخزرج معه يومئذ.
- حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة، وقال موسى بن عقبة^(٢): حبيب بن سيد، بدل «أسود»، وقال ابن أبي حاتم^(٣): حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج، أنصاري بدري.
- حزنث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء^(٤).

- الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.
- حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ.

حرف الخاء

- خالد بن البكير أخو إياس المتقدم.
- خالد بن زيد أبو أيوب التجاري.
- خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري.
- خارجة بن الحمير، حليف بني خنساء من الخزرج، وقيل: اسمه حمزة بن الحمير، وسماه ابن عائذ: أبا خارجة^(٥)، فالله أعلم.

(١) الجرح والتعديل ٣ / ٣٠٣.

(٢) انظر الاستيعاب ١ / ٣١٩.

(٣) الجرح والتعديل ٣ / ٩٦.

(٤) أي الأذان.

(٥) انظر المشتبه ١ / ٢٥١. وتبصير المتنبه ١ / ٤٥٦.

- خارجةُ بنُ زيدِ الخزرجيِّ صهْرُ الصّديقيِّ.
- خَبَابُ بنُ الأَرْتِ، حليفُ بني زُهْرَةَ، وهو من المهاجرين الأوّلين، وأصله من بني تَمِيمٍ، ويُقالُ^(١): من خُزاعةَ.
- خَبَابُ مَوْلَى عُبَيْبَةَ بنِ عَزْوَانَ، من المهاجرين الأوّلين.
- خِرَاشُ بنُ الصّمّةِ السّلميّ.
- خُبَيْبُ بنُ إسافِ بنِ عِنْبَةَ^(٢)، الخزرجيِّ.
- خُرَيْمُ بنُ فاتِكِ، ذَكَرَهُ البخاريُّ^(٣) فيهم.
- خَلِيفَةُ بنُ عَدِيٍّ الخزرجيِّ.
- خُلَيْدُ بنُ قيسِ بنِ الثّعمانِ بنِ سِنانِ^(٤) بنِ عُبَيْدِ الأنصاريِّ السّلميّ.
- خُنَيْسُ بنُ حُذافَةَ بنِ قيسِ بنِ عَدِيٍّ بنِ سعدِ بنِ سَهْمِ بنِ عمرو بنِ هُصَيْنِصِ ابنِ كعبِ بنِ لُؤَيِّ السّهْميّ، قُتِلَ يومئذٍ فتَأَيَّمَتْ منه حَفْصَةُ بنتُ عمرِ بنِ الخطابِ.
- خَوَاتُ بنُ جُبَيْرِ الأنصاريِّ، ضُربَ له بسَهْمِهِ وأجرِه، ولم يَشْهَدْها بنفسِه.
- خَوْلِيُّ بنُ أَبِي خَوْلِيٍّ العِجْلِيِّ حليفُ بني عَدِيٍّ، من المهاجرين الأوّلين.
- خَلَادُ ابنُ رافعِ.
- وخَلَادُ بنُ سُوَيْدِ.
- وخَلَادُ بنُ عمرو بنِ الجَمُوحِ الخَزَرْجِيّون.

(١) انظر أسد الغابة ٢ / ١١٥.

(٢) انظر أسد الغابة ٢ / ١١٨، والإصابة ٢ / ٢٦١.

(٣) في التاريخ الكبير ٣ / ٢٢٤.

(٤) ٢ / ١٤٥، والإصابة ٢ / ٣٤٣.

حرف الذال

- ذكوان بن عبد قيس الخزرجي، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة ابن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خزاعة، حليف لبني زهرة، قُتل يومئذ شهيداً، قال ابن هشام: واسمه عمير، وإنما قيل له: ذو الشمالين؛ لأنه كان أعسر.

حرف الراء

- رافع بن الحارث الأوسي.
- رافع بن عنجدة، قال ابن هشام: هي أمه.
- رافع بن المعلّى بن لؤذان الخزرجي، قُتل يومئذ.
- ربعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة، وقال موسى بن عقبة: ربعي بن أبي رافع.
- ربيع بن إياس الخزرجي.
- ربيعة بن أكتّم بن سخبرة بن عمرو بن لكثير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه، حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف، وهو من المهاجرين الأولين.
- رَحِيلَة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي.
- رِفاعَة بن رافع الرزقي، أخو خلاد بن رافع.
- رِفاعَة بن عبد المنذر بن زئير الأوسي أخو أبي لبابة .
- رِفاعَة بن عمرو بن زيد الخزرجي.

حرف الزاي

- الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه.
- زياد بن عمرو، وقال موسى بن عُقبة: زياد بن الأخرس بن عمرو الجهني، وقال الواقدي: زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعه ابن كليب بن مؤدوعة بن عدي بن عمرو بن الربعة بن رشان بن قيس ابن جُهينة.
- زياد بن لبيد الزرقعي.
- زياد بن المزين بن قيس الخزرجي.
- زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن عجلان بن ضبيعة.
- زيد بن حارثة بن شراحيل^(١) مولى رسول الله ﷺ، رضي الله عنه.
- زيد بن الخطاب بن نفيل، أخو عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما.
- زيد بن سهل بن الأسود بن حرام التجاري أبو طلحة، رضي الله عنه.

حرف السين

- سالم بن عمير الأوسي.
- سالم بن عوف الخزرجي.
- سالم بن معقل مولى أبي حذيفة.

(١) قال أبو عمر في الاستيعاب (٢/ ٥٤٣): «وكان ابن إسحاق يقول: زيد بن حارثة بن شراحيل، ولم يتابع على قوله «شراحيل» وإنما هو: شراحيل. والذي عنى أبو عمر هو ابن هشام حيث صححه. سيرة ابن هشام ١/ ٦٧٨، وانظر أسد الغابة ٢/ ٢٨١، والإصابة ٢/ ٥٩٨.

- السائبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعُونِ الجَمَحِيِّ، شَهِدَ^(١) مع أبيه.
- سُبَيْعُ بنُ قيسِ بنِ عَيْشَةَ الخَزْرَجِيِّ.
- سَبْرَةُ بنُ فاتِكِ، ذَكَرَهُ البَخَارِيُّ.
- سُراقَةُ بنُ عَمْرٍو النَّجَّارِيِّ.
- سُراقَةُ بنُ كَعْبِ النَّجَّارِيِّ أَيضًا.
- سَعْدُ بنُ حَوَلَةَ مَوْلَى بني عامرِ بنِ لُؤَيٍّ، مِن المَهاجِرِينَ الأوَّلِينَ.
- سَعْدُ بنُ خَيْثَمَةَ الأَوْسِيِّ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيدًا.
- سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ الخَزْرَجِيِّ الَّذِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا.
- سَعْدُ بنُ زَيْدِ بنِ مالِكِ الأَوْسِيِّ.
- سَعْدُ بنُ زَيْدِ بنِ الفَاكِهَةِ الخَزْرَجِيِّ.
- سَعْدُ بنُ سَهَيْلِ بنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ النَّجَّارِيِّ.
- سَعْدُ بنُ عُبَيْدِ الأَنْصارِيِّ.
- سَعْدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ خَلْدَةَ الخَزْرَجِيِّ أَبُو عُبَادَةَ، وَقَالَ ابنُ عَائِدٍ: أَبُو عُبَيْدَةَ.
- سَعْدُ بنُ مُعَاذِ الأَوْسِيِّ، كَانَ لَوَاءً الأَوْسِ مَعَهُ.
- سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ بنِ دُؤَيْمِ الخَزْرَجِيِّ، ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ؛ مِنْهُمُ عُزْوَةُ، وَالبُخَارِيُّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالبَطْرَانِيُّ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَوَقَعَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ حِينَ شَاوَرَ النَّبِيَّ ﷺ فِي مُلْتَقَى النَّفِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ: كَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَدِيثُ... وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، وَالمَشْهُورُ أَنَّ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ رَدَّهُ مِنَ الطَّرِيقِ، قِيلَ: لِاسْتِنَابَتِهِ عَلَى

(١) يعني: شهد بدرًا.

(٢) مسلم (١٧٧٩).

المدينة، وقيل: لدَعَثَهُ حَيَّةٌ، فلم يَتَمَكَّنْ مِنَ الخُرُوجِ إِلَى بدرِ حكاةِ الشَّهَيْلِيِّ
عن ابنِ قُتَيْبَةَ. فالله أعلم.

- سعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ مالِكِ بنِ أَهْيَبِ الزُّهْرِيِّ، أحدُ العَشْرَةِ.
- سعدُ بنُ مالِكِ أبو سهلٍ، قال الواقدي: تَجَهَّزَ ليُخْرَجَ، فَمَرِضَ فمات قبل الخروج.
- سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرو بنِ نُفَيْلِ العَدَوِيِّ، ابنُ عمِّ عمرَ بنِ الخطابِ، يُقالُ: قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بعدَ مَرَجِعِهِمِ مِنَ بدرٍ، فَضَرَبَ لَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ.
- سفيانُ بنُ بِشْرِ^(١) بنِ عمرو الخزرجي.
- سلمةُ بنُ أسلمَ بنِ حَرِيشِ الأوسِي.
- سلمةُ بنُ ثابتِ بنِ وَقْشِ بنِ زُعْبَةَ.
- سلمةُ بنُ سلامةَ بنِ وَقْشِ بنِ زُعْبَةَ.
- سليمانُ بنُ الحارِثِ النَّجَارِيِّ.
- سليمانُ بنُ عمرو السَّلَمِيِّ.
- سليمانُ بنُ قيسِ بنِ قَهْدِ الخزرجي.
- سليمانُ بنُ مِلْحَانَ، أخو حرامِ بنِ مِلْحَانَ النَّجَارِيِّ.
- سيماكُ بنُ أوسِ بنِ حَرَشَةَ، أبو دُجانَةَ، ويُقالُ: سيماكُ بنُ حَرَشَةَ.
- سيماكُ بنُ سعدِ بنِ ثَعْلَبَةَ الخزرجي، وهو أخو بَشِيرِ بنِ سعدِ المُتَقَدِّمِ.
- سهلُ بنُ حَنِيفِ الأوسِي.

(١) وفيه اختلاف كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر والأكثر على أنه «نسر». انظر أسد الغابة ٢ / ٤٠٨، ٤٠٩، والإصابة ٣ / ١٣٠.

- سهلُ بنُ عَتِيكِ النَجَارِيِّ.
- سهلُ بنُ قيسِ السَّلْمِيِّ.
- سُهَيْلُ بنُ رافعِ النَجَارِيِّ، الذي كان له ولأخيه موضعُ المسجدِ النبويِّ كما تقدَّم.
- سُهَيْلُ بنُ وَهْبِ الفِهْرِيِّ، وهو ابنُ بَيْضَاءَ، وهي أمُّه.
- سِنَانُ بنُ أبي سنانِ بنِ مِخْصَنِ بنِ حُرْثَانَ، مِنَ المهاجرين، حليفُ بني عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنَافِ.
- سِنَانُ بنُ صَيْفِيٍّ السَّلْمِيِّ.
- سِوَادُ بنُ زُرَيْقِ بنِ زيدِ الأنصاريِّ، وقال الأُمويُّ: سِوَادُ بنُ رِزَامِ.
- سِوَادُ بنُ غَزِيَّةَ بنِ أَهْيَبِ البَلَوِيِّ. سُؤَيْبُ بنُ سعدِ بنِ حَزْمَلَةَ العَبْدَرِيِّ.
- سُؤَيْدُ بنُ مَخْشِيٍّ أبو مَخْشِيٍّ الطَّائِيِّ، حليفُ بني عبدِ شمسِ، وقيل: اسمُه أَرْبَدُ بنُ حُمَيْرِ.

حرفُ الشَّيْنِ

- شُجَاعُ بنُ وَهْبِ بنِ ربيعةِ الأَسَدِيِّ، أَسَدُ حُزَيْمَةَ، حليفُ بني عبدِ شمسِ، مِنَ المهاجرين الأوَّلِينَ.
- شَمَّاسُ بنُ عثمانِ المخزوميِّ، قال ابنُ هشامٍ: واسمُه عثمانُ بنُ عثمانَ، وإِنَّمَا سُمِّيَ شَمَّاسًا، لِحُسْنِهِ وشَبَهِهِ شَمَّاسًا كان في الجاهليَّةِ.
- شُقْرَانُ مَوْلَى رسولِ اللهِ ﷺ، قال الواقديُّ: لم يُسَهَّمْ له، وكان على الأَسْرَى، فأعطاه كلُّ رجلٍ مِمَّنْ له في الأَسْرَى شيئًا، فَحَصَلَ له أَكْثَرُ مِن سَهْمِ.

حرف الصَّادِ

- صُهَيْبُ بْنُ سِنَانِ الرَّومِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.
- صَفْوَانُ بْنُ وَهَبِ بْنِ رَبِيعَةَ الْفِهْرِيِّ، أَخُو سُهَيْلِ بْنِ بَيْضَاءَ، قُتِلَ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ.
- صَخْرُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ حَنْسَاءَ السَّلْمِيِّ.

حرف الضَّادِ

- ضَحَّاكُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ السَّلْمِيِّ.
- ضَحَّاكُ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو النَّجَّارِيِّ.
- ضَمْرَةُ بْنُ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: ضَمْرَةُ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو حَلِيفُ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ أَخُو زِيَادِ بْنِ عَمْرِو.

حرف الطَّاءِ

- طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ، قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بَعْدَ مَرْجِعِهِمْ مِنْ بَدْرِ، فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ.
- طُفَيْلُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَهُوَ أَخُو حُصَيْنٍ وَعُبَيْدَةَ.
- طُفَيْلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَنْسَاءَ السَّلْمِيِّ.
- طُفَيْلُ بْنُ الثُّعْمَانِ بْنِ حَنْسَاءَ السَّلْمِيِّ، ابْنُ عَمِّ الَّذِي قَبْلَهُ.
- طَلَيْبُ بْنُ غَمَيْرِ بْنِ وَهَبِ أَبِي كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ بْنِ قُصَيْيٍّ، ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ.

حرف الظاء

- ظَهَيْرُ بْنُ رَافِعِ الْأَوْسِيِّ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

حرف العين

- عاصمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلاحِ الْأَنْصارِيِّ، الَّذِي حَمَمَهُ الدَّبْرُ حِينَ قُتِلَ بِالرَّجِيعِ.
- عاصمُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْجَدِّ بْنِ عَجْلانَ، رَدَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرُّوحَاءِ، وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ.
- عاصمُ بْنُ قَيْسِ بْنِ ثَابِتِ الْخَزْرَجِيِّ.
- عاقلُ بْنُ الْبَكَيْرِ، أَخُو إِيَّاسِ وَخَالِدِ وَعَامِرِ.
- عامرُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَشْحَاسِ النَّجْرِيِّ.
- عامرُ بْنُ الْحارِثِ الْفَهْرِيِّ، كَذَا ذَكَرَهُ سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحاقَ، وَابْنُ عَائِدٍ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ وَزِيَادُ، عَنْ ابْنِ إِسْحاقَ: عَمْرُو بْنُ الْحارِثِ^(٢).
- عامرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مالِكِ الْقَنْزِيِّ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.
- عامرُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ عامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَوِيِّ الْقُضَاعِيِّ، حَلِيفُ بَنِي مالِكِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَنَمٍ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ.
- عامرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ بْنِ هلالِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ صَبِيَّةَ بْنِ الْحارِثِ بْنِ فِهْرِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.

(١) ذكر البخاري في «صحيحه» (٤٠١٢، ٤٠١٣) أنه شهد بدرًا.

(٢) سيتكرر باسم: عمرو بن الحارث بن زهير، وعمرو بن عامر بن الحارث.

- عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ.
- عامرُ بنُ مُحَمَّدِ النَّجَّارِيِّ.
- عائذُ بنُ مَاعِصِ بْنِ قَيْسِ الْخَزْرَجِيِّ.
- عَبَّادُ بنُ بِشْرِ بْنِ وَقْشِ الْأَوْسِيِّ.
- عبَّادُ بنُ قَيْسِ بْنِ عَامِرِ الْخَزْرَجِيِّ.
- عبَّادُ بنُ قَيْسِ بْنِ عَيْشَةَ الْخَزْرَجِيِّ، أَخُو سُبَيْعِ الْمُتَقَدِّمِ.
- عَبَادَةُ بنُ الْحَشْحَاشِ الْقُضَاعِيِّ.
- عَبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ الْخَزْرَجِيِّ.
- عَبَادَةُ بنُ قَيْسِ بْنِ كَعْبِ بْنِ قَيْسِ.
- عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُمَيَّةَ بْنِ عُرْفُطَةَ.
- عَبْدُ اللَّهِ بنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَزَمَةَ، أَخُو بَحَاثِ الْمُتَقَدِّمِ.
- عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ بْنِ رِثَابِ الْأَسَدِيِّ.
- عَبْدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَوْسِيِّ.
- عَبْدُ اللَّهِ بنُ الْجَدِّ بْنِ قَيْسِ السَّلْمِيِّ.
- عَبْدُ اللَّهِ بنُ حَقِّ بْنِ أَوْسِ السَّاعِدِيِّ.
- وقال موسى بنُ عَقْبَةَ، والواقديُّ، وابنُ عَائِذٍ: عَبْدُ رَبِّ بنُ حَقِّ، وقال ابنُ هِشَامٍ^(١): عَبْدُ رَبِّهِ بنُ حَقِّ.
- عَبْدُ اللَّهِ بنُ الْحُمَيْرِ، حَلِيفُ لَبْنَى حَرَامٍ، وَهُوَ أَخُو خَارِجَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ مِنْ أَشْجَعٍ.

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٦٩٦، وهو قول ابن إسحاق، وإنما سكت عليه ابن هشام ولم يذكر قولاً آخر بعده.

- عبدالله بن الربيع بن قيس الخزرجي.
- عبدالله بن رواحة الخزرجي.
- عبدالله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة^(١) الخزرجي، الذي أرى النداء.
- عبدالله بن شراقة العدوي، لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ، وذكره ابن إسحاق وغيره^(٢).
- عبدالله بن سلمة بن مالك العجلاني، حليف الأنصار.
- عبدالله بن سهل بن رافع، أخو بني زعورا.
- عبدالله بن شهيل بن عمرو، خرج مع أبيه والمشركون، ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدا معهم.
- عبدالله بن طارق بن مالك القضاعي، حليف الأوس.
- عبدالله بن عامر، من بلي، ذكره ابن إسحاق.
- عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي، وكان أبوه رأس المنافقين.
- عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، أبو سلمة، زوج أم سلمة، قتل يومئذ^(٣).
- عبدالله بن عبد مناف بن الثعمان السلمي.
- عبدالله بن عبيس.
- عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن

(١) المعروف إسقاط ثعلبة انظر الإصابة ٩٧ / ٤.

(٢) انظر الإصابة ١٠٥ / ٤ فقد أثار الحافظ ابن حجر إلى أن ابن إسحاق والزيير وخليفة اتفقوا على شهوده بدرًا وقال عقب ذلك: واختلف على موسى بن عقبة في شهوده بدرًا.

(٣) والصواب أنه شهد أحدًا، وأن وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة أربع بعد انتفاض جرح أصابه بأحد. وهو قول الجمهور - كما نقله ابن حجر في الإصابة ١٥٤ / ٤.

- كعب، أبو بكرِ الصُّدِّيقِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ عُرْفُطَةَ بْنِ عَدِيِّ الْخَزْرَجِيِّ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامِ السَّلْمِيِّ، أَبُو جَابِرٍ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَدِيِّ الْخَزْرَجِيِّ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ النَّجَارِيِّ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ صَخْرِ بْنِ حَرَامِ السَّلْمِيِّ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَبْدُولِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَنَمِ بْنِ مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عَدِيِّ بْنِ أَبِي الرَّغْبَاءِ عَلَى الثَّقَلِ يَوْمَ بَدْرٍ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودِ الْهُذَلِيِّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ مَظْعُونِ الْجُمَحِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بُلْدَمَةَ السَّلْمِيِّ.
- عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنْيَسَةَ بْنِ الثُّعْمَانِ السَّلْمِيِّ.
- عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ بْنِ عَمْرٍو، أَبُو عَبَسِ الْخَزْرَجِيِّ.
- عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، أَبُو عَقِيلِ الْقُضَاعِيِّ الْبَلَوِيِّ.
- عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ الزُّهْرِيِّ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.
- عَبْسُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَدِيِّ السَّلْمِيِّ.
- عُبَيْدُ بْنُ التَّيْهَانِ، أَخُو أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ، وَيُقَالُ (١): «عَتِيكَ» بَدَلُ «عُبَيْدٍ».

(١) هو قول موسى بن عقبة، وأبي معشر، وعبدالله بن محمد بن عمارة، ووافقهم الكلبي. انظر أسد

- عُبيدُ بنُ ثعلبةَ من بني عَنَمِ بنِ مالكِ.
- عُبيدُ بنُ زيدِ بنِ عامرِ بنِ العجلانِ بنِ عمرو بنِ عامرِ.
- عُبيدُ بنُ أبي عُبيدِ.
- عُبيدةُ بنُ الحارثِ بنِ المطلبِ بنِ عبدِ منافِ، أخو الحُصَيْنِ والطُّفَيْلِ، وكان أحدَ الثلاثةِ الذين بارزوا يومَ بدرٍ، ففُطِعتْ يدهُ، ثم مات بعدَ المعركةِ ﷺ.
- عَثبانُ بنُ مالكِ بنِ عمرو الخزرجيِّ.
- عَثْبَةُ بنُ ربيعةَ بنِ خالدِ بنِ معاويةَ البَهرانيِّ، حليفُ بني أُمَيَّةَ بنِ لُؤذَانَ.
- عَثْبَةُ بنُ عبدِاللهِ بنِ صَخْرِ السَّلْمِيِّ.
- عَثْبَةُ بنُ غَزْوَانَ بنِ جابرٍ، من المهاجرينِ الأوّلينِ.
- عثمانُ بنُ عفانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافِ الأمويِّ، أميرُ المؤمنينِ، أحدُ الخلفاءِ الأربعةِ وأحدُ العشرةِ، تَخَلَّفَ على زوجتهِ رُوَيْبَةَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ يُمَرِّضُها حتى ماتتْ، فَضَرَبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ.
- عثمانُ بنُ مَظْعُونِ الجُمَحِيِّ أبو السائبِ، أخو عبدِاللهِ وقُدّامةُ، من المهاجرينِ الأوّلينِ.
- عَدِيُّ بنُ أبي الزُّعباءِ الجُهَنيِّ، وهو الذي أَرْسَلَهُ رسولُ اللهِ ﷺ وبَسَبَسَ بنَ عمرو بينَ يديه عَيْتًا.
- عِصْمَةُ بنُ الحُصَيْنِ بنِ وَبْرَةَ بنِ خالدِ بنِ العجلانِ.
- عِصْمَةُ، حليفُ لبني الحارثِ بنِ سَوادِ، من أشجعَ، وقيل^(١): من بني أسدِ بنِ خُزَيْمَةَ.

(١) هما عند ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ١/ ٧٠٣، ٧٠٥، وابن الأثير في الأسد ٤/ ٣٩، ٤٠ شخصان: عصىمة الأسدي، من بني أسد بن خزيمه، حليف لبني مازن بن النجار. وعصىمة الأشجعي، من أشجع، حليف لبني سواد بن مالك.

- عَطِيَّةُ بِنُ نُؤَيْرَةَ بِنِ عَامِرِ بْنِ عَطِيَّةِ الْخَزْرَجِيِّ.
- عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِي السَّلْمِيِّ.
- عُقْبَةُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ خَلْدَةَ الْخَزْرَجِيِّ، أَخُو سَعْدِ بْنِ عَثْمَانَ.
- عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو، أَبُو مَسْعُودِ الْبَدْرِيِّ، وَقَعَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(١) أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَفِيهِ نَظَرٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَغَازِي^(٢)؛ وَلِهَذَا لَمْ يَذْكَرُوهُ.
- عُقْبَةُ بْنُ وَهَبِ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ، أَسَدُ خَزَيْمَةَ، حَلِيفٌ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَهُوَ أَخُو شُجَاعِ بْنِ وَهَبٍ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.
- عُقْبَةُ بْنُ وَهَبِ بْنِ كَلْدَةَ، حَلِيفٌ بَنِي غَطَفَانَ.
- عُرْكَاشَةُ بْنُ مِخْصَنِ الْعَنْمِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَمَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ.
- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ الْهَاشِمِيِّ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَأَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَئِذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- عَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ الْعَنْسِيِّ الْمَدَجِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.
- عُمَارَةُ بْنُ حَزْمِ بْنِ زَيْدِ النَّجَارِيِّ.
- عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَأَحَدُ الشَّيْخَيْنِ الْمُقْتَدَى بِهِمَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- عَمْرُو بْنُ إِيَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، حَلِيفٌ لِبَنِي لَوْذَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَالِمٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَخُو رَبِيعِ وَوَدْفَةَ^(٣).
- عَمْرُو بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَامِرٍ، أَبُو مُحْكَمٍ.

(١) البخاري: (٤٠٠٧).

(٢) انظر فتح الباري ٧ / ٣١٨، ٣١٩، وسيرة ابن هشام ١ / ٤٥٩.

(٣) وَوَدْفَةَ: دال بعدها فاء وهو ما صححه ابن الأثير في أسد الغابة ١ / ١٨٧، ٤ / ١٩٨، ٥ / ٤٤٢،

- عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر الفهري.
- عمرو بن سراقة العدوي، من المهاجرين.
- عمرو بن أبي سرح الفهري، من المهاجرين، وقال الواقدي، وابن عائذ «معمّر» بدل «عمرو».
- عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام.
- عمرو بن الجموح بن حرام الأنصاري.
- عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم، ذكره الواقدي والأموي.
- عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن عامر، أبو خارجة، ولم يذكره موسى ابن عقبة.
- عمرو بن عامر بن الحارث الفهري، ذكره موسى بن عقبة.
- عمرو بن مغيب بن الأزعر الأوسي.
- عمرو بن معاذ الأوسي، أخو سعد بن معاذ.
- عمير بن الحارث بن ثعلبة، ويقال: عمير بن الحارث بن لينة بن ثعلبة السلمى.
- عمير بن حرام بن الجموح السلمى، ذكره ابن عائذ والواقدي.
- عمير بن الحمام بن الجموح، ابن عم الذي قبله، قتل يومئذ شهيداً.
- عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن، أبو داود المازني.
- عمير بن عوف، مولى سهيل بن عمرو، وسماه الأموي وغيره^(١) عمرو بن عوف،

- وكذا وقع في «الصحيحين»^(١) في حديث بعثت أبي عبيدة إلى البحرين.
- عميرُ بنُ مالكِ بنِ أهيبِ الزُّهريِّ، أخو سعدِ بنِ أبي وقاصٍ، قُتِلَ يومئذٍ شهيدًا.
 - عنترةُ مؤلى بني سليمٍ، وقيل: إنه منهم. فالله أعلم.
 - عوفُ بنُ الحارثِ بنِ رفاعَةَ بنِ الحارثِ النجاريِّ، وهو ابنُ عَفراءَ بنتِ عبيدِ بنِ ثعلبةِ النجاريةِ، قُتِلَ يومئذٍ شهيدًا.
 - عويمُ بنُ ساعدةِ الأنصاريِّ من بني أميةَ بنِ زيدٍ.
 - عياضُ بنُ غنمِ الفهريِّ، من المهاجرين الأولين، رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعين.

حرفُ الغينِ

- عَنّامُ بنُ أوسِ الخزرجيِّ، ذَكَرَهُ الواقديُّ، وليس بمُجمَعٍ عليه.

حرفُ الفاءِ

- الفاكِهَةُ بنُ يَشْرِ بنِ الفاكِهِ الخزرجيِّ.
- فزوةُ بنُ عمرو بنِ ودَقَةَ الخزرجيِّ.

حرفُ القافِ

- قَتادةُ بنُ الثُّعمانِ الأوسيِّ.
- قُدّامةُ بنُ مَطْعُونِ الجُمحيِّ، من المهاجرين، أخو عُثمانَ وعبدِ اللهِ.
- قُطبةُ بنُ عامرِ بنِ حديدَةَ السَّلَميِّ.

(١) أي وقع هكذا عمرو بن عوف قال ابن حجر في الفتح ٦ / ٢٦٢: وكأنه كان يُقال فيه بالوجهين وقد فزق العسكري بين عمير بن عوف وعمرو والصواب الوحيدة.

- قيسُ بنُ السَّكَنِ النَّجَّارِيُّ.
- قيسُ بنُ أبي صَعَصَعَةَ عمرو بن زيد المازني، كان على الساقية يوم بدر.
- قيسُ بنُ مِحْصَنِ بنِ خالدِ الخزرجي.
- قيسُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ ثَعْلَبَةَ النَّجَّارِيِّ.

حرف الكاف

- كعبُ بنُ حِمَارٍ، ويُقالُ: جَمَّازٍ، ويُقالُ: حِمَّانٌ، وقال ابنُ هشامٍ: من غُبْشَانَ^(١)، ويُقالُ: كعبُ بنُ مالكِ بنِ ثعلبةِ بنِ جَمَّازٍ، وقال الأُمويُّ: كعبُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ حبالَةَ بنِ عَنَمِ العَسَّانِيِّ، من حُلَفَاءِ بني الخزرجِ بنِ ساعدةَ.
- كعبُ بنُ زيدِ بنِ قيسِ النَّجَّارِيِّ.
- كعبُ بنُ عمرو، أبو اليَسْرِ السَّلَمِيِّ.
- كُلفَةُ بنُ ثَعْلَبَةَ^(٢)، أحدُ البكَّائين، ذكره موسى بنُ عُقْبَةَ.

(١) الصواب: من «بن غسان»؛ حيث نقل ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٣٢) قول ابن هشام وقال: «من بني غسان»، وكذا نسبه في أسد الغابة ٤/ ٤٧٣، وفي الإصابة ٥/ ٥٩١ إلى بني غسان.

(٢) ذكره الحافظ في الإصابة ٥/ ٦٦٧، ٦٦٨ وقال: استدركه ابن فتحون وقال: ذكره موسى بن عقبة، عن ابن شهاب فيمن شهد بدرًا. قلت - أي الحافظ -: وهو خطأ نشأ عن تغيير، وكلفة إنما هو جد بعض من شهد بدرًا، والذي في كتاب موسى بن عقبة هكذا: وسالم بن عمير بن كلفة بن ثعلبة؛ فكان النسخة التي وقعت لابن فتحون وقع فيها «و» بدل «ابن» فصارت «وسالم بن عمير وكلفة بن ثعلبة».

قلت: ولعل الصواب ما قاله الحافظ؛ فإن ابن عبد البر لم يذكر في الاستيعاب ٢/ ٥٦٧ ترجمة لكلفة بن ثعلبة، وإنما ذكره في نسب سالم بن عمير بن ثابت بن كلفة بن ثعلبة. وكذا في أسد الغابة ٢/ ٣١١: «سالم بن عمير بن كلفة بن ثعلبة». وقالوا: وهو أحد البكَّائين. وأورد سالمًا ابنُ سعد في طبقاته ٣/ ٤٨٠ ضمن أسماء البدرين، وقال: وشهد سالم بن عمير بدرًا في رواية موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وأبي معشر، ومحمد بن عمر، وعبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري، وقالوا: وهو أحد البكَّائين.

كما ذكره المصنف في أسماء البدرين في أول حرف السين، ولم يصفه بأنه من البكَّائين. وكان ما وقع لابن فتحون - كما ذكر الحافظ قبل قليل - وقع عند الحافظ ضياء الدين المقدسي، فنقله المصنف رحمته الله، من هناك دون تحرير أو نظر. والله أعلم.

- كَنَازُ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ يَزْبُوعَ، أَبُو مَرْثِدِ الْعَنْوِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ.

حرف الميم

- مَالِكُ بْنُ الدُّخَشِمِ، وَيُقَالُ: ابْنُ الدُّخَشَنِ الْخَزْرَجِيُّ.
- مَالِكُ بْنُ أَبِي خَوْلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ.
- مَالِكُ بْنُ رَيْعَةَ، أَبُو أَسِيدِ السَّاعِدِيِّ.
- مَالِكُ بْنُ قَدَامَةَ الْأَوْسِيِّ.
- مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَخُو ثَقْفِ بْنِ عَمْرٍو، وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرِيٌّ، وَهُمَا مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي تَمِيمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ.
- مَالِكُ بْنُ مَسْعُودِ الْخَزْرَجِيِّ.
- مَالِكُ بْنُ مُمَيْلَةَ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: مَالِكُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ مُمَيْلَةَ الْمُزْنِيِّ، حَلِيفُ لِبْنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ.
- مُبَشَّرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبِرِ الْأَوْسِيِّ، أَخُو أَبِي لُبَابَةَ وَرِفَاعَةَ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيدًا.
- الْمُجَدِّزُ بْنُ ذِيَادِ الْبَلَوِيِّ، مُهَاجِرِيٌّ.
- مُخَرِّزُ بْنُ عَامِرِ النَّجَّارِيِّ.
- مُخَرِّزُ بْنُ نَضَلَةَ الْأَسَدِيِّ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، مُهَاجِرِيٌّ.
- مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ.
- مُذَلِّجٌ، وَيُقَالُ: مِذْلَاجُ بْنُ عَمْرٍو، أَخُو ثَقْفِ بْنِ عَمْرٍو، مُهَاجِرِيٌّ.
- مَرْثِدُ بْنُ أَبِي مَرْثِدِ الْعَنْوِيِّ.
- مِسْطَاحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَايْفٍ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ،

وقيل: اسمه عَوْفٌ.

- مَسْعُودُ بْنُ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ النَّجَّارِيِّ.
- مَسْعُودُ بْنُ خَلْدَةَ الْخَزْرَجِيِّ.
- مَسْعُودُ بْنُ رَبِيعَةَ الْقَارِيَّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، مُهَاجِرِيٌّ.
- مَسْعُودُ بْنُ سَعِيدٍ - وَيُقَالُ: ابْنُ عَبْدِ سَعِيدٍ - بِنِ عَامِرِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ جُشَمِ بْنِ مَجْدَعَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ.
- مَسْعُودُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْخَزْرَجِيِّ.
- مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرِ الْعَبْدَرِيِّ، مُهَاجِرِيٌّ، كَانَ مَعَهُ اللَّوَاءُ يَوْمَئِذٍ.
- مُعَاذُ بْنُ جَبَلِ الْخَزْرَجِيِّ.
- مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ النَّجَّارِيِّ، وَهَذَا هُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ، أَخُو عَوْفٍ وَمَعْوُذٍ.
- مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ الْخَزْرَجِيِّ.
- مُعَاذُ بْنُ مَاعِصِ الْخَزْرَجِيِّ، أَخُو عَائِذٍ.
- مَعْبُدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ قُشَيْرِ بْنِ الْقَدَمِ بْنِ سَالِمِ بْنِ غَنَمٍ، وَيُقَالُ: مَعْبُدُ بْنُ عَبَّادَةَ بْنِ قَيْسٍ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: «قَشَعْرٌ» بَدَلَ «قُشَيْرٍ»، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَشَعْرٌ، أَبُو حَمِيصَةَ.
- مَعْبُدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ صَخْرِ السَّلَمِيِّ، أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ.
- مُعْتَبُ بْنُ عُيَيْدِ بْنِ إِيَّاسِ الْبَلَوِيِّ الْقُضَاعِيِّ.
- مُعْتَبُ بْنُ عَوْفٍ^(١) الْخَزَاعِيِّ، حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.
- مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرِ الْأَوْسِيِّ.
- مَعْقِلُ بْنُ الْمُثَنِّرِ السَّلَمِيِّ.

(١) يُعْرَفُ بِابْنِ الْحَمْرَاءِ. انظر «أسد الغابة» (٥ / ٢٢٤)، و«الإصابة» (٦ / ١٧٥).

- مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْجُمَحِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.
- مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ الْأَوْسِيِّ.
- مَعْوُذُ بْنُ الْحَارِثِ النَّجَّارِيِّ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ، أَخُو مَعَاذٍ وَعَوْفٍ.
- مَعْوُذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ السَّلْمِيِّ، لَعَلَّهُ أَخُو مَعَاذِ بْنِ عَمْرِو^(١).
- الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرِو الْبَهْرَانِيِّ، وَهُوَ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهُوَ ذُو الْمَقَالِ الْحَمُودِ، وَكَانَ أَحَدَ الْفُرْسَانِ يَوْمَئِذٍ.
- مُلَيْلُ بْنُ وَبْرَةَ الْخَزْرَجِيِّ.
- الْمُنْدِرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حُنَيْسِ السَّاعِدِيِّ.
- الْمُنْدِرُ بْنُ قَدَامَةَ بْنِ عَرْفَجَةَ الْخَزْرَجِيِّ.
- الْمُنْدِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ الْأَنْصَارِيِّ، مِنْ بَنِي جَحْجَجِيٍّ.
- مِهْجَعُ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، أَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ.

حرف النون

- نَصْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ رَزَّاحِ بْنِ ظَفِيرٍ وَهُوَ كَعْبٌ.
- نَعْمَانُ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو النَّجَّارِيِّ، وَهُوَ أَخُو الضَّحَّاكِ.
- نَعْمَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رِفَاعَةَ النَّجَّارِيِّ.
- نَعْمَانُ بْنُ عَصْرِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ الْحَارِثِ، حَلِيفٌ لِبَنِي الْأَوْسِ.
- نَعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْخَزْرَجِيِّ، وَيُقَالُ لَهُ، قَوْلٌ.

(١) جزم في أسد الغابة (٥ / ٢٤٠)، والإصابة ٦ / ١٩٣ بأنهما أخوان.

- نعمانُ بنُ يسارٍ^(١)، مؤلى لبني نَعْمَانَ بنِ سِنَانِ بنِ عُبَيْدٍ، ويقالُ: نَعْمَانُ بنُ سِنَانِ.
- نَوْفَلُ بنُ عبدِاللهِ بنِ نَضَلَةَ^(٢) الخزرجي.

حرف الهاء

- هانئُ بنُ نيارٍ، أبو بُزْدَةَ البَلَوِيِّ، خالُ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ.
- هِلَالُ بنُ أمِّيَّةِ الواقفي، وَقَعَ ذِكْرُهُ فِي أَهْلِ بَدْرِ فِي «الصحيحين»^(٣)، فِي قِصَّةِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ المَغَازِي.
- هِلَالُ بنُ المَعْلَى الخزرجي، أَخُو رَافِعِ بنِ المَعْلَى.

حرف الواو

- وَاقِدُ بنُ عبدِاللهِ التَّمِيمِيِّ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ مِنَ المِهاجِرِينَ.
- وَدِيعَةُ بنُ عَمْرٍو بنِ جُرَادِ الجُهَنِيِّ، ذَكَرَهُ الوَاقِدِيُّ وَابْنُ عَائِدٍ.
- وَذَقَّةُ بنُ إِياسِ بنِ عَمْرٍو الخزرجي، أَخُو رِيعِ بنِ إِياسِ.
- وَهْبُ بنُ سَعِدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ، ذَكَرَهُ مُوسَى بنُ عُقْبَةَ وَابْنُ عَائِدٍ وَالوَاقِدِيُّ، فِي بَنِي عَامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ.

(١) ليس له ترجمة بهذا الاسم في الاستيعاب والأسد والإصابة، انظر ترجمة النعمان بن سنان في المصادر السابقة فإنهم لم يذكروا اختلافاً في اسمه.

(٢) قد أورد اسمه أبو عمر في «الاستيعاب» (٤/ ١٥١٢): «نوفل بن ثعلبة بن عبدالله بن نضلة وكذا ابن الأثير في الأسد (٥/ ٣٦٨)، والحافظ في الإصابة ٦/ ٤٧٩. وقالوا: شهد بدرًا واستشهد بأحد.

(٣) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩). والشاهد من الحديث قول كعب فيه: فذكروا لي رجلين قد شهدا بدرًا.

حرفُ الباءِ

- يزيدُ بنُ الأَخْنَسِ بنِ جَنَابٍ ^(١) بنِ حَبِيبِ بنِ جُرَّةَ السَّلْمِيِّ، قال السَّهَيْلِيُّ: شَهِدَ هُوَ وَأَبُوهُ وَابْنُهُ - يَعْنِي بَدْرًا - وَلَا يُعْرَفُ لَهُمْ نَظِيرٌ فِي الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يَذْكَرْهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ وَلَا الْأَكْثَرُونَ، لَكِنْ شَهِدُوا مَعَهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ.
- يزيدُ بنُ الحَارِثِ بنِ قَيْسِ الخَزْرَجِيِّ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: ابْنُ فُسْحَمٍ، وَهِيَ أُمُّهُ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيدًا بَدْرٍ.
- يزيدُ بنُ عَامِرِ بنِ حَدِيدَةَ، أَبُو الْمُنْذِرِ السَّلْمِيِّ.
- يزيدُ بنُ الْمُنْذِرِ بنِ سَرْحِ السَّلْمِيِّ، وَهُوَ أَخُو مَعْقِلِ بنِ الْمُنْذِرِ.

* * *

بَابُ الْكُنَى

- أَبُو أُسَيْدٍ مَالِكُ بنُ رِبِيعَةَ، تَقَدَّمَ.
- أَبُو الْأَعْوَرِ بنُ الحَارِثِ بنِ ظَالِمِ النَّجَّارِيِّ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَبُو الْأَعْوَرِ الحَارِثُ بنُ ظَالِمٍ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَبُو الْأَعْوَرِ كَعْبُ بنُ الحَارِثِ بنِ جُنْدَبِ بنِ ظَالِمٍ.
- أَبُو بَكْرِ الصَّدِيقُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَثْمَانَ، تَقَدَّمَ.
- أَبُو حَبِيبَةَ بنُ عَمْرٍو بنِ ثَابِتٍ، أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرٍو بنِ عَوْفِ الْأَنْصَارِيِّ.
- أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُنْبَةَ بنِ رِبِيعَةَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَقِيلَ: اسْمُهُ مُهَشَّمٌ.
- أَبُو الْحَمْرَاءِ مَوْلَى الحَارِثِ بنِ رِفَاعَةَ بنِ عَفْرَاءَ.

(١) لا يوجد هذا الاسم في نسب يزيد بن الأخنس في أسد الغابة ٥ / ٤٧٤. وفي الاستيعاب ٤ / ١٥٧٠، والإصابة ٦ / ٦٤٦ اقتصر على اسمه واسم أبيه فقالا: «يزيد بن الأخنس السلمي» وقد ذكر نسبه السهيلي في الروض ٥ / ٣٠٠.

- أبو خُزَيْمَةَ بْنُ أَوْسِ بْنِ أَضْرَمَ النَّجَارِيُّ.
- أبو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي زُهْمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيِّ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.
- أبو سِنَانِ بْنِ مَحْصَنِ بْنِ حُوْثَانَ، أَخُو عُكَّاشَةَ، وَمَعَهُ ابْنُهُ سِنَانٌ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.
- أبو الصَّيَّاحِ التُّعْمَانُ - وَقِيلَ: عُمَيْرٌ - بْنُ ثَابِتِ بْنِ التُّعْمَانِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَقُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ، رَجَعَ لِحُرْحِ أَصَابِهِ مِنْ حَجَرٍ فَضْرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ.
- أبو عَزْفَجَةَ، مِنَ حُلَفَاءِ بَنِي جَحْجَجِي.
- أبو كَبْشَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- أبو لُبَابَةَ بَشِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْدَرِ، تَقَدَّمَ.
- أبو مَرْثِدَ الْعَنْوِيِّ كَنَّاؤُ بْنُ حُصَيْنٍ، تَقَدَّمَ.
- أبو مَسْعُودِ الْبَدْرِيِّ عَقَبَةُ بْنُ عَمْرٍو، تَقَدَّمَ.
- أبو مُلَيْلِ بْنِ الْأَزْعَرِ بْنِ زَيْدِ الْأَوْسِيِّ.

أسماء جميع البدرين منسوبين إلى قبائلهم

البدريون من المهاجرين

أ - من بني هاشم بن عبد مناف ثمانية نفر:

- ١ - سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ
 - ٢ - حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.
 - ٣ - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.
 - ٤ - زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي (مولى رسول الله ﷺ).
 - ٥ - أنسة الحبشي (مولى رسول الله ﷺ).
 - ٦ - أبو كبشة الفارسي (مولى رسول الله ﷺ).
 - ٧ - كَنَاز بن حُصَيْن بن يربوع (حليف لهم) وهو من قيس عيلان، وهو المكثي بأبي مرثد.
 - ٨ - ابنه مرثد بن أبي مرثد (حليف لهم أيضاً).
- ج - ومن بني المطلب بن عبد مناف أربعة نفر:

- ١ - عبيدة بن الحارث بن المطلب. (قتل يوم بدر).
 - ٢ - الطفيل بن الحارث بن المطلب.
 - ٣ - الحصين بن الحارث بن المطلب.
 - ٤ - مسطح واسمه عوف بن أثانة بن عباد بن المطلب.
 - ٥ - ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ستة عشر رجلاً.
- ١ - عثمان بن عفان، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ لتمريضها في المدينة فضرب له رسول الله ﷺ بسهم وعده من البدرين في الأجر.
 - ٢ - أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.
 - ٣ - سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

- ٤ - عبدالله بن جحش (حليف لهم).
- ٥ - عكاشة بن محصن (حليف لهم).
- ٦ - شجاع بن وهب بن ربيعة (حليف لهم).
- ٧ - عقبة بن وهب بن ربيعة (حليف لهم).
- ٨ - يزيد بن رقيش (حليف لهم).
- ٩ - أبو سنان محصن بن حرثان بن قيس (حليف لهم).
- ١٠ - سنان بن أبي سنان (حليف لهم).
- ١١ - محرز بن نضلة بن عبدالله (حليف لهم).
- ١٢ - ربيعة بن أكتم بن سخيرة (حليف لهم).
- ١٣ - ثقيف بن عمرو (حليف لهم).
- ١٤ - مالك بن عمرو (حليف لهم).
- ١٥ - مدلج بن عمرو (حليف لهم).
- ١٦ - أبو مخشي (حليف لهم).

هـ - ومن بني نوفل بن عبد مناف، رجلان، وهما:

- ١ - عتبة بن غزوان (حليف لهم).
 - ٢ - خباب مولى عتبة بن غزوان (حليف لهم).
- و - ومن بني أسد بن عبد العزي ثلاثة نفر، وهم:

- ١ - الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.
 - ٢ - حاطب بن أبي بلتعة اليماني (حليف لهم).
 - ٣ - سعد الكلبي (مولى حاطب بن أبي بلتعة) حليف لهم.
- ز - ومن بني عبد الدار بن قصي، رجلان، وهما:

- ١ - مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.
- ٢ - سويط بن سعد بن حريملة.

ح - ومن بني زهرة بن كلاب ثمانية نفر، وهم:

- ١ - عبدالرحمن بن عوف.
 - ٢ - سعد بن أبي وقاص.
 - ٣ - عمير بن أبي وقاص.
 - ٤ - المقداد بن عمرو بن ثعلبة (حليف لهم).
 - ٥ - عبدالله بن مسعود بن الحارث الهذلي (حليف لهم).
 - ٦ - مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد (حليف لهم).
 - ٧ - ذو الشمالين بن عمرو بن نضلة الخزاعي (حليف لهم).
 - ٨ - خباب بن الأرت التيمي (حليف لهم).
- ط - ومن بني تيم بن مرة خمسة نفر:

- ١ - أبو بكر الصديق. واسمه (عتيق بن عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم).
- ٢ - بلال بن رباح (مولى لأبي بكر الصديق).
- ٣ - عامر بن فهيرة (مولى أبي بكر الصديق).
- ٤ - صهيب بن سنان (مولى عبدالله بن جدعان التيمي).
- ٥ - طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.. كان غائباً بالشام وقت المعركة فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وعده كالبدرين في الأجر.

ي - ومن بني مخزوم خمسة نفر، وهم:

- ١ - أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبدالله بن عبد الأسد.
- ٢ - شماس بن عثمان بن الشريد.
- ٣ - الأرقم بن أبي الأرقم، واسمه (عبد مناف بن أسد).
- ٤ - عمار بن ياسر.

٥ - معتب بن عوف بن عامر الخزاعي (حليف لهم).

ك - ومن بني عدي بن كعب (قبيلة عمر بن الخطاب) أربعة عشر رجلاً وهم:

١ - عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى.

٢ - مهجع العكي (مولى عمر بن الخطاب).

٣ - عمرو بن سراقه بن المعتمر.

٤ - عبدالله بن سراقه.

٥ - واقد بن عبدالله بن عبد مناف اليربوعي (حليف لهم).

٦ - خولي بن أبي خولي حليف لهم.

٧ - مالك بن أبي خولي حليف لهم.

٨ - عامر بن البكير بن عبد ياليل (حليف لهم).

٩ - عاقل بن البكير.

١٠ - خالد بن البكير.

١١ - إياس بن البكير.

١٢ - زيد بن الخطاب (أخو عمر بن الخطاب).

١٣ - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، كان غائباً في الشام فلما قدم ضرب له

رسول الله ﷺ بسهم وعدّه مثل البدرين في الأجر فصار بدريناً.

ل - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب خمسة رجال:

١ - عثمان بن مظعون.

٢ - السائب بن عثمان بن مظعون.

٣ - قدامة بن مظعون.

٤ - عبدالله بن مظعون.

٥ - معمر بن الحارث بن معمر.

م - ومن بني سهم بن عمرو هصيص، رجل واحد:

١ - رجل واحد، لم يذكر ابن إسحاق اسمه.

ن - ومن بني عامر بن لؤي سبعة رجال، وهم:

١ - أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى.

٢ - عبدالله بن مخزومة بن عبد العزى.

٣ - عبدالله بن سهيل بن عمرو.

٤ - عمير بن عوف (مولى سهيل بن عمرو).

٥ - سعد بن خولة (حليف لهم).

٦ - وهب بن سعد بن أبي سرح.

٧ - حاطب بن عمرو.

س - ومن بني الحارث بن فهر ستة رجال، وهم:

١ - عامر بن عبدالله بن الجراح المشهور (بأبي عبيدة ابن الجراح).

٢ - عمرو بن الحارث بن زهير.

٣ - سهيل بن وهب بن ربيعة.

٤ - صفوان بن وهب بن ربيعة.

٥ - عمرو بن أبي سرح بن ربيعة.

٦ - عياض بن زهير.

فهؤلاء هم البديون من المهاجرين - رضي الله عنهم وأرضاهم -، منهم ثلاثة لم يباشروا القتال فصاروا في عداد البديين لهم أجرهم عند الله مثلهم وأخذوا حصتهم في الغنائم، وهم (عثمان بن عفان) و(طلحة بن عبيدالله) و(سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل).

أسماء البدرين من الأنصار

أولاً: البدرين من قبيلة الأوس

أ - من بني عبد الأشهل (بطن من الأوس) خمسة عشر رجلاً، وهم:

- ١ - سعد بن معاذ.
- ٢ - الحارث بن أنس بن معاذ.
- ٣ - الحارث بن أنس بن رافع.
- ٤ - سعد بن زيد بن مالك.
- ٥ - سلمة بن سلامة بن وقش.
- ٦ - عباد بن بشر بن وقش.
- ٧ - سلمة بن ثابت بن وقش.
- ٨ - رافع بن يزيد بن كرز.
- ٩ - الحارث بن خزيمة بن عدي.
- ١٠ - محمد بن مسلمة.
- ١١ - سلمة بن أسلم بن حريش (حليف لهم من بني الحارث).
- ١٢ - أبو الهيثم بن التيهان.
- ١٣ - عبيد بن التيهان.
- ١٤ - عمرو بن معاذ بن النعمان.
- ١٥ - عبدالله بن سهل.

ب - ومن بني ظفر (بطن من الأوس) رجلان، وهما:

- ١ - قتادة بن النعمان بن زيد.

٢ - عبيد بن أوس بن مالك.

ج - ومن بني عبد بن رزاح (بطن من الأوس) ثلاثة رجال وهم:

١ - نصر بن الحارث بن عبد.

٢ - معتب بن عبد.

٣ - عبد الله بن طارق البلوي (حليف لهم).

د - ومن بني حارثة بن الحارث (بطن من الأوس) ثلاثة نفر، وهم:

١ - مسعود بن سعد بن عامر.

٢ - أبو عنيس بن جبر.

٣ - هاني بن نيار البلوي (حليف لهم).

هـ - ومن بني عمرو بن عوف (بطن من الأوس) ستة نفر، وهم:

١ - عاصم بن ثابت بن قيس.

٢ - قيس أبو الأقلح بن عصمة.

٣ - معتب بن قشير.

٤ - أبو مليل بن الأزعر.

٥ - عمرو بن معبد الأزعر.

٦ - سهل بن حنيف.

و - ومن بني أمية بن زيد (بطن من الأوس) تسعة نفر، وهم:

١ - مبشر بن عبد المنذر بن زبير.

٢ - رفاعة بن عبد المنذر بن زبير.

٣ - سعد بن عبيد بن النعمان.

٤ - عويم بن ساعدة.

٥ - رافع بن عنجدة.

٦ - عبيد بن أبي عبيد.

٧ - ثعلبة بن حاطب.

٨ - الحارث بن حاطب، رجع من الطريق بأمر رسول الله ﷺ فضرب له بسهم وعده من البدرين في الأجر.

٩ - أبو لبابة.

ز - ومن بني عبيد بن زيد (بطن من الأوس) سبعة نفر، وهم:

١ - أنيس بن قتادة بن ربيعة.

٢ - معن بن عدي بن الجد البلوي (حليف لهم).

٣ - عبدالله بن سلمة العجلاني (حليف لهم).

٤ - زيد بن أسلم بن ثعلبة العجلاني (حليف لهم).

٥ - ربعي بن رافع بن زيد العجلاني (حليف لهم).

٦ - عاصم بن عدي بن الجد العجلاني (حليف لهم) خرج مع المسلمين إلى بدر فرده رسول الله ﷺ وضرب له بسهم مع أصحاب بدر، فعد من البدرين.

٧ - ثابت بن أقرم بن ثعلبة العجلاني (حليف لهم).

ح - ومن بني ثعلبة بن عمر بن عوف (بطن من الأوس)، سبعة نفر، وهم:

١ - عبدالله بن جبير بن النعمان.

٢ - عاصم بن قيس بن ثابت.

٣ - أبو ضياح بن ثابت بن النعمان.

٤ - أبو حنة (ويقال) أبو حبة بن ثابت بن النعمان.

٥ - سالم بن عمير بن ثابت.

٦ - الحارث بن النعمان بن أمية.

٧ - خوات بن جبير بن النعمان.

ط - ومن بني جحجبي بن كلفة بن عوف (بطن من الأوس) رجلان، وهما:

- ١ - منذر بن محمد بن عقبة.
 - ٢ - أبو عقيل بن عبدالله بن ثعلبة، من بني أنيف (حليف لهم).
- ي - ومن بني غنم بن السلم (بطن من الأوس) خمسة نفر، وهم:

- ١ - سعد بن خيثمة.
 - ٢ - منذر بن قدامة بن عرفجة.
 - ٣ - مالك بن قدامة بن عرفجة.
 - ٤ - الحارث بن عرفجة.
 - ٥ - تميم (مولى لهم).
- ك - ومن بني معاوية بن مالك بن عوف (بطن من الأوس) ثلاثة نفر، وهم:

- ١ - جبر بن عتيك بن الحارث.
- ٢ - مالك بن نميلة (حليف لهم من مزينة).
- ٣ - النعمان بن عصر (حليف لهم) من قبيلة بلي (بفتح أوله وكسر ثانيه).
فهؤلاء هم البديون من الأنصار من قبيلة الأوس خاصة، رضي الله عنهم
وأرضاهم، وهم واحد وستون محاربًا.

ثانياً: أسماء البدرين من الخزرج

أ - من بني امرئ القيس بن مالك، أربعة نفر، وهم:

١ - خارجة بن زيد.

٢ - سعد بن الربيع.

٣ - عبدالله بن رواحة.

٤ - خلاد بن سويد بن ثعلبة.

ب - ومن بني زيد بن مالك رجلان، وهما:

١ - بشير بن سعد بن ثعلبة.

٢ - سماك بن سعد بن ثعلبة.

ج - ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج ثلاثة نفر، وهم:

١ - سبيع بن قيس بن عيشة.

٢ - عباد بن قيس بن عيشة.

٣ - عبدالله بن عيس.

د - ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة رجل واحد، وهو:

١ - يزيد بن الحارث بن قيس.

هـ - ومن بني جشم بن الحارث بن الخزرج أربعة نفر، وهم:

١ - خبيب بن أساف بن عتبة.

٢ - عبدالله بن زيد بن ثعلبة.

٣ - حريث بن زيد بن ثعلبة.

٤ - سفيان بن بشر.

و - ومن بني جدارة بن عوف بن الحارث أربعة نفر، وهم:

- ١ - تميم بن يعار بن قيس.
 - ٢ - عبدالله بن عمير.
 - ٣ - زيد بن المزين بن قيس.
 - ٤ - عبدالله بن عرفطة بن عدي.
- ز - ومن بني الأبيجر (وهم بنو خدرة) رجل واحد وهو:

١ - عبدالله بن ربيع بن قيس.

ح - ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني عبيد رجلان، وهما:

- ١ - عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول.
 - ٢ - أوس بن خولي بن عبدالله بن الحارث.
- ط - ومن بني جزء بن عدي بن مالك ستة نفر، وهم:

- ١ - زيد بن وديعة بن عمرو، حليف لهم من غطفان.
 - ٢ - عامر بن سلمة بن عامر، حليف لهم من أهل اليمن.
 - ٣ - أبو حميضة، معبد بن عباد، ويقال ابن عبادة بن قشير.
 - ٤ - عامر بن البكير، حليف لهم.
 - ٥ - عقبة بن وهب بن كلدة، حليف لهم من غطفان.
 - ٦ - رفاعة بن عمرو بن زيد، حليف لهم.
- ي - ومن بني سالم بن عوف، رجل واحد، وهو:

١ - نوفل بن عبدالله بن نضلة.

ك - ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة رجلان، وهما:

- ١ - عبادة بن الصامت.
- ٢ - أوس بن الصامت.

ل - ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة، رجل واحد، وهو:

١ - النعمان بن مالك بن ثعلبة.

م - ومن بني لوزان بن سالم عشرة نفر:

١ - ثابت بن هزال.

٢ - مالك بن الدخشم بن مرضخة (وهو من بني مرضخة).

٣ - ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم.

٤ - ورقة بن إياس.

٥ - عمرو بن إياس (حليف لهم) من أهل اليمن.

٦ - المجذر بن زياد البلوي (حليف لهم).

٧ - عبادة بن الخشخاش بن عمرو.

٨ - نحاب، ويقال له، (بحاث) بن ثعلبة بن حزمة.

٩ - عبدالله بن ثعلبة بن حزمة.

١٠ - عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية (حليف لهم).

ن - ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان، وهما:

١ - أبو دجانة (سماك بن أوس بن خرشة).

٢ - المنذر بن عمرو بن خنيس، ويقال، المنذر بن عمرو بن خنيس.

س - ومن بني البدي بن عامر بن عوف رجلان، وهما:

١ - أبو أسيد بن ربيعة بن البدي.

٢ - مالك بن مسعود بن البدي.

ع - ومن بني طريف بن الخزرج ستة نفر:

١ - عبد ربه بن حق بن أوس.

٢ - كعب بن حمار (ويقال بن جمار بن ثعلبة الغبشاني الجهني)، حليف لهم.

- ٣ - ضمرة بن عمرو (ويقال ابن بشر الجهني)، حليف لهم.
 - ٤ - زياد بن عمرو (ويقال أيضًا ابن بشر الجهني، حليف لهم).
 - ٥ - بسبس بن عمرو الجهني، حليف لهم.
 - ٦ - عبدالله بن عامر البلوي، حليف لهم.
- ف - ومن بني جشم بن الخزرج اثنا عشر رجلاً، وهم:

- ١ - خراش بن الصمة بن عمرو.
 - ٢ - الحباب بن المنذر.
 - ٣ - عمير بن الحمام.
 - ٤ - تميم (مولى خراش بن الصمة).
 - ٥ - عبدالله بن عمرو بن حرام.
 - ٦ - معاذ بن عمرو بن الجموح.
 - ٧ - خلاد بن عمرو بن الجموح.
 - ٨ - عقبة بن عامر بن نابي.
 - ٩ - حبيب بن أسود (مولى لهم).
 - ١٠ - ثابت بن ثعلبة بن زيد.
 - ١١ - معوذ بن عمرو بن الجموح.
 - ١٢ - عمير بن الحارث بن ثعلبة.
- ص - ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب تسعة نفر، وهم:

- ١ - بشر بن البراء بن معرور بن صخر.
- ٢ - الطفيل بن مالك بن خنساء.
- ٣ - سنان بن صيفي بن خنساء.
- ٤ - عبدالله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء.

- ٥ - عتبة بن عبدالله بن صخر بن خنساء.
 - ٦ - خارجة بن حمير الأشجعي، حليف لهم.
 - ٧ - عبدالله بن حمير، حليف لهم.
 - ٨ - الطفيل بن النعمان بن خنساء.
- ق - ومن بني خناس بن سنان بن عبيد سبعة نفر، وهم:

- ١ - يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس.
 - ٢ - معقل بن المنذر بن خناس.
 - ٣ - عبدالله بن النعمان بن بلدمة.
 - ٤ - الضحاك بن حارثة بن زيد.
 - ٥ - سواد بن زريق بن ثعلبة.
 - ٦ - معبد بن قيس بن صخر بن حرام.
 - ٧ - عبدالله بن قيس بن صخر بن حرام.
- ر - ومن بني النعمان بن عبيد أربعة نفر، وهم:

- ١ - عبدالله بن عبد مناف بن النعمان.
- ٢ - جابر بن عبدالله بن رثاب بن النعمان.
- ٣ - خليدة بن قيس بن النعمان.
- ٤ - النعمان بن سنان (مولى لهم).

ش - ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة أربعة نفر، وهم:

- ١ - يزيد بن حديدة.
- ٢ - سليم بن عمرو بن حديدة.
- ٣ - قطبة بن عمرو بن حديدة.
- ٤ - عنترة (مولى سليم بن عمرو).

ت - ومن بني عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم ستة نفر، وهم:

- ١ - عيس بن عامر بن عدي.
- ٢ - ثعلبة بن غنمة بن عدي.
- ٣ - سهل بن قيس بن أبي كعب.
- ٤ - عمرو بن طلق بن زيد بن أمية.
- ٥ - معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس.

ث - ومن بني زريق بن عامر بن زريق سبعة نفر، وهم:

- ١ - قيس بن محصن بن خالد.
- ٢ - أبو خالد (الحارث بن قيس بن خالد).
- ٣ - جبير بن إياس بن خالد.
- ٤ - أبو عبادة (سعد بن عثمان بن خلدة).
- ٥ - ذكوان بن عبد قيس بن خلدة.
- ٦ - عقبة بن عثمان بن خلدة.
- ٧ - مسعود بن خلدة بن عامر.

خ - ومن بني خالد بن عامر بن زريق رجل واحد، وهو:

- ١ - عباد بن قيس بن عامر بن خالد.

ذ - ومن بني خلدة بن عامر بن زريق خمسة نفر:

- ١ - أسعد بن يزيد بن الفاكهة.
- ٢ - الفاكهة بن بشر بن الفاكهة.
- ٣ - معاذ بن ماعص بن قيس.
- ٤ - عائذ بن ماعص بن قيس.
- ٥ - مسعود بن سعد بن قيس.

ض - ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ستة نفر، وهم:

١ - رفاعة بن رافع بن العجلان.

٢ - خلاد بن رافع بن مالك.

٣ - عبيد بن زيد بن عامر.

٤ - عبيد بن مالك بن عمرو.

٥ - مليل بن وبرة بن خالد.

٦ - عصمة بن الحصين بن وبرة.

ظ - ومن بني بياضة بن عامر بن زريق ستة نفر، وهم:

١ - زياد بن لييد بن عامر.

٢ - فروة بن عمرو بن وذفة.

٣ - خالد بن قيس بن مالك.

٤ - رجيلة بن ثعلبة بن خالد.

٥ - عطية بن نويرة بن عامر.

٦ - خليفة بن عدي بن عمرو، ويقال عليفة.

غ - ومن بني حبيب بن عبد حارثة رجلمان، وهما:

١ - رافع بن المعلى بن لوذان.

٢ - هلال بن المعلى بن لوذان.

أب - ومن بني النجار (وهو تميم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج) ثلاثة وخمسون رجلاً

وهم:

١ - خالد بن زيد بن كليب.

٢ - ثابت بن خالد بن النعمان.

٣ - عمارة بن حزم بن زيد.

- ٤ - سراقه بن كعب بن عبد العزي.
- ٥ - حارثة بن النعمان بن زيد.
- ٦ - سليم بن قيس بن فهد.
- ٧ - سهيل بن رافع بن أبي عمرو.
- ٨ - عدي بن الزغباء (حليف لهم) من جهينة.
- ٩ - مسعود بن أوس بن زيد.
- ١٠ - أبو خزيمة ابن أوس بن زيد.
- ١١ - رافع بن الحارث بن سواد.
- ١٢ - عوف بن الحارث بن رفاعه.
- ١٣ - معوذ بن الحارث بن رفاعه.
- ١٤ - معاذ بن الحارث بن رفاعه، (وهؤلاء الثلاثة هم بنو عفراء).
- ١٥ - النعمان بن عمرو بن رفاعه، ويقال (نعيمان).
- ١٦ - عامر بن مخلد بن الحارث.
- ١٧ - عبدالله بن قيس بن خالد.
- ١٨ - عصيمة (حليف لهم من أشجع).
- ١٩ - وديعه بن عمرو (حليف لهم من جهينة).
- ٢٠ - ثابت بن عمرو بن زيد.
- ٢١ - ثعلبة بن عمرو بن محصن.
- ٢٢ - سهل بن عتيك بن عمرو.
- ٢٣ - الحارث بن الصمة بن عمرو، ويقول ابن إسحاق أنه أصابه كسر وهو بالروحاء فضرب له النبي ﷺ بسهمه فصار بدرياً.
- ٢٤ - أبي بن كعب بن قيس.

- ٢٥ - أنس بن معاذ بن أنس.
- ٢٦ - أوس بن ثابت بن المنذر.
- ٢٧ - أبو شيخ (أبي بن ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت).
- ٢٨ - أبو طلحة (زيد بن سهل بن الأسود).
- ٢٩ - حارثة بن سراقه بن الحارث.
- ٣٠ - عمرو بن ثعلبة بن وهب.
- ٣١ - سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك.
- ٣٢ - أبو زيد قيس بن سكن.
- ٣٣ - أبو خارجة عمرو بن قيس بن مالك.
- ٣٤ - ثابت بن خنساء بن عمرو.
- ٣٥ - عامر بن أمية بن زيد.
- ٣٦ - محرز بن عامر بن مالك.
- ٣٧ - سواد بن غزية بن أهيب البلوي (حليف لهم).
- ٣٨ - الحارث بن ظالم بن عبس (أبو الأعور)، ويقال أبو الأعور بن الحارث بن ظالم.
- ٣٩ - سليم بن ملحان بن خالد بن زيد.
- ٤٠ - حرام بن ملحان بن خالد.
- ٤١ - قيس بن أبي صعصعة.
- ٤٢ - عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف.
- ٤٣ - عصيمة (حليف لهم من بني أسد بن خزيمه).
- ٤٤ - عمير بن عامر بن مالك.
- ٤٥ - سراقه بن عمرو بن عطية.

- ٤٦ - قيس بن مخلد بن ثعلبة.
 ٤٧ - النعمان بن عبد عمرو بن مسعود.
 ٤٨ - الضحاح بن عبد عمرو بن مسعود.
 ٤٩ - سليم بن الحارث بن ثعلبة.
 ٥٠ - جابر بن سهيل بن عبد الأشهل.
 ٥١ - سعد بن سهيل بن عبد الأشهل.
 ٥٢ - كعب بن زيد بن قيس.
 ٥٣ - بجير بن أبي بجير (حليف لهم من غطفان)^(١).

● وقفات:

١ - جاء في فتح الباري (٧ / ٣٠٩) في آخر الحديث (٣٩٨٩) «وقال كعب بن مالك ذكروا مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، رجلين صالحين قد شهدا بدرًا» أوضح الحافظ أنّ هذا طرف من حديث كعب الطويل في قصة توبته، وسيأتي موصولاً في «غزوة تبوك» مطولاً^(٢)، فكأنّ المصنّف عرف أنّ بعض الناس ينكر أنّ يكون مرارة وهلال شهدا بدرًا، وينسب الوهم في ذلك إلى الزهري فردّ ذلك بنسبة ذلك إلى كعب بن مالك، وهو الظاهر من السياق فإنّ الحديث عنه قد أخذ وهو أعرف بمن شهد بدرًا ممن لم يشهدا ممن جاء بعده، والأصل عدم الإدراج فلا يثبت إلا بدليل صريح، ويؤيد كونه وصفهما بذلك من كلام كعب أنّ كعبًا ساقه في مقام التأسّي بهما فوصفهما بالصلاح وبشهود بدر التي هي أعظم المشاهد، فلمّا وقع لهما نظير ما وقع له من القعود عن غزوة تبوك ومن الأمر بهجرهما كما وقع له تأسّي بهما^(٣).

(١) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة ص ١٩٧ - ٢١٥ لمحمد أحمد بشاميل - دار الفكر.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري: ٨ / ١١٣ - ١١٦ حديث رقم ٤٤١٨. باب حديث كعب بن مالك.

(٣) فتح الباري: ٧ / ٣١٠ - ٣١١.

وأما قول بعض المتأخرين كالدمياطي^(١): لم يذكر أحد مرارة وهلال فيمن شهد بدرًا فمردود عليه، فقد جزم به البخاري هنا وتبعه جماعة، وأما قوله: وإنما ذكرهما في الطبقة الثانية ممن شهد أحدًا، فحصر مردود، فإن الذي ذكرهما كذلك هو محمد بن سعد وليس ما يقتضيه صنيعه بحجة على مثل هذا الحديث الصحيح المثبت لشهودهما.

وقد ذكر هشام بن الكلبي وهو من شيوخ محمد بن سعد أن مرارة شهد بدرًا فإنه ساق نسبه إلى الأوس ثم قال: شهد بدرًا، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم^(٢). قال ابن حجر: وقد استقرت أول من أنكر شهودهما بدرًا فوجدته الأثرم صاحب الإمام أحمد، واسمه أحمد بن محمد بن هانيء.

كما نقل عن ابن الجوزي قوله: لم أزل متعجبًا من هذا الحديث وحريصًا على كشف هذا الموضوع وتحقيقه حتى رأيت الأثرم ذكر الزهري وفضله وقال: ولا يكاد يحفظ عنه غلط إلا في هذا الموضوع، فإنه ذكر أن مرارة وهلال شهدا بدرًا، وهذا لم يقله أحد، والغلط لا يخلو منه إنسان^(٣).

قال ابن حجر: وهذا ينسب على أن قوله شهدا بدرًا مدرج في الخبر من كلام الزهري، وفي ثبوت ذلك نظر لا يخفى.

(١) نقل العيني قول الدمياطي: لم يذكر أحد أن مرارة وهلال شهدا بدرًا إلا ما جاء في حديث كعب هذا، وإنما ذكرا في الطبقة الثانية من الأنصار ممن لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا. (عمدة القاري: ١٤ / ٩٤).

(٢) فتح الباري: ٧ / ٣١١.

ذكر ابن الكلبي أن مرارة هو أحد البكائين ولم يذكر أنه شهد بدرًا. وذكر نسبه: مرارة بن رجعي بن عدي ابن زيد. جمهرة النسب: ص ٦٣٨. إلا أن يكون ذكر ذلك في مصدر آخر. وقد ذكر ابن الأثير أن مرارة وهلال شهدا بدرًا. أسد الغابة: ٤ / ٣٥٨. رقم ٤٨١٤. ص: ٦٣٠. رقم: ٥٣٨١. كما أن ابن كثير أوضح أن ذكر هلال وقع في الصحيحين أنه من أهل بدر، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي.

(البداية والنهاية: ٣ / ٣٢٥).

(٣) نقله ابن القيم عن ابن الجوزي (زاد المعاد ٣ / ٥٧٧).

كما أشار ابن حجر إلى أنّ ابن القيم في «الهدى» احتج بأنهما لو شهدا بدرًا ما عوقبا بالهجر الذي وقع لهما بل كانا يسامحان بذلك كما سومح حاطب بن أبي بلتعة كما وقع في قصته المشهورة^(١). وعقب عليه ابن حجر: بأنّ هذا قياس مع وجود النص، ويمكن الفرق^(٢).

* أبو مسعود البدريّ:-

ورد حديثه في صحيح البخاري مع فتح الباري «٣١٧ / ٧» رقم (٤٠٠٦). حيث بيّن ابن حجر أنّ أبا مسعود هو عقبة بن عمرو الأنصاري جد زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كما بيّن أنّه اختلف في شهوده بدرًا فالأكثر على أنّه لم يشهدا، ولم يذكره محمد بن إسحاق ومن اتبعه من أصحاب المغازي في البدرين^(٣). كما نقل عن الواقدي^(٤)، وإبراهيم الحربي قولهما: لم يشهد بدرًا، وإنّما نزل بها فتسبب إليها، وكذا قال الإسماعيلي: لم يصح شهود أبي مسعود بدرًا، وإنّما كانت مسكنه فقيل له البدري، فأشار إلى أنّ الاستدلال بأنه شهدا بما يقع في الروايات أنه بدري ليس بقوي، لأنّه يستلزم أنّ يقال لكل من شهد بدرًا البدري، وليس ذلك مطردًا^(٥).

(١) ابن القيم، زاد المعاد: ٥٧٧ / ٣.

وقال ابن القيم. وقوله: «فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا لي فيهما أسوة» هذا الموضع مما عدّ من أوام الزهري، فإنّه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسيرة البتة ذكر هذين الرجلين في أهل بدر، لا ابن إسحاق، ولا موسى بن عقبة، ولا الأمويّ، ولا الواقدي. ولا أحد ممن عدّ أهل بدر، وكذلك ينبغي ألا يكونا من أهل بدر.

(٢) فتح الباري: ٣١١ / ٧.

(٣) نقل ابن هشام عن ابن إسحاق تصريحه بأنّه لم يشهد بدرًا حيث قال: وكان أحدث من شهد العقبة ستاً، لم يشهد بدرًا. (السيرة النبوية: ٤٥٩ / ١).

(٤) نقله الحاكم عن الواقدي، (المستدرک مع التلخيص: ٥٦٥ / ٣).

(٥) فتح الباري: ٣١٨ - ٣١٩ / ٧. نقل العيني قول الإسماعيلي، «عمدة القاري»: ١٠٥ / ١٤. قال ابن كثير: وقع في صحيح البخاري أنّه شهد بدرًا، وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازي ولهذا لم يذكروه. البداية والنهاية: ٣٢٣ / ٣. وقال ابن سعد: شهد ليلة العقبة وهو صغير ولم يشهد بدرًا. =

قال ابن حجر: لم يكتف البخاري في جزمه بأنه شهد بدرًا بذلك بل بقوله في الحديث الآخر إنه شهد بدرًا، فإن الظاهر أنه من كلام عروة بن الزبير^(١) وهو حجة في ذلك لكونه أدرك أبا مسعود، وإن كان روى عنه هذا الحديث بواسطة، ويُرجح اختيار البخاري ذلك بقول نافع حين حدثه أبو لبابة البدري فإنه نسبه إلى شهود بدر لا إلى نزولها^(٢).

قال ابن حجر: وقد اختار أبو عبيد القاسم بن سلام أنه شهدها، ذكره البغوي في «معجمه» عن عمه علي بن عبدالعزيز عنه، وبذلك جزم ابن الكلبي ومسلم في «الكنى»^(٣).

ونقل ابن حجر عن الطبراني^(٤)، وأبو أحمد الحاكم قولهما: يُقال إنه شهدها، وقال البرقي: لم يذكره ابن إسحاق في البدرين^(٥).

كما أشار الحافظ إلى أنه ورد في غير هذا الحديث أنه شهدها، والقاعدة أن المثبت مقدم على النافي. وإنما رجح من نفي شهوده بدرًا باعتقاده أن عمدة من أثبت ذلك وصفه بالبدري وأن تلك نسبة إلى نزول بدر لا إلى شهودها، لكن يضعف ذلك تصريح من صرح منهم بأنه كما في الحديث الذي قال فيه (فدخل عليه أبو مسعود

= الطبقات الكبرى: ١٦ / ٦. وقال ابن الأثير الجزري: لم يشهد بدرًا وإنما سكن بدرًا. أسد الغابة: ٣ / ٥٥٤ ترجمة رقم: ٣٧١١. وقال ابن عبد البر: ويعرف بأبي مسعود البدري لأنه رضي الله عنه كان يسكن بدرًا.

ونقل ابن عبد البر عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أنه لم يشهد بدرًا. (الاستيعاب (بهاشم الإصابة)؛ ٣ / ١٠٥).

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري: ٧ / ٣١٧ حديث رقم: ٤٠٠٧.

(٢) فتح الباري: ٧ / ٣١٩.

(٣) مسلم. الكنى: ٢ / ٧٧٨ رقم: ٣١٦٩.

(٤) ذكر الطبراني في ترجمة عقبة بن عمرو أن أهل الكوفة يقولون أنه بدري، ولم يذكره أهل البصرة فيمن شهد بدرًا. (المعجم الكبير: ١٧ / ١٩٤).

(٥) فتح الباري: ٧ / ٣١٩. وقد نقل العيني قول القاسم بن سلام وابن الكلبي ومسلم والطبراني وأبو أحمد الحاكم (عمدة القاري: ١٤ / ١٠٥).

عقبة بن عمرو الأنصاري جد زيد بن حسن، شهد بدرًا^(١).
□ عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ:-

كان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلاث مئة وأربعة عشر رجلًا، منهم رسول الله ﷺ، كما قال البخاري^(٢): حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، ثنا زُهَيْرٌ، ثنا أَبُو إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ؛ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ. قَالَ الْبَرَاءُ: لَا وَاللَّهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهْرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ. ثُمَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ وَسَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ نَحْوَهُ: «كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ»، «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ بِعِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ».

قال ابن جرير: وهذا قول عامة السلف؛ أنهم كانوا ثلاث مئة وبيضة عشر رجلًا^(٣).

وعند مسلم أنهم كانوا ثلاث مئة وتسعة عشر رجلًا^(٤).

* والمشهور عند ابن إسحاق، وجماعة من أهل المغازي أنهم كانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر ويُقال عن ابن إسحاق «وأربعة عشر» كما نقله ابن هشام في السيرة ١/ ٧٠٦. وأخرج ابن حجر ما رواه البيهقي بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر ومعه ثلاث مئة وخمسة عشر»^(٥).

(١) فتح الباري: ٧ / ٣١٩.

(٢) صحيح البخاري: (٣٩٥٩).

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٢. حوادث السنة الثانية من الهجرة.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ٨٤ - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

(٥) البيهقي، دلائل النبوة: ٣٨٩٣ والحديث أخرجه أيضًا أبو داود في كتاب الجهاد في باب نفل السرية تخرج من العسكر. أبو داود. «السنن مع معالم السنن» للخطابي: ٣ / ١٨١ حديث رقم: ٢٧٤٧. وأخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين. وواقفه الذهبي. «المستدرک مع التلخیص»: ٢ / ١٣٢ - ١٣٣.

وأما الرواية التي فيها وتسعة عشر يحتمل أنه ضم إليهم من استُصغِر ولم يُؤذَن له في القتال يومئذ كالبراء وابن عمر، وكذلك أنس، فقد روى أحمد بسند صحيح عنه أنه سئل: (هل شهدت بدرًا؟ فقال: وأين أُغيب عن بدر) ^(١) قال ابن حجر: وكأنه كان حينئذ في خدمة النبي ﷺ كما ثبت عنه لأنه خدمه عشر سنين، وذلك يقتضي أن ابتداء خدمته له حين قدومه المدينة فكأنه خرج معه إلى بدر، أو خرج مع عمه زوج أمه أبي طلحة ^(٢).

كما أوضح أن من هذا القبيل جابر بن عبدالله فقد روى أبو داود بإسناد صحيح عنه قال: (كُنْتُ أَمْتَحَ الْمَاءَ لِأَصْحَابِي يَوْمَ بَدْرٍ) ^(٣) وإذا تحرر هذا الجمع فليعلم أن الجميع لم يشهدوا القتال وإنما شهدوه منهم ثلث مئة وخمسة أو ستة كما أخرج ابن

(١) فتح الباري: ٧ / ٢٩٢. روى ابن عبدالبر عن محمد بن عبدالله الأنصاري حدثنا أبي عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس: أشهدت بدرًا قال لا أم لك وأين أُغيب عن بدر؟ قال محمد بن عبدالله خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ حين توجه إلى بدر وهو غلام يخدمه. الاستيعاب (بهامش الإصابة): ٧٢ / ١.

وحدث محمد بن عبدالله الأنصاري نقله ابن كثير عن محمد بن سعد. كما نقل أيضًا عن شيخه أبي الحجاج المزني أنه قال في تهذيبه، هكذا قال الأنصاري ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي. كما نقل أيضًا الحديث من رواية عمر بن شعبة النميري. (البداية والنهاية: ٣ / ٣١٦). وقد ذكر العيني هذا الحديث وأنه رواه أحمد بسند صحيح. (عمدة القاري: ١٤ / ٧٣).

(٢) فتح الباري: ٧ / ٢٩٢.

(٣) أبو داود، السنن مع معالم السنن للخطابي: ٣ / ١٧٢ حديث رقم: ٢٧٣١. كما ذكر العيني هذا الحديث عن أبي داود. (عمدة القاري: ١٤ : ٧٣).

أخرج الحاكم حديث جابر قال: (كنت أمتح لأصحابي يوم بدر من القليب) ثم نقل الحاكم رواية محمد بن سعد عن محمد بن عمر أنه قال: هذا غلط من رواية أهل العراق في جابر، وأبي مسعود الأنصاري يُصَيِّرُونَهُمَا فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا، ولم يرو ذلك موسى بن عقبة ولا محمد بن إسحاق ولا أبو معشر، ولا أحد ممن روى السيرة. (المستدرک مع التلخیص: ٣ / ٥٦٥). والحديث قد أخرج أبو يعلى في مسنده: ٤ / ٢٠٥ رقم/ ١٥٥ (٢٣١٥) بلفظ (كنت أمتح الماء...) كما نقله الهيثمي فليجمع الزوائد: ٦ / ٨٠ وابن حجر في المطالب العالية: ٤ / ٢١٢ - ٢١٣ رقم: ٤٣٠٥.

جرير (١).

كما أشار إلى حديث أنس أن ابن عمته حارثة بن سراقة خرج نظارة وهو غلام يوم بدر فأصابه سهم فقتل (٢) (٣).

كما أورد ما ذكره ابن جرير من حديث ابن عباس (أن أهل بدر كانوا ثلاثمائة وستة رجال) (٤). وأن ابن سعد يئَن ذلك فقال: (إنهم كانوا ثلاثمائة وخمسة) (٥). قال ابن حجر: وكأنه لم يُعَد فيهم رسول الله ﷺ، وَيئَن وجه الجمع بأن ثمانية أنفس عدوا في أهل بدر ولم يشهدوها، وإنما ضرب لهم رسول الله ﷺ معهم بسهامهم لكونهم تخلَّفوا لضرورات لهم.

* * *

(١) نقل ابن جرير عن الواقدي: كان خروج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة رجل وخمسة... إلى أن قال وضرب لثمانية بأجورهم وسهامهم. وللتفاصيل عن أسماء الثمانية المشار إليه راجع ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢ / ٢٩٦. وأخرج عن السدي: فخرجوا معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً (جامع البيان: ٩ / ١٨٦) وأخرج عن ابن عباس: وهم يومئذ ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً. جامع البيان: ٩ / ١٨٧). ونقل ابن كثير عن ابن جرير حديث ابن عباس قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً. وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً... وزاد ابن كثير وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلاثمائة وستة رجال. وزاد، قال ابن جرير، وقيل كانوا ثلاثمائة وسبعة رجال. (البداية والنهاية: ٣ / ٣٢٧).

(٢) حديث أنس رواه أحمد بلفظ انطلق حارثة ابن عمتي يوم بدر... وفيه زيادة سؤال أمه لرسول الله ﷺ هل هو في الجنة. المسند: ٣ / ٢٨٢. ولفظ: أن حارثة بن الربيع جاء يوم بدر نظاراً: ٣ / ٢٧٢ وذكر ذلك ابن الأثير في أسد الغابة: ١ / ٤٢٥ رقم: ٩٩٣.

(٣) فتح الباري: ٧ / ٢٩٢.

(٤) أخرج الطبري بدون سند أن أهل بدر كانوا ثلاثمائة وسبعة. تاريخ الأمم: ٢ / ٢٧٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢ / ١٢.

وذكر العيني في عدة أصحاب بدر: أنه في الإكليل: كانوا ثلاثمائة رجل وخمسة عشر رجلاً كما خرج طالوت وفي الأوائل للعسكري: حضر بدرًا ثلاثة وثمانون مهاجرًا وواحد وستون أوسيًا ومائة وسبعون خزرجيًا وعند ابن عتبة: ستة عشر. وعند البزار من حديث أبي موسى: ثلاثمائة وسبعة عشر. وأضاف العيني قوله: الذين شهدوا منهم في الحقيقة ثلاثمائة وخمسة أو ستة، نص على الستة ابن جرير من حديث ابن عباس، ونص على الخمسة ابن سعد، والذي زاد على هذا ضم إليهم من استصغر ولم يؤذن له في القتال يومئذ. (عمدة القاري: ١٤ / ٧٣).

من لم يحضر بدرًا وأسهم له النبي ﷺ
وعُدَّ من البدرين

وهم:

□ من ضرب لهم النبي ﷺ بسهمهم وأجرهم:

وهم عثمان بن عفان تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ بإذنه، وكانت في مرض الموت. وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان عير قريش، فهؤلاء من المهاجرين وأبو لبابة رده من الروحاء واستخلفه على المدينة، وعاصم بن عدي استخلفه على أهل العالية، والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف، والحارث بن الصمة وقع فكسر بالروحاء فرده إلى المدينة، وخوات بن جبير كذلك، هؤلاء الذين ذكرهم ابن سعد^(١). قال ابن حجر: وذكر غيره سعد بن مالك الساعدي والد سهل مات في الطريق^(٢).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١٢ / ٢.

(٢) فتح الباري: ٧ / ٢٩٢.

أخرج أبو داود عن حبيب أبي مليكة عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قام - يعني يوم بدر - فقال: «إن عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسول الله ﷺ وأني أبايع له» فضرب له رسول الله ﷺ بسهم ولم يضرب لأحد غاب غيره.

ثم علق الخطابي على هذا الحديث بقوله: هذا خاص بعثمان ﷺ لأنه كان ممرض ابنة رسول الله ﷺ. أبو داود. السنن: ٣ / ١٦٨ - ١٦٩ حديث رقم: ٢٧٢٦. الخطابي معالم السنن (بالهامش). علمًا بأن ابن هشام نقل عن ابن إسحاق أن طلحة بن عبيد الله بن عثمان كان بالشام فقدم بعد أن رجع رسول الله ﷺ من بدر فكلمه فضرب له بسهمه فقال له أجرك خمسة نفر (ابن هشام. السيرة النبوية: ١ / ٦٨٢).

كما ذكر أيضًا أن عثمان بن عفان ﷺ تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره. (ابن هشام. السيرة النبوية: ١ / ٦٧٨ - ٦٧٩) كما ذكر أبو لبابة بن عبد المنذر والحارث بن حاطب أنهما خرجا مع رسول الله ﷺ فرجعهما وأمر أبا لبابة على المدينة فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر تسعة نفر. (السيرة النبوية: ١ / ٦٨٨).

كما ذكر عاصم بن عدي بن العجلان وأنه خرج فرده رسول الله ﷺ وضرب له بسهمين مع أصحاب بدر. (السيرة النبوية: ١ / ٦٨٩).

قال ابن حجر: ومن اختلف فيه هل شهدها أو ردّ لحاجة سعد بن عباد كما وقع ذكره في مسلم^(١)، وصبيح مولى أحيحة رجع لمرضه فيما قيل^(٢)، وقيل أنّ جعفر بن أبي طالب ممن ضرب له بسهم كما نقله الحاكم^(٣).

وذكر السهيلي أنّ رسول الله ﷺ ردّ عاصمًا من الروحاء بسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره وذلك أنّ رسول الله ﷺ بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار وكان قد استخلفه على قباء والعالية فردّه لينظر في ذلك وضرب له بسهمه مع أهل بدر. (السهيلي. الروض الأنف: ٩٩ / ٣).

كما ذكر الحارث بن الصمة بن عتيك وأنه كُسر بالروحاء فضرب له رسول الله ﷺ ثلاثة نفر (السيرة النبوية: ٧٠٣ / ١) كما ذكر الواقدي أنّ الذين لم يحضروا بدرًا وضرب لهم رسول الله ﷺ يساهمهم وأجورهم ثمانية نفر وكلهم مستحقون في بدر، ثلاثة من المهاجرين، عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو، وأنّ عثمان تخلف بسبب ترضيه لرقية ابنة رسول الله ﷺ وأنها ماتت يوم قدوم زيد بن حارثة، أمّا طلحة وسعيد فبعثهما رسول الله ﷺ يتحسنان العير. ومن الأنصار أبو لبابة وخلفه على المدينة، وعاصم خلفه على قباء وأهل العالية، والحارث بن حاطب أمره بأمره في بني عمرو، وخوات بن جبير بالروحاء، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء أيضًا.

كما ذكر الواقدي أنّ سعد بن عباد ممن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره. كما ذكر أيضًا سعد بن مالك الساعدي وأنه كان قد تجهز إلى بدر فمرض بالمدينة فمات خلفه وأوصى إلى النبي ﷺ فضرب له بسهمه وأجره (الواقدي. المغازي: ١ / ١٠١).

وقد نقل البيهقي هؤلاء الذين لم يشهدوا بدرًا وضرب لهم رسول الله ﷺ وأنه قد ذكرهم محمد بن إسحاق وذكرهم أيضًا موسى بن عقبة إلا أنّه لم يذكر الحارث بن حاطب في الرد إلى المدينة. (البيهقي. السنن الكبرى مع الجوهرى النقي: ٥٨ / ٩).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢ / ١٢٤ باب غزوة بدر. وذكر ابن سعد أنّ سعد بن عباد كان يتهيأ للخروج إلى بدر ويأتي دور الأنصار يحضّهم على الخروج فنهش قَبْلَ أَنْ يخرج فأقام فقال رسول الله ﷺ: لئن كان سعد لم يشهدنا لقد كان عليها حريضًا. (الطبقات الكبرى: ٣ / ٦١٤). وقد أخرج الحاكم نحو هذا الحديث. المستدرک مع التلخيص: ٣ / ٢٥٢.

(٢) قاله ابن إسحاق ونقله عنه ابن هشام. السيرة النبوية: ١ / ٦٧٩ وزاد: فحمل على بعيه أبا سلمة بن عبد الأسد. ونقل ابن حجر في الإصابة أنّ أبا سعد حكى أنه هو الذي حمل أبا سلمة وذكره ابن ماكولا.

الإصابة في تمييز الصحابة (وبهامشه الاستيعاب): ٢ / ١٧٦ ترجمة رقم: ٤٠٣٥. كما ذكر ذلك ابن الأثير في أسد الغابة: ٢ / ٣٩٠ رقم: ٢٤٧٧.

(٣) فتح الباري: ٧ / ٢٩٢. هكذا ورد في الفتح أنّ الحديث رواه الحاكم وكذلك ورد أيضًا في المخطوط من فتح الباري ج ٩ في المكتبة المحمودية رقم: ٥٧٨ ورقة: ٩: وبالبحث في مستدرک الحاكم أو الكتب التي تنقل عنه لم أجد الحديث مما يشير إلى حدوث تصحيف من الناسخ. والحديث أخرجه =

* قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥١ - ٢٥٢)

قلت: وفي الذين عدّهم ابن إسحاق في أهل بدرٍ من ضُرب له بسهمٍ في مَعْنَمِهَا مع أنه لم يَحْضُرْهَا، تَخَلَّفَ عنها لِعُذْرٍ أُدِنَ له في التَّخَلُّفِ بسببِهِ، وكانوا ثمانيةً أو تسعةً، وهم؛ عثمانُ بنُ عفانَ، تَخَلَّفَ على رُقَيْيَةَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ مُيْرَضُهَا حتى ماتت، فَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ، وسعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرو بنِ نَفِيلٍ، كان بالشامِ، فَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ، وطلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ، كان بالشامِ أيضًا فَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ، وأبو لُبَابَةَ بَشِيرُ بنُ عبدِ المُنْذِرِ، رَدَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الرُّوحَاءِ حِينَ بَلَغَهُ خُرُوجُ النَّفِيرِ مِنَ مَكَّةَ، فَاسْتَعَمَلَهُ على المدينةِ، وَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ، والحارثُ بنُ حاطِبِ بنِ عُبيدِ ابنِ أُمَيَّةَ، رَدَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ أيضًا مِنَ الطَّرِيقِ، وَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ، والحارثُ بنُ الصَّمَّةِ، كَسِرَ بالرُّوحَاءِ فَرَجَعَ، فَضْرِبَ له بسهمِهِ - زاد الواقدي^(١): وأَجْرِهِ - وَخَوَاتُ بنُ جُبَيْرٍ، لم يَحْضُرِ الوُقْعَةَ وَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ، وأبو الصُّبَّاحِ بنُ ثابتٍ، خَرَجَ مع رسولِ اللهِ ﷺ، فَأَصَابَ سَاقَهُ فَصِيلُ حَجَرٍ^(٢)، فَرَجَعَ، وَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ. قال الواقدي: وسعدُ ابنُ مالكٍ، تَجَهَّزَ لِيَخْرُجَ فمات. وقيل^(٣): إِنَّهُ ماتَ بالرُّوحَاءِ. فَضْرِبَ له بسهمِهِ وأَجْرِهِ.

* * *

= الحارث بن أبي أسامة في مسنده. ونقله الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٣/ ٨٥٩ رقم: ٦٦٨ عن جعفر ابن محمد عن أبيه قال: ضرب رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب بسهمه يوم بدر. وقد ذكره الحافظ ابن حجر أيضًا في المطالب العالية: ٤/ ٢١٤. رقم: ٣٠٨، نقلًا عن الحارث. وربما أن الحديث ورد عند الحاكم في الإكليل. كما أن الواقدي ذكر أن النبي ﷺ ضرب لجعفر بن أبي طالب بسهمه وأجره. (المغازي: ١/ ١٥٣).

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٦٣.

(٢) الفصيل من الحجر: القطعة منه.

(٣) مغازي الواقدي: ١/ ١٦٨.

دستور النصر الإلهي في بدر وفي كل معركة

قال - تعالى :- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُ فِئَةٌ قَاتِبُونَ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحَكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

فهذه هي عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو. والاتصال بالله بالذكر. والطاعة لله والرسول. وتجنب النزاع والشقاق. والصبر على تكاليف المعركة. والحذر من البطر والرثاء والبغي.

فأما الثبات فهو بدء الطريق إلى النصر. فأثبت الفريقين أغلبهما. وما يؤدي الذين آمنوا أن عدوهم يعاني أشد ما يعانون؛ وأنه يألم كما يألمون، ولكنه لا يرجو من الله ما يرجون؛ فلا مدد له من رجاء في الله يثبت اقدامه وقلبه! وأنهم لو ثبتوا لحظة أخرى فسينخذل عدوهم وينهار؛ وما الذي يزلزل أقدام الذين آمنوا وهم واثقون من إحدى الحسينين: الشهادة أو النصر؟ بينما عدوهم لا يريد إلا الحياة الدنيا؛ وهو حريص على هذه الحياة التي لا أمل له وراءها ولا حياة له بعدها، ولا حياة له سواها؟! وأما ذكر الله كثيراً عند لقاء الأعداء فهو التوجيه الدائم للمؤمن؛ كما أنه التعليم المطرد الذي استقر في قلوب العصابة المؤمنة، وحكاه عنها القرآن الكريم في تاريخ الأمة المسلمة في موكب الإيمان التاريخي.

ومما حكاه القرآن الكريم من قول سحرة فرعون عندما استسلمت قلوبهم للإيمان فجأة، فواجههم فرعون بالتهديد المروع البشع الطاعني، قولهم: ﴿وَمَا نَقِمُ مِنْآ إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِبَيِّنَاتٍ رَّبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

ومما حكاه كذلك عن الفئة القليلة المؤمنة من بني إسرائيل، وهي تواجه جالوت وجنوده: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا

وَتَبَيَّنَتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

ومما حكاه عن الفئات المؤمنة على مدار التاريخ في مواجهة المعركة: ﴿وَكَايِنَ مِن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

ولقد استقر هذا التعليم في نفوس العصابة المسلمة؛ فكان هذا شأنها حيثما واجهت عدواً. وقد حكى الله - فيما بعد - عن العصابة التي أصابها القرع في «أحد»؛ فلما دعيت إلى الخروج ثاني يوم، كان هذا التعليم حاضراً في نفوسهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿١٧٦﴾﴾ ..

إن ذكر الله عند لقاء العدو يؤدي وظائف شتى: إنه الاتصال بالقوة التي لا تغلب؛ والثقة بالله الذي ينصر أوليائه.. وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها، فهي معركة لله، لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرده الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية؛ وإذن فهي معركة لتكون كلمة الله هي العليا؛ لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي.. كما أنه توكيد لهذا الواجب - واجب ذكر الله - في أخرج الساعات وأشد المواقف.. وكلها إحياء ذات قيمة في المعركة؛ يحققها هذا التعليم الرباني.

وأما طاعة الله ورسوله، فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداءً؛ فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحَكُمْ﴾ .. فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه؛ وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم - مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة - فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي

يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع «الذات» في كفة، والحق في كفة؛ وترجيح الذات على الحق ابتداءً.. ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة.. إنه من عمليات «الضبط» التي لا بد منها في المعركة.. إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها. وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي لا تجاهد له، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها أصلاً.. والمسافة كبيرة كبيرة.

وأما الصبر. فهو الصفة التي لا بد منها لخوض المعركة.. أية معركة.. في ميدان النفس أم في ميدان القتال.

﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ..

وهذه المعية من الله هي الضمان للصابرين بالفوز والغلب والفلاح..

ويبقى التعليم الأخير:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ ..

يبقى هذا التعليم ليحمي العصبية المؤمنة أن تخرج للقتال متبطرة طاغية تتعاجب بقوتها! وتستخدم نعمة القوة التي أعطاها الله لها في غير ما أرادها إنما تخرج للقتال في سبيل الله كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلم الكهّان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

وانتصرت العقيدة في أعظم صورها على الكفر في أقبح صورهِ وأعفنها

أعظم انتصار عرفته البشرية للعقيدة في أبهى صورة كان يوم الفرقان يوم بدر العقيدة العظيمة الثرة الدافعة الدافقة التي توزن الأمور عند العصابة المؤمنة بميزانها فقط.. فيدرك المؤمن ببصيرته وقلبه، ويرى بنور الله وهده أن صفقته رابحة دائماً، فهي مؤدية إلى إحدى الحُسَيْن: النصر والغلب، أو الشهادة والجنة، ثم إن حساب القوى في نفسه يختلف؛ فهناك الله، وهذا ما لا يدخل في حساب الذين في قلوبهم مرض.

بالعقيدة يستنير العقل، وتُكشَف الطرق والدروب، ويتَّضح الحق، ويطمئن القلب، ويستريح الضمير، وتستقر الأقدام وتثبت على الطريق. والشرك بعفنه ينشر الغبش، ويحجب الرؤية، وينشر اللبس ويُعمي المسالك، ويخفي الدروب ويُعمي البصائر، تنطمس معه المدارك وتستغلف القلوب، ويكون معه ظلمة الشك والقلق والحيرة والتردد والأرجحة قد يطفو الكفر والباطل ويعلو ويتفخ ويبدو رايئاً طافياً ولكنه بعدُ زيد وخبث ما يلبث أن يذهب جفاءً مطروحاً لا حقيقة له ولا تماسك فيه. مع الكفر كل المنعرجات المظلمة، والهجير القائظ والشواظ للقلوب وضلال لا يرى القلب فيها أقرب علامات الهدى ومخافة لا أمن فيها ولا قرار وجفاف الإلحاد، وشقوة الشرود والضللال، وظلمة التراب، وثقله الطين، وظلمات الشبهات والخرافات والأساطير والتصورات، ظلمة الشهوات والنزعات والاندفاعات في التيه، وظلمة الحيرة والقلق، والانقطاع عن الهدى، والوحشة من الجانب الآمن المأنوس، ظلمة اضطراب القيم، وتخلخل الأفكار والموازن.

في بدر كان توكل الصحابة على الله في أبهى صورهِ، لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلودون إلا بجنابه، ولا يستغيثون إلا به، ولا يطلبون النصر إلا

منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو المتصرف هو الله لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

تخلّصت قلوبهم من ضغط الأسباب الظاهرة، بعد أن اتخذوا ما وسعهم من الأسباب وتوكلوا على ربهم، فكان النصر الذي لا يستند إلى تدبير بشرى، ولا إلى قوة العدد ولا قوة العُدّة، إنما يستند إلى تدبير الله وتقديره وعونه ومدده.

والمناقون الذين في قلوبهم مرض لا يدركون حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة، فهم يرون ظواهر الأمور، دون أن تهديهم بصيرة إلى بواطنها؛ ودون أن يشعروا بالقوة الكامنة في العقيدة، والثقة في الله، والتوكل عليه، واستصغار شأن الجموع والقوى التي لا تتركن إلى عقيدة في الله تمنحها القوة الحقيقية.

إن الواقع المادي الظاهر لا يختلف من ناحية مظهره عند القلوب المؤمنة وعند القلوب الخاوية من الإيمان، ولكن الذي يختلف في التقدير والتقويم لهذا الواقع المادي الظاهر... فالقلوب الخاوية تراه ولا ترى شيئاً وراءه، والقلوب المؤمنة ترى ما وراءه من «الواقع» الحقيقي! الواقع الذي يشمل جميع القوى، ويوازن بينها موازنة صحيحة ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هذا ما تدركه القلوب المؤمنة وتطمئن إليه، وما هو محجوب عن القلوب الخاوية فلا تحسب حسابه! وهذا يُرجّح الكفّة ويقرّر النتيجة، ويفصل في القضية في نهاية المطاف في كل زمان وفي كل مكان.

والله تبارك وتعالى هو الذي أمّد أطهر عصبه مؤمنة عرفتها البشرية بألف من الملائكة مردفين، وهو الذي غشاهم النعاس أمنة منه، ونزل عليهم من السماء ماء ليظهرهم به، ويذهب عنهم رجز الشيطان، وليربط على قلوبهم ويثبت به الأقدام، والله هو الذي أوحى إلى الملائكة ليثبتوا الذين آمنوا، وألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، وهو الذي أشرك الملائكة في المعركة وأمرهم أن يضربوا فوق الأعناق وأن يضربوا من المشركين كل بنان، والله هو الذي غنّمهم الغنيمة ورزقهم من فضله بعد

أن خرجوا بلا مال ولا ظهر ولا اعتاد هو الذي أوهن كيد الكافرين وأضعف تدبيرهم وتقديرهم، وهو الذي رماهم، وهو الذي أبلى المؤمنين في ذلك البلاء المحسن. إن الإيمان في قلوب البدرين كان في أبهى صوره وأكملها.. إنه ليس انكماشًا وسلبية وانزواء في مكونات الضمير وإنما كان شأنه شأن الزهرة لا تمسك أريجها، فهو ينبعث انبعاثًا طبيعيًا، يرفّ بنداه على زهرة الضمير، فيخلق في أرواحها من معاني العبرة معنى العبير، رقة استروح به الصحابة نسيم الجنان، ونورا كأما عُصر من النجوم أضاءوا به تاريخ البشرية، وخرجوا به ينشرون الإسلام ويُجملون به الدنيا وصميم الحياة.

إن الإيمان قوة دافعة وطاقة مجمعة، فما كادت حقيقته تستقرّ في القلب حتى تتحرك لتعمل، ولتتحقق ذاتها في الواقع، ولثوائم بين صورتها المضمرة وصورتها الظاهرة، كما أنها تستولي على مصادر الحركة في الكائن البشري كلها، وتدفعها في الطريق.

ذلك سرّ العقيدة في النفس، وسرّ قوة النفس بالعقيدة، سرّ تلك الخوارق التي صنعتها العقيدة في بدر، وما تزال كل يوم تصنعها، الخوارق التي غيرت وجه الحياة من يوم بدر إلى كل يوم بعده، وتدفع بالفرد وتدفع بالجماعة إلى التضحية بال عمر الفاني المحدود في سبيل الحياة الكبرى التي لا تغني، وتقف بالفرد القليل الضئيل أمام قوى السلطان وقوى المال وقوى الحديد والنار، فإذا هي كلها تنهزم أمام العقيدة الدافعة في روح الفرد المؤمن، وما هو الفرد الفاني المحدود الذي هزم تلك القوى جميعًا، ولكنها قوة الله وينبوع الإيمان الذي لا ينضب ولا ينحسر ولا يضعف تلك الخوارق التي أتت بها العقيدة في يوم بدر ما قامت على خرافة غامضة، ولا على التهويل والرؤى. إنها تقوم على أسباب مدركة وعلى قواعد ثابتة:

إن العقيدة فكرة كلية تربط الإنسان بقوى الكون الظاهرة، وتبث روحه بالثقة والطمأنينة، وتمنحه القدرة على مواجهة القوى الزائلة والأوضاع الباطلة، بقوة اليقين

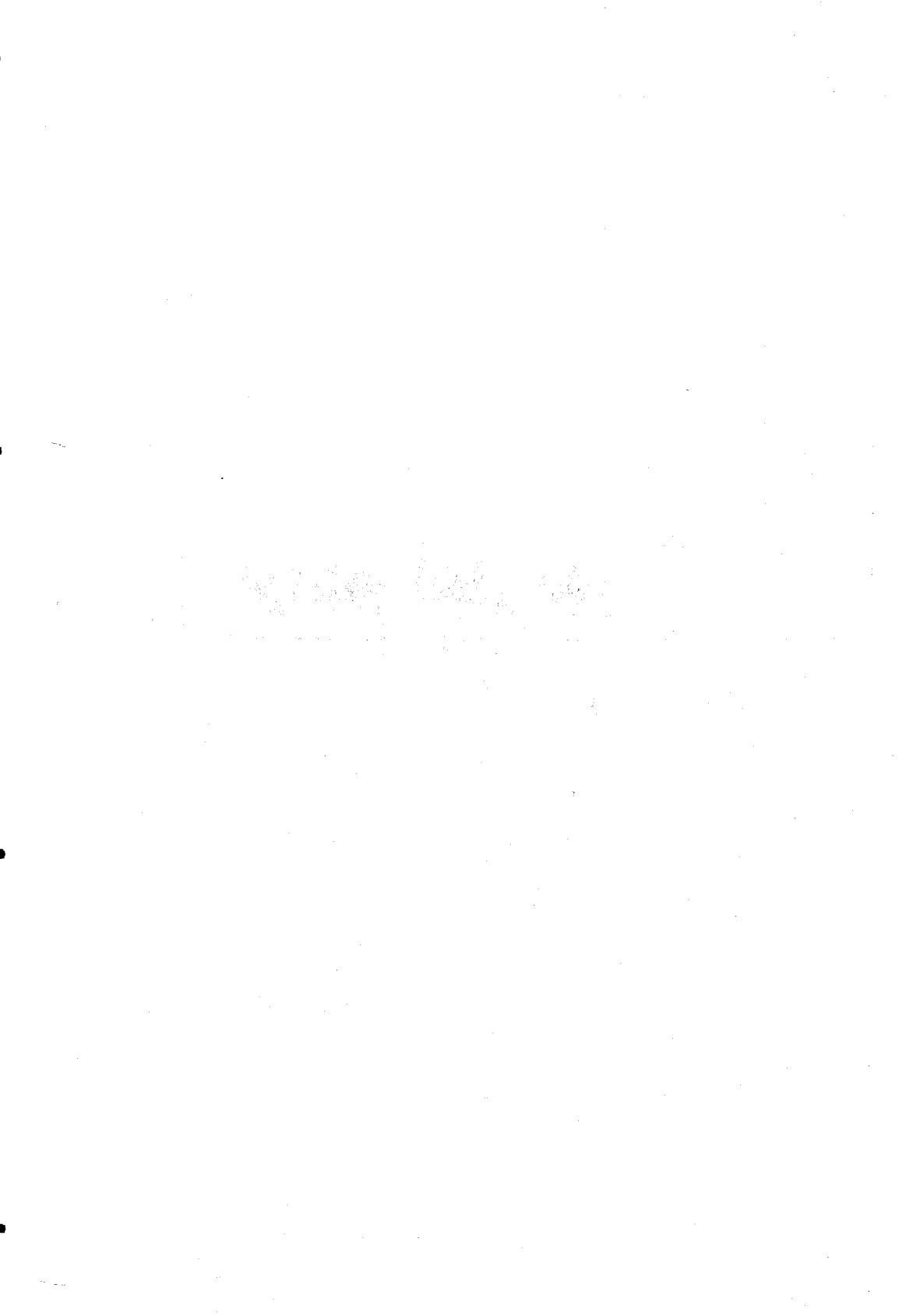
بالنصر، وقوة الثقة بالله، وهي تفسّر للفرد علاقته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء، وتوضح له غايته واتجاهه وطريقه، وتجمع طاقاته وقواه كلها وتدفعها في اتجاه واحد، ومن هنا كذلك قوتها، قوة تجميع القوى والطاقات حول محور واحد، وتوجيهها في اتجاه واحد، تمضي إليه مستنيرة الهدف، في قوة، وفي ثقة، وفي يقين. ويضعف قوتها أنها تمضي مع الخط الثابت الذي يمضي فيه الكون كله ظاهره وخافيه. وأن كل ما في الكون من قوى مكنونة تتجه اتجاهًا إيمانًا، فيلتقي المؤمن في طريقه، وينضم إلى زحفها الهائل لتغليب الحق على الباطل مهما يكن للباطل من قوة ظاهرة لها في العيون بريق.

وهكذا كانت أبعاد غزوة بدر الحقيقية التي تتجاوز بدرًا، والجزيرة العربية، والأرض كلها، وتمتد عبر السماوات وتتناول الملأ الأعلى، وتاريخ الجزيرة العربية، وتاريخ البشرية في الأرض، وتمتد وراء الحياة الدنيا حيث الحساب الختامي في الآخرة، والجزاء الأوفى، وحيث تشعر العصبية المسلمة بقيمتها في ميزان الله وقيمة أقدارها وأعمالها، ومقامها الأعلى بهذا الدين.

لقد أدى البدريون تكاليف العقيدة في تطهير القلب، وتركية النفس والسلوك وكان يوم بدر هو المرتقى العالي الذي ثبتوا عليه، ونسبهم وعنوانهم الذي صحبهم «بدريون» جل في أعماقهم ذلك النسب وأعظم به من نسب يرفعهم فوق هامات البشرية وأرقى مصاف الربانيين، وهم أرقى سادات المؤمنين المكتوب لهم الخير والنصر والسعادة والتوفيق والمتاع الطيب في الأرض، والمكتوب لهم الفوز والنجاة والثواب والرضوان في الآخرة، ثم ما شاء الله غير هذا وذلك في الدارين مما لا يعلمه إلا الله.

وها نحن نبدأ في ذكر تراجمهم ومناقبهم ونشرف بذلك وتطيب أوقاتنا بذكرهم.

تراجم أهل بدر



الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ

- الصديق الأكبر ثاني اثنين في الشجاعة والرجولة وهو من الدين السمع والبصر (١)
 - صديق هذه الأمة قال الله . تَعَالَى .: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].
- «كان علي بن أبي طالب ﷺ يحلف بالله أن الله ﷻ أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق» (٢).

أنا مولاي إمام ضحكت
 صدق المرسل إيماناً به
 ثم بالغار له منقبة
 ثاني اثنين وقول المصطفى
 من ثنايا فضله آي الزمزم
 ولحا في الله من كان كفز
 خصه الله بها دون البشرز
 معنا الله فلا تُبدي الحذرز
 وهو الذي ذبَّ عُقبة شيطان قريش عن رسول الله ﷺ، ودفعه عن النبي:
 قال عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سألت عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن أشد
 ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون
 بالنبي ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته؟

فقال عبد الله: بينا النبي ﷺ يُصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط
 فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فقام دونه، وهو يبكي، حتى
 أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، ويقول: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
 جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣) [غافر: ٢٨].

(١) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر من هذا الدين كمنزلة السمع والبصر من الرأس» قال الألباني في صحيحه (٨١٥) هذا اسناد حسن رجالهم كلهم ثقات.
 (٢) التبصرة، لابن الجوزي (٣٩٨/١).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٨)، (٣٨٥٦)، وأحمد (٢/٢١٨)، وابن أبي شيبة (٨/٤٤١) في «مصنفه»، وابن حبان (٦٥٣٥)، والطبري (٢/٣٣٢، ٣٣٣)، وأبو نعيم في «الدلائل»، ص (٦٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٢٧٥، ٢٧٦)، وأبو يعلى، والطبراني.

وقيل لأسماء بنت أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟

قالت: كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ، وما يقول في ألهتهم، فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله ﷺ، فقاموا إليه بأجمعهم، فتشبثوا به، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا، وإن له غدائر أربع، فدخل المسجد، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.

قال: فلهوا عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(١)، فأبو بكر هو الرجل الكامل في الرجولية حين يغضب لله ولرسوله ﷺ.

• وهو ثاني اثنين

سبقت للصديق من ربه الحسنی، واختاره الرسول ﷺ لصحبته في الهجرة، قال -

تَعَالَى :-

﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية، غير أبي بكر.

قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت عائشة: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة»، قالت: فوالله، ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي. غلب السرور علي حتى إنني من فرط ما قد سرّني أبكاني

(١) إسناده حسن: أخرجه الحميدي في «مسنده» (٣٢٤)، وأبو يعلى، وأبو نعيم في «الحلية» (٣١/١، ٣٢).

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١٧/٧): رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

والغدائر: جمع غديرة، وهي الذوائب من الشعر.

هذا والله، بكاء الرجال. لقد كانت تحفة ﴿ثَانِيًا أَتَيْنِ﴾ مُدْخِرَةً لِلصَّدِيقِ، قال ابن حجر في «الفتح» (١٢/٧): «فُضِّلَ أَبُو بَكْرٍ؛ لِأَنَّهُ انْفَرَدَ بِهَذِهِ الْمُنْقَبَةِ، حَيْثُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ، وَوَقَاهُ بِنَفْسِهِ».

«فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، وفي سبب الموت؛ لأن الرسول ﷺ مات من أثر السم، وأبو بكر سُمِّ فَمَاتَ، وَقَدْ كَانَ الصَّدِيقُ رضي الله عنه، ثَانِيًا أَتَيْنِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ.

وقد جمع الله بينهما في التربة؛ كما جمع بينهما في الحياة. فانظر إلى سر الاقتران: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] لفظًا وحكمًا ومعنى، إذ يُقَالُ: رَسُولُ اللَّهِ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَمَّا مَاتَ قِيلَ: خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ انْقَطَعَتْ إِضَافَةُ الْخِلاَفَةِ بِمَوْتِهِ، فَقِيلَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»^(١).

تظهر جنديّة الصديق الرفيعة العالية في رفقته لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحُبِّهِ الْبَالِغَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَشِجَاعَتِهِ الَّتِي لَا تَدَانِيهَا شِجَاعَةٌ، وَخَوْفَهُ الْبَالِغَ عَلَى الدَّعْوَةِ وَالْإِسْلَامِ وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرَاهُ الْمَشْرُوكُونَ وَهُوَ فِي الْغَارِ، وَمَا كَانَ الصَّدِيقُ سَاعَتَهُذَ بِالَّذِي يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ الْمَوْتَ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا رَافَقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْهَجْرَةِ الْخَطِيرَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ أَقْلَ جَزَائِهِ الْقَتْلَ إِنْ أَمْسَكَهُ الْمَشْرُوكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَخْشَى عَلَى حَيَاةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ.

صاحب القائم المتوج بالفر
أنت واليته وعاديت فيه
أي رأس حملت يا حامل الإيم
ان سمحا، والبر صَفْوًا طَهْرًا؟
لمزايا أبي بكر التي لا يشاركه فيها أحد من البشر كان هو أحب الناس إلى المسلمين بعد الرسول ﷺ.

فإذا أحب الله باطن عبده ظهرت عليه مواهب الفتح

(١) الفوائد، لابن القيم ص (٢٧٢)، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٨/٤).

وإذا صفت لله نية مصلح مال العباد إليه بالأرواح طار والله صديق الأمة بعنائها، وفاز بحبائنها، وذهب بفضائلها، وأدرك سوابقها، كانت فضائله مستورة بنقاب: «ما سبقكم أبو بكر بصوم، ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره» فهي مجانسة لمنقبة: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (١٠)، قال رسول الله ﷺ: هذان السمع والبصر؛ يعني: أبا بكر وعمر^(١).

وقال ﷺ: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي»؛ يعني: أبا بكر وعمر^(٢).

● جهاد الصديق:

قال ابن كثير: «لم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصديق ﷺ لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهد كلها»^(٣).

وذكر أهل العلم بالتاريخ والسير أن أبا بكر شهد مع النبي ﷺ بدرًا والمشاهد كلها، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه النبي ﷺ رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء»^(٤).

أبو بكر في بدر الكبرى أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ

● مشورة الحرب

لما بلغ رسول الله ﷺ نجاة القافلة، وإصرار زعماء مكة على قتال النبي ﷺ استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر^(٥)، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال

(١) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرک» عن عبدالله بن حنطب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٠٠٤)، و«الصحيحه» رقم (٨١٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أنس وعلي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٠٠٥)، و«الصحيحه» رقم (٨٢٢).

(٣) أشد الغابة (٣/٣١٨)، والبداية والنهاية.

(٤) الطبقات الكبرى (١/١٢٤)، وصفة الصفوة (١/٢٤٢).

(٥) صحيح البخاري رقم (٣٩٥٢).

فأحسن (١).

● دوره في الاستطلاع مع النبي ﷺ

كان للصدیق لقربه البالغ من النبي الذي لم يشاركه أحد فيه دورًا هامًا قبل نشوب القتال، فلقد قام بدور هام في الاستطلاع إذ قام مع النبي ﷺ يستكشف أحوال جيش المشركين، ولقيهما لشيخ من العرب أخبرهما بالمكان الذي فيه جيش المشركين (٢).

● ثاني اثنين في عريش بدر

عندما رتب النبي ﷺ الصفوف للقتال رجع إلى مقر القيادة، وكان عبارة عن عريش على تل مشرف على ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر.

«قال علي بن أبي طالب: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إنني ما بارزني أحد إلا انتصفتُ منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لتلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله، ما دنا منه أحد إلا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد من المشركين إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس» (٣).

وفي عريش بدر جعل النبي يدعو ربه ويستغيث به: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً»، وما زال ﷺ يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر وردّه على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله، كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك» (٤).

وقد خفق النبي ﷺ خفقة وهو في العريش، ثم انتبه، فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك

(١) سيرة ابن هشام (٢/٤٤٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٢٢٨).

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (٣/٢٧١، ٢٧٢).

(٤) مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة ببدر رقم (١٧٦٣) (٣/١٣٨٤).

نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياه النقع^(١). ثم خرج رسول الله إلى الناس فحرّضهم^(٢).

وقد قاتل ﷺ بنفسه قتالاً شديداً وكان بجانبه الصديق^(٣).

وقد ظهرت من الصديق شجاعة وبسالة منقطعة النظير، وكان على استعداد لقتل كل كافر عنيد ولو كان ابنه، وقد شارك ابنه عبدالرحمن في هذه المعركة مع المشركين، وكان من أشجع الشجعان بين العرب، ومن أنفذ الرماة سهماً في قريش، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي^(٤) يوم بدر فملتُ عنك ولم أقتلك، فقال له أبو بكر: ولكنك لو أهدفت لي لم أمل عنك^(٥).

● الصديق في يوم أحد وحمراء الأسد

في يوم أحد تلقى المسلمون درساً صعباً، فقد تفرقوا من حول النبي ﷺ، وتبعثر الصحابة في أرجاء الميدان، وشاع أن الرسول ﷺ قُتِل، وكان ردُّ الفعل على الصحابة متبايناً، وكان الميدان فسيحاً وكل مشغول بنفسه، وشق الصديق الصفوف، وكان أول من وصل إلى رسول الله ﷺ، واجتمع إلى رسول الله ﷺ أبو بكر، وأبو عبيدة بن الجراح، وعلي، وطلحة، والزبير، وعمر بن الخطاب، والحارث بن الصّمة، وأبو دجانة، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم، وقصدوا مع رسول الله ﷺ الشعب من جبل أحد في محاولة لاسترداد قوتهم المادية والمعنوية^(٦).

وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه، قال: قلت:

(١) النقع: الغبار.

(٢) سيرة ابن هشام (٤٥٧/٢).

(٣) البداية والنهاية (٢٧٨/٣).

(٤) أي ظهرت أمامي كهدف.

(٥) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص (٩٤).

(٦) مواقف الصديق مع النبي ﷺ في المدينة، للدكتور عاطف لماضة ص (٢٧).

كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشي خطفًا لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة، فانتبهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرَت ربايته وشُجَّ وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ عليكما صاحبكما - يريد طلحة - وقد نرف، فلم نلتفت إلى قوله، قال: ذهبت لأنزع من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسم عليك بحقي لما تركتني فتركته، فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأرزم عليها بفيه، فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتمًا... فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار، فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة، ورمية، وضربة، وإذا قد قطعت إصبعة فأصلحنا من شأنه (١).

وأمر الرسول ﷺ المسلمين مع ما بهم من جراحات أن يخرجوا في أثر المشركين في حمراء الأسد.

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت عن هذه الآية: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧٧]. فقالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم»، فانتدب منهم سبعون رجلاً، كان فيهم أبو بكر، والزبير (٢).

• الصديق في غزوة بني المصطلق

أراد بنو المصطلق أن يغزوا المدينة، فخرج لهم رسول الله ﷺ في أصحابه، فلما

(١) منحة المعبود (١٩/٢)، نقلًا عن تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، لجميل عبدالله المصري ص (١٣٠). مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (٢٤١٨).

انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق، ويُقال: إلى عمار بن ياسر، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد، ثم أمر عمر بن الخطاب، فنَادَى في الناس أن قولوا: لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا، فتراموا بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم رجل واحد، وقُتِل منهم عشرة وأُسِر سائرهم، ولم يُقتَل من المسلمين سوى رجل واحد^(١).

● في الخندق وبني قريظة

كان الصديق في الغزوتين مرافقاً للنبي ﷺ، وكان يوم الخندق يحمل التراب في ثيابه، وساهم مع الصحابة للإسراع في إنجاز حفر الخندق^(٢).

● في الحديبية لله در الصديق... وماذا قال لعروة بن مسعود الثقفي:

وفي الحديبية في سنة ست من الهجرة لما جمعت قريش جموعها؛ لصد النبي ﷺ والصحابة عن البيت، فقال النبي ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس»، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد حربه أو قتل أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: «امضوا على اسم الله»، وقد ثارت نائرة قريش، وحلفوا أن لا يدخل الرسول ﷺ مكة عنوة، ثم قامت المفاوضات بين أهل مكة ورسول الله ﷺ وقبلها، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خُطَّةً يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها»^(٣).

وانظر إلى غاية العزة الإيمانية والرد الصارم من البطل الصديق لما قال عروة بن مسعود لرسول الله ﷺ حين أرسلته قريش إلى النبي ﷺ في الحديبية: «أي محمد، أ رأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن

(١) البداية والنهاية (١٥٧/٤).

(٢) مواقف الصديق مع النبي ﷺ في المدينة ص (٣٢).

(٣) جزء من حديث عند البخاري رقم (٢٧٣٢)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

تكن الأخرى، فإني والله، لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً^(١) من الناس خليقاً^(٢) أن يفرّوا ويدعوك^(٣). فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات^(٤)، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قال: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك^(٥).

● كمال الصديقية عند صديق الأمة الأكبر يوم الحديبية وما قاله لعمر ابن الخطاب:

في يوم الحديبية عزّ على عمر بن الخطاب أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم شروط قريش، وذلك لأنه قاس الأمر برأيه^(٦)، وأتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أأنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذًا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أو ليس كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أن تأتيه العام؟»، قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوّف به»، قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر،

(١) الأشواب: الأخلاط من أنواع شتى، والأوباش - وهي رواية في الحديث كما صرح القسطلاني :- الأخلاط من السفلة، فالأوباش أخصّ من الأشواب.

(٢) خليقاً: أي: حقيقاً.

(٣) يدعوك: أي: يتركوك.

(٤) امصص بظر اللات: طاغية عروة الذي يعبد. والبظر: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضب به من نسبة المسلمين إلى الفرار.

وفيه جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك. وقال ابن المنير: في قول أبي بكر تخسيس للعدو، وتكذيبهم، وتعريض بالزامهم من قولهم إن اللات بنت الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بأنها لو كانت بنتاً لكان لها ما يكون للإنان.

(٥) جزء من حديث البخاري رقم (٢٧٣٢).

(٦) ولذا قال عمر رضي الله عنه بعد ذلك: «اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيته أردّ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيي، وما ألوث عن الحق». وعند ابن إسحاق قال عمر: ما زلت أتصدق، وأصوم، وأصلي، وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به. وعند الواقدي: قال عمر: لقد أعتقت بسبب ذلك رقاباً وصمّت دهرًا.

أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ وليس بعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه^(١)، فوالله، إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوّف به»^(٢).

قال ابن حجر في «الفتح» (٤٠٨/٥): «لم يذكر عمر أنه راجع أحدًا في ذلك بعد رسول الله ﷺ غير أبي بكر الصديق: وذلك لجلالة قدره وسعة علمه عنده، وفي جواب أبي بكر لعمر بنظير ما أجابه النبي ﷺ سواء دلالة على أنه كان أكمل الصحابة، وأعرفهم بأحوال رسول الله ﷺ وأعلمهم بأمور الدين، وأشدهم موافقة لأمر الله - تعالى -.. وقد وقع التصريح في هذا الحديث بأن المسلمين استنكروا الصلح المذكور، وكانوا على رأي عمر في ذلك، وظهر من هذا الفصل أن الصديق لم يكن في ذلك موافقًا لهم، بل كان قلبه على قلب رسول الله ﷺ سواء. وسيأتي في الهجرة أن ابن الدغنة وصف أبا بكر بنظير ما وصفت به خديجة رسول الله ﷺ من كونه يصل الرحم، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الحق، وغير ذلك، فلما كانت صفاتهما متشابهة من الابتداء استمر ذلك إلى الانتهاء».

كان جواب الصديق مثل جواب النبي ﷺ ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ فكان أبو بكر أكمل موافقة لله وللنبي ﷺ من عمر، مع أن عمر رضي الله عنه محدث، ولكن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث؛ لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله^(٣).

قال الصديق - فيما بعد - عن الخديجة: «ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح

(١) الغرز للإبل بمنزلة الركب للفرس، والمراد التمسك بأمره، وترك المخالفة له؛ كالذي يمسك بركب الفارس فلا يفارقه.

(٢) جزء من حديث البخاري رقم (٢٧٣٢).

(٣) الفتاوى، لابن تيمية (١١٧/١١).

الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يَعْجَلُونَ، واللَّه لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أَرَادَ، ولقد نظرت إلى سهيل بن عمرو^(١) في حجة الوداع قائمًا عند المنحر يقرب إلى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدنة، ورسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينحرفها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه، وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره، وأراه يضعه على عينه، وأذكر إباءه أن يُقَرَّ يوم الحديبية بأن يكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ويأبى أن يكتب: محمد رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحمدتُ الله الذي هداه للإسلام»^(٢).

● في غزوة خيبر:

ضرب رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصارًا على خيبر واستعدَّ لقتالهم، فكان أول قائد يرسله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر رضي الله عنه إلى بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، ثم فتح الله على يد علي بن أبي طالب، وأشار الصديق على النبي بعدم قطع النخيل لما في ذلك من الخسارة للمسلمين سواء فُتِحَتْ خيبر غنوة أو صلحًا، فقبل النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشورة الصديق، ونادى المسلمين بالكف عن قطع النخيل فرفعوا أيديهم^(٣).

● في نجد:

عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بعث رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر إلى نجد وأمّره علينا، فبيّتنا ناسًا من هوازن، فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا أمت أمت^(٤).

● سرية أبي بكر إلى بني كلاب بضريّة بنجد.

كانت هذه السرية بقيادة أبي بكر إلى بني كلاب بضريّة بنجد في شعبان من السنة السابعة، وهرب المشركون، وسبي قسم منهم.

(١) هو الذي فاوض رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديبية، واشتد في شرطه.

(٢) كنز العمال (٣٠١٣٦).

(٣) المغازي، للواقدي (٦٤٤/٢).

(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٢٤/١)، وأبو داود في «سننه»، باب البيات (٤٣/٣).

طَبِعَ (١) السيف ليبقى مُغَمِّداً
 فاستعن بالله واذهب منجداً
 أين دينُ الكفر من دين الهدى؟
 ما له في الله حدٌّ أو مدى
 ودَع السيف وأعناق العدى
 خُلِقَ الخَلْبُ لَلَيْثِ سُدَى
 من سقى منهم أفأويق (٢) الردى
 فهووا صرعى وأمسوا هُمِّداً
 وأبوا أن يُثْقَى أو يُعبداً
 وي كأن الله يجزي المفسداً
 ما المباير (٣) المواضي كالمدى

جرّد السيف أبا بكر فما
 تلك نجدٌ خيم الكفر بها
 جاهد القوم وزلزل دينهم
 سرت في بأسٍ بعيد المرمى
 إنها الحرب فسر لا تتئد
 فازم بابن الأكوع القوم فما
 هدّهم أسراً وسبياً وسقى
 جال فيهم جولة عاصفة
 صدفوا عن ربهم سبحانه
 فجزاهم من نكالٍ ما لقوا
 كذب الجهّال فيما زعموا

● سرية أبي بكر إلى بني فزارة:

عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة، وأمره النبي ﷺ علينا، فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة، فقاتلنا على الماء من مرّ قبلنا.

قال سلمة: ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل، فرميت بسهم فوق بينهم وبين الجبل. قال: فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء، وفيهم امرأة عليها قشع من آدم، ومعها ابنة لها من أحسن العرب، فنفلني أبو بكر، فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة، ثم بت فلم أكشف لها ثوباً، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال لي: يا سلمة، هب لي المرأة، قال: فقلت: والله يا رسول الله، لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، قال: فسكت رسول الله، وتركتني

(١) طبع السيف: عمله وصاغه.

(٢) أفأويق: جمع فيقة؛ وهي: اللبن يجتمع بين الحلبتين.

(٣) المباير: جمع ميبارة؛ وهي: صيغة مبالغة من الباتر؛ أي: القاطع.

حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال لي: يا سلمة، هب لي المرأة، قال: فقلت: والله يا رسول الله، والله ما كشفت لها ثوبًا، وهي لك يا رسول الله، قال: فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، وفي أيديهم أسارى من المسلمين، ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة^(١).

عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات: مرة علينا أبو بكر، ومرة علينا أسامة^(٢). قال ابن حجر في «الفتح» (٥٩١/٧): أما البعوث فسرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة كما ثبت من حديثه عند مسلم، وسريته إلى بني كلاب ذكرها ابن سعد، وبعثه إلى الحج سنة تسع.

● في سرية ذات السلاسل:

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، وبعث معه في ذلك الجيش أبا بكر، وعمر، وسراة^(٣) أصحابه.

عن عبد الله بن بريدة قال: «بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا يثوروا نازًا، فغضب عمر وهم أن يأتيه فنهاه أبو بكر، وأخبره أن الرسول ﷺ لم يستعمله عليك إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر^(٤)».

هنا تلوح جنديّة الصديق، وانضباطه، وطاعته لقائده، وتقديره واحترامه له.

● وقبل فتح مكة:

لما جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ طالبًا تجديد العقد وزيادة المدة، وطلب ذلك

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٤٣٠/٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٦٤/٤).

(٢) رواه البخاري (٤٢٧٠)، كتاب المغازي، باب بعث النبي أسامة بن زيد إلى الحرات.

(٣) سراة أصحابه: أي: شرفاء أصحابه.

(٤) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرک»، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي:

صحيح. كتاب المغازي (٤٢/٣).

من أبي بكر، قال أبو بكر: جوارى في جوار رسول الله، والله، لو وجدت الذر تقاتلكم لأعتها عليكم^(١).

● الصديق يوم فتح مكة:

لما دخل النبي ﷺ مكة كان بجانبه أبو بكر، رأى النساء يلطنن وجوه الخيل، فابتسم إلى أبي بكر ﷺ، وقال: «يا أبا بكر، كيف قال حسان؟»
فأنشد أبو بكر:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدَهَا كَدَاءُ
يَبَارِينِ الْأَسِنَّةِ مُصْفِيَاتٍ عَلَى أَكْتَاغِهَا الْأَسْلُ الْظَبَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَثْمَطَاتٍ تَلْطَمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ادخلوها من حيث قال حسان»^(٢).

● في حنين:

لم يثبت مع النبي ﷺ إلا قلة، ولم تكن الفئة التي صبرت مع النبي ﷺ إلا فئة من الصحابة يتقدمها الصديق ﷺ، ثم نصرهم الله بعد ذلك نصراً، عزيزاً، مؤزرًا^(٣).

● وفي تبوك.

تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله ﷺ، واختار رسول الله ﷺ الأمراء والقادة، وعقد الألوية والرايات لهم، فأعطى لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق ﷺ^(٤).

ولما حثَّ رسول الله ﷺ على الانفاق في تبوك «تصدق عمر بن الخطاب بنصف ماله، وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك، وترك الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك؛ حيث قال:

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية ص (١٤٥).

(٢) الحاكم في «المستدرک» (٧٢/٣) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، والطبري في «تاريخه» (٣/٤٢).

(٣) مواقف الصديق مع النبي في المدينة (٤٣).

(٤) صفة الصفوة (٢٤٣/١).

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسألك إلى شيء أبداً^(١).
كان فعل عمر فيما فعله من المنافسة والغبطة مباحا، ولكن حال الصديق رضي الله عنه أفضل؛ لأنه خال من المنافسة مطلقا، ولا ينظر إلى غيره^(٢).

● الصديق أمير الحج سنة ٥٩هـ:

في عام ٨هـ كلّف بإمارة الحج عُثَّاب بن أسيد، ولم تكن تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين^(٣).

فلما حل موسم الحج في السنة التاسعة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الصديق أميراً على الحج، فخرج أبو بكر بركب الحجيج، ونزلت سورة براءة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليّاً رضي الله عنه، وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بندي حليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور، ثم سار، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وعرف الناس مناسكهم في وقوفهم، وإفاضتهم، ونحرهم ونقرهم، ورميهم للجمرات.. إلخ، وعلي بن أبي طالب يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة، ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهد إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك^(٤).

(١) حسن: أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الزكاة (٣١٢/٢)، (ح/١٦٧٨)، وحسنه الألباني.

(٢) الفتاوى، لابن تيمية (٧٢/١٠)، (٧٣).

(٣) دراسات في عهد النبوة، لعلماد الدين خليل، ص (٢٢٢).

(٤) صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم صالح العلي ص (٦٢٥)، دار النفائس.

وكانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع^(١)، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، فأخذت العرب ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد.

● الشجاعة في ذروتها العليا وقيمتها السامقة شجاعة الصديق وثباته يوم موت الرسول ﷺ، فنبت الله به الأمة بأسرها:

«من شاء أن يرى إيمان أبي بكر في أحفل ساعاته... من شاء أن يرى الإيمان العلوي الموصول بقيوم السماوات والأرض، فلير هذا الإيمان يوم دُعي الرسول إلى الرفيق الأعلى، يوم تلقت المسلمون فجأة، فلم يروا بينهم «الأب» الذي كان يملأ حياتهم حناناً، والنور الذي كان يملأ وجودهم ضياءً. يومئذ تكشف جوهر هذا الإيمان. إيمان رجل رباني، أعطى الله موثقه مع محمد ﷺ، فإذا اختفى محمد ﷺ بالموت، فإن هذا الإيمان لا يضعف، بل يتفوق... ولا يجزع، بل يحتشد... ولا ينوء تحت وقع الضربة، بل ينهض أيّداً، رشيداً، ثابتاً؛ ليحمل مسؤولياته وتبعاته...!!
وهكذا وقف «أبو بكر» أو بتعبير أحجى، وقف إيمان أبي بكر يوم وفاة الرسول وقفة ما كان يقدر عليها سواه...!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لما تُوفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب، فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوفي، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه؛ كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله؛ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات!!

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة - رضي الله عنها - ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت، عليه برد حبرة، فأقبل حتى

كشفت عن وجه رسول الله ﷺ، ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال:
بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها
موتة أبداً.

قال: ثم ردَّ البرد على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال:
على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت، أقبل على
الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم
قال: أيها الناس، إنه من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله،
فإن الله حي لا يموت، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يُضَرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال: فوالله، لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت، حتى تلاها أبو بكر يومئذ،
قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم، قال عمر: فوالله، ما هو إلا أن
سمعت أبا بكر تلاها فغفرت^(١) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت
أن رسول الله ﷺ قد مات^(٢).

وفي رواية عائشة قالت: «فكشفت عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله، ثم بكى،
فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت
عليك فقد مُتَّها»^(٣) كتبت على الناس أن يسمعوا في لجج من الهول والأسى كلمة
الموت مقترنة بالرسول، فطار منهم صوابهم، ولقد كان أبو بكر أحق الناس بأكبر قدر
من الأسى والذهول. ولكن ثبات أبي بكر هو الثبات الذي ما بعده ثبات.
أفي هذه اللحظات الذاهلة، والفاجرة المزلزلة يكون مثل هذا الثبات؟

(١) غفرت: أي: ذهلت وتحوّرت.

(٢) حديث صحيح: أخرجه ابن إسحاق (٢٠٩٥)، وأحمد (٢٣٤/١)، والطبري في «تاريخه» (٢٠٠/٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤١)، (١٢٤٢)، وأحمد (٢٢٠/٦)، والنسائي (١١/٤)، وابن سعد (٢٦٥/٢).

ولكن البديهة المؤمنة التي تشبه عين الصقر وقعت في أقل من لمح البصر على كلمة السر التي سترد الهمم المنسحقة تحت وطأة الفاجعة إلى وعي قدير يستقبل تبعاته الجسام، ويعبر أزمة الموت بسلام...!!!

ولم تكن كلمة السر سوى هذه الصيحة الحاسمة الفاصلة: «من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات.. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت..»
إذن يا خيل الله اركبي.. ويا راية الله ارتفعي، ويا حملة الراية قوموا.. انهضوا..
واصلوا رحلة الشمس المشرقة، والدين الجديد^(١).

وعن هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

يقول القرطبي: «هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق، وجراسته، فإن الشجاعة والجرازة حدُّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه.

قال الناس: لم يمّت رسول الله ﷺ، منهم عمر، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

قال عمر: فكأنني لم أقرأها إلا يومئذ، ورجع عن مقالته التي قالها.
وكان قال ذلك لعظيم ما ورد عليه، وخشي الفتنة وظهور المنافقين، فلما شاهد قوة يقين الصديق الأكبر أبي بكر، وتفوهه بهذه الآية، تنبّه وتثبت، وقال: كأنني لم أسمع بالآية إلا من أبي بكر، وخرج الناس يتلونونها في سكك المدينة، كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم^(٢).

(١) خلفاء الرسول، لخالد محمد خالد ص (٦٤، ٦٥)، دار الجيل.

(٢) تفسير القرطبي (١٤٤/٤).

● الصديق الرجل الشاهق الباهر نسيج وحده في الشجاعة، وموقفه من بعث أسامة

لما التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، وتولى أبو بكر الخلافة، فكان أول أمر أصدره بعد أن تمت له البيعة بالخلافة: «أنفذوا بعث أسامة».

«ولكن أسامة ﷺ طلب من عمر بن الخطاب ﷺ أن يرجع إلى المدينة؛ ليستأذن أبا بكر في رجوع الناس قائلًا: «ارجع إلى خليفة رسول الله، فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل رسول الله يتخطفهم المشركون»^(١).

وأبلغ ابن الخطاب ﷺ رسالة أسامة إلى أبي بكر الصديق ﷺ، فلم يلبث حين سمعها أن ثارت ثائرة وقال: «لو خطفني الكلاب والذئاب، لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ».

كما رفض أبو بكر الصديق ﷺ رفضًا قاطعًا أن يؤمر على الجيش غير أسامة قائلًا لعمر بن الخطاب: «استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه؟!»^(٢).

وقال الناس لأبي بكر: «إن هؤلاء جند المسلمين، والعرب على ما ترى، فقد انتقضت بك، فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك» فأجابهم أبو بكر: «والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني، لأنفذت جيش أسامة؛ كما أمر النبي ﷺ»^(٣).

لقد كان أبو بكر الصديق ﷺ يريد أن يعلم المسلمين أهمية الطاعة وضرورة التحلي بالضبط المتين، فطبق ذلك على نفسه أولاً ملتزمًا بالطاعة إلى أقصى الحدود حتى يستطيع مطالبة غيره بالطاعة.

وكان بعث أسامة العنوان الأول لسياسة عامة في الدولة الإسلامية، هي في ذلك

(١) حدّ الناس: أصحاب النجدة والبأس منهم. وحدّ الرجل: بأسه ونفاذه في نجاته.

الثقل: المتاع، والثقل: الشيء النفيس الخطير. ويريد: أمهات المؤمنين، وآل النبي ﷺ

(٢) تاريخ الطبري (٤٦٢/٢).

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١٢٧/٢).

الحين خير السياسات.

كان قوام تلك السياسة طاعة ما أمر به رسول الله ﷺ، وكانت الطاعة - جد الطاعة - مناط السلامة وعصمة المعتمدين من الخطأ الأكبر في ذلك الحين. وحيث يكون التمرد الخطأ الأكبر، فالطاعة - بل الطاعة الصارمة - هي العصمة التي ليس من ورائها اعتصام.

وقد كان التمرد هو الخطر الأكبر في ذلك الحين بلا مرأى!

كان النفاق يطلع رأسه، وكانت القبائل في البادية تتسابق إلى الردة في أنحاء الجزيرة العربية، وكان جند أسامة يودون لو استبدل به أميراً غيره، وكان أسامة أول من يشك في طاعة القوم إياه، ويتربص أن يخلفه على البعثة أمير سواه. طاعة واجبة هنا حيث نبع التمرد، أو لا سبيل إلى واجب بعد ذلك يُطاع، وهنا تسعف الصديق طبيعة هي أعمق الطبائع فيه، فيقول وقد خوفوه الخطر على المدينة المنورة، وجيش أسامة يفارقها: «والله، لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ! ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين؛ لأجهز جيش أسامة».

لقد رأى أبو بكر رضي الله عنه أن العصمة - حق العصمة - في رأي واحد لا رأي قبله ولا بعده، وهو الطاعة في غير تردد، ولا هواده، ولا إبطاء^(١).

إن المسألة حين تُقاس بالرأي المجرد لا يبدو الصواب إلا في هذا الرأي الذي تبناه عمر وأسامه - رضي الله عنهما -.

ولكن أبا بكر يستمد منطقته من الاتباع الكامل.. وكل قضية عنده تتسع للاجتهاد إلا قضية أبرم الله فيها حكماً، أو أصدر الرسول فيها أمراً.

ولقد أمر الرسول صلى الله عليه وآله قبيل وفاته أن يُنفذ بعث أسامة، فليكن ما أمر الرسول

(١) بين العقيدة والقيادة، للواء الركن محمود شيت خطاب ص (٢٠٣ - ٢٠٦).

به، مهما تكن مستحدثات الظروف، ومهما تكن الأخطار التي تهدد المدينة...!!

وأبو بكر يُؤثر أن تتخطفه الذئاب على أن يرد للرسول ﷺ قضاء، أو يُعطّل مشيئة. إن بين الصديق وبين الله عهدًا وموثقًا يتمثلان في إيمانه الراسخ الصامد، والاتباع في أسمى مراتبه للنبي ﷺ.

وإنه لمصمم على أن يحمل حتى الموت كافة الالتزامات التي يفرضها هذا الاتباع الكامل، ولو تخطفته الذئاب!!

وهو على يقين أن الإيمان يحمل معه بصيرته التي تهدي إلى الحق وإلى الصواب. وفي قصة أسامة بالذات تجلّى صدق هذا اليقين. فأصرار أبي بكر على إنفاذ بعث أسامة لم يُفَى عليه مثوبة الطاعة فحسب، بل أفاء عليه الرشد والمنهج الصواب.

فهناك صوب الشمال كانت الفتنة قد شرعت تَدِرُّ قرنيها، ولكن لم تكد القبائل التي مر بها جيش أسامة وهو في طريقه إلى الشام.. لم تكد تبصر هذا الجيش اللجب حتى عاد إليها صوابها، وقال بعضهم لبعض: «والله، لو كانت المدينة تمن تحت وطأة الضعف والخلاف كما سمعنا، ما كان يؤسعها أن تبعث هذا الجيش في هذه الأيام لتقاتل الروم...!!».

وهكذا كان مجرد تحرك الجيش إلى غايته مثبِّطًا أي مثبط لكثير من القبائل التي كانت فتنة الردة تتسلل إليها..!!

لقد ضرب الصديق أروع مثال للجنديّة، والطاعة، ونبل القيادة، فشيخ جيش أسامة وهو ماشٍ على قدميه، وعبدالرحمن بن عوف ﷺ يقود دابته بجواره، فقال أسامة: «يا خليفة رسول الله؛ والله لتركبن أو لأنزلن» فقال: «والله لا تنزل، والله لا أركب، وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة». ثم يقول الفارس ذو المروعة أبو بكر الصديق لجنده وقد وقف فيهم خطيبًا: «أيها الناس، أوصيكم بعشر، فاحفظوها

عني: لا تخونوا، ولا تغلوا^(١)، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا^(٢)، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا بيعوا إلا لما أكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقواماً قد فحصوا^(٣) أو ساطرءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً... اندفعوا باسم الله».

وقال لأسامة: «اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ: «ابدأ ببلاد قضاة، ثم ائت آبل^(٤)»، ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده^(٥)».

وسار أسامة في ثلاثة آلاف رجل يقطع البيد في أيام شديدة الحر من شهر حزيران «يونيو»، وبعد مسيرة عشرين يوماً نزل بجيشه، فأغار على «آبل» الواقعة شمال «مؤتة»، وبث خيوله في قبائل قضاة وأحلافهم، تلك القبائل التي ظهرت الروم على جيش المسلمين في غزوة «مؤتة»، فبث خيوله في تلك القبائل، وقضى على كل مقاومة صادفها هناك، فما رُئي جيش كان أسلم من ذلك الجيش^(٦).

وعاد أسامة إلى المدينة بجيشه الظافر، فتلقاه أبو بكر الصديق ﷺ في جماعة من الصحابة وتلقاه أهل المدينة، فدخل المدينة والناس حوله يرددون قول النبي ﷺ «إنه لخليق بالإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها»^(٧).

(١) غلّ: خان في الغنم.

(٢) مثّل بفلان: نكّل به بجذع أنفه، أو قطع أنفه، أو غيرها من الأعضاء.

(٣) فحصوا أو ساطرءوسهم: كشفوها بحلق شعرها.

(٤) تُسمى آبل الزيت؛ وهي: مدينة بالأردن من مشارف الشام.

(٥) تاريخ الطبري (٤٦٣/٢).

(٦) طبقات ابن سعد (٦٨/٤).

(٧) بين العقيدة والقيادة ص (٣٠٦-٣٠٨).

لقد كان أثر هذه الغزوة عظيمًا في المرتدين وغيرهم، فقد شاع في الجزيرة العربية خبرها، فكانت لا تمر بقبيل يريدون الارتداد إلا تخوفوا وسكنوا، وقالوا فيما بينهم: «لو لم يكن المسلمون على قوة، لما خرج من عندهم هؤلاء!».

وكان أثرها في تأديب القبائل العربية القاطنة على الحدود الشمالية لجزيرة العرب واضحًا، فلم يحركوا ساكنًا بعدها أبدًا، حتى جاءتهم جيوش المسلمين في سنة ثلاث عشرة الهجرية، فدخلوا في الإسلام وأصبحوا من حماته.

ولكن أثرها في إبراز الطاعة والحرص على متطلباتها كان عظيمًا جدًا، فما من جيش يُكتب له النصر، وما من أمة يُكتب لها النصر، إلا إذا كانت الطاعة الحقة طبيعة من طبائعها وسجية من سجايها».

وكان المثال الشخصي الذي ضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الحرص على الطاعة من أعظم الدروس التي ضربها للمسلمين في بداية حياته العملية في الخلافة.

● الردة أعظم فتنة مرت بالمسلمين وتصدى الصديق لها

عن أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: «تُوْفِي رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها^(١)، اشْرَاب^(٢) النفاق بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله، ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وفنائها في الإسلام»^(٣).

● أعز الله بالصديق الدين يوم الردة:

لقد كان قلب الصديق في تلك النازلة العظمى التي اهتزت لها الدنيا بأجمعها -

(١) هاضها: الهض، والهضض: كسر دُون الهُدِّ، وفوق الرضِّ، وقيل: هو الكسر عامة، وقيل: الكسر للعظم.

(٢) اشْرَاب النفاق: أي: ارتفع وعلا، يُقال: اشْرَاب الرجل إلى الشيء اشْرَبًا: إذا مدَّ عنقه إليه، وارتفع إليه وعلا.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٥٧٤/٨) في «مصنفه»، وأخرجه أبو القاسم البغوي، وأبو بكر الشافعي في «فوائده»، وابن عساكر، كما في «تاريخ الخلفاء»، للسيوطي ص (١٢٠)، وأخرجه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» من طرق، ورجال أحدهما ثقات، كما في «المجمع» (٥٠/٩).

وهي موت رسول الله ﷺ لو وزن بقلوب الأمة لرجحها. وكان عزمه في قتال من ارتد لو فُزق على قلوب الجبناء من أهل الأرض لشجعهم إلى أن قام بمهمة قناة الإسلام بعد اعوجاجها، وجرت الملة الشهباء على سننها ومنهاجها.

وأذن مؤذن الإيمان: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢)، وتولى حزب الشيطان وهم خاسرون، فتلك - لعمر الله - الشجاعة التي تضاءلت لها فرسان الأمم، والهمة التي تنازلت لها أعالي الهمم، فرضوان الله عليه أبداً ما شهَرَ بارق، وقهر مارق، وعلى بقية الصحابة أجمعين^(١).

ولنبداً بالقصة من أولها لترى شجاعة الصديق شاخصة أمام عينيك: عندما نعيش مع المصادر التاريخية التي سجلت أحداث تلك الأيام الفاصلة يأتلق حتى يملأ الأفق سؤال أكيد هو: أي مصير كان ينتظر الإسلام لو لم يكن أبو بكر يومئذ هناك..؟؟

لقد كان ابن مسعود يُسِّطُ الحقيقة الكبرى في قوله: «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه، لولا أن مَنَّ اللهُ علينا بأبي بكر».

أجل، لقد كان «أبو بكر» يومئذ نعمة الله ومثوبته للدين، وللناس.

فقد تضرمت الأرض ناراً في الجهات النائية من المدينة والتي كان معظم أهلها حديثي العهد بإسلام، لقد سقط هؤلاء تحت صياح الكاذبين المهرة الذين كانوا يتربصون بالإسلام كل سوء.

لقد انشقت الأرض فجأة عن كل الموتورين به والمتربصين، وعن أنبياء كذبة قادوا ببراعة الإفك، جميع الذين كانت الغفلة ترشحهم لأن يكونوا ضحايا أكاذيبهم، لا سيما أولئك البعيدين من المدينة والداخلين في الإسلام من قريب.

وقف طليحة الأسدي يعلن نبوة كاذبة، وتبعه الكثيرون من قبائل أسد، وغطفان

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، لابن النحاس (١/٢٦٥، ١/٢٦٦).

وطيئ، وعبس، وذبيان.

ثم اشتعلت نيران الردة في بني عامر، وهوازن وسليم.

ثم شبت في بني تميم، وجاءتهم المرأة «سجاح» تزعق فيها بنبوتها الضالة المهرجة..!!

ثم تمرد أهل اليمامة رافعين لواء أخطر مُدعي النبوة جميعًا مُسيلم الكذاب. وهكذا، بعد أن كان أبو بكر يواجه فلولاً صغيرة أصبح أمام جيوش جرارة، قوامها عشرات الألوف من المقاتلين.

وسرت العدوى إلى أهل البحرين، وعُمان، والمهرة، وصار هؤلاء وأولئك يتغنون بيت من الشعر أطلقه أحد شعرائهم.

أطعنا رسول الله ما دام بيننا فيا لِعبادِ الله ما لأبي بكر؟؟
ولكن، لله من خَلقِه رجال تتحول الحن بين أيديهم إلى مَنح، والكوارث إلى ربيع
تملؤه روح الحياة!! وأبو بكر سيد هؤلاء الرجال..!!

فخلال هذه المحنة الصاهرة التي أمت بالإسلام، هب الرجل الحكيم القوي من فوره، فرأب الصَّدع، وحول الصف إلى تماسك واقتدار.

وكانت حظوظ الإسلام وافية، ومقاديره عظيمة إذ جاءته هذه المحنة وأبو بكر حامل الراية وقائد الأمة.

وبفضل من الله ورحمة تفوق الرجل الكبير، والخليفة المؤمن على أخطار كانت حريةً بأن تُداعي بناء إمبراطورية شامخة راسخة، فما البال بيناء غض جديد؟! وكانت تلك الأيام المزلزلة أعظم أيام الإسلام بعد رسول الله وأخصبها، وأكثرها بركة عليه، وخيرًا لمصيره.

لقد سقطت الأقنعة عن الوجوه المتنكرة، وتقيأت الصدور المتوترة كل أحقادها الدفينة، وأقبلت النار تصهر الأمة الجديدة، وتنفي خبثها بصورة شاملة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لما تُوفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر، وكفر من كفر من

العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه^(١)، وحسابه على الله».

فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق^(٢) بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً^(٣) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. وفي رواية أخرى: والله لو منعوني عقلاً^(٤) كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فعرفت أنه الحق^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «لما كانت الردة، قال عمر لأبي بكر: أتقاتلهم، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟!»

فقال أبو بكر: والله، لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما. قال عمر: فقاتلنا معه، فرأينا ذلك رشداً^(٦).

ولله در أبي بكر ما أشد غيرته على الإسلام حين يقول كلمة نورانية فاض بها لسانه، ونطق بها جنانه؛ وكأنما تحدثت السكينة على لسانه، كلمة تساوي خطبة

(١) أي بحق الإسلام.

(٢) المراد بقوله: فرق: من أقر بالصلاة، وأنكر الزكاة جاحداً أو مانعاً مع الاعتراف، وإنما أطلق في أول القصة الكفر؛ ليشمل الصنفين، فهو في حق من جحد حقيقة، وفي حق الآخرين تغليبا، وإنما قاتلهم الصديق، ولم يعذرهم بالجهل؛ لأنهم نصبوا القتال، فجهز إليهم من دعاهم إلى الرجوع، فلما أصروا قاتلهم، انظر: «فتح الباري» (٢٧٧/١٢).

(٣) العناق: الأنتى من ولد المعز.

(٤) العقال: هو الحبل الذي يعقل به البعير.

(٥) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٩٢٤، ٦٩٢٥)، ومسلم (٢٠)، وأحمد (١٩/١، ٤٨) (٢/٤٢٣)، وعبدالرزاق في «مصنفه» (١٨٧١٨)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٧٣٤)، والنسائي

(٧٦/٧، ٧٨، ٧٩)، وابن حبان (٢١٧)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (١٠٤/٤).

(٦) إسناده صحيح: أخرجه النسائي (٧٧/٧)، وأحمد (١١/١)، وابن أبي شيبة في

«مصنفه» (٥٧٨/٦).

بليغة طويلة، وكتابًا حافلًا: «قد انقطع الوحي، وتم الدين، أينقص وأنا حي؟!»^(١). وفي رواية قال عمر: فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم، فقال لي: أجبار في الجاهلية خوَّار في الإسلام، قد انقطع الوحي، وتم الدين، أينقص وأنا حي؟!^(٢). كان موقف أبي بكر ﷺ الذي لا هوادة فيه، ولا مساومة فيه، ولا تنازل، موقفًا ملهمًا من الله، يرجع إليه الفضل الأكبر - بعد الله - تعالى - في سلامة هذا الدين، وبقائه على نقائه، وصفائه، وأصالته، وقد أقرَّ الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية، ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة موقفًا اقتدى فيه بالأنبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أدى أبو بكر ﷺ حقها، واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها.

عن أبي رجاء العطاردي قال: «دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلًا يقبل رأس رجل وهو يقول: أنا فداؤك! لولا أنت لهلكنا. فقلتُ: من المقبَّل ومن المقبَّل؟ قالوا: عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين»^(٣).

الصديق القائد

لولا لم يكن للصديق قدر كبير من الكفاءة القيادية، لكان له في ملازمة الرسول ﷺ خير مدرسة لتعلم مبادئ الحرب وفنونها، فلقد كانت حياة الرسول القائد جهادًا متصلًا، وصراعًا متلاحقًا، ومعارك وغزوات متتالية. وكانت مدرسة الحرب هذه حافلة في كل يوم بالدروس القيمة والتجارب القتالية الثمينة، فكيف وقد توافرت للصديق كفاءة عالية في مجال السياسة الاستراتيجية وإدارة الحرب كما سنبين.

(١) المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي ص (٧٠)، دار القلم.

(٢) مشكاة المصابيح، كتاب المناقب رقم (٦٠٣٤). رواه رزين، وسكت عنه الألباني.

(٣) المرتضى لأبي الحسن الندوي ص (٧٢).

● خطة الصديق لحماية المدينة:

جاءت وفود بعض القبائل التي امتنعت عن دفع الزكاة للصديق محاولة إقناعه بالتنازل عن أخذ الزكاة، وأصرَّ الصديق على موقفه، وقرأ الصديق في وجوه القوم الغدر، ورأى فيها الخسة، وتفرس فيها اللؤم، فقال لأصحابه: «إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً؟! وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد آئنا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا»^(١).

ووضع الصديق ﷺ خطته على النحو التالي:

١- ألزم أهل المدينة بالمبيت في المسجد حتى يكونوا على أكمل استعداد للدفاع.
٢- نظم الحرس الذين يقومون على أنقاب المدينة ويبيتون حولها حتى يدفعوا أي غارة قادمة.

٣- عين على الحرس أمراءهم: علي بن أبي طالب، والزيير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود ﷺ^(٢).

٤- بعث أبو بكر ﷺ إلى من كان حوله من القبائل التي ثبتت على الإسلام، من أسلم وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة، وكعب؛ يأمرهم بجهاد أهل الردة، فاستجابوا له حتى امتلأت المدينة المنورة بهم، وكانت معهم الخيل والجمال التي وضعوها تحت تصرف الصديق، ومما يدل على كثرة رجال هذه القبائل وكبر حجم دعمها للصديق: أن جهينة وحدها قدمت إلى الصديق في أربع مئة من رجالها ومعهم الظهر والخيل، وساق عمرو بن مرة الجهني مئة بعير لإعانة المسلمين، فوزعها أبو بكر في الناس^(٣).

(١) تاريخ الطبري (٦٤/٤).

(٢) تاريخ الطبري (٦٤/٤).

(٣) الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة، للدكتور مهدي رزق الله ص (٢١).

٥- ومن ابتعد من المرتدين عن المدينة، وأبطأ خطره، حاربه بالكتب يبعث بها إلى الولاة المسلمين في أقاليمهم؛ كما كان رسول الله ﷺ يفعل، يحرضهم على النهوض لقتال المرتدين؛ ومن ذلك رسالته لأهل اليمن حيث المرتدة من جنود الأسود العنسي التي قال فيها: «أما بعد، فأعينوا الأبناء على من ناوأهم، وحوطوهم، واسمعوا من فيروز، وجدوا معه، فإني قد وليته».

٦- وأما من قرب منهم من المدينة واشتد خطره؛ كبنو عيس وذيان، فإنه لم يربداً من محاربتهم على الرغم من الظروف القاسية التي كانت تعيشها مدينة رسول الله ﷺ، فكان أن آوى الذراري والعيال إلى الحصون والشعاب محافظة عليهم من غدر المرتدين، واستعد للنزال بنفسه ورجاله^(١).

● فشل أهل الردة في غزو المدينة:

بعد ثلاثة أيام من رجوع وفود المرتدين طرقت بعض قبائل أسد، وغطفان، وعيس، وذيان، وبكر المدينة ليلاً، وخلفوا بعضهم بذي حُسي؛ ليكونوا لهم رداءً، وانتبه حرس الأنقاب لذلك، وأرسلوا للصديق بالخبر، فأرسل إليهم أن الزموا أماكنكم، ففعلوا، وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم فانفش العدو، فأتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حُسي، فخرج عليهم الردء بأنحاء^(٢) قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم ددهوها^(٣) بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده كل نخي في طولها^(٤)، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها - ولا تنفر الإبل في شيء نفاها من الأنحاء -، فعاجت بهم ما يملكونها، حتى دخلت بهم المدينة، فلم يُصرع مسلم، ولم يُصب^(٥)، فظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي العقبة بالخبر، فقدموا

(١) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، للدكتور علي محمد محمد الصلابي ص (٢١٦)، مكتبة الصحابة.

(٢) الأنحاء: هي القُرب.

(٣) أي دفعوها.

(٤) أي في حبله.

(٥) تاريخ الطبري (٦٥/٤).

عليهم اعتمادًا في الذين أخبروهم، وهم لا يشعرون لأمر الله ﷻ الذي أراده وأحب أن يبلغه فيهم.

روى الطبري في تاريخه (٢٤٥/٣ - ٢٤٨): «بات أبو بكر ليلته يتهياً، فعبيّ الناس، ثم خرج عليّ تعبياً من أعجاز ليلته يمشي، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن، وعلى الساقة^(١) سويد بن مقرن معه الركاب، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حسّاً حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقُتل حبال - أخو طليحة الأسدي -، وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي قصة، وكان أول الفتح، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد من المسلمين، فذل بها المشركون، ورجع أبو بكر المدينة، فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين، فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم فعلهم، وعز المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين كل قتلة، وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة».

وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي:

غداة سعى أبو بكر إليهم كما يسعى لموته جلالُ
أراح على نواحقها علياً ومج لهن مهجته حبالُ
وصمم الصديق على أن ينتقم للشهداء، وأن يؤدب هؤلاء الحاقدين، ونفذ قسمه، وازداد المسلمون في بقية القبائل ثباتاً على دينهم، وازداد المشركون ذلاً وضعفاً، وهواناً، وبدأ صدقات القبائل تفر على المدينة، فطرقت المدينة صدقات نفر: صفوان، ثم الزبيرقان، ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني وسطه، والثالث في آخره، وفي ليلة واحدة أثرت المدينة بأموال زكاة ستة أحياء من العرب، وكان كلما طلع على المدينة أحد جباة الزكاة قال الناس: نذير، فيقول أبو بكر: بل بشير، وإذا

بالقادم يحمل معه صدقات قومه، فيقول الناس لأبي بكر: طالما بشرتنا بالخير ^(١)؛ وفي هذه الأثناء عاد أسامة بن زيد بجيشه، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم ^(٢).

• خروج الصديق إلى أهل الرَبِذَة بالأبرق:

خرج الصديق في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون: نشدك الله يا خليفة رسول الله، ألا تُعْرِضَ نفسك! فإنك إن تُعَبِّ لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد من العدو، فابعث رجلاً، فإن أصيب أمرت آخر.

فقال: لا والله، لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي ^(٣). وظهر معدن الصديق النفيس.. القائد الذي يفتدي قومه بنفسه، لقد خرج الصديق على تعبته إلى ذي حُسَيٍّ وذو القصة، والنعمان، وعبدالله، وسويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الرَبِذَة بالأبرق، فهزم الله الحارث وعوقفاً، وأخذ الحطيئة أسيراً، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً، وقد غلب بني ذبيان على البلاد، وقال: حرام على ذبيان أن يملكوا هذه البلاد إذ غُتِّمَناها الله وأجلاها. فلما غلب أهل الردة ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه، وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة، وهي كانت منازلهم لينزلوها، فمنعوا منها، فأتوه في المدينة، فقالوا: علام تُمنع من نزول بلادنا! فقال: كذبتم، ليست لكم ببلاد، ولكنها مَوْهَبِي وَنَقْدِي ^(٤). ولم يُعْتَبَهُم ^(٥)؛ وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الرَبِذَة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين؛ لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات، وقال في يوم الأبرق زياد

(١) تاريخ الطبري (٦٧/٤).

(٢) تاريخ الطبري (٣٧/٤).

(٣) تاريخ الطبري (٦٧/٤).

(٤) النقد: ما استنقذ من الأعداء.

(٥) أي: لم يُقَلَّ عثرتهم.

ابن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شهدنا على ذبيان يلتهب التهابا
 أتيناهم بداهية نسوف^(١) مع الصديق إذ ترك العتابا^(٢)
 فخرج الصديق رضي الله عنه للجهاد ثلاث مرات متتالية - وهو الشيخ الذي بلغ الستين
 من عمره - يدل على فدائية الصديق وفروسيته.

قال ضرار بن الأزور وهو من هو حينما أخبر أبا بكر الصديق بخبر تجمع طليحة
 الأسدي، قال: فما رأيت أحداً - ليس رسول الله - أملاً بحرب شعواء من أبي بكر،
 فجعلنا نخبره بما له، ولا عليه^(٣).

وهذا وصف بليغ لما كان يتصف به أبو بكر من اليقين الراسخ، والثقة التامة بوعد
 الله - تعالى - لأوليائه بالنصر على الأعداء والتمكين في الأرض، فأبو بكر لم يُفَقِ
 الصحابة بكبير عمل، وإنما فاقهم بحياسة الدرجات العلى من اليقين.

● الصديق القائد

إن الأسطر القليلة التي كتبناها ونقلناها عن المصادر التاريخية عن معركة ذي
 حُسى وذي قصة التي قادها الصديق بنفسه لتدلُّ أعظم دلالة على ما توافر للصديق
 من كفاءة في قيادة العمليات، ومن قدرة لتطبيق مبادئ الحرب بصورة رائعة؛ فقد
 جمع الصديق المعلومات الكافية عن تحرك المرتدين، وحدد حجم قواتهم بدقة، كما
 أنه حدد مواقع تمركزهم في ذي حُسى وذي قصة، وقامت قوات المسلمين بما يشبه
 الغارة الاستطلاعية، واستخدم الصديق ستار ظلمة الليل بعد اتخاذ تدابير الحيطة
 والأمن للتحرك، لقد استخدم الصديق مبدأ «المبادأة» ولم يتركه في قبضة أعدائه،
 فأسرع للقائهم، وفرض عليهم المواقف التي يريد، فدمر تجمعهم، ثم طاردهم إلى

(١) أي: شاقة.

(٢) تاريخ الطبري (٤/٦٧)، إذ ترك العتابا؛ أي: ترك إقالة العثرات.

(٣) التاريخ الإسلامي، للحميدي (٩/٤٨).

ذي قصة، ومزق جمعهم فيها. فقد صمم الصديق على حرمان أعدائه باستمرار من المبادأة، فوجه جيوش الردة في كل اتجاه، وفرض على أعدائه المواقف التي يريدونها، وحرّمهم من حرية العمل العسكري، وعندما انتهت حروب الردة، أسرع إلى توجيه الجيوش لحرب الشام والعراق، فكان ذلك تطويراً للمبادأة، وعندما حاول الفرس والروم استعادة المبادأة بخلق مواقف متطورة سواء عن طريق تجميع جيوشهم، أو عن طريق محاولة تدمير كل جيش بمعزل عن جيوش المسلمين الأخرى، تصدى لمعالجة الموقف بتطوير المبادأة، واتخاذ الإجراءات التي تحفظ لقيادة جيوش المسلمين حرية عملهم على ميادين القتال.

ولم يكن حرص الصديق على «تحقيق المباغته» أقل من حرصه على المبادأة - كما سنبين - في حروب الشام والعراق بطريقة أذهلت قادة الفرس والروم على حد سواء.

● إرسال الجيوش لقتال المرتدين في كل أنحاء جزيرة العرب:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبي شاهرًا سيفه راكبًا راحلته إلى وادي ذي القصة، فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأخذ بزمام راحلته، فقال: «إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد^(١): شم^(٢) سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة؛ فوالله، لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدًا فرجع^(٣)».

قسم الصديق الجيش الإسلامي إلى أحد عشر لواء، وجعل على كل لواء أميرًا، وأمر كل أمير جند باستنفار من مر به من المسلمين التابعين من أهل القرى التي يمر بها، وهم:

١- جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني أسد، ثم إلى تميم، ثم إلى اليمامة.

(١) لما أراد أن يبارز ابنه عبدالرحمن، فقال له: «شم سيفك، وارجع إلى مكانك».

(٢) شم سيفك: أغمده، ويقال: سلّه، وهو من الأضداد.

(٣) الكامل، لابن الأثير (٢/١٣٠)، والبداية والنهاية (٦/٣١٩).

- ٢- جيش عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه إلى مسيلمة في بني حنيفة، ثم إلى عمان والمهرة، فحضر موت، فاليمن.
- ٣- جيش شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه إلى اليمامة في إثر عكرمة، ثم حضر موت.
- ٤- جيش طريفة بن حاجز رضي الله عنه إلى بني سليم من هوازن.
- ٥- جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى قضاة.
- ٦- جيش خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه إلى مشارق الشام.
- ٧- جيش العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى البحرين.
- ٨- جيش حذيفة بن محصن الغلفاني رضي الله عنه إلى عمان.
- ٩- جيش عرفجة بن هرثمة رضي الله عنه إلى مهرة.
- ١٠- جيش المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه إلى اليمن «صنعاء ثم حضر موت».
- ١١- جيش سويد بن مقرن رضي الله عنه إلى تهامة اليمن^(١).

وقد أخذت قرية «ذي القصة» مركز انطلاق، وقاعدة تحرك للجيش المنظمة التي ستقوم بالتحرك إلى مواطن الردة للقضاء عليها. وتبنى خطة الصديق رضي الله عنه عن عبقرية فذة، وخبرة جغرافية دقيقة، ومن خلال تقسيم الألوية، وتحديد المواقع يتضح: أن الصديق رضي الله عنه كان جغرافيًا دقيقًا خبيرًا بالتضاريس والتجمعات البشرية، وخطوط مواصلات جزيرة العرب، فكأن الجزيرة صورت نصب عينيه في غرفة عمليات مجهزة، فمن يتمعن تسيير الجيوش ووجه كل منها، واجتماعها بعد تفرقها، وتفرقها لتجتمع ثانية، يرى تغطية سليمة رائعة صحيحة مثالية لجميع أرجاء الجزيرة، مع دقة في الاتصالات مع هذه الجيوش، فأبو بكر في كل ساعة يعلم أين مواقع الجيوش، ويعلم دقائق أمورها وتحركاتها، وما حققت، وما عليها في غد من واجبات، والمراسلات دقيقة وسريعة، تنقل أخبار الجبهات إلى مقر القيادة في المدينة حيث الصديق، وكان على صلة مستمرة مع جيوشه كلها، وبرز من المراسلين العسكريين ما

بين الجبهات وبين مقر القيادة: أبو خيثمة النجاري الأنصاري، وسلمة بن سلامة، وأبو برزة الأسلمي، وسلمة بن وقش^(١).

ولقد جمعت تلك الجيوش بين مهارة القيادة، وبراعة التنظيم، فضلاً عن الخبرة في القتال، ولقد رأى الصديق بثاقب فكره وعسكريته أن المرتدين لا زالوا متفرقين كل في بلده، ولم يحصل منهم تحزب ضد المسلمين بالنسبة للقبائل الكبيرة المتباعدة في المكان:

أولاً: لأن الوقت لم يكن كافياً للقيام بعمل كهذا؛ حيث لم يمض على ارتدادهم إلا ما يقرب من ثلاثة شهور.

وثانياً: لأنهم لم يدركوا خطر المسلمين عليهم وأنهم باستطاعتهم أن يكتسحوهم جميعاً في شهور معدودة؛ ولذلك أراد الصديق أن يعاجلهم بضربات مفاجئة أخذاً بالمبادأة وتطبيقاً للمباغنة تقضي على شوكتهم وقوتهم قبل أن يجتمعوا في نصره باطلهم، فعاجلهم قبل استفحال فتنهم.

وكتب الصديق كتاباً واحداً إلى قبائل العرب من المرتدين، فدعاهم إلى العودة إلى الإسلام وتطبيقه كاملاً كما جاء من عند الله - تعالى -، وحذرهم سوء العاقبة فيما لو ظلوا على ما هم عليه في الدنيا والآخرة، وكان قوياً في إنذارهم، وهذا هو المناسب لشدة انحرافهم.

وكتب إلى قواده وجيوشه وللمرتدين: إني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً، ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له، وأقر، وكف، وعمل صالحاً قبل منه، وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن تبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ

(١) في التاريخ الإسلامي، لشوقي أبو خليل ص (٢٢٦، ٢٢٧).

كتابي في كل مجمع لكم... (١).

● الحِطَّةُ الْمُخْزِيَّةُ أَوْ الْحَرْبُ الْمُجَلِيَّةُ

لقد قابل الصديق فتنة الردة بأحزم ما تُقَابِلُ به من بدايتها إلى منتهاها، وعالجها علاجها في كل خطوة من خطواتها وكل ناحية من نواحيها؛ فبادرها بالحزم من صيحتها الأولى، وتعقبها بالحزم يوماً بعد يوم حتى أسلمت مقادها وتابت إلى قرارها. ولقد ثبت الصديق ثباتاً عجيباً أمام تيار المرتدين الجارف، وَقَاوَمَ بصبر وتصميم كل فكرة تدعو لمهادنتهم، وما رضي من المرتدين إلا بالحطة المخزية أو الحرب المجلية (٢).

عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: «لما قدم وفدُ بزاخة وأسد وغطفان على أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه الصلح - وفي رواية: جاء أهل الردة من أسد وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح -، خيرهم أبو بكر بين حرب مجلية (٣) أو حطة مخزية (٤)؛ فقالوا: يا خليفة رسول الله، أما الحرب فقد عرفناها، فما الحطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة (٥) والكراع (٦)، وتتركون أقواماً تتبعون أذنان الإبل (٧)، حتى يُرِيَّ الله خليفة نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أمراً يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا تؤذي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا، ولاندي قتلاكم (٨).

(١) تاريخ الطبري (٤/٦٩، ٧٠، ٧١).

(٢) عبقرية الصديق (١٤٩).

(٣) حرب مجلية؛ أي: حرب مُخرجة عن الدار والمال. فالجلاء: الخروج عن البلد.

(٤) حطة مخزية: الحطة: الوضع والإنزال. والمخزية: المذلة، والمراد: أو سلم يُخزىكم، وبذلكم.

(٥) الحلقة: اسم لجملة السلاح والدروع، وغلب هذا النوع من السلاح على الدروع.

(٦) الكراع: اسم يجمع الخيل.

(٧) وفي رواية: البقر. وفيه إنزال الذلة بهم.

(٨) يعني: تدفعون إلينا دية قتلانا، ولا ندفع إليكم دية قتلاكم.

فقال عمر: أما قولك «تدون قتلانا» فإن قتلانا قُتلوا على أمر الله؛ لا دِيَّات لهم^(١).
فَاتَّبَعَ عمر، وقال عمر في الباقي: نِعَمَ ما رأيت.

وفي رواية: فقال عمر: يا خليفة رسول الله، القول كما قلت، غير أن قتلانا قُتلوا في سبيل الله؛ لا دية لهم^(٢).

لقد تمزق المرتدون، وَتَمَّ القضاء على فتنة طليحة الأسدي والأسود العنسي، وقُتِلَ مسيلمة الكذاب.

تمزق المرتدون بدداً؛ كبقايا زوبعة ضالة، وولَّوا أمام الحق نائحين بشعر:
ألا فاسقياي قبل خيل أبي بكر لعل منايانا قريب ولا ندري
«خيل أبي بكر»!!؟ لقد صارت هذه العبارة كقعقة الهول في أسماع الذين
أرادوا أن يخضعوا الحق للباطل^(٣).

ولم تحلَّ سنة اثنتي عشرة الهجرية (٦٣٣م) أي بعد عام من وفاة النبي ﷺ إلا
وكانت طلائع الجيوش الإسلامية تُهدِّدُ ملك كسرى في العراق وملك قيصر في
أرض الشام، وتهاجم الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية في عقر داريهما.
لم يمتِ الصديق إلا وجيوشه تحاصر أعظم إمبراطوريتين وتُنزِلُ بهما أفضع الهزائم،
وأنجز الصديق القائد ما ظنه الناس خيالاً لا يُنجزُ.

● الصَّدِيقُ وَالْقَضَاءُ عَلَى «حَرَكََةِ الْبَغَايَا»

لما مات رسول الله ﷺ، قامت بعض بنات اليمن من يهود ومن لَفَّ لَفَّهُمْ في
حضر موت، وَطِرْنَ فرحاً بموت رسول الله ﷺ؛ فأقمن الليالي الحمراء مع الجان
وَالْفَسَاقِ، يشجعن على الرذيلة، ويزرين بالفضيلة، فقد رقص الشيطان فيها معهن

(١) أي: حسابهم على الله ﷻ؛ ليوفي لهم الأجر في الآخرة.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٩٧٤)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٢٢/٣)، وابن كثير في «البداية» (٣٥٩/٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٧٤/٨).

(٣) خلفاء الرسول، لخالد محمد خالد ص (٧٨-٨٠)، دار الجيل.

وأتباعه طرباً؛ لنكوص الناس عن الإسلام والدعوة إلى التمرد عليه وحرب أهله. لقد حنَّت تلك البغايا إلى الجاهلية وما فيها من المنكرات، وانجذب إليها انجذاب الذباب إلى أكوام من الأقدار؛ فما إن سمعن بموت النبي ﷺ حتى أظهرن الشماتة؛ فخصبن أيديهن بالحناء وقمن يضربن بالدفوف، وكان معظمهن من علية القوم هناك، ولقد عُرفت هذه الحركة في التاريخ (بحركة البغايا) وكن ثِقفاً وعشرين بغياً متفرقات في قرى حضرموت، وأشهرهن «هر بنت يامن» اليهودية التي ضُربَ المثلُ بها في الزنا؛ فقليل: أزنى من هر.

ويذكر التاريخ أن الفساق كانوا يتناوبونها لهذا الغرض في الجاهلية، ولكن هؤلاء السواقط لم يُتْرَكَنَ وشأنهن يُفسدَنَ المجتمع كما يَحْلُو لهن؛ فقد وصل الخبر إلى الصديق؛ حيث أرسل رجل من أهل اليمن إليه هذه الأبيات:

أبلغ أبا بكرٍ إذا ما جئته أن البغايا زُمنَ أي مرامٍ
أظهرن من موت النبي شماتةً وخصبن أيديهن بالعلام^(١)
فاقطع هديتَ كُفهن بصارمٍ كالبرق أمضى من متون غمام^(٢)

فكتب أبو بكر ﷺ إلى عامله المهاجر بن أبي أمية كتاباً كله الحزم والصرامة، جاء فيه: «إذا جاءك كتابي هذا فسر إليهن بخيلك ورجلك حتى تقطع أيديهن، فإن دَفَعَكَ عنهن دافع فاعذر إليه باتخاذ الحجة عليه وأعلمه عظيم ما دخل فيها من الإثم والعدوان، فإن رجع فاقبل منه، وإن أتى فتأبذُه على سواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين»، فلما قرأ المهاجر الكتاب جمع خيله ورجلته وسار إليهن؛ فَحَالَ بينه وبينهن رجالٌ من كندة وحضرموت، فأعذر إليهم فَأَبَوْا إلا قتاله، ثم رجع عنه عامتهم فقاتلهم فهزمهم، وأخذ النسوة فقطع أيديهن، فمات عامتهن، وهاجر بعضهن إلى الكوفة. لقد نلن جزاءهن في محكمة الإسلام العادلة؛ إذ أخذهن عامل أبي بكر على

(١) العلام: الحناء.

(٢) عيون الأخبار، للدينوري (١٣٣/٣).

تلك البلاد وطبق عليهن حد الحرابة^(١).

● الصديق وإدارة حرب العراق

ما إن أصبحت للمسلمين قاعدتهم الصلبة بالقضاء على المرتدين حتى شرع لفتح العراق، وأقبل إليه المثنى بن حارثة الشيباني، وقال له: «أمرني على من قبلي من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي»، ففعل ذلك، فأقبل فجمع قومه، وأخذ يغير بناحية كسكر مرة، وفي أسفل الفرات مرة، حتى إذا ما فرغ خالد بن الوليد من حرب اليمامة، وصلته رسالة من الخليفة: «سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ بفرج الهند، وهي الأبله، وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم»^(٢).

وسار المثنى حتى لقي خالدًا وبقية الأمراء: مذعور، وسلمي، وحرملة، وصارت عدة الجيش الإسلامي ثمانية عشر ألفًا.

وكتب الصديق إلى عياض بن غنم: «سر حتى تأتي المصيخ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها، وعارق حتى تلقى خالدًا، وأذنا لمن شاء بالرجوع، ولا تستفتحا بمتكاره، ولما استمده خالد وعياض كتب إليهما: «استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي».

وكتب الخليفة إلى قائديه خالد بن الوليد وعياض بن غنم: «على خالد بن الوليد أن يدخل العراق من أسفلها، وعلى عياض بن غنم أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه». وقال لهما: إذا اجتمعتما بالحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس، وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحدكما ردًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن».

(١) انظر: حركة الردة، للدكتور على العتوم ص (١٨٤)، مكتبة الرسالة الحديثة بعمان، والانشراح ورفع

الضيق بسيرة أبي بكر الصديق ص (٢٤٥، ٢٤٦).

(٢) تاريخ الطبري (٣/٣٤٣-٣٤٦).

ولم تمض سنة على بداية التحرك ناحية العراق حتى أصبح خالد مسيطراً على البلاد من شمالها إلى جنوبها يصعد فيها ويصوب حتى قال الصديق: «يا معشر قريش! عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله»^(١)، أعجزت النساء أن ينسلن - أو ينشن - مثل خالد».

ولما أتت السنة الثانية عشرة للهجرة، صمم خالد على أداء فريضة الحج، فخرج حاجاً من الفراض لخمس بقين من ذي القعدة، متكتماً حجه، ومعه عدة من أصحابه، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا رثبال، إذ سلك طريقاً من طرق أهل الجزيرة، لم ير طريق أعجب منه، ولا أشد على صعوبته منه، فكانت غيبته عن الجند يسيرة، فما وصل إلى الحيرة آخروهم حتى وافاهم مع قائد الساقية - المؤخرة - الذي عينه قبل ذهابه للحج، فدخل خالد معه إلى الحيرة، وعلم الصديق بذلك، ولم يعلم الجيش فكتب إليه: «سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك، ولم ينزع الشجي من الناس نزعك، فليهنك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن، وهو ولي الجزاء».

وأمره أن يستخلف المثني بن حارثة الشيباني على حرب العراق في نصف الناس، وأسرع خالد لتنفيذ ما أمر به، وتوجه إلى الشام ومعه عشرة آلاف مجاهد في سبيل الله.

* * *

(١) الخراذيل: جمع، ومفردها: خردولة؛ وهي: «قطعة اللحم».

وقفات مع فتوحات العراق ومعاركه

• الحس العسكري العالي عند الصديق الغالي:

لقد شهد بيراعة أبي بكر في التخطيط الحربي أخبِرُ الناس بالحروب آنذاك وهو خالد بن الوليد، فإنه لما نهض للقيام بمهمة عياض في فتح شمال العراق، ونزل بكربلاء واشتكى إليه المسلمون ما وقعوا فيه من التأذي بذبابها الكثيف، قال لعبدالله بن وثيمة: اصبر فإنني إنما أريد أن استفرغ المسالحي التي أمر بها عياض، فأنسكتها العرب، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم، وتجيئنا العرب آمنة وغير متععة، وبذلك أمرنا الخليفة، ورأيه يعدل نجدة الأمة» (١).

وكانت خطة الصديق رضي الله عنه عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، وقد سار على هذه الخطة قادة الجيش في العراق، فقال المثني بن حارثة القائد الفذ: «قاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب، ولا تقاتلوهم بعقر دارهم، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم، يكونوا أعلم بسبيلهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم» (٢).
ومما يدل على ذلك - أيضاً - تحديد الصديق الحيرة كموقع استراتيجي لأهميتها العسكرية، وهي عقد مواصلات تتصل بها الطرق من جميع الاتجاهات، فقد كانت الحيرة قلب العراق، وأقرب منطقة مهمة إلى المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية. إن تخطيط الصديق للوصول إلى الحيرة في الفتوحات يُعرف في الخطط العسكرية للجيش الحديثة بحركة فكي الكماشة، أو عملية الالتفاف الدائري بأكثر من جيش، ويظهر هذا عظمة التخطيط الجهادي، وعلوه عند الصديق.

ولله در الصديق وهو يحتاط الجهاد، فيقول: «لا يفزون معكم أحد ارتدّ حتى أرى

(١) تاريخ الطبري (٤/١٨٩).

(٢) الإصابة، لابن حجر (٥/٥٦٨) رقم (١٧٧٣٦).

رأيي، فلم يشهد الأيام مرتد»^(١).

ومن الفراسة، والحس العسكري، وعلم الصديق بطاقات وكفاءات الأبطال: أن الصديق أمد خالد بالقعقاع بن عمرو التميمي، فقيل له: أتمد رجلاً قد ارفض عنه جنوده برجل؟

فقال: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا^(٢).

● فتوحات وانتصارات على جبهة العراق في أيام الصديق القائد:

انتصر المسلمون تحت قيادة الصديق وتوجيهاته بقيادة خالد بن الوليد في معركة ذات السلاسل، وفي معركة المذار «الثني»، ومعركة الوجة، ومعركة أليس، وفتحت إمغيشيا، ثم كان الفتح الأكبر «فتح الحيرة»؛ حيث اتخذت قاعدة للجيش الإسلامي، وفتحت الأنبار في معركة ذات العيون، ثم الانتصار على نصارى العرب بقيادة عقة بن أبي عقة، والفرس في معركة عين التمر، ثم دومة الجندل، ثم وقعة الحصيد، ووقعة المصيخ، ثم المعركة الكبرى وهي معرك الفراض بين الروم وفارس، ونصارى العرب وبين المسلمين، وهذه المعركة تعتبر من المعارك التاريخية الفاصلة، ولها الأثر العظيم في تحطيم معنويات الفرس، والروم، ونصارى العرب، ثم نصر المثنى على قوات فارس بقيادة «هرمز جاذوية» عند عدوة الصراة الأولى، وقُتل الفرس قتلاً ذريعاً، وغنم المسلمون منهم مآلاً عظيماً، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شر حالة، ووجدوا الملك قد مات^(٣)، وعاد الاضطراب إلى بلاد فارس، وطارد المثنى أعداء الله حتى بلغ أبواب المدائن، ثم كتب للصديق بانتصاره على الفرس.

● جهاد حتى الممات، وأوامر عسكرية على فراش الموت:

استأذن المثنى الصديق في الاستعانة بمن تابوا من أهل الردة، لكن انتظاره طال؛

(١) تاريخ الطبري (٤/١٦٣).

(٢) تاريخ الطبري (٤/١٦٣).

(٣) البداية والنهاية (٧/١٨).

لتشاغل الخليفة بحرب الشام، فسار المثنى بنفسه إلا الصديق، واستتاب على العراق بشير بن الخصاصية، وعلى المسالح سعيد بن مرة العجلي، فلما وصل إلى المدينة وجد الصديق على فراش الموت، واستقبله أبو بكر واستمع إليه، فأرسل الصديق إلى عمر ابن الخطاب، وكان قد استخلف عمرا، وعندما جاء عمر قال له:

«اسمع يا عمر ما أقول لك، ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم، ووصية ربكم، وقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت، ولم يُصَبِ الخلق بمثله، وباللَّهِ، لو أنني قصرت عن أمر رسوله؛ لحذلنا ولعاقبنا، فاضطرت المدينة نازًا، وإن فتح الله على أمراء الشام، فاردد أصحاب خالد إلى العراق، فإنهم أهله، وولاة أمره وجده، وأهل الضراوة والجراءة عليهم»^(١).

ومات الصديق مع الليل، فدفنه عمر ليلاً، وندب الناس مع المثنى بعدما سوي على أبي بكر رضي الله عنه.

* * *

فتوحات الشام زمن الصديق

كان الصديق يفكر في فتح الشام، ويجيل النظر يقبله في ذلك، وأتاه شرحبيل بن حسنة أحد قواد المسلمين في حروب الردة، فقال: يا خليفة رسول الله، أتحدث نفسك أنك تبعث إلى الشام جنذا؟ فقال: نعم، قد حدثت نفسي بذلك، وما أطلعت عليه أحداً، وما سألتني عنه إلا لشيء، قال: أجل، إني رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم؛ كأنك تمشي في الناس فوق خَرْشِفة^(١) من الجبل حتى صعدت قنّة من القنات العالية، فأشرفت على الناس ومعك أصحابك، ثم إنك هبطت من تلك القنات إلى أرض سهلة دمثة^(٢) فيها الزرع، والقرى، والحصون، فقلت للمسلمين: شنوا الغارة على أعداء الله، وأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة، وأنا فيهم معي راية، فتوجهت بها إلى أهل قرية، فسألوني الأمان فأمنتهم، ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم، ففتح الله لك، وألقوا إليك السِّلْم، ووضع الله لك مجلساً، فجلست عليه، ثم قيل لك: يفتح الله عليك، وتُنصر، فاشكر ربك واعمل بطاعته، ثم قرأ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر كاملة]، ثم انتهت. فقال له أبو بكر: نامت عينك، خيراً رأيت وخيراً يكون إن شاء الله. ثم قال: بشرت بالفتح، ونعيت إلي نفسي، ثم دمعت عينا أبا بكر، وقال: أما الخرشفة التي رأيتنا فيها حتى صعدنا إلى القنّة العالية فأشرفنا على الناس؛ فإننا نكابد من أمر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدون، ثم نعلو بَعْدُ ويعلو أمرنا، وأما نزولنا من القنّة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة، والزرع، والعيون، والقرى، والحصون؛ فإننا نزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه من الخصب والمعاش، وأما قولي للمسلمين: شنوا على أعداء الله

(١) يعني: مسلّكاً وعزّاً.

(٢) دمثة: لينّة.

الغارة، فإني ضامن لكم الفتح والغنيمة؛ فإن ذلك دنو المسلمين إلى بلاد المشركين، وترغيبى إياهم على الجهاد، والأجر، والغنيمة التي تُقسَّم لهم وقبولهم، وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم ودخلتها فاستأمنوا فأمنتهم؛ فإنك تكون أحد أمراء المسلمين، ويفتح الله على يديك، وأما الحصن الذي فتح الله لك؛ فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي، وأما العرش الذي رأيتني عليه جالسًا؛ فإن الله يرفعني ويضع المشركين، قال الله - تعالى - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وأما الذي أمرني بطاعة الله، وقرأ عليَّ السورة؛ فإنه نعى إلى نفسي، وذلك أن النبي ﷺ نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة، وعلم أن نفسه قد نُعتت إليه، ثم سألت عيناه، وقال: لآمرن بالمعروف ولأنهين عن المنكر، ولأجهدن فيمن ترك أمر الله، ولأجهزن الجنود إلى العادلين بالله^(١) في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا: الله أحد، أحد لا شريك له، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، هذا أمر الله وسنة رسول الله ﷺ، فإذا توفاني الله ﷻ لا يجدني الله عاجزًا، ولا وانيًا، ولا في ثواب المجاهدين زاهدًا^(٢).

• الصديق وترغيبه في جهاد الروم:

لما أراد أبو بكر ﷺ أن يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر، وعثمان، وعليًا، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال: «إن الله - تبارك وتعالى - لا تُحصى نعمه، ولا تبلغ الأعمال جزاءها، فله الحمد كثيرًا على ما اصطنع عندكم من جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يُطمع أن تشركوا بالله، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره، فالعرب أمة واحدة، بنو أب وأم، وقد أردت أن استنفركم إلى الروم بالشام، فمن هلك هلك

(١) يعني: المشركين به.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٢/٦١، ٦٢).

شهيداً، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين، مستوجباً على الله **وَعَلَىٰ ثَوَابِ الْمَجَاهِدِينَ**»^(١).

ووجد الصديق في إخوانه ما يتمناه: الدعم المطلق، والتأييد الكامل، ووقف الخليفة يخاطب المسلمين في المسجد: «يا أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمر عليكم أمراء، وعاهد لكم ألوية، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم، لتحسن نيتكم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»^(٢).

● استنفاذ الصديق لأهل اليمن:

وكتب الصديق إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله: «بسم الله الرحمن الرحيم: من خليفة رسول الله إلى من قرئ عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن: سلام عليكم. فإني أحمد الله إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن الله - تعالى - كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقلاً، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وقد حسنت بذلك نيتهم، وعظمت حسنتهم، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسن نيتكم فيه؛ فإنكم إلى إحدى الحسينين: إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة، فإن الله - تبارك وتعالى - لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق، ويقروا لحكم الكتاب، حفظ الله دينكم، وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين»^(٣)، وبعث الصديق هذا الكتاب مع أنس بن مالك.

(١) تاريخ دمشق، لابن عساکر (٦٣/٢، ٦٤).

(٢) تهذيب ابن عساکر (١٢٦/١ - ١٢٩).

(٣) تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص (٨)، وتهذيب تاريخ دمشق (١٢٩/١).

- عقد الصديق الألوية للجيش الأربعة الذاهبة للجهاد في الشام
- عقد الصديق الألوية لأربعة جيوش أرسلها لفتح الشام، وهي:
 - ١- جيش يزيد بن أبي سفيان.

وهو أول الجيوش التي تقدمت إلى بلاد الشام، وكانت مهمته الوصول إلى دمشق، وفتحها، ومساعدة باقي الجيوش عند الضرورة. عززه الخليفة بالإمدادات حتى صار معه بحدود السبعة آلاف رجل، وشيعة ماشيًا، وأوصاه بوصية من أحسن الوصايا، وأكثرها نفعًا، فقال: «إني قد وليتك؛ لأبلوك، وأجربك، وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عمك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله، فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توكلاً له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقريبًا بعمله، وقد وليتك عمل خالد^(١)، فإياك وعيبة^(٢) الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جنك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإن وعظتهم فأوجز؛ فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها، وسجودها، والتخشع فيها، وإذا قدم عليكم رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكري وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك^(٣)، ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة^(٤) عسكري، وامنع من قبلك من محادثتهم^(٥)، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل شرك لعلائيتك، فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدق المشورة، ولا تحزن عن المشير خبرك، فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك، وبددهم في

(١) أي: خالد بن سعيد بن العاص.

(٢) أي: عصابة.

(٣) أي: لا تطلعهم على دخيلة أمرك، فيطلعوا على عيوبك.

(٤) يعني: ليرؤا قوة المسلمين.

(٥) الكامل، لابن الأثير (٢/٦٤، ٦٥).

عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارستهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل من محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربيهما من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجئن فيها، ولا تسرع إليها، ولا تتخذ لها مدفعا، ولا تغفل عن أهل عسكرك ففسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العبّاثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول؛ فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له»^(١).

٢- جيش شرحبيل بن حسنة:

حدّد الصديق رضي الله عنه لمسير شرحبيل بن حسنة ثلاثة أيام بعد مسير يزيد، وأمره أن يسير إلى تبوك، والبلقاء، ثم بصرى، وهي آخر مرحلة.

٣- جيش أبي عبيدة بن الجراح:

ودع الصديق أبا عبيدة ثم قال: «... إنك تخرج من أشرف الناس، وبيوتات العرب، وصلحاء المسلمين، وفرسان الجاهلية كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة، والنية الحسنة، أحسن صحبة من صحبك، وليكن الناس عندك في الحق سواء، واستعن بالله وكفى بالله معينًا، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا»^(٢).

وكان جيشه ما بين: ٣ - ٤ آلاف مجاهد، وهدف ذلك الجيش حمص. وكان قيس بن هبيرة المراد في جيش أبي عبيدة، فأوصى الصديق أبا عبيدة به؛ لأنه من فرسان العرب المشهورين، وقال له: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، ليس بالمسلمين غناء عن رأيه، ومشورته، وبأسه في الحرب، فأدنه،

(١) فتح الشام، للأزدي ص (١٧).

(٢) فتح الشام، للأزدي ص (٢٦، ٢٧).

وألفه، وأره أنك غير مستغن عنه، ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج بذلك نصيحتته لك، وجهده وجدّه على عدوك.

وقال الصديق لقيس: «اجعل بأسك، وشدتك، ونجدتك في الإسلام على المشركين، وعلى من كفر بالله وعبد معه غيره، فقد جعل الله في ذلك الأجر العظيم، والثواب الجزيل، والعزّ للمسلمين، فقال قيس: إن بقيت وأبقاك الله فسيبلغك عني من حيطتي على المسلم، وجهدي على الكافر ما تحب، ويسرك، ويرضيك. فلما بلغ أبا بكر مبارزة قيس بن هبيرة للطريقين بالجابية، وقتله إياهما، قال: صدق قيس وبرّ، ووقى»^(١).

٤- جيش عمرو بن العاص:

سار الصديق مودعًا لجيش عمرو بن العاص، وقد خرج فيه عدد من أشرف قريش منهم الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وقال الصديق لعمرو: يا عمر، إنك ذورأي وتجربة بالأمر، وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشرف قومك، ورجال من صلحاء المسلمين، وأنت قادم على إخوانك، فلا تألهم نصيحة، ولا تدخر عنهم صالح مشورة، فربّ رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور^(٢).

وكان هدف الجيش فلسطين، وسلك طريق ساحل البحر الأحمر حتى وادي عربة بالبحر الميت.

محاولة هرقل تدمير جيش المسلمين بالشام، وكتاب الصديق إلى قادة الجيوش، ومدّهم بالمجاهدين:

كان للروم في الشام جيشان كبيران أحدهما في فلسطين والآخر في إنطاكية،

(١) فتوح الشام، للأزدي ص (٤٨-٥١).

(٢) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، للرائد نهاد عباس الجبوري ص (١٤٧)، دار الحرية، بغداد.

وتمركز الجيشان في ستة مواضع؛ هي: إنطاكية، وقنسرين، وحمص، وعمان، وأجنادين، وقيسارية. وأصدر هرقل أوامره إلى قواته بالتوجه لتدمير الجيوش الإسلامية كل على انفراد كالآتي:

يتراجع الروم أمام المسلمين ويتخلوا لهم عن الحدود الشامية الحجازية.

تتجمع وحدات الجيش الأول في فلسطين بعد تقريرها بقيادة «سرجون».

تتجمع وحدات الجيش الثاني في إنطاكية بقيادة «تيدور».

تتحرك هذه الجيوش وتهاجم أمراء الإسلام الأربعة الواحد بعد الآخر، وذلك لتسهيل تصفية جيوش الإسلام على انفراد، وعلى أساس هذه الخطة التي وضعها هرقل تحركت جيوش الروم حسب الترتيب الآتي:

توجيه أخاه «تذراق» في تسعين ألفاً للقضاء على جيش عمرو بن العاص.

توجيه «ابن توذر» إلى يزيد بن أبي سفيان.

توجيه «القبقار بن نطوس» في ستين ألفاً إلى جيش أبي عبيدة.

توجيه «الدارقص» نحو شرحبيل بن حسنة^(١).

استطاع المسلمون الحصول على المعلومات الدقيقة عن هذه الجيوش ونواياها بكل تفاصيلها، وعن تفاصيل الخطة الرومية لتدمير الجيوش الإسلامية كل على انفراد، وراسل قادة الجيوش الخليفة بالمدينة يخبروه بخبر هرقل؛ ليرى الصديق رأيه.

وكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بإنطاكية فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما ما ذكرت من حشره لكم أهل مملكته، وجمعه لكم الجموع، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، وما كان قوم ليدعوا سلطانهم

(١) فتوح الشام، للأزددي ص (٣٠، ٣١).

ويخرجوا عن ملكهم بغير قتال، وقد علمت والحمد لله قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم للحياة، ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين، فألقهم بجنودك، ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين، فإن الله معك، وأنا مع ذلك ممدك بالرجال حتى تكتفي ولا تريد أن تزداد إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١).

ورد الصديق على كتاب يزيد، وهذا نص الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم إلى إنطاكية، وأن الله ألقى الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله - وله الحمد - قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ بالرعب، وأمدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به بالرعب هو هذا الدين الذي ندعوا الناس إليه اليوم، فورك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولا من يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبد معه آلهة آخرين، ويدين بعبادة شتى، فإذا لقيتموهم فانهذ إليهم بمن معك، وقتلهم، فإن الله لن يخذلك، وقد نبأنا الله - تبارك وتعالى - أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا مع ذلك ممدك بالرجال في إثر الرجال، حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان، إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله.

وبعث الصديق بهذا الكتاب مع عبدالله بن قزط الشمالي، فقرأه يزيد على المسلمين، ففرحوا به وشروا (٢).

وشرع الصديق في إمداد الجيوش الإسلامية ببلاد الشام بالرجال.

فأرسل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بألف من المجاهدين إلى أبي عبيدة، وقال لهاشم: يا هاشم، إن من سعادة جدك، ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين بهم

(١) فتوح الشام، للأزدي ص (٣٠-٣٣).

(٢) فتوح الشام، للأزدي ص (٣٣-٣٥).

الأمّة على جهاد عدوها من المشركين، وممن يثق الوالي بنصيحتته، ووفائه، وعفائه، وبأسه، وقد بعث إليّ المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار، فيسّر إليهم فيمن تبعك فإنني نادب الناس معك.

وقام الصديق، وخطب في الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم من المسلمين معافون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم، وقد اعتصموا بحصونهم، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم، وقد جاءني رسلهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل بقرية من قرى الشام في أقصى الشام، وقد بعثوا إليّ يخبرونني أنه قد وجه إليهم هرقل جنداً من مكانه ذلك، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم، يشدد الله بهم ظهورهم، ويكبت بهم عدوهم، ويلقي بهم الرعب في قلوبهم، فانتدبوا - رحمكم الله - مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في ذلك الأجر والخير، فإنكم إن نصرتهم فهو الفتح والغنيمة، وإن تهلكتوا فهي الشهادة والكرامة، وقال لهاشم: «يا هاشم، إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه، ومشورته، وحسن تدبيره، وكنا ننتفع من الشاب بصبره، وبأسه، ونجدته، وإن الله ﷻ قد جمع لك الخصال كلها وأنت حديث السن، مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لن تخطو خطوة، ولا تنفق نفقة، ولا يصيبك ظمأ، ولا نصب، ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً، إن الله لا يضيع أجر المحسنين»^(١).

● توجيه خالد إلى الشام ومعركة أجنادين واليرموك:

«رأى قادة جيوش الشام أن يتجمعوا في مكان واحد؛ ليتمكنوا من إحباط خطة الرومان وإجبارهم على خوض معركة فاصلة تخوضها كل الجيوش الإسلامية، واقترح عمرو بن العاص أن يكون مكان التجمع باليرموك، وجاء رأي الصديق موافقاً لرأي عمرو، وأرسل الصديق إلى أبي عبيدة: بث خيلك في القرى والسوداء، وضيق

(١) فتوح الشام، للأزدي ص (٣٣-٣٥).

عليهم بقطع الميرة والمارة، ولا تحاصروا المدائن حتى يأتيك أمري، فإن ناهضوك فانهض لهم، واستعن بالله عليهم، فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثلهم»^(١).
وجاء في رواية: «إن مثلكم لا يؤتى من قلة، إنما يؤتى العشرة الآلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه»^(٢).

لله در الصديق: «إنما يؤتى العشرة آلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب»، هذا الكلام العظيم يأتي موافقاً ومتابعاً لقول رسولنا صلوات الله عليه:
«خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربع مئة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا تُهزم اثنا عشر ألفاً من قلة»^(٣).

وكتب الصديق إلى جنده: «إنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من خذله»^(٤).

وكتب الصديق إلى خالد - كما قلنا من قبل - يأمره أن ينتقل بنصف جيشه إلى الشام، وأن يتولى قيادة الجيوش بها.
نعم، لله در الصديق، فالأمر يحتاج إلى قائد يجمع بين قدرة أبي عبيدة، ودهاء عمرو، وحنكة عكرمة، وإقدام يزيد.

ووصل خالد بجيشه إلى الشام بعد رحلة عبر الصحراء لم يذكر التاريخ شيئاً لها، وكانت إمدادات الصديق تتواصل على الشام، ولما قال قادة الروم: «والله،

(١) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص (١٤٨).

(٢) تاريخ الطبري (٢١١/٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وعبد بن حميد، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحه»، والدارمي في «سننه»، وابن عدي، وقال الترمذي: حسن غريب. ولم يصححه؛ لأنه يروى مسنداً، ومرسلاً، ومعضلاً، قال ابن القطان: لكن هذا ليس بعله والأقرب صحته. وصححه السيوطي في «الجامع الصغير»، والألباني في «الإرواء» (١٩٨٢)، و«السلسلة الصحيحة» (٩٨٦)، و«صحيح الجامع» (٣٢٧٨).

(٤) تاريخ الطبري (٢١١/٤).

لنشغلن أبا بكر بنفسه عن أن يورد الخيول إلى أرضنا»^(١)، كان ردُّ الصديق: «والله، لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»، وفي رواية: «والله، لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»، وكتب الصديق إلى أبي عبيدة بتولية خالد، وقال: «أما بعد، فإنني قد وليت خالدًا قتال الروم بالشام، فلا تخالفه، واسمع له، وأطع أمره، فإنني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»^(٢).

● معركة أجنادين

كانت أجنادين أول المعارك الكبيرة في بلاد الشام بين المسلمين والروم، وانتصر المسلمون فيها انتصارًا عظيمًا، وكتب خالد بالنصر إلى الصديق، فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فرح به، وأعجبه، وقال: «الحمد لله الذي نصر المسلمين، وأقرَّ عيني بذلك»^(٣).

● اليرموك ونهاية وجود الروم بأرض الشام:

كانت معركة اليرموك الخالدة، وأيد الله المجاهدين في سبيله بنصره، وكان نصرًا عزيزًا وحاسمًا حول مجرى التاريخ، وأذهل عقول الباحثين والمؤرخين في القديم والحديث، ولعل من بعض الحقيقة القول بأن النصر كان ثمرة من ثمار جهد تلك القوات التي خاضت الحروب بتجرد وإخلاص لا مثيل لهما ولا نظير. فكان ذلك نصرًا لفضائل المجاهدين في سبيل الله. ولعل من بعض هذه الحقيقة - أيضًا - القول بأن النصر كان ثمرة من ثمار جهد أولئك القادة الذين أمكن لهم بسرعة مذهلة الانتقال

(١) البداية والنهاية (٥/٧).

(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله ص (٣٩٢، ٣٩٣)، دار النفائس.

(٣) فتوح الشام، للأزدي ص (٩٣).

من قيادة المجموعات القتالية الصغرى التي لا تتجاوز بضع مئات إلى قيادة الآلاف وعشرات الآلاف، مع استخدام أساليب قتالية متقدمة لم يتمكن من فهمها قادة العدو.

وقد يكون من هذه الحقيقة القول بأن النصر لم يكن إلا نتيجة طبيعية لتلك العقيدة القتالية الإسلامية التي التحمت في سداها ولحمتها بالعقيدة الدينية. غير أن هناك حقيقة لا يمكن إغفالها، أو تجاوزها، فقد عمل الخليفة أبو بكر الصديق على إدارة الحرب بعزيمة صلبة، وقبضة قوية، وكفاءة عالية، وكانت الثقة المتبادلة بينه وبين القوات هي أساس العمل الناجح الذي أثمر تلك الانتصارات الخالدة.

غير أن صاحب النصر لم يعمر حتى يعيش حلاوة النصر، فقد قضى ومضى إلى الرفيق الأعلى يوم سطر المجاهدون في سبيل الله أروع الملاحم البطولية على ضفاف اليرموك الخالد^(١).

● الصديق القائد العسكري الفذ

إن استنباط مبادئ الحرب لم يكن إلا ثمرة من ثمار الجهد الإنساني، والتجارب القتالية عبر التاريخ.

إن الأعمال القتالية التي قادها الخليفة الصديق في البداية، ثم كلف من يتولى قيادتها بعد ذلك من خلال تحديد أهداف معينة، وحشد القوى والوسائل اللازمة، قد حققت من النتائج ما لا يتناسب أبدًا، مع حجم القوات التي قامت بالتنفيذ، ولا مع الأبعاد الزمنية والمكانية التي جرت في حدودها أحداث الفتح، لقد كانت المنجزات التي أمكن تحقيقها أقرب إلى الإعجاز، أو أنها الإعجاز ذاته. فهل كان باستطاعة القوات لو تحركت دونما هدف واضح، ودونما تخطيط محكم، ودونما تنسيق رائع أن تحقق ما أنجزته؟ إن ذلك وحده كافيًا لحمل كل مكابر أو معاند على

(١) الصديق القائد، لبسام العسلي ص (٧٠، ٧١)، دار النفائس.

الاعتراف بقدرة تلك القيادة التي حققت ذلك الإنجاز الخالد خلال فترة قياسية من عمر الزمن، وبإمكانات وقوات تكاد تكون رمزية بالمقارنة مع تلك الجيوش الجرارة التي تصدت لحربها.

* * *

لقد كان للصدِّيق دورُهُ الحاسم والأساسي فيما أمكن إنجازُه، وكان هذا الدور يستند في قسم منه إلى ما توافر للصدِّيق من الكفاءة والخبرة، كما يستند في قسم منه - أيضًا - إلى مبادئ فن الحرب الإسلامي ومذهبه العسكري، ويستند - أيضًا - إلى اختيار الصدِّيق لمجموعة القادة الذين تخرجوا من مدرسة الإسلام وأتقنوا فن الحرب في مدرسته من أمثال: أبي عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وأخيه معاوية، وشرحبيل بن حسنة، والمثنى بن حارثة الشيباني، وعياض بن غنم، والنعمان بن مقرن وأخويه، والقعقاع بن عمرو التميمي، وعشرات بل مئات من أمثالهم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -، وقد يندر في عصر من العصور العثورُ على مجموعة كبيرة من القادة الذين توافرت لهم جميعهم مثل تلك الكفاءات القيادية النادرة الذين تَرَبَّؤا في مدرسة الحرب الإسلامية، وهم جميعًا على قدر كافٍ من الكفاءة لوضعهم على مستوى القادة العالميين، فهل من غرابة أن تنجح قيادة الصدِّيق ذلك النجاح الذي لم يعرف له التاريخ شبيهاً أو نظيراً؟!!

● لله در الصدِّيق ودوره الحاسم في دنيا الفتوح:

لقد أولى الصدِّيق إدارة الحرب كل جهده، فحشد للحرب الحشود، وأطلق الجيوش، وتابع تحركاتها وأعمالها، واستمر في توجيهها، حتى بدأت بواكير النصر في الظهور، وعندما مضى الصدِّيق إلى الرفيق الأعلى، وألقى بثقل المسؤولية على عاتق خليفته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسار على نهج الرسول صلوات الله عليه وخليفته، وبهذا يكون جهد الصدِّيق رضي الله عنه هو الذي حدد معالم الطريق لمن خلفه من خلفاء المسلمين، وبذلك يظهر دور الصدِّيق الحاسم في دنيا الفتوح.

وفي طرائق الصديق رضي الله عنه لإدارة الحرب تمثلت بوضوح كافة أسس القتال، ومبادئ الحرب التي حددها واستخدمها الرسول الأعظم، ليس ذلك فحسب، وإنما عمل الصديق على تطوير تلك الأسس والمبادئ وفقاً لما تتطلبه الظروف المستجدة والمواقف الطارئة، ونظراً للاتباع العظيم للصديق لهدي رسولنا صلوات الله عليه فقد كان كل اجتهاد وكل تطوير وكل إبداع يسير ضمن الاتجاه العام لإرادة الحرب وفقاً لتعاليم القرآن والسنة.

وبات باستطاعة العقيدة القتالية الإسلامية أن تكتسب غناها وثراءها من تجاربها الذاتية، وكانت هذه التجارب في حد ذاتها وما وافقها من نجاحات رائعة، تصديقاً لما تحمله تلك الأسس والمبادئ من الصحة، الأمر الذي عزز من قيمتها ودعّم من أهميتها، وبذلك نشأت العلاقة الثابتة بين نظرية الحرب الإسلامية المستندة إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية الشريفة وبين التجارب القتالية المتكاملة والمتتالية، فكان فن الحرب الإسلامي هو فن الحرب الرائد عبر التاريخ، والذي ربط بين النظرية والتطبيق، وبين المبدأ والظروف المحيطة بالمعركة، ويكفي هنا القول بأن مبادئ المذهب العسكري الإسلامي قد ظهرت بشكلها الواضح قبل أن يستنبط قادة الحرب ومُنظروها وأساتذتها مبادئ الحرب - المتعارف عليها حديثاً - بأكثر من اثني عشر قرناً.

● ميلادنا أقدم من ميلادك:

إن التسميات الحديثة لمبادئ الحرب والاستراتيجية هي من نتاج الفكر الحربي المعاصر، ولكن هذه التسميات في حد ذاتها ليست مفصولة عن جذورها الموغلة في عمق التاريخ وتجاربه، فالأشياء تُخلق قبل معرفتها، ويتم التعرف عليها بأشكالها وألوانها قبل إطلاق الأسماء عليها؛ ولذا نقول - بكل ثقة - إن الصديق رضي الله عنه مارس قيادته العسكرية بنجاح رائع اعتماداً منه على «مبادئ الحرب» و«أسس السياسة الاستراتيجية»، لقد فعل الصديق ذلك كله بمعرفة تامة وإدراك عميق، غير أنه لم يكن يعرف يقيناً التسميات الحديثة لمبادئ الحرب والاستراتيجية، وإلا بماذا يمكن تسمية

إعطاء الصديق الأفضلية لحروب الردة والانطلاق منها إلى الفتوح؟
هل هناك تسمية أفضل من «بناء القاعدة الصلبة» - وهو اصطلاح عسكري حديث -؟.

وهل يمكن تسمية قيادة الخليفة الصديق لقوات المسلمين في بهمة الليل ومع التحرك بصمت - لا همساً ولا جِشاً - حتى أصبحوا والعدو على صعيد واحد ولما يشعر بهم، هل يمكن تسميتها بغير «المباغثة»؟

وما الاسم المناسب لحركة جيوش المسلمين، وقد ضجعت بها أرض الجزيرة كلها من أقصاها إلى أقصاها، وكيف يمكن وصفها وهي تنتقل من هدف إلى هدف ومن منطقة إلى منطقة؟ أليس اسم «حرب الحركة» هو الاسم الأفضل والأمثل؟

● أسس الانضباط «قواعد الضبط والربط»:

قبل ظهور هذه التسمية في الجيوش الحديثة بأكثر من ثلاثة عشر قرناً كانت وصايا الخليفة الصديق إلى قاداته تمثل غاية أسس الانضباط، وقواعد الضبط والربط في أسمى صورها «كن والدًا لمن معك، واقتصد بالمسلمين، وارفق بهم في السير والنزل وتفقدهم، واستوص بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول»، وما أعظم العلاقة التي كانت تشد مجاهدي المسلمين بعضهم إلى بعض.

● «وحدة القيادة» و«القاعدة الصلبة»:

لقد كان أهم ما عمل الصديق هو «إعادة توحيد المسلمين» وتوجيههم في تيار واحد، لا انحراف فيه، ولا حيدان عنه مما ضمن بذلك القدرة للعمل تحت قيادة واحدة، أو ما هو معروف باسم مبدأ «وحدة القيادة»، وكان لزاماً دعم القاعدة الصلبة بالإنسان المسلم، هدف الدولة الإسلامية ووسيلتها في آن واحد، وصمدت القاعدة الصلبة للردة.

● حرب الحركة:

في حزوب الردة كان الصديق في سباق مع الزمن، ويمكن تشبيه حركة الصديق مع المرتدين بما هو معروف اليوم باسم «الضربات الإجهاضية المسبقة»، وكان لا بد للصديق من توجيه ضربة حاسمة لإجهاض استعدادات المرتدين وحرمانهم من استثمار عامل الوقت.

فلأن تنطلق قوات المسلمين بنصف استعداد وإيمان كامل، خير من أن تنطلق باستعداد كامل يقابله استعداد مماثل من قبل الأعداء.

ولعل الخليفة الصديق قد أدرك بصادق حسه أن القوة هي محصلة لضرب الكتلة بالسرعة فكان يسرع في تكتيب الكتائب وتنظيم كتل المجاهدين ويوجهها بتسارع مذهل؛ ليضعف من قوتها وقدرتها.

والصديق هو ابن الصحراء وهي المنبت الأساس لحرب «الحركة»، وكان عظيم الإلمام بالصحراء ودروبها وطرقها ومحيطاً بكل صغيرة وكبيرة في «العامل الجغرافي» لشبه جزيرة العرب، وهو التلميذ الأول لرسول الله ﷺ، وهو الذي لم تكن وقائعه وغزواته إلا النموذج الأعلى لحرب الحركة.

لقد تعرضت «حرب الحركة» في الأزمنة الحديثة لكثير من الأبحاث والدراسات؛ نظراً لأهميتها المتعظمة، وقد شملت تلك الأبحاث والدراسات محاولات لتطبيق قوانين الفيزياء والرياضيات على حركات الجيوش وتوزيع كتلتها وزيادة قوتها وقدرتها.

وبالتعرض لنتائج حرب الحركة في عهد الصديق يشهد القادة العسكريون بتفوق المسلمين في تلك الحرب، وبالعبقرية العسكرية الفذة للصديق.

ولعل أول ما يستدعي الانتباه في هذا المجال هو الانتقال المباغت من قيادة مجموعات لا تتجاوز البضعة آلاف إلى مجموعات تتجاوز عشرات الآلاف، ولا ريب أن هذا الانتقال الكمي «العددي» قد تطلب تطوراً نوعياً مماثلاً في حشد القوى

وتوزيعها، وإعطاء الأفضليات للأهداف المتعددة والمنتشرة على مساحات جغرافية متباعدة، وقد يكون هذا وحده أمرًا كافيًا لإبراز مدى الكفاءة القيادية العالية التي توافرت للخليفة الصديق.

لقد أخذ الصديق بعامل «الأرض والعدو وقوات الصديق» في إرادته للحرب، فقد وجه الصديق لحرب العراق جيشين بقيادة خالد وعياض بن غنم، وطلب من خالد الدخول إلى العراق من أسفله، ومن عياض الدخول إلى العراق من أعلاه، وحدد لهما الحيرة كنقطة التقاء، ومن الملاحظ في هذا التوجيه أن محوري العمليات قد تحركا على شكل «كماشة» وفقًا للمصطلحات الحديثة، وكان تحركهما مستندًا إلى حاجز جغرافي «نهر الفرات» حيث كانت تنتشر على ضفافه مسالح الفرس «مراكزها التقدمية للمراقبة والإنذار»، وكانت الصحراء تحمي ظهور المسلمين.

وظهرت نتائج حرب الحركة كأوضح ما تكون في حروب الصديق؛ مثل:
- حرمان العدو من حرية العمل العسكري.

- حرمان قيادة العدو من المبادأة ووضعها أمام مواقف تعجز عن إيجاد حلول لها.
- الإفادة من العامل النفسي الذي يتمتع به المهاجم من خلال الشعور بتفوقه المعنوي، ومن خلال امتلاكه للمبادأة وحرية العمل، وإخضاع قيادة الخصم وقواته لضغوط نفسية قاسية.

- إبعاد ويلات الحرب وما يتبعها من تخريب ودمار عن بلاد المسلمين وتحميلها إلى بلاد الأعداء، وكان ذلك ذروة الإبداع وقمة الكفاءة القيادية للتلميذ الأول لمدرسة الإسلام.

● الصديق و«الحروب التشتيية»:

إن إرسال الصديق لأحد عشر جيشًا لمحاربة المرتدين، وإرساله لجيشين يعملان على محورين لحرب العراق، وأربعة جيوش للحرب في أربعة أقاليم من بلاد الشام هو ما يسمى بالمصطلحات الحربية الحديثة بـ «الحروب التشتيية»، لقد كان الصديق في

سباق مع الزمن، وكان حجم القوى والوسائط المتوافرة له غير متكافئ مع قوات العدو على كافة الجبهات، فكان هدف الصديق الأول «حرمان قوات الأعداء من تنسيق الجهد فيما بينهما، وإشغال كل قوة من القوى بأمر نفسها، وضرب القوى الأكثر ضعفًا وتدميرها، ثم الانتقال للقوى الأشد بأسًا وأكثر منعة».

لقد تلقى قائد كل جيش من جيوش المسلمين أوامر واضحة من الصديق بالتعامل مع أهداف متتالية بحيث كانت كل قوة تنتقل لدعم قوة أخرى من المسلمين، أو تتعامل مع هدف جديد بمجرد فراغها من تنفيذ واجبها الأول، فكانت قوة المسلمين في حركة دائمة وقاتل مستمر، وكانت حرب الحركة بأساليبها وطرائقها التشتيتية أشبه ما تكون بحركة السيل الجارف المندفَع من الأعالي «من المدينة المنورة» يسير بتؤدة وتمهل في السهول، حتى إذا ما اصطدم بمقاومة تجمعت مياهه وهدرت صاحبة وهي تدمر السد الذي جابهها، ثم يعود السيل إلى سيره الهويني في السهول، معاودًا مسيرته الأولى إذا ما اصطدم بسد جديد.

نجحت خطة الصديق نجاحًا رائعًا خلال مرحلة قياسية من عمر الزمن - في حدود السنة تقريبًا - ثم أطلق الخليفة جيوش المسلمين لفتح الشام والعراق مستخدمًا الخطة ذاتها - خطة الحروب التشتيتية -، فكان تحرك الجيوش على محاور متباعدة وفي مناطق مختلفة عائقًا حَرَمَ قوات الفرس والروم من توجيه ضربة حاسمة لجيوش المسلمين، وعندما قرر الروم حسم الصراع، فحشدوا حشودهم في اليرموك، عادت قوات السيل الجارف فتجمعت لتدمر بصدمة واحدة سدَّ اليرموك، وكان الانتصار الحاسم الذي ضمن لمياه السيل التحرك بمرونة وسهولة عبر السهول، وتكررت العملية ذاتها في العراق، فقد تمكن خالد بن الوليد من تحقيق النصر في كافة أيام العراق، مستفيدًا من تشتت قوات الفرس على المسالِح وحاميات المدن، حتى إذا ما قرر الفرس بدورهم حسم الصراع بمعركة رئيسية يتم فيها حشد كل القوى المتوافرة تجمعت قوات المسلمين في القادسية فدمرت سدَّ الفرس، وانطلقت عبر سهول بلاد الفرس وشعابها

معاودة سيرتها الأولى^(١) .

لقد عجز قادة الفرس بقدر ما عجز قادة الروم - أيضًا - عن فهم ما صنعه الإسلام بأمة العرب، فوقفوا ذاهلين وهم يشهدون تقدم جيوش لا تعتبر أكثر من فصائل أو طلائع في جيوش الفرس والروم من حيث حجمها، فدفع هؤلاء وأولئك قوات متفوقة ظنًا منهم أن باستطاعة هذه القوات تدمير قوات العرب المسلمين، غير أن هؤلاء نجحوا في تدميرها.

لقد خاض الفرس والروم معاركهم الأولى وهم لا يزالون يتمسكون بمعادلات وموازن القوى المادية، في حين كان المسلمون يخوضون معاركهم بمعادلات وموازن مختلفة تعتمد في أساسها على الصلة بالله، ثم القوى المعنوية والفضائل الحربية.

اضطرَّ قادة الفرس والروم أن يزيدوا في حجم قواتهم، غير أن قوات المسلمين استمرت في تدمير القوى الجديدة، فكانت حرب استنزاف حقيقية، غير أن خسائر الفرس والروم كانت أكبر بكثير من تلك التي كان يفقدها العرب المسلمون، وانعكس ذلك بصورة سلبية على الحالة المعنوية - النفسية - لقوات الفرس والروم، حتى إذا ما جاءت المعارك الحاسمة كانت نتائجها مقررًا مسبقًا؛ إذ من المحال على الجيش بلوغ النصر وهو في حالة نفسية متردية، فكيف وقد بلغ التدهور المعنوي درجة حملت قادة الفرس والروم على الاقتناع بحتمية انتصار العرب المسلمين وفقًا لما تؤيده الشواهد التاريخية، وبدلالة انضمام أحد قادة الروم لجيش اليرموك - واسمه جرجة - وبدلالة عَصَبِ أحد قادة الفرس رأسه بعصابة، وإعداد متاعه للهرب حتى لا يرى النهاية - المأساة - التي كان قد رسمها في خياله.

لقد خاض العرب المسلمون معاركهم بمزيج من أساليب «الحروب الثورية» وفقًا للتصانيف والمصطلحات الحديثة، والحروب النظامية - التقليدية -، وتلك هي الظاهرة

(١) الصديق القائد، لبسام العسلي ص (١٠٧ - ١٠٩).

التي أذهلت قادة الفرس والروم وجعلتهم يقفون حيارى أمام هذا اللغز الغامض والسر المغلق على مدار كههم وعقولهم.

وقد اختارت جيوش الصديق من أساليب القتال ما يمكنها من إحراز النجاحات الحاسمة؛ الإغارات والكمائن، والضربات السريعة، والظهور في كل مكان، والاختفاء من كل مكان، ثم الصديق عند اللقاء، فكانت ضربات الفرس والروم تقع في فراغ في حين كانت ضربات العرب المسلمين تأتي مسددة، محكمة، قاتلة، وكانت هذه الأساليب كافية لإحراز النصر على القوات المعادية.

● «استراتيجية التقرب غير المباشر»:

لقد كان البحث عن «الحسم في الصراع المسلح» بهدف الحد من ويلات الحرب هو الحافز الأساسي الذي دفع الصديق لتبني ما أصبح معروفًا في الأزمنة الحديثة باسم «استراتيجية التقرب غير المباشر» وذلك للوصول إلى مؤخرات العدو، أو بلوغ العمق الاستراتيجي لمسرح العمليات، ويظهر هذا التوجه واضحًا عند الصديق من خلال دفعه الجيوش إلى عمق بلاد الشام «حمص» وعمق بلاد العراق «أعالي الفرات»، ولقد أصبح لاستراتيجية التقرب غير المباشر في الحروب الحديثة أهداف واحدة وطرائق مميزة، أهمها الوصول إلى عمق مسرح العمليات والاستناد إلى حاجز العمليات؛ لعزل مسرح العمليات وتدمير التجمعات القتالية الموجودة فيه، والعاملة على أرضه، غير أن هدف استراتيجية التقرب غير المباشر عند الصديق كان في أساسه تطوير الاتصالات مع جماهير سكان البلاد، وتعريفهم بفضائل المسلمين، وما تحمله رسالة الإسلام من خير للإنسانية، واستشارة مشاعر الخير لدى الناس واكتساب الأنصار، مع العمل في الوقت ذاته على إعداد الظروف المناسبة لحسم الصراع المسلح مع كتلة جيوش الأعداء، فكانت استراتيجية التقرب غير المباشر تعالج ما يمكن تسميته وفقًا للمصطلحات الحديثة بـ«الحرب النفسية» جنبًا إلى جنب مع البحث عن «الحسم في الصراع المسلح».

• حروب الإيمان و«عدالة قضية الحرب».

لقد حملت حروب الإيمان كل الفضائل والمثل العليا التي جاء بها الإسلام، ولا بد من أن يحمل المجاهد في سبيل الله الفضائل الحربية من إقدام وشجاعة وصبر وقدرة احتمال واستعداد دائم للجهاد حتى يستطيع أداء واجبه على أكمل وجه، وقد كان هذا الدور يفرض على كل مجاهد في سبيل الله أن ينظر وهو يقاتل إلى عالم ما وراء الحرب، فاقصر القتال على ميدان الحرب ولم يتجاوزه إلا لقتل حاملي السلاح ضد المسلمين، وبالتزام المجاهدين في سبيل الله، بداية من أكبر القادة وحتى آخر مقاتل، فقد كانت «غاية السلم» تطغى على «هدف الحرب» حتى في ذروة الصراع المسلح، وكانت توصيات الصديق لقادة جيوش المسلمين في حروب الردة تؤكد باستمرار عدم التعرض إلا لمن يجهر بالخلاف سواء في أداء الصلاة أو الامتناع عن دفع الزكاة، أما التوصيات في حروب الفتح فكانت محدّدة: بالدخول في الإسلام، أو دفع الجزية، أو الحرب، وفي الحالات كلها كان العنف في الحرب مقيداً بحدود ميدان القتال^(١).

• الروح المعنوية:

تشمل حروب الإيمان بديهيًا ما يُطلق عليه اسم «الروح المعنوية»، وهي الناحية التي كان الصديق يركز عليها جلّ اهتمامه، فقد كان الصديق يرافق الجيوش عند مغادرتها للمدينة المنورة، ويوصي قادتها بالعمل بإخلاص لوجه الله، ويحذر من ارتكاب المعاصي والذنوب، فقضية الحروب من وجهة الإسلام هي «قضية الفضائل»، وسيسير النصر في ركاب الجيوش المؤمنة التي تخلص الجهاد لوجه الله. لقد أخذت الجيوش الحديثة في وضع مقاتليها أمام مواقف تتساوى فيها الحياة والموت، فيندفع المقاتلون بحثًا عن الحياة من خلال الفضائل الحربية؛ كالشجاعة، وعدالة الحرب، والدفاع عن الوطن... إلخ.

(١) الصديق القائد، لبسام العسلي ص (٨٩).

أما في حروب الإيمان فقد كان البحث عن الشهادة متقدماً على الحرص على الحياة؛ ولهذا فقد كان الرصيد المعنوي للمجاهدين في سبيل الله مرتفعاً إلى الذروة، بحيث كان معادلاً باستمرار - أو يزيد - على ما كان يمتلكه الأعداء من رصيد مادي، أو تفوق في القوى.

ومما قدمنا من سيرة الصديق يظهر بوضوح حرص الصديق على بقاء الجيوش مترفعة عن الدنيا، متمسكة بالفضائل، لا تغل ولا تغدر، ولم يكن حرمان من تاب من المرتدين من الانضمام إلى جيوش الفتح إلا حرصاً على بقاء هذه الجيوش نقية من كل الريب والشكوك، وإلا تأكيداً على أن الجهاد في سبيل الله هو شرف لا يناله إلا المؤمنون الصادقون الذين خرجوا إلى الفتح وهم لا يبحثون إلا عن النصر أو الشهادة. لقد كانت الحروب في الإسلام لنشر راية الإسلام وإعزاز المسلمين، في حين بقيت الحروب في منظور قادة الحروب الحديثة غاية للتوسع أو النهب أو للاثنين معاً على نحو ما عرفه تاريخ جيوش العالم عبر التاريخ - قديمه وحديثه -، وبهذا انتصر الإسلام ^(١).

● عزل ميدان المعركة:

عندما بدأ الصديق رضي الله عنه باستنفار القوات لحرب الروم والفرس أرسل خالد بن سعيد إلى تبوك بمهمة إلى مناطق الحشد، ومحاور التقدم، وأمره أن يكون ردءاً للمسلمين، وعندما فشل في هذا الواجب وتجاوزته قام عكرمة بن أبي جهل به ^(٢).

● سلامة خطوط الاتصال مع القادة:

كانت خطوط الاتصال بين الصديق وقادة المعارك منظمة ومنتظمة بحيث تصل المكاتبات من القادة في أمان، وتصل ردود الخليفة في سرية تامة وسرعة متقدمة لا تسمح للعدو أن يفاجئ المسلمين بشيء لا يتوقعونه، وهكذا كانت الخطط الحربية عند المسلمين دقيقة محكمة مما كان عاملاً من عوامل دحر الأعداء والتغلب عليهم

(١) الصديق القائد، لبسام العسلي ص (٩٠ - ٩٢).

(٢) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص (١٤٨).

بفضل في حركة الفتوح.

● نقل محاور العمليات وتحقيق التوازن على مسارح العمليات:

تحركت جيوش المسلمين لحروب الردة على محاور مختلفة للعمل على مناطق مختلفة ومتباعدة، ولكنها كانت تلتقي وتجتمع إما لمعالجة قوات كبيرة، أو للعمل في مناطق واسعة وكل ذلك وفقاً لأوامر الخليفة أبي بكر وتنفيذاً لتعليماته، وكان ذلك يعني ببساطة تحقيق أهم مبدأ من مبادئ العمل على مسارح العمليات وهو: نقل محاور العمليات غير أن هذه الظاهرة لم تأخذ شكلها الواضح تمامًا إلا في عمليات فتوح الشام والعراق.

فعندما أطلق الخليفة أبو بكر جيوش العرب المسلمين وضع في اعتباره تحقيق نوع من «التوازن في القوى على مسارح العمليات» فكان عدد جند العراق في حدود عشرين ألفاً يقابلهم سبعة وعشرون ألفاً - تقريباً - على مسرح عمليات الشام، غير أن إقدام الروم على حشد جميع قواتهم جعل مسرح عمليات الشام للمسلمين يجابه مأزقاً حرجياً فما كان من الصديق إلا أن أعطى مسرح عمليات الشام «الأفضلية الأولى»، وأصدر أمره إلى خالد بن الوليد للتحرك بنصف جيش العراق لنجدة إخوانه في الشام، وتم تنفيذ الحركة التاريخية الشهيرة.

وفي اليوم الأخير من حياة الخليفة الصديق جاءه المثنى بن حارثة الشيباني، وشرح له المأزق الخطير الذي يجابهه مسرح عمليات العراق من جراء حشد الفرس لجميع قدراتهم بهدف حسم الصراع مع المسلمين، فما كان من الصديق إلا أن استدعى عمر بن الخطاب وطلب إليه العمل لإرجاع جيش العراق إلى العراق مع استنفار كل القوى وتوجيهها إلى العراق، فعاد العراق ليحتل مرتبة «الأفضلية الأولى» على مسرح الأعمال القتالية، وتمت إعادة «التوازن المفقود» من خلال نقل محور العمليات من الشام إلى العراق.

لقد اكتسبت حركة خالد بن الوليد من دومة الجندل إلى «قراقر فسوى» شهرةً

تاريخية واسعة؛ إذ اعتبرت النموذج الأمثل والشكل الأفضل لحرب الحركة في الصحراء، وعلجت على أنها إعجاز خارق للطبيعة، وهي بحق حركة رائعة تستحق كل ما نُسب إليها، غير أن أهمية هذه الحركة لا تبلغ في كل الأحوال مستوى ذلك الفكر الاستراتيجي الذي أبدعها وأمر بتنفيذها، وعند معالجة العملية من هذه الزاوية يصبح الفضل كل الفضل للصدیق، ثم لبراعة وفداية وجندية خالد بن الوليد، ويتزايد الإعجاب بذلك الفكر الاستراتيجي المتألق عند متابعة الوقوف على مسيرة الأعمال القتالية للوصول إلى الحركة المضادة من الشام إلى العراق والتي أصدر الخليفة الصدیق الأمر بتنفيذها يوم وفاته.

ومما يؤكد هذه الحقيقة وجود ما يشبه الإجماع على أن تحرك خالد بن الوليد بنصف جيش العراق إلى الشام كان هو العامل الحاسم في نجاح المسلمين في معركة اليرموك، وكذلك في أن التحرك المضاد من الشام إلى العراق بقيادة هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو التميمي هو العامل الحاسم فيما أحرزه المسلمون من انتصار حاسم في معركة القادسية.

ذلك هو الخليفة الصدیق رضي الله عنه يمكث على بعد مئات الكيلو مترات وراء رمال الجزيرة وهو يمسك بقبضته الرحيمة والحازمة خيوط التحرك لمجموعات من المجاهدين في سبيل الله ينقلها إلى حيث مواطن البلاء والخطر، ويحقق التوازن على مسارح الأعمال القتالية، ويحرك محاور الثقل للقوات إلى حيث تتطلبه أفضليات القتال. لقد باتت عملية تحقيق التوازن على مسارح العمليات، ونقل ثقل محاور العمليات من قطاع إلى قطاع ومن جبهة إلى جبهة هي مقياس الإدارة الناجحة للأعمال القتالية في الحروب الحديثة؛ ذلك لأنها تبرهن على مدى المرونة المتوافرة لدى القائد في مواجهته للمواقف الطارئة، ليس ذلك فحسب، بل إنها تؤكد توافر مجموعة المعطيات المطلوبة لنجاح المعركة؛ مثل: التقدير الصحيح للمواقف، والقدرة الحركية العالية للقوات، والبحث عن المعركة الحاسمة.

● التصرف بالقوى والوسائل المتوافرة لبلوغ أعلى الأهداف يبرز في مثاله الرائع الذي لا يبارى في قيادة الصديق رضي الله عنه:

نأتي إلى المؤشر الثابت لكفاءة الصديق في مجال إدارة الحرب؛ ذلك أن مقياس الكفاءة - القيادة - هو في التصرف بالإمكانات والقوى والوسائل المتوافرة لبلوغ الهدف، ولم تكن الإمكانات والقدرات عند الصديق متكافئة أبدًا لا مع اتساع مساح العمليات، ولا مع الأهداف التي تقرّر بلوغها.

كان لا بد من توافر إمكانات جبارة لدى من يتصدى للتعامل مع تلك الأهداف الضخمة بمثل تلك الإمكانات الزهيدة، وقد وجدت تلك القدرات والإمكانات ذاتها في شخص الخليفة الصديق رضي الله عنه، فأمكنه بذلك فرض التحدي على عالمه متجاوزًا بذلك كل المقاييس المعروفة والموازن المعهودة.

لقد اعتبرت قضية «التوازن بين الهدف والوسائل المتوافرة لبلوغه» هي مقياس الكفاءة القيادية، ولقد حفظ تاريخ الحروب أسماء عباقره الحرب الذين أمكن لهم تحقيق انتصاراتهم الضخمة بقوات تنقص بنسب كبيرة أحيانًا عن قوات أعدائهم، غير أن تاريخ الحروب لم يحفظ لنا نموذجًا ينافس أو يضاهي هذا النموذج الرائع في استخدام القوى والوسائل لبلوغ مثل ذلك الهدف لا سيما عند وضع الحدث في إطاره الجغرافي والزمن.

هنا وفي هذا المجال على وجه التحديد تظهر عبقرية الصديق العسكرية.

● الصديق من كبار القادة العسكريين والمفكرين الاستراتيجيين:

لقد تحلت بصورة مدهشة تثير الدهول والإعجاب المتناهي سعة الفكر الاستراتيجي والقدرة المميزة في إدارة الحرب.

فلو تمّ الأخذ بكل واحد من الأسس الاستراتيجية التي استخدمها الصديق بوضوح تام؛ كالأخذ بالمبادأة، والمباغثة، وحرب الحركة، والحرب التشتيتية، وتحقيق التوازن في القوى بنقل مسرح العمليات لكان ذلك وحده كافيًا لوضعه على مستوى

المفكرين الاستراتيجيين العالميين، فكيف وقد وضع - أو بالأحرى حدد وأوضح - مجموعة من الأسس الاستراتيجية بصورة متكاملة، يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً بحيث يمكن اعتبارها في حد ذاتها مذهباً عسكرياً مستقلاً.

ويكفي دليلاً على تكامل الفكر الاستراتيجي لدى الخليفة أن المسلمين في عهده لم تنتكس لهم راية، ولم يهزم لهم جمع، ولم ينكبوا إلا مرة واحدة يوم خالف «خالد بن سعيد» وأمر الصديق وتعليماته فوق في فخ الروم، وقد كان هذا الفشل في حد ذاته برهاناً على كفاءة الصديق - واتساع فكره الاستراتيجي - في معالجة المواقف الطارئة ومجابة ما هو معروف باسم مآزق الحرب، ولعل أهم ما في الموقف لدى التعرض لهذا المآزق هو تجاوز الانتكاسة بسرعة مذهلة، والانتقال منها إلى إعداد الظروف المناسبة لإحراز النصر، بل إن هذه الحادثة في حد ذاتها تبرز بدعم القدرة المادية لهم؛ فلقد منع الصديق قائده المهزوم «خالد بن سعيد» من دخول المدينة حتى لا يفت ذلك من عزيمة المسلمين، وعندما انتهت كافة الإجراءات الوقائية سمح الصديق لخالد بن سعيد بدخول المدينة.

ولقد فَصَلَ الصديق القائد بين السياسة الاستراتيجية وبين إدارة العمليات أو قيادة الأعمال القتالية، وترك لقادته حرية العمل العسكري لإدارة العمليات القتالية بالأساليب التي يرونها مناسبة، وظاهرة الفصل بين ممارسة القيادة الاستراتيجية وبين قيادة العمليات سبق كبير في مجال «فن الحرب» لم تعرفه إلا الجيوش الحديثة.

ونختم بما قال الصديق المجاهد: «ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به، هي التجارة التي دل عليها ونجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة»^(١).

وهو الذي يخص الليث سيف الله المسلول على القتال فيقول: «أحرص على الموت توهب لك الحياة».

والله إن شعارات جيوش الصديق تنقلك إلى عوالم نورانية ربانية اشتاق المرء منا إليها. انظر:

كان شعار جيش أسامة: يا منصور أمت (١).

وشعار خالد في مسيره نحو مسيلمة الكذاب: يا محمداه.. يا محمداه (٢).

وفي فتوح الشام كان شعار أبي عبيدة: أمت أمت.

وشعار خالد بن الوليد ومن معه: يا حزب الله.

وشعار اليمن: يا أنصار الله.

وشعار حمير: الفتح.

وشعار دارم: الصبر الصبر.

وشعار بني مراد: يا نصر الله.

ما أحوجنا إلى نفحات هذا العصر المبارك.. عصر البطل المجاهد صديق الأمة

الأكبر خليفة رسول الله ﷺ أنبي بكر الصديق ﷺ.

(١) طبقات ابن سعد (١٩١/٢).

(٢) تاريخ الطبري (١١١/٤).

الفاروق الشهيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

● الذي تَفَرُّ شياطينُ الإنس والجن منه.. أَعَزَّ اللَّهُ به الإسلام وَأَذَلَّ به قيصر الروم وملوك بني ساسان .

قال رسول الله ﷺ: «إيها يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط، إلا سلك فجا غير فجاك»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر»^(٢).

● إنه عمر الذي دعا رسول الله ﷺ ربه أن يُعز الإسلام به:

فمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب» قال: وكان أحبهما إليه عمر^(٣).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر^(٤).

وعن ابن مسعود: أن عمر صار عَجِيًّا ثلاث مرات فصرعه^(٥).

● وانظر إلى شجاعته:

عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أيُّ أهل مكة أفشى للحديث؟ فقالوا: جميل بن مَعْمَر الجُمحي، فخرج إليه وأنا أتبعُ

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) حسن: رواه الترمذي عن عائشة، وقال: «حديث حسن صحيح»، وعزاه المزي للنسائي.

(٣) صحيح لشواهده: أخرجه أحمد، والترمذي، وابن حبان، وعبد بن حميد.

(٤) صحيح: رواه البخاري في (صحيحه) (٣٦٨٤)، وأخرجه أحمد في (فضائل الصحابة) (٣٦٨)،

وابن سعد في (الطبقات) (١٩٣/١/٣)، وابن أبي شيبة في (المصنف) (١٢٠٢٢).

(٥) صحيح لشواهده: رواه الهيثمي بمعناه، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال الرواية الثانية رجال

الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، والطريق الثاني فيه المسعودي وقد اختلط، فبان لنا

صحة رواية المسعودي برواية الشعبي.

أثره، أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل، إني قد أسلمت. قال: فوالله ما ردُّ عليه كلمة، حتى قام عامدًا إلى المسجد، فنادى أندية قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن الخطاب قد صبأ. فقال عمر: كذب، ولكني أسلمتُ، وآمنت بالله، وصدقت رسوله. فثاروه فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رءوسهم، حتى فتر عمر، وجلس فقال: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاث مئة رجل، لقد تركتموها أو تركناها لكم. فبينما هم كذلك قيام إذ جاء رجل عليه حلة حرير، وقميص مؤشَّى، فقال: ما لكم؟ فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبأ. قال: فَمَه، امرؤ اختار دينًا لنفسه، أفتظنون أن بني عدي تُسَلِّمُ إليكم صاحبهم. قال: فكأنما كانوا ثوبًا انكشف عنه. فقلتُ له بعدُ بالمدينة: يا أبة، من الرجل الذي ردُّ عنك القوم يومئذ؟ قال: يا بني، ذاك العاص بن وائل^(١).

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونصلي، حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وطفنا^(٢).

وقال - أيضًا -: كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي ونطوف بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلناهم حتى تركونا نصلي^(٣).

وقال صهيب: لما أسلم عمر بن الخطاب، ظهر الإسلام، ودعى إليه علانية، وجلسنا حول البيت جلقًا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه^(٤). إنه عمر وما أدراك ما عمر.

(١) حسن: رواه ابن حبان في (موارد الظمان) (٢/٢١٨)، وأحمد في (فضائل الصحابة) (١/٣٤٦)؛ وانظر: ابن إسحاق (٣٣٤) كما في (السيرة النبوية)، وابن الأثير عن طريقه في (أشد الغاية) (٤/١٥٠)، وخبره صحيح.

(٢) إسناده حسن: رواه أحمد في (فضائل الصحابة) (١/٣٤٤).

(٣) الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذري ص (١٤١).

(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/٢٦٩)، وصفه الصفوة (١/٢٧٤).

أعني به الفاروق فرَّق عنوةً بالسيف بين الكفر والإيمان هو أظهر الإسلام بعد خفائه ومحا الظلام وباح بالكتمان^(١)

قال ابن الجوزي: «قويت شدة عمر في الدين فصلبت عزائمها، فلما حانت الهجرة، تسللوا تسلل القطأ، واختال عمر في مشية الأسد، فقال عند خروجه: ها أنا أخرج إلى الهجرة، فمن أراد لقائي فليلقني في بطن هذا الوادي»^(٢).

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا متخفيًا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهْمًا، واختصر عترته»^(٣)، ومضى قبل الكعبة، والمأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبْعًا متمكّنًا، ثم أتى المقام، فصلى متمكّنًا، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم: شأهت الوجوه، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس^(٤)، من أراد أن تثكله أمه ويوتم ولده أو يرمل زوجته فيلقني وراء هذا الوادي. قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه»^(٥).

إنه عمر رضي الله عنه الذي قال عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله: «... فلم أرَ عبقرِيًّا يفري فريه»^(٦).

إنه عمر هادِمُ دولة بني ساسان، في عهده زال ملك المجوس، وذهبت إمبراطورية كسرى، ولا يزال التاريخ يذكر لرستم قائد قوات الفرس مقولته الشهيرة: «أكل عمر كبدي، أحرق الله كبده». وإنما هو عمر الذي يُكَلِّم الكلاب فيعلمهم العقل، كلّم

(١) نونية القحطاني ص (٢٢).

(٢) التبصرة، لابن الجوزي (٤١٩/١، ٤٢٠).

(٣) عترته: العترة: عصا في قدر نصف الرمح.

(٤) المعاطس: الأنوف.

(٥) خبر لا بأس به: أخرجه ابن عساكر في (تاريخه) (٤٥/٥٢)، وابن الأثير في (أشد الغاية) (٤/

١٥٢)؛ انظر: صحيح التوثيق في سيرة الفاروق، لمجدي السيد ص (٣٠).

(٦) جزء من حديث عبدالله بن عمر عند البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن أبي شيبة. وفي بعض روايات

الصحيح: «فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَنْزِعُ نَزْعَ عُتْرَةٍ». والعبقري: هو السيد، قاله النووي (٢٥٣/٥).

هؤلاء حتى علموا»^(١).

يهتز كسرى على كُرْسِيِّه فَرَقًا مِنْ خَوْفه وملوك الروم تخشأه

● الفارس الماهر

ذكر الطبري في تاريخه، أن عمر بن الخطاب كان يمسك أذنه اليسرى بيده اليمنى، وَيَتَيْبُ، فيصير على ظهر الفرس، من غير أن يُمسك شيئًا بيده.

«كان عمر يأخذ بأذن الفرس ويأخذ بيده الأخرى أذنه، ثم ينزو على متن الفرس»^(٢) وكان يصارع في سوق عكاظ وكان ضخمًا طويلًا جسيمًا^(٣).

وكان فارسًا ماهرًا، قال أبو مسعود الأنصاري: «كنا جلوسًا في نادينا، فأقبل رجل على فرس يركضه يجري حتى كاد يوطئنا، فارتعنا لذلك وقمنا، فإذا عمر بن الخطاب، فقلنا: فمن بعدك يا أمير المؤمنين! قال: وما أنكرتم؟ وجدت نشاطًا، فأخذت فرسًا فركضته»^(٤).

● جهاده:

قال ابن الجوزي: «اتفق العلماء على أن عمر رضي الله عنه شهد بدرًا، وأحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغيب عن غزاة غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٥) وعن ابن سعد قال: «قالوا: شهد عمر رضي الله عنه بدرًا، وأحدًا والمشاهد كلها»^(٦)، كما أشار إلى ذلك ابن إسحاق. في بدر الكبرى: «قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة»^(٧)، وهذا من أعظم صور التجرد لله.

(١) تاريخ الطبري (٥٣٢/٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٢٩٣/٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٣٢٥/٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٣٢٦/٣).

(٥) مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي ص (٨٩).

(٦) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٧٢/٣)، قالوا: يعني العلماء بالسير.

(٧) موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بدر الكبرى)، لمحمد أحمد باشمیل ص (١٦٩) (المكتبة السلفية)،

والسيرة النبوية، لابن هشام (٣٨٨/٢).

قال - تعالى :- ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وبعد انتهاء المعركة أشار عمر بقتل أسارى المشركين.

عن ابن عمر قال: قال عمر رضي الله عنه: «واقفتُ ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»^(١).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر... قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله: هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيبنا لعمر - فأضرب عنقه^(٢)، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تبكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبكي للذي عرّض علي أصحابك من أخذهم الفداء عرض علي عذابهم أدنى من هذه

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٩)، وابن أبي عاصم في (السنن) (١٢٧٧).

(٢) وعند أحمد (٣٠/١، ٣١): «وتمكّن حمزة من فلان أخيه، فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين».

الشجرة^(١)، وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، فأحل الله الغنيمة لهم^(٢). وانظر إلى الحسّ الأُمّني عند عمر رضي الله عنه وحمايته لرسول الله ﷺ عندما جاء عمير بن وهب إلى المدينة قبل إسلامه في أعقاب بدر يريد قتل رسول الله ﷺ «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا، وحزرتنا للقوم يوم بدر. ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه. قال: «فأدخله عليّ»، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر...»^(٣). فمسك عمر بحمالة سيف عمير الذي في عنقه عطّله عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول ﷺ^(٤).

• وفي أخذ:

كان عمر بن الخطاب من القلائل الذين ثبتوا ثبات الأبطال مع رسول الله ﷺ وانظر إلى فرط شجاعته وإبائه الصغار ورده المفحم على أبي سفيان. عن البراء بن عازب رضي الله عنه: «لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي جيشاً من الرماة،

(١) شجرة قريبة من نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -.

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، وأبو داود مختصراً جداً، وكذلك الترمذي مختصراً (٣٠٨١)، وأخرجه أحمد مطولاً (٣٠/١، ٣١).

(٣) صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم صالح العلي ص (٢٥٩) (دار النفائس - الطبعة الثالثة).

(٤) المصدر السابق ص (٢٦٠).

وكانوا خمسين رجلاً، وأمر عليهم عبدالله بن جبير، وقال: «لا تبرحوا إن رأيتمونا
ظهرنا عليهم، فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهوروا علينا فلا تعينونا».

فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن قد بدت
خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة.

فقال عبدالله بن جبير: عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صُرف
وجوههم، فأصيب سبعون قتيلاً، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال:
«لا تجيؤه».

فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيؤه».

فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا! فلم
يملك عمر نفسه فقال: كذبت عدو الله، أبقى الله عليك ما يُخزيك، إن الذي
عددت لأحياء كلهم.

قال أبو سفيان: اعلُ هُبل.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيؤه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل» قال أبو
سفيان: لنا العزى ولا عُزى لكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيؤه» فقالوا: ما نقول؟ قال:
«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»^(١).

وفي رواية ابن إسحاق: «ثم إن أبا سفيان صرخ بأعلى صوته: اعلُ هُبل، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم يا عمر فأجبه»، فقال: الله أعلى وأجل، لا سواء قتلتنا في الجنة،
وقتلاكم في النار».

فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدًا؟

فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣)، وابن إسحاق كما في (السيرة) (١١٦٠)، وأحمد (٢٩٣/٤)، وأبو داود
(٢٦٦٢)، والنسائي في (تفسيره) (٩٩)، والطبرسي (٧٢٥)، وابن سعد (٤٧/٢)، وسعيد بن
منصور في (سننه) (٢٨٥٣)، وأبو نعيم في (الحلية) (٣٨/١)، (٣٩).

قمئة وأبر، لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمداً».

● سرية عمر بن الخطاب إلى ثربة في السنة السابعة من الهجرة:

ولجدارة عمر وفروسيته وشجاعته أرسله النبي ﷺ قائداً على سرية إلى ثربة، قال ابن سعد: «بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب إلى ثربة في شعبان سنة سبع من مهاجرة رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً إلى عُجْز هوازن بترية - وهي بناحية القبلاء - على أربع مراحل من مكة، فخرج ومعه دليل من بني هلال، فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحداً فانصرف راجعاً إلى المدينة ﷺ»^(١).

«وفي هذه السرية يظهر أخذ عمر بمبدأ المباغته، وهي أهم مبادئ الحرب، وإن عمر ينفذ أوامر قائده ونبيه ﷺ نصّاً وروحاً لا يحيد عنها، وهذا هو روح الضبط العسكري وروح الجندية في كل زمان ومكان»^(٢).

ففي رواية: أن الدليل الهلالي قال له بعد أن هرب القوم: هل لك في جمع آخر تركته من خشعهم سائرين قد أجدبت بلادهم؟ فقال عمر: لم يأمرني رسول الله بهم، إنما أمرني أن أعمد لقتال هوازن بترية^(٣).

● عمر ﷺ يوم حنين:

في غزوة حنين كمنت هوازن بين جنبتي وادي حنين، وذلك في عماية الصبح؛ فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد، فولّى المنهزمون لا يُلوي أحدٌ على أحد؛ فناداهم رسول الله ﷺ فلم يرجعوا، وثبت مع رسول الله ﷺ عشرة فقط من أصحابه وآل بيته، كان أحدهم عمر بن الخطاب^(٤).

(١) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٢)، مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي ص (٨٩).

(٢) الفاروق القائد، لمحمود شيت خطاب ص (١١٧، ١١٨).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٢٢٨).

(٤) جوامع السيرة، لابن حزم ص (٢٣٨، ٢٣٩).

● في غزوة بني المصطلق:

كان للفاروق موقف متميز؛ فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «كنا في غزاة فكسع^(١) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار؛ فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ؛ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟»، قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال النبي ﷺ: «دعوها؛ فإنها منتنة»، فسمع بذلك عبد الله بن أبي قحافة فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٢).

وفي رواية: قال عمر بن الخطاب: مَرَّ به عباد بن بشر فليقتله. فقال له رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أذن بالرحيل»^(٣).

● مجاهد يسعدُ وَيَسْرُ لسقوط أعمدة الكفر:

هذا ما حدث من الفاروق رضي الله عنه، وذلك إن دَلَّ، فإنما يَدُلُّ على الحب الغامر الكامل الذي يفيض به قلب ابن الخطاب لله ورسوله، وكمال إيمان عمر رضي الله عنه. فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: لما نزل رسول الله ﷺ بِمَرِّ الظهران، قلتُ: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها حتى جئت

(١) كسع: ضربه برجله.

(٢) السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري (٤٠٩/٢) (مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٣١٩/٣).

الأراك^(١)، فقلت: لعلي ألقى بعض الخطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه، فيستأمنوا قبل أن يدخلها عليهم عنوة. قال: فوالله، إنني لأسير عليها، وألتمس ما خرجتُ له، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً ولا عسكرياً. قال: ويقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها^(٢) الحرب. قال: ويقول أبو سفيان: خزاعة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال: فعرفتُ صوته؛ فقلتُ: يا أبا حنظلة؛ فعرف صوتي.

فقال: أبو الفضل؟! قال: قلت: نعم.

قال: ما لك، فذاك أبي وأمي؟!

قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله!! قال: فما الحيلة فذاك أبي وأمي؟!

قال: قلت: والله، لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتيني بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك.

قال: فركب خلفي، ورجع صاحباه.

قال: فجئت به، كلما مرَّ بنار من نيران المسلمين، قالوا: من هذا؟! فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته. حتى إذا مرَّت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من هذا؟! وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقدٍ ولا عهد. ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضتِ البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء.

قال: فاقترحتُ عن البغلة، فدخلتُ على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال:

(١) يعني: شجر الأراك.

(٢) حمشتها: اشتدت عليها وأحرقتها.

يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني لأضرب عنقه.

قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته.

ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ فأخذتُ برأسه، فقلتُ: والله، لا يناجيه الليلة دوني رجل.

فلما أكثر عمر في شأنه، قال: قلتُ: مهلاً يا عمر؛ فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف. فقال عمر: مهلاً يا عباس؛ فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم؛ وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم...»^(١).

● الفاروق المجاهد يغضب لمحارم الله إذا استُجِلَّتْ؛ كما يغضب النمر إذا حُرِبَ:

عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ بالجرعانة^(٢)، منصرفه من حُنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها، يعطي الناس، فقال: يا محمد، اعدل! قال: «ويلك، ومَنْ يعدل إذا لم أكن أعدل؟! لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»^(٣) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله، فأقتل هذا المنافق.

فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه؛ كما يمرق السهم من الرمية»^(٤).

(١) صحيح: أخرجه ابن إسحاق (١٦٦٢)، والطبراني في (المعجم الكبير) (٧٢٦٤)، والطبري في (تاريخه) (٥٠/٣)، والبيهقي في (دلائل النبوة) (٢٧/٥).

(٢) الجرعانة: موضع قريب من مكة.

(٣) خبت وخسرت: بالضم والفتح، ومعنى الضم ظاهر، وتقدير الفتح: خبت أنت أيها التابع إذا كنت لا أعدل؛ لكونك تابعاً ومقتدياً بمن لا يعدل. والفتح أشهر. أفاده النووي في (شرح على مسلم) (١٥٩/٩).

(٤) رواه مسلم (١٠٦٣)، واللفظ له، والبخاري مختصراً (٣١٣٨)، وأحمد (٣٥٣/٣، ٣٥٤)، وابن ماجه (١٧٢)، وابن أبي عاصم في (السنة) (٤٦٠/٢)، والطبراني في (المعجم الكبير) (١٧٥٣).

● أبو الفتوحات العظيمة:

عمر الذي أذلّ ودَيِّخ كسرى الفرس وهرقل الروم.. عمر أبو الفتوحات العظيمة «فتح العراق كله، السواد والجال وأذربيجان وكور»^(١) البصرة وأرضها، وكور الأهواز وفارس، وكور الشام كلها ما خلا أجنادين فإنها فُتحت في خلافة أبي بكر، وفتح عمر كور الجزيرة والموصل، ومصر والإسكندرية، وقتل ﷺ وخيله على الري قد فتحوا عامتها»^(٢).

يقول اللواء محمود شيت خطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

«عهد الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو عهد الفتح الإسلامي الذهبي، فقد حالف النصر فيه أعلام المسلمين، فامتدت دولتهم حتى جاوزت أفغانستان إلى حدود الصين شرقاً، والأناضول وبحر قزوين شمالاً، وتونس وما وراءها من أفريقية الشمالية غرباً، وبلاد النوبة جنوباً، لقد فتح عمر العراق وإيران وأكثر مناطق أرمينية وأرض الشام بما فيها سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين، ومصر وليبيا والنوبة، وخاضت جيوش المسلمين في أيامه ثلاث معارك حاسمة من معارك الفتح الإسلامي؛ معركة «القادسية» التي فتحت للعرب المسلمين أبواب العراق والأهواز، ومعركة «بابلون» التي فتحت لهم أبواب مصر وليبيا والنوبة، ومعركة «نهاوند» التي فتحت لهم أبواب بلاد فارس كلها، كل هذا الفتح العظيم أنجز خلال عشر سنوات من سنة ثلاث عشرة الهجرية (٦٣٣م) إلى سنة ثلاث وعشرين الهجرية (٦٤٣م)، فقد قبض أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد مغيب الشمس من مساء الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة»^(٣)، فتولى عمر الخلافة، وتوفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين الهجرية

(١) الكورة: المدينة والصقع، جمعه: كور.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لابن الجوزي ص (٦١، ٦٢)، تحقيق د/زينب القاروط (دار الكتب العلمية).

(٣) تاريخ الطبري (٢٦٥/٣)، وأشد الغاية، لابن الأثير (٢٠/٣).

فكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام^(١).

في هذه المدة القصيرة فتح عمر كل هذه الفتوح، فلا عجب أن يذهل هذا الفتح عالم يومئذ ويدهش المؤرخين الذين فصلوا حوادثه وحاولوا استقصاء أسبابه^(٢).

● وهذا تفصيل لسجل الفتوحات^(٣) في عصر العبقري عمر رضي الله عنه:

سنة أربع عشرة: فيها فُتحت دمشق، وحمص، وبعلبك، والبصرة، والأبلة، ووقعة جسر أبي عبيد بأرض نجران، ووقعة فحل بالشام^(٤).

سنة خمس عشرة: في أولها افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة إلا طبرية فإنهم صالحوه، وذلك بأمر أبي عبيدة.

وكانت وقعة مشهودة، هي يوم اليرموك في شهر رجب، وكانت موقعة القادسية في آخر السنة^(٥).

سنة ست عشرة: فيها فُتحت الأهواز، ودخل المسلمون مدينة بَهْرَسِير، وافتتحوا المدائن، وكانت وقعة جَلُولَاء، وِقَنْشَرِين^(٦).

وعن تلك السنوات القليلة يقول مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي - رحمه الله -: استولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى، وعلى كرسي مملكة قيصر، وعلى أُمِّي بلادهما، وغنم المسلمون غنائم لم يُسمع بمثلها قط من الذهب والجوهر، والحريز، والرقيق، والمدائن، والقصور. فسيحان الله العظيم الفتاح^(٧).

(١) أشد الغاية، لابن الأثير (٢٠/٣).

(٢) الفاروق القائد، للواء الركن محمود شيت خطاب ص (٩٣، ٩٤) (دار الفكر - بيروت).

(٣) انظر: صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب، لمجدي فنحي السيد ص (٢٣٠ - ٢٣٣) (دار الصحابة بمصر).

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٤٣٥/٣)، تهذيب تاريخ دمشق (١٤٧/١)، تاريخ خليفة (١٢٧).

(٥) انظر: تاريخ الطبري (٣٩٤/٣، ٣٩٥) وتاريخ خليفة (١٣١)، وتاريخ الإسلام (١٣٩/٤)، وتهذيب تاريخ دمشق (١٦/١).

(٦) تاريخ الطبري (١٤/٤، ١٥، ١٦)، وتاريخ خليفة (١٣٤)، وتاريخ الإسلام (١٥٧/٤).

(٧) تاريخ الإسلام (١٥٩/٤).

سنة سبع عشرة: سار الفاروق إلى الشام، وزاد في عمارة المسجد النبوي، وافتتح أبو موسى الأشعري الأهواز صلحًا وعنوة، فقد نقضوا عهدهم بعد الفتح الأول^(١).
سنة ثمانى عشرة: افتتح أبو موسى رضي الله عنه جُند يسابور، والسوس صلحًا، ثم رجع إلى الأهواز.

وفيها: افتتح أبو موسى رامهرمز ثم سار إلى تُستر^(٢).

سنة تسع عشرة: فيها فُتحت قيسارية، وأمير العسكر معاوية بن أبي سفيان وسعد بن عامر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - كلُّ أمير على جنده، فهزم الله المشركين، وقُتِل منهم مقتلة عظيمة.

وفيها: كانت وقعة ضُهاب - قرية بفارس - وعلى المسلمين الحكم بن أبي العاص، فقتل شهرك مقدّم المشركين.

وفيها: فُتحت تكريت.

وفيها: وجه عمر عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة^(٣).

سنة عشرين: وفيها افتتحت مصر.

وفيها: افتتح المغرب كله عنوة.

وفيها: سار أبو موسى الأشعري إلى تُستر، وحاصرها طويلاً.

وفيها: أجلى عمر يهود خيبر ونجران^(٤).

سنة إحدى وعشرين: فيها فتح عمر بن العاص رضي الله عنه الإسكندرية عنوة.

وفيها: نزل عثمان بن أبي العاص تَوَجَّج، ومَصْرَهَا، وهي مدينة فارسية.

(١) تاريخ الطبري (٦٩/٤)، أشد الغابة، لابن الأثير (٥٤٠/٢)، وتاريخ خليفة (١٣٥، ١٣٦)، وتاريخ الإسلام (١٦٥/٤)، وتاريخ ابن عساكر (٣٣٦/٥٢، ٣٣٧).

(٢) تاريخ الطبري (٩٦/٤)، وتاريخ خليفة (١٣٩، ١٤٠)، وتهذيب تاريخ دمشق (١٧٦/١).

(٣) تاريخ الطبري (٥٣/٤)، وتاريخ خليفة (١٤١)، وتاريخ الإسلام (١٨٧/٤، ١٩٠).

(٤) تاريخ الطبري (١١٢/٤)، وتاريخ خليفة (١٤٣، ١٤٤)، وتاريخ الإسلام (١٩٧/٤، ٢٠٠)، وتاريخ ابن عساكر (٣٣٦/٥٣، ٣٣٧).

وفيها: بعث عمر سوار بن المثني العبدي إلى سابور، فاستشهد، وأغار عثمان بن أبي العاص على سيف البحر والسواحل، وبعث الجارود بن المعلی فاستشهد. وفيها: كانت وقعة نهاوند، وافتتحت نهاوند.

وفيها: سار عمرو بن العاص إلى برقة فافتتحها.

وفيها: وصل أبو هاشم بن عتبة إلى أنطاكية، وقلقيّة، وصالح أهلها^(١).

سنة اثنين وعشرين: فيها فُتحت أذربيجان على يد المغيرة بن شعبة.

وفيها: غزا حذيفة ماسبذان، فافتتحها عنوة، وغزا همذان فافتتحها عنوة، وافتتح

عمرو بن العاص طرابلس الغرب.

وفيها: افتتحت جرجان.

وفيها: افتتح سويد بن مقرن الري، ثم عسكر وسار إلى قوس فافتتحها^(٢).

سنة ثلاث وعشرين: وفيها كان فتح كرمان، وأمير الفتح سهل بن عدي.

وفيها: فُتحت سجستان، وأمير فتحها هو عاصم بن عمرو.

وفيها: فتحت مُكران، وهي من بلاد الجبل، وكان أمير الفتح الحكم بن عثمان.

وفيها: غزا معاوية بن أبي سفيان الصائفة حتى بلغ عمورية^(٣).

هذا هو السجل الحافل بالجهاد في عهد الإمام الرباني عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ

عَنْهُ وَأَرْضَاهُ -

كُلُّ يَوْمٍ مَجْدٌ وَفَخْرٌ يَشَادُ وَطَرِيفٌ^(٤) مِنَ الْمُنَى وَتِلَادٌ

وَكَرَامٌ مِنَ الْمَسَاعِي حِسَانٌ عَجَزَتْ عَنْ طِلَابِهَا الْحَسَادُ

(١) تاريخ الطبري (١١٥/٤، ١٤٤)، وتاريخ خليفة (١٤٨، ١٤٩)، وتاريخ الإسلام (٢٢٨/٤).

(٢) تاريخ الطبري (١٤٦/٤، ١٦٣)، وتاريخ الإسلام (٢٤٢/٤)، وتاريخ خليفة (١٥٠).

(٣) تاريخ الطبري (١٨٠/٤، ١٨٦)، وتاريخ الإسلام (٢٥٠/٤)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (٥٣/

٣٣٧).

(٤) الطريف: الجديد. والتلاد: القديم.

● ومن أهم المعارك التي انتصر فيها المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه:
 وقعة النمارق سنة ١٣هـ، ومعركة الشَّقَاطِيَّة بِكَشْكِرَ، ومعركة باروسما سنة
 ١٣هـ، ومعركة البويب سنة ١٣هـ، والقادسية «يوم أرمات، ويوم أغواث، ويوم
 عماس، ويوم القادسية» وفتح المدائن، ومعركة جلولاء، وفتح رامهرمز، وفتح تستر،
 وفتح مدينة مجنْدَى وسابور، ثم معركة نهاوند «فتح الفتوح»، وفتح همدان ثانية سنة
 ٢٢هـ، وفتح الري سنة ٢٢هـ، وفتح قوميس وجرجان سنة ٢٢هـ، وفتح أذربيجان
 سنة ٢٢هـ، وفتح الباب سنة ٢٢هـ، وغزو خراسان سنة ٢٢هـ، وفتح اصطخر سنة
 ٢٣هـ، وفتح فساودار بعُجْرَد سنة ٢٣هـ، وفتح كرمان وسجستان سنة ٢٣هـ، وفتح
 مُكْران سنة ٢٣هـ، وغزو الأكراد.

وفتوحات الشام «فتح دمشق - وقعه فحل - فتح بيسان وطبرية - وقعة حمص سنة
 ١٥هـ، ووقعة قنسرين سنة ١٥هـ، ووقعة قيسارية سنة ١٥هـ، وفتح القدس سنة
 ١٦هـ»، ثم فتوحات مصر وليبيا «فتح الفرما، فتح بلبيس، معركة أم دين، معركة
 حصن بابليون، فتح برقة وطرابلس».

● الفاروق القائد:

هذا النهر من الفتوحات والانتصارات كان بفضل قيادة عمر الفذة بالإضافة إلى
 العوامل الأخرى، تلك القيادة التي امتازت بميزتين ظاهرتين:
 الأولى: مقدرته المدهشة على اختيار القادة العامين والقادة المرعوسين.
 والثانية: المهوبة والمكتسبة على القيادة العليا والقيادة التعبوية - أيضًا^(١).

● اختيار القادة:

لقد نجح قادة عمر في مهمة قيادة الجيوش الإسلامية نجاحًا كان ولا يزال وسيبقى
 أعجوبة من أعاجيب تاريخ الحرب.

(١) الفاروق القائد، محمود شيت خطاب ص (٩٥).

ولقد كان للفراروق طريقة متميزة في اختيار قادة الفتح؛ منها:

١- أن يكون القائد صحائياً؛ لأنهم كانوا لا يُؤمَّرون في الفتح إلا الصحابة^(١)، فكان عمر لا يُؤلي إلا الصحابة ولا يرضى أبداً أن يعمل صحابي بإمرة غير صحابي. فقد كان للصحابة - بصورة عامة - تجارب طويلة مفيدة في القتال تحت لواء الرسول القائد صلوات الله عليه، واقتبسوا خلالها أعلى وأسمى ضروب التضحية والفداء، وأنبأ وأرفع آداب الحرب والسلام^(٢).

٢- وكان عمر رضي الله عنه يفضل السابقين الأولين من الصحابة على غيرهم إلا أن يقصر بهم عملهم، فكان يفضل عليهم حينذاك من برز بأعماله.

لقد كان أول ما عمل عمر بعد موت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - أن ندب الناس مع المثنى كل يوم، يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم؛ لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم، فلما كان اليوم الرابع عاد فنذب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، ثم ثني سعد بن عبيد، وسليط بن قيس، فلما تكامل حشد ذلك البعث قال قائل لعمر: «أمر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار» فقال عمر: إنما أؤمر عليهم من استجاب^(٣). وفي رواية: «لا والله! لا أفعل، إنما رفعكم الله بسيفكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا جبتهم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً»^(٤)، ثم دعا أبا عبيد^(٥) وسليطاً وسعداً فقال مخاطباً سعداً وسليطاً: «أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما»، ثم قال لأبي عبيد: «اسمع من أصحاب النبي صلوات الله عليه وأشركهم في الأمر، ولا

(١) الإصابة، لابن حجر العسقلاني (٣٠٩/١، ١٩٤/٢، ٢٣٥/٤).

(٢) الفاروق القائد ص (٩٦).

(٣) البداية والنهاية (٢٦/٧).

(٤) تاريخ الطبري (٦٣١/٢)، وابن الأثير (١٦٦/٢)، ومناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي (٦٧).

(٥) وكان من التابعين.

تجتهد حتى تتبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث^(١) الذي يعرف الفرصة والكف^(٢).

٣- وكان عمر يفضل أن يكون القائد مكيثًا غير متهور، يعرف الفرص وينتهازها، ويعرف كيف ومتى يقاتل ومتى يكف عن القتال^(٣). قال عمر لسليط: «لولا عجلة فيك لوليتك، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها إلا الرجل المكيث»^(٤).

٤- وكان عمر يريد أن يكون القائد قويًا مسيطرًا ذا شخصية نافذة، فإذا وجد رجلاً أقوى من رجل فضل الأقوى على القوي، فقد استعمل معاوية بن أبي سفيان على الشام، وعزل شرحبيل بن حسنة وقام يعذره في الناس، فقال: «إني لم أعزله عن سخطة، ولكن أريد رجلاً أقوى من رجل»^(٥)، وكان يقول: «إني لأتخرج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه»^(٦).

٥- واستعمل عمر القادة الشجعان الرماة: فحين وجه سعد بن أبي وقاص إلى العراق قائداً عامًا قال: «إنه رجل شجاع رام»^(٧).

ولما أراد عمر أن يولي قائداً لجيوش المسلمين لفتح نهاوند واستشار الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك، ورأيتهم وكلمتهم. فقال: أما والله لأؤلِّين أمرهم رجلاً؛ ليكون أول الأُسنة^(٨) إذا لقيها غداً. فقيل: من يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن. فقالوا: هو لها^(٩).

(١) المكيث: الرزين المتأنى، جمعها مكثاء.

(٢) تاريخ الطبري (٦٣١/٢).

(٣) أشد الغابة، لابن الأثير (١٦٦/٢).

(٤) البلاذري (٢٥١).

(٥) ابن الأثير (٢١٧/٢).

(٦) طبقات ابن سعد (٣٠٥/٣).

(٧) البلاذري ص (٢٥٥).

(٨) الأُسنة: واحده سنان؛ أي: سن الرمح.

(٩) تاريخ الطبري (١٠٩/٥).

٦- وكان رضي الله عنه يختار قواده من ذوي الدهاء والفتنة والحنكة:

لما نزل عمرو بن العاص وجنده على الروم بموقعة أجنادين لفتحها، وكان قائد الروم الأرتبون، وهو أدهى الروم، وأبعدها غورًا، وأنكاها فعلاً، ووضع جنداً عظيماً بإيلياء والرملة، وكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمر قال: رمينا أرتبون الروم بأرتبون العرب فانظروا عما تنفرج^(١). ولما أراد عمرو أن يجمع المعلومات عن الأرتبون وجيشه حتى يضع خطته الحكيمة لمهاجمته والانتصار عليه، دخل ابن العاص معسكر قائد الروم وكاد أن يقتل إلا أن الله نجاه، وخدع عمرو بن العاص أرتبون الروم، ولما وصل الأمر إلى عمر بن الخطاب قال: غلبه عمرو، لله عمرو^(٢).

٧- وكان عمر إذا اجتمع إليه جيش من المسلمين، أمر عليهم أميرًا من أهل العلم والفقہ^(٣)، ولا يرضى أن يؤمر أهل الوبر على أهل المدر^(٤).

فقد قال عمر لعتبة بن غزوان: «من استعملت على أهل البصرة؟» فقال: «مجاشع ابن مسعود»، قال: «تستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر؟!». ولما أرسل إلى سعيد بن عامر ليستعمله على بعض الشام، فأبى عليه، فقال عمر: «كلا والذي نفسي بيده، لا تجعلونها في عنقي وتجلسون في بيوتكم»^(٥).

* * *

(١) تاريخ الطبري (٤/٤٣١).

(٢) المصدر السابق (٤/٤٣٢).

(٣) أشد الغابة، لابن الأثير (٣/١٩).

(٤) أهل الوبر هم أهل البادية، والحضر؛ أي: المدن.

(٥) مصنف عبدالرزاق (١١/٣٤٨).

القائد الفذ الذي ليس له نظير في عصره وبعد عصره

أهم صفات القائد المثالي كما يقول اللواء محمود شيت خطاب:

«العقيدة - الشورى - الحصول على المعلومات - الحرص الشديد - الفطنة وبعد النظر - الشجاعة - القابلية البدنية - تحمل المسؤولية - معرفة مبادئ الحرب - القابلية السوقية - الاستراتيجية» - الشخصية النافذة - الثقة المتبادلة - المحبة المتبادلة - الماضي الناصع المجيد.

وبالطبع لا تتوفر كل هذه الصفات في قائد واحد - كما قال نابليون ؛ لأنها مجموعة من سير عدد عديد من القادة العظام.

وهذه الصفات كلها - على الرغم من قول نابليون - كانت متوفرة في قيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. [وذلك كالتالي]:

● الفاروق القائد واستشارته في أمور الحرب:

عندما علم عمر باجتماع الفرس على يزدجرد، فكتب عمر إلى المنى بن حارثة ومن معه من المسلمين بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم، واجتمع الناس إلى عمر فخرج من المدينة المنورة حتى نزل على ماء يدعى «ضرار»، فعسكر به ولا يدري أحد ما يريد أيسير أم يقيم! وأحضر عمر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير إلى العراق، فقال العامة: «سز وسز بنا معك»، ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح، وإلا أعاد رجلاً وبعث آخر، ففي ذلك غيظ العدو، فجمع عمر الناس وقال لهم: «إني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا علي برجل. وأخيراً استقر الرأي على تولية سعد بن أبي وقاص»^(١).

وكان عمر لا يوافق على انسياح الجيش الإسلامي في بلاد فارس ويقول: «وددت

(١) ابن الأثير (١٧٢/٢، ١٧٣).

لو أن بين السواد والجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم! حسبنا من الريف السواد»^(١) وقال لما فتحت الأهواز وما يليها: «وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا نصل إليهم منه ولا يصلون إلينا»^(٢).

واستشار عمر أهل الرأي في ذلك، فقال الأحنف بن قيس: «يا أمير المؤمنين! إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وأن ملك فارس بين أظهرهم، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم، وإن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح، فنسيح في بلادهم، ونزِيل ملكهم، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس. فقال عمر: «صدَّقني والله»، وأذن في الانسياح في بلاد فارس»^(٣).

وعندما حشد الفرس جيوشهم في «نهاوند» حتى بلغ الجند مئة وخمسين ألفاً بإمرة الفيرزان^(٤)، أخبر سعد بن أبي وقاص عمر بهذا الحشد العظيم، فقرر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة الموقف هناك، ولكن أصحاب الشورى وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصحوه أن يبقى في المدينة المنورة ويرسل قائداً يعتمد عليه ليفرق شمل القوات الفارسية^(٥).

إن القائد الذي يحسن الاستشارة تكون قراراته غالباً أقرب إلى الكمال.

• الحرص على الحصول على المعلومات:

كان عمر يحرص على الحصول على المعلومات من الواقفين عليه، ومن القادة والأمراء وأفراد الناس الذين يحضرون الحج، ومن منابع المعلومات الأخرى.

(١) ابن الأثير (٢/٢٠١).

(٢) ابن الأثير (٢/٢٠٨).

(٣) تاريخ الطبري (٣/١٨٤، ١٨٥)، وأشد الغابة، لابن الأثير (٢/٢١٣).

(٤) ابن الأثير (٣/٣).

(٥) الطبري (٣/٢١٢).

كان يطالب قاداته دائماً بإطلاعه على تفاصيل المعلومات عن العدو وعن الأرض التي يقاتلون عليها.

كتب إلى سعد بن أبي وقاص قبيل معركة القادسية يقول «... اكتب إلي أين بلغك جمعهم ومن يلي مصادمتكم، فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين «المدائن» صفةً كأني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجلية..»، فكتب إليه سعد يذكر تفاصيل دقيقة عن طبيعة الأرض وعن العدو وقائده^(١).

إن الذين يقرءون رسالة عمر إلى سعد بن أبي وقاص وجواب سعد من العسكريين المختصين لا يسعهم إلا أن يُعْذُوا إعجابهم الشديد بهاتين الرسالتين، فلن يستطيع قائد أعلى في القرن العشرين بعد أن أصبحت الدراسات العسكرية دراسات أكاديمية أن يكون أكثر دقة من عمر في رسالته هذه، ولن يستطيع قائد عام من ضباط الركن اللامعين أن يكتب تفاصيل أدق وأوفى من رسالة سعد بن أبي وقاص.

وكان جواب عمر على رسالة سعد هذه: «جاءني كتابك وفهمتته، فأقم بمكانك حتى ينغض^(٢) الله لك عدوك، واعلم أن لها ما بعدها، فإن منحك الله أذبارهم فلا تنزع حتى تقتحم عليهم «المدائن»، فإنه خرابها - إن شاء الله^(٣)».

لقد كان عمر رضي الله عنه يحيط علماً بتفاصيل ودقائق المعلومات عن جيوشه وعن جيوش عدوه وعن طبيعة الأرض، فكان يصدر قراراته العسكرية على هدى وبصيرة^(٤).

(١) تاريخ الطبري (١١/٣).

(٢) نغض الشيء نغضاً ونغضاتاً؛ أي: تحرك في ارتجاف واضطراب. ويقال: نغضوا إلى العدو؛ أي: نهضوا. انظر: المعجم الوسيط (٩٤٥/٢).

(٣) تاريخ الطبري (١٢/٣).

(٤) الفاروق القائد ص (١٠٨).

● الحرص على مصير الجيوش:

كان عمر يحرص غاية الحرص على مصائر جيوشه، فقد كان يخشى الله أن يسأله عن كل إهمال يؤدي إلى ضياع الأرواح، فكان - رحمه الله - نموذجاً رفيعاً للحرص على مصائر الناس، بعث عمر بن الخطاب جرير بن عبدالله البجلي على الجيش، فسقطت رجل رجل من المسلمين من البرد، فأرسل إليه: «يا جرير مسمعا! إنه من يسمع يسمع الله به»؛ يعني: أنك خرجت في البرد ليقال: قد غزا في البرد (١). وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر، فذكر جموعاً من الروم وشدة، فكان يوقظ أحد أصحابه فيقول: «قم فصل، فإني لأقوم فأصلي وأضطجع فما يأتيني النوم» (٢). وكان عمر يخلف الغزاة في أهليهم (٣)، فيقوم على أمرهم كلهم، وكان يقدر المجاهدين حق قدرهم، ويكبر المضحين منهم أعظم الإكبار، قال عبدالله بن عمر: «بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر، فرفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة، فسأله، فأخبره أنه أصابته في غزاة كان فيها، فقال: عُذُوا له ألفاً. فَأُعْطِي الرجل ألف درهم، ثم قال: عُذُوا له ألفاً. فَأُعْطِي له ألفاً أخرى، ثم قال له ذلك أربع مرات، كل مرة يعطيه ألف درهم، فاستحي الرجل من كثرة ما أعطي، فخرج فسأل عنه، فقيل له: إنا رأينا أنه استحي من كثرة ما أعطي. فخرج. فقال: أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم، رجل ضرب ضربة في سبيل الله، حفرت وجهه» (٤).

بل شمل حرصه حتى الحيوانات، قال الأحنف بن قيس التميمي: «وفدنا إلى عمر بفتح عظيم، فقال: أين نزلتم؟ فقلت: في مكان كذا، فقام معي حتى انتهينا إلى مناخ ركائبنا، فجعل يتخللها بصره ويقول: ألا اتقيتم الله في ركائبكم هذه؟؟ ألا علمتم

(١) مناقب عمر، لابن الجوزي ص (٨٨).

(٢) المصدر السابق ص (٥٥).

(٣) المصدر السابق ص (٤٧).

(٤) المصدر السابق ص (٥٢، ٥٣).

أن لها عليكم حقاً؟؟ ألا خليتكم عنها فأكلت من نبت الأرض؟؟».

ولقد بلغ من حرصه على أرواح المسلمين أنه لم يوافق على الانسياح في بلاد العجم إلا في الوقت المناسب، وبعد تأكده من ضرورة الانسياح الملحة. كما لم يوافق على ركوب البحر، وعاقب العلاء بن الحضرمي على ركوبه خلافاً لأوامره الصريحة^(١).

وقد كان معاوية بن أبي سفيان لَجَّ على عمر في ركوب البحر، فكتب عُمر إلى عمرو بن العاص أن يصف له البحر، فلما كتب إليه عمرو وصف البحر كتب إلى معاوية: «والذي بعث محمداً ﷺ بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبداً.. فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر^(٢)، وبالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم، وإياك أن تعرض إليّ، فقد علمت ما لقي العلاء مني».

وانظر إلى هذا الخبر العظيم الذي يبين لك الحرص العالي لأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه: قال السائب بن الأقرع الثقفي: «... قدمت على عمر، وكان قد قدر الواقعة، فبات يتململ ويخرج ويتوقع الأخبار.. فخرج عمر من الغد يتوقع الأخبار، فأتيته فقال: ما وراءك؟ فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك وأعظم الفتح، واستشهد النعمان ابن مقرن. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون.. ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه.. فلما رأيت ذلك وما لقي، قلت: يا أمير المؤمنين! ما أصيب بعده رجل تعرف وجهه. فقال: أولئك المستضعفون من المسلمين، ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم، وما يصنع أولئك بمعرفة عمر؟؟^(٣)».

● لله در عمر... يا سارية . . . الجبل الجبل، من استرعى الذئب ظلم. وانظر إلى حرص عمر الشديد.. وهذه الكرامة الغالية لفاروق الإسلام المجاهد

(١) تاريخ الطبري (١٧٨/٣).

(٢) يعني: البحر.

(٣) أشد الغابة، لابن الأثير (٦/٣)، والخراج، ليحيى بن آدم القرشي ص (٤١).

الذي يشفق على إخوانه المجاهدين ويحرص عليهم غاية الحرص.
عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: كان عمر يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، فعرض له في خطبته أن قال:

يا سارية^(١)... الجبل الجبل، مَنْ استرعى الذئب ظلم، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال علي: ليخرجن مما قال، فلما فرغ من صلاته قال له علي: ما شيء سنع لك في خطبتك؟! قال: وما هو؟ قال: قولك: يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم.

قال: وهل كان ذلك مني؟ قال: نعم. قال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم، وأنهم يميرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا مَنْ وجدوا، وقد ظفروا، وإن جازوا هلكوا، فخرج مني ما تزعم أنك سمعته.

قال: فجاء البشير بالفتح بعد شهر، فذكر أنه سمع في ذلك اليوم، في تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتًا يشبه صوت عمر: يا سارية الجبل الجبل. قال: فعدلنا إليه، ففتح الله علينا.

وفي رواية أخرى: ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هُزِمْنَا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا ينادي: يا سارية... الجبل - ثلاثًا - فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله^(٢).

لقد كان عمر في حرصه نسيج وحده... إنه كان لا ينام ولا يُنيم حرصًا على مصائر المسلمين.

(١) ذكر العقاد في كتابه (عبقريه عمر) ص (٣١): أنه سارية بن حصن. والحقيقة أنه سارية بن زعيم الكناني..

انظر: الإصابة (٥٢/٣)، وأشد الغاية (٢٤٤/٢)، وتهذيب ابن عساکر (٤٣/٦).
(٢) صحيح: أخرجه الطبري في (تاريخه) (١٧٨/٤)، وابن الأثير في (أشد الغاية) (٣٠٦/٢)، وابن عساکر في (تاريخه) (٢٨٦/٥٢)، وأخرجه البيهقي في (الدلائل)، وأبو نعيم، والزين العاقولي في (فوائده)، وابن الأعرابي في (كرامات الأولياء)، كما في (الإصابة) (٥٣/٣)، وقال ابن حجر: إسناده حسن، ورواه ابن مردويه، والواقدي، وأبو عمرو بن العلاء؛ كما قال ابن حجر في (الإصابة) (٥٣/٣).

● معرفة الفاروق القائد الغز بمبادئ الحرب:

وعملًا بقول الله ﷺ: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، نكتب هذا الفصل من كتاب اللواء الركن / محمود شيت خطاب: «الفاروق القائد» فأهل مكة أعلم بشعابها^(١):

«كان عمر أحد خريجي مدرسة الرسول القائد ﷺ في ممارسة فنون الحرب ومعاونة أهوالها.

كان عمر قبل إسلامه كأبي عربي ليس غريبًا على ساحات الوغى وأخبار الحروب، ولكن هذه المعلومات الابتدائية عن المارك صقلها وهذبها بالممارسة الفعلية وبالتوجيه العملي والنظري لسيد القادة وقائد السادة - عليه الصلاة والسلام .. ولقد كان لعمر طبيعة موهوبة للجندي الممتاز - كما أسلفنا -؛ فاجتمع لديه بعد تجاربه الطويلة للحرب بعد إسلامه الطبع الموهوب والعلم المكتسب، وبذلك أصبح قائدًا مثاليًا له مزايا القائد المثالي علمًا وعملاً.

شهد عمر مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحينئذ وغيرها من المشاهد، وكان أشد الناس على الكفار، وأراد رسول الله ﷺ أن يرسله إلى مكة يوم الحديبية، فقال: «يا رسول الله! قد علمت قريش شدة عداوتي لها، وإن ظفروا بي قتلوني»، فتركه وأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٢).

وقد ولاه النبي ﷺ قيادة سرية من المسلمين؛ فقد بعثه في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلًا إلى «عجزة»^(٣) هوازن بـ «تربة»^(٤)، فخرج

(١) من ص (١٤٦ - ١٩٧) باختصار.

(٢) أشد الغابة (٥٩/٤).

(٣) عجز: محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له: (تربة) بضم العين. انظر: السيرة الحلبية (٢١٠/٣)، وفي (معجم البلدان) (٣٧٤/٢): أن تربة على مسافة يومين من مكة.

(٤) تربة: واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٣٧٤/٢)، وفي (طبقات ابن سعد) (١١٧/٢): أنها بناحية العلاء على أربع ليال من مكة، طريق صنعاء ونجران.

وخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالهم فلم يَلَقَ منهم أحدًا فانصرف راجعًا إلى المدينة^(١)، فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل: هل لك في جمع آخر من خثعم؟»، فقال عمر: «لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، إنما أمرني بقتال هوازن»^(٢).

هذه السرية تدلنا على ثلاث نتائج عسكرية:

الأولى: أن عمر أصبح مؤهلًا للقيادة؛ إذ لولا ذلك لما ولاه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من سرايا المسلمين تتجه إلى منطقة بالغة الخطورة وإلى قبيلة من أقوى القبائل العربية وأشدّها شكيمًا.

والثانية: أن عمر الذي كان يكمن نهارًا ويسير ليلاً، مشبع بمبدأ المباغتة؛ أهم مبادئ الحرب على الإطلاق، مما جعله يباغت عدوه ويجبره على الفرار، وبذلك انتصر بقواته القليلة على قوات المشركين الكثيرة.

والثالثة: أن عمر ينفذ أوامر قائده الأعلى نصًا وروحًا، ولا يحيد عنها، وهذا هو روح الضبط العسكري؛ روح الجندي في كل زمانٍ ومكان.

وبعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وتولي أبي بكر الصديق كان عمر أحد جنود بعث أسامة بن زيد^(٣)، وحين أراد أبو بكر الصديق إنفاذ هذا البعث إلى واجبه حسب أوامر النبي صلى الله عليه وسلم شيع هذا الجيش فقال لقائده أسامة: «إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل» فأذن له^(٤)، فكان عمر أبرز عضو من أعضاء المجلس الأعلى للقيادة العامة في عهد أبي بكر الصديق.

كان أبو بكر يستشير عمر في تعيين القادة الذين يوليهم قيادة جيوش المسلمين؛ فقد عقد أبو بكر أول لواء إلى أرض الشام لخالد بن سعيد بن العاص، ولكنه عزله قبل

(١) طبقات ابن سعد (١١٧/٢)، والسيرة الحلبية (٢١٠/٣).

(٢) السيرة الحلبية (٢١٠/٣).

(٣) ابن الأثير (١٢٧/٢)، والطبري (٤٦٢/٢).

(٤) الطبري (٤٦٢/٢)، وابن الأثير (١٢٧/٢).

أن يسيره، وكان سبب عزله أنه تربص ببيعة أبي بكر شهرين، ولقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فقال: «يا أبا الحسن! يا بني عبد مناف! أغلبتم عليها؟» فقال علي: «أمغالبة ترى أم خلافة؟!»... أما أبو بكر فلم يحقدها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه، فلما ولاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الإمارة وجعله ردتاً للمسلمين بـ (تيماء)^(١)، وأمره ألا يفارقها إلا بأمره وأن لا يدعو من حوله من العرب إلا من ارتد، وأن لا يقاتل إلا من قاتله^(٢).

وكان يستشيريه في تسيير الجيوش إلى الجهاد؛ فقد دعا أبو بكر أهل الرأي، وفي مقدمتهم عمر، وذكر لهم أن رسول الله ﷺ عول أن يصرف همته إلى الشام، فقبضه الله إليه واختار له ما لديه، وطلب رأيهم في ذلك، فكان عمر أسبقهم إلى إجابته فقال: «... سر بالخيال في أثر الخيل وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود...»، فلما لم يتحمس الحاضرون لهذه الدعوة، لأن هيبة الروم أخذتهم صاح فيهم عمر: «ما لكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم لما يحييكم؟!» فهزت هذه الصيحة الحاضرين، فرضوا بالجهاد^(٣). فكتب أبو بكر إلى اليمن وأهل مكة^(٤) يستنفرهم للجهاد في أرض الشام.

وكان يستشيريه عند إعداد الخطط السوقية (الاستراتيجية) لجيوشه، فكان عمر يعاونه في ذلك أعظم المعاونة.

ولما حضرت أبا بكر الوفاة دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: «أخبرني عن عمر» فقال: إنه أفضل من رأيت، ولكن فيه غلظة»، فقال أبو بكر: «ذلك لأنه يراني رقيقاً»،

(١) تيماء: بلد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٤٤٢/٢)، وتهذيب الأسماء واللغات القسم الثاني (٤٤/١).

(٢) ابن الأثير (١٥٤/٢)، والطبري (٥٨٦/٢)، وفي البلاذري ص (١١٦): أن عمر كلم أبا بكر في عزل خالد؛ لأنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب؛ فعزله.

(٣) الفاروق عمر، لمحمد حسين هيكل (٨٥/١).

(٤) فتوح الشام، للواقدي (١-٢).

ولو أفضي الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه».

ودعا عثمان بن عفان وقال له: «أخبرني عن عمر»، فقال: «سريته خير من علانيته، وليس فينا مثله». ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال: «استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم، وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك»، فقال أبو بكر: «أجلسوني»، ثم قال: «أبالله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك»^(١)

وأصبح عمر بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه القائد الأعلى لقوات المسلمين المسلحة، فكان أول ما عمل، أن ندب الناس مع المثني بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها الصديق أبو بكر. ثم أصبح فبايعه الناس، فعاد فندب الناس لقتال الفرس. وتتابع الناس على البيعة ثلاثة أيام، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم؛ لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، فأقره على الجيش؛ لأنه كان أول الناس انتدابًا^(٢).

وأمر المثني بن حارثة الشيباني بالتقدم إلى أن يقدم عليه أصحابه، وأمر باستنفار من حسن إسلامه من أهل الردة^(٣)، فكان بعث أبي عبيد أول جيش سيره عمر^(٤). لقد طبق عمر بذلك مبدأ (التحشد) تطبيقًا رائعًا.

(١) الكامل لابن الأثير (٧٩/٢).

(٢) الطبري (٦٣١/٢)، وابن الأثير (٦٦٢/١)، وتاريخ عمر ص (٦٧).

(٣) ابن الأثير (١٦٦/٢).

(٤) ابن الأثير (١٦٦/٢).

وكان عمر قد قال لأبي عبيد: «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية... تقدم على قوم تجرءوا على الشر فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون، واحرز لسانك، ولا تفشينَّ سرَّك، فإن صاحب السر ما يضبطه متحصن ولا يؤتى من وجه يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعة^(١)».

وهذا يدل على أن عمر كان يعرف تفاصيل دقيقة عن الحالة الاجتماعية لعدوه؛ لذلك أوصى قائده بالحذر واليقظة، وأرشده إلى مفتاح كل ذلك؛ وهو كتمان السر حتى لا يعرف عدوه نيته قبل الأوان، فببلاغته عدوه قبل أن يبأغته هو عدوه، وقبل معركة (البويب)^(٢) ندب عمر الناس إلى المشنى بن حارثة الشيباني، وكان فيمن ندب قبيلة «بجيلة»^(٣)، فجعل الناس يتحامون العراق ويتأقلون عنه، حتى همَّ أن يغزو بنفسه، وَقَدِمَ عليه خلقٌ من الأزديين يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق^(٤)، وكتب إلى أهل الردة فلم يأتهم أحدٌ إلا رمى به المشنى^(٥).

لقد طبق عمر في ذلك مبدئين من مبادئ الحرب المهمة:

مبدأ «التحشد»؛ وذلك بحشد أكبر عدد من القوات في ربوع العراق، ومبدأ «توخي الهدف»؛ وذلك بالإصرار على فتح العراق مهما يكلفه الأمر ومهما تكن الظروف والأحوال.

وقبل معركة «القادسية» الحاسمة - حين علم عمر باجتماع الفرس على «يزدجرد» بعد توليه عرش أجداده الأكَاسرة وتجهزهم؛ مما أثار قرى العراق ومدنه على المسلمين - قال: «والله، لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»، ثم كتب إلى عماله: لا تدعوا أحدًا

(١) ابن الأثير (١٦٨/٢).

(٢) نهر كان بالعراق مَوْضِع الكوفة، فمه عند دار الرزق، يأخذ من الفرات. انظر: معجم البلدان (٢/٢).

(٣١٠).

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب ص (٣٨٧ - ٣٩٠).

(٤) البلاذري ص (٢٥٣)، وانظر: الطبري (٢/٦٤٦).

(٥) وابن الأثير (١٦٩/٢).

له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي... والعجل العجل^(١)...»، فلم يدع رئيساً، ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة، ولا خطيباً، ولا شاعراً إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغررهم، وكتب إلى المثني ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم، والتفرق في المياه التي تلي العجم، وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات إلا أحضروه إما طوعاً أو كرهاً^(٢).

وأراد عمر أن يغزو بنفسه وعسكر لذلك خارج المدينة المنورة، فاستخلف علي بن أبي طالب على المدينة، وجعل طلحة بن عبيدالله على المقدمة، والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف على المجنبتين^(٣)، ولكن وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشاروا عليه أن يبعث رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود، فإذا كان الذي يشتهي فهو الفتح، وإلا أعاد رجلاً وبعث آخر، ففي ذلك غيظ العدو، فجمع عمر الناس وقال لهم: «إني كنت عزمت على المسير، حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا علي برجل»^(٤).

وَأَمَرَ عُمَرُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ بَعْدَ مَشَاوِرَاتٍ طَوِيلَةٍ أَجْرَاهَا عَمْرٌ مَعَ خَاصَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ^(٥)، فسرحه فيمن اجتمع إليه من الرجال، وأمهده بعد خروج سعد بألفي يمني وألفي نجدية، وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة؛ فنزلوا في ثلاثة آلاف، ولم يدع عمر ذا رأي ولا شرف، ولا خطيباً، ولا شاعراً، ولا وجيهاً من وجوه الناس إلا سَيرَهُ إلى سعد^(٦).

وكتب عمر إلى سعد يأمره: «أن يقاتل المسلمون الفرس على حدود أرضهم على

(١) الطبري (٦٦٠/٣)، وابن الأثير (١٧٢/٢).

(٢) ابن الأثير (١٧٢/٢).

(٣) ابن الأثير (١٧٣/٢).

(٤) ابن الأثير (١٧٢/٢)، وابن خلدون (٩١/٢)، وانظر: البلاذري ص (٢٥٥).

(٥) انظر: كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة) ص (٢٣٢).

(٦) ابن الأثير (١٧٣/٢ - ١٧٤).

أدنى حجر من أرض العرب، ولا يقاتلوهم في عقر دارهم، فإن يظفر الله المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة، ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم»، وكتب عمر - أيضًا - إلى أبي عبيدة بن الجراح؛ ليصرف أهل العراق ومن اختار أن يلحق بهم من أرض الشام إلى العراق^(١). وكتب عمر إلى سعد ومن معه من الجنود: «أما بعد، فإنني أمرتك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال؛ فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى العدة في الحرب^(٢)، وأمرتك ومن معك أن تكونوا أشد احتراشًا من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا نصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدونا شر منا فلن يسلم علينا وإن أسأنا؛ فزب قوم سلط عليهم شر منهم؛ كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرًا للجوس ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾، واسألوا الله العون على أنفسكم؛ كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم.

وترفق بالمسلمين في مسيرهم، ولا تجشمهم مسيرًا يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدوهم مقيم جام الأنفس والكراع، وأقم بمن معك كل جمعة يومًا وليلة، حتى تكون لهم راحة يجمعون فيها أنفسهم وَيُرْمُونَ - أي يصلحون - أسلحتهم وأمتعتهم، ونح

(١) كان هؤلاء قد أرسلوا من العراق إلى أرض الشام مع خالد بن الوليد في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: قادة فتح العراق والجزيرة ص (١١٩ - ١٢٦).

(٢) انظر: الباب الأول من كتاب (مختصر سياسة الحروب، للهرثمي) ص (١٥، ١٦)، وهو: في أن نظام الأمر تقوى الله والعمل بطاعته.

منزلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا ترزأ أحدًا من أهلها شيئًا، فإن لهم حرمة وذمة، ابتليتكم بالوفاء بها؛ كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فوفوا لهم، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح. وإذا وطئت أدنى أرض العدو، فاذك العيون بينك وبينهم - أي بثها - ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه، والغاش عين عليك وليس عينًا لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم، وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدوًا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد، والصبر على الجلال، ولا تخص بها أحدًا بهوى، فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حاييت به أهل خاصتك، ولا تبث طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه ضيعة ونكاية، فإذا عاينت العدو فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكركه قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلته، وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنيعته بك، ثم أذك أحراسك على عسكريك، وتحفظ من البيات جهديك، ولا تؤتني بأسير ليس له عهد إلا ضربت عنقه؛ لترهب بذلك عدوك وعدو الله، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم، والله المستعان» (١).

إن إجراءات عمر قبل معركة القادسية تمثل ذروة تطبيق مبدأ «التحشد»؛ كما أن وصيته لسعد بالقتال على حدود بلاد العرب تطبيق لمبدأ «الأمن» ومبدأ «المرونة» (٢).

(١) نهاية الأرب نقلًا عن كتاب (عمر بن الخطاب، لمحمد صبيح) ص (١٤٨ - ١٥٠).

(٢) مبدأ المرونة الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية (قابلية الحركة) أصبح الآن يسمى (مبدأ المرونة)، ومعناه: قوة العمل السريع وقوة الحركة. انظر: الرسول القائد ص (٣١٩).

أما وصيته لسعد ولرجاله بتقوى الله وطاعته والابتعاد عن المعاصي فتمثل أسمى غاية لتطبيق مبدأ «إدامة المعنويات».

أما وصاياهم لسعد من الحذر واليقظة، والمسير، والاستراحة الأسبوعية وإدامة سلاح الجيش وخيوله، والمحافظة على أهل الذمة، وإذكاء العيون واختيارهم، واتخاذ التدابير التعبوية للأمن، والحصول على المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة، والحذر من مباغته العدو لجيشه، والحزم... إلخ، فتعتبر من ألمع ما كتب في هذا الموضوع، كما أنها دليل على معرفة عمر لتفاصيل ودقائق التعبئة الصغرى واهتمامه الشديد بتطبيق مبدأ «الأمور الإدارية» ومبدأ «الاقتصاد بالمجهود»^(١).

ووجه عتبة بن غزوان^(٢) إلى البصرة وقال له: «يا عتبة! إنني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من أحومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها، وقد كتبت إلى الحضرمي يمدك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو، فإذا قدم عليك فاستشره، وادع إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أباى فالجزية، وإلا فالسيف، واتق الله فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك إخوانك، وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة، وقويت بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيا لها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك، وتبترك على من دونك، واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم... أعيذك بالله ونفسي من ذلك، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين»^(٣).

(١) هو استخدام أصغر القوات للأمن، أو لتحويل انتباه العدو إلى آخر، أو صد قوة معادية أكبر منها، مع بلوغ الغاية المتوخاة. انظر: الرسول القائد ص (٣١٧).

(٢) انظر: ترجمته في كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة) ص (٣٧٧ - ٣٨٦).

(٣) الطبري (٩٢/٣)، وابن الأثير (١٨٨/٢).

هذه الوصية نموذج رفيع من الوصايا؛ تقدم معلومات عن المنطقة، وتؤكد على الخطر المحدق، وتحث على تجميع للقوة درءًا لذلك الخطر، وتحث على الاستشارة، وتوضح تعاليم الفتح في الإسلام، وتأمّر بالتقوى والعدل، وتنهى عن الكبر والبطر... وفي هذه الوصية دليل على معرفة عمر لرجاله فردًا فردًا، من هو الرجل المناسب للعمل المناسب، وتلك مزية لعمر جعلته لا يخطئ في اختيار الرجال لمعاونته في تحمل أعباء الحكم في الحرب وفي السلم، هذه المزية التي لم يكتب التاريخ لرجل دولة أن ينجح بدونها.

وسمع عمر بأعمال خالد بن الوليد في أرض الشام بعد عزله، وكان حينذاك يعمل قائدًا مرعوسًا لأبي عبيدة بن الجراح، فهتف من أعماق قلبه: «أمر خالد نفسه! يرحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني!»، وقال عن خالد والمثنى: «إني لم أعزلهما عن ريبة، ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما»^(١).
إنه أراد أن يبذل المقاتلون أقصى جهودهم لنيل النصر وأن يحسبوا في الظروف الحربية أسوأ الاحتمالات، وأن يعدوا لكل احتمال عدته، فلا يتواكلوا معتمدين على كفاية قادتهم أو على عددهم وغددهم مما يؤدي إلى نكبتهم؛ كما حدث ذلك يوم «حنين» إذ أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئًا.

قال عمر: «لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى مثنى بني شيبان، حتى يعلمنا أن الله إنما كان ينصر عباده، وليس إياهما كان ينصر»^(٢)، فلم يكن عمر يرضى عن غرور القائد ولا عن غرور الجنود.

وبعد فتح «أنطاكية» من أرض الشام، كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح: «رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين، واجعل بها مرابطة، ولا تجيس عنهم العطاء»^(٣)، وهذا

(١) ابن الأثير (١٩١/٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٢٨٤/٣).

(٣) ابن الأثير (١٩٢/٢).

تطبيق عملي لمبدأ «الأمن» ولبدأ «الأمر الإداري».

ولما فرغ سعد بن أبي وقاص من أمر القادسية، أقام بها بعد الفتح شهرين وكتب عمر فيما يفعل، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى «المدائن»^(١)، وأن يخلف النساء والعيال بـ «العتيق»^(٢)، وأن يجعل معهم جنداً كثيراً^(٣)، وأن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم، وفي هذا الأمر المختصر، طبق عمر مبدأ «اختيار المقصد وإدامته»، ومبدأ «التعرض»^(٤)، ومبدأ «تحميد القوة»، ومبدأ «الاقتصاد بالمجهود»، ومبدأ «الأمن»، ومبدأ «إدامة المعنويات»، ومبدأ «الأمر الإداري»، ولا أعلم رسالة عسكرية قليلة الكلمات كثيرة الفائدة مثل هذه الرسالة الموجزة.

وبعد فتح «المدائن»، انسحب الفرس باتجاه «جلولاء»^(٥)، وعسكرت قواتهم الضاربة هناك، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر: «سرح هاشم بن عتبة»^(٦) إلى «جلولاء» في اثني عشر ألفاً، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي، وعلى ميمنته مسعر بن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك، واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجرمي»^(٧)، وهذا يدل على معرفة عمر بالرجال وبالأساليب التعبوية التي تحقق لجيشه مبدأ «الأمن».

كما كتب إلى سعد عندما علم بتجمع العدو في «تكريت» يقول: «سرح إليه

(١) المدائن: هي طيسفون على دجلة، بينها وبين بغداد ستة فراسخ. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان)

(٢) العتيق: قرية بين القادسية وبغداد، استولت عليها دجلة. انظر: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة

والبقاع (٢/٢٣٥)، الطبعة الأولى، ولم أجد ذكراً لهذه القرية في (معجم البلدان).

(٣) ابن الأثير (١٩٦/٢).

(٤) التعرض: هو الهجوم على العدو لسحقه. انظر: الرسول القائد ص (٣١٣).

(٥) جلولاء: موضع على نهر ديالي على بعد سبعة فراسخ من خانقين، تقع بين خانقين ويعقوبيا. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٣/١٢٩).

(٦) انظر: ترجمته في كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة) ص (٢٩١ - ٣٠٠).

(٧) ابن الأثير (٢/٢٠٢).

عبدالله بن المعتم^(١)، واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل^(٢)، وعلى الخيل عرفجة ابن هرثمة^(٣)، وهذا يدل على معرفة عمر بالرجال - أيضًا -، وبالأساليب التعبوية السائدة في الجيوش حينذاك.

وَعَبَّرَ العلاء بن الحضرمي من البحرين إلى فارس بغير إذن عمر؛ فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم؛ فلم يجدوا إلى الرجوع سبيلاً، وأخذت الفرس طرفهم، فعسكروا وامتنعوا، ولما بلغ عمرَ صنيعُ العلاء، أرسل إلى عتبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا؛ فأرسل عتبة جيشًا في اثني عشر ألف مقاتل؛ فهزموا الفرس، وأنقذوا جيش العلاء، وعادوا إلى البصرة^(٤).
وقد عزل عمرُ العلاء بن الحضرمي عن «البحرين»؛ لمخالفته الأوامر^(٥).

لقد طبق مبدأ «الأمن» في منعه العلاء من العبور إلى فارس بحرًا، وطبق مبدأ «التحشيد» في إرسال المدد إليه؛ لإنقاذ جيشه من الورطة التي وقع فيها، وكان عزل العلاء دليلًا على تمسك عمر بتنفيذ أوامره، وعدم إفساح المجال لمخالفتها، وعدم السكوت عن المخالفين.

وفي «الأهواز» استطاع «يزدجرد» أن يحشد جيشًا ضخماً، فجاءت الأخبار حرقوس بن زهير وصحبه، فكتبوا إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعد أن: «ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن المزني، وعجل، فلينزلا بإزاء «الهرمزان» ويتحققوا أمره»، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن: «ابعث إلى «الأهواز» جنداً كثيفاً، وأمر عليهم سعد بن عدي أخا سهيل، فابعث معه البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، وعرفجة بن هرثمة، وغيرهم، وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي

(١) انظر: ترجمته في كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة) ص (٣٠١ - ٣٢٣).

(٢) الطبري (١٣٢/٣)، والبلاذري ص (٢٦٤)، وابن الأثير (٢٠١/٢).

(٣) انظر: ترجمته في كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة) ص (٣٤٣ - ٣٤٩).

(٤) الطبري (١٨٧/٣)، وابن الأثير (٢٠٨/٢، ٢٠٩).

(٥) انظر: تفاصيل ذلك في ترجمة العلاء بن الحضرمي في كتاب (قادة فتح بلاد فارس) ص (٢٤٧ - ٢٧٦).

رهم^(١).

وهذا يدل على أن عمر كان يعرف رجاله ومزاياهم معرفة دقيقة، وأنه طبق مبدأ «التحشد» تطبيقًا رائعًا.

لقد كان عمر جنديًا ممتازًا وقائدًا مجربًا، يعرف تفاصيل التعبئة الصغرى، ويتحلى بمزية الضبط المتين، ويعرف مزايا رجاله، ويوليهم المناصب استنادًا لتلك المزايا فقط، ويطبق جميع مبادئ الحرب المعروفة بشكل مثالي وبكل حرص في الحرب. لقد كان قائدًا فذًا لا يتكرر على تعاقب الأيام والعصور إلا نادرًا... وقد لا يتكرر أبدًا.

● الخطط السوقية^(٢)

١- الخطط التعبوية:

هي الخطط التي يُعدّها القادة المرعوسون في منطقة العمليات^(٣) والقادة العامون في «الجبهة»^(٤) وفي «ساحات العمليات»^(٥) لإدارة الحرب في معارك معينة.

وكمثال على ذلك:

كان في أيام عمر ساحات عمليات عديدة: ساحة عمليات العراق، وساحة

(١) ابن الأثير (٢/٢١١)، وانظر: كتاب الولاة وكتاب القضاة (٨) حول تحشيد قوات المسلمين لفتح مصر، وانظر: ترجمة أبي موسى الأشعري في كتاب (قادة فتح بلاد فارس) ص (١٧٨ - ١٩١)، وانظر: ترجمة أبي سبرة بن أبي رهم في كتاب (قادة فتح بلاد فارس) ص (١٥٥ - ١٦٠).

(٢) هناك نوعان من الخطط:

(أ) الخطط التعبوية: هي خطط معركة معينة في ميدان قتال معين. ومن ذلك يتضح لنا أن الخطط التعبوية تعني نتائج معركة واحدة محلية.

(ب) الخطط السوقية (الاستراتيجية): هي الخطط التي لها نتائج حاسمة على نتيجة الحرب كلها في ميادين القتال كافة.

(٣) منطقة العمليات: هي قسم من ساحة العمليات.

(٤) الجبهة: هي عدة مناطق عمليات داخلية في حدود جغرافية معينة.

(٥) ساحة العمليات: هي الساحة التي يتمكن أحد الخصمين من القتال فيها.

عمليات أرض الشام، وساحة عمليات فارس، وساحة عمليات مصر.. إلخ.
وكان في ساحة عمليات العراق - مثلاً - عدة جبهات: جبهة محور نهر «ديالي»،
وجبهة محور نهر «دجلة» حتى مدينة الموصل، وجبهة عمليات محور نهر «الفرات»،
وجبهة عمليات جنوبي العراق.. إلخ.
وكان في كل جبهة من الجبهات مناطق عمليات؛ فمثلاً: ساحة عمليات دجلة
حتى الموصل شمالاً، كان هناك منطقة عمليات تكريت ومنطقة عمليات الموصل...
إلخ.

كان القائد العام في العراق - مثلاً - سعد بن أبي وقاص مسؤولاً عن ساحة عمليات
العراق كله، وكان في جبهة دجلة حتى الموصل قادة مرءوسون: عبدالله بن المعتم
مسؤولاً عن هذه الجبهة كلها، وربيعي بن الأفكل مسؤولاً عن منطقة عمليات
الموصل^(١)، وهكذا كان للعراق ساحة حركات فيه عدة جبهات في كل جبهة
مناطق عمليات عديدة.

٢- أما الخطط السوقية:

فهي الخطط التي يُعدّها القائد الأعلى لإدارة الحرب في «ساحة الحرب»^(٢) كلها،
ويكون لهذه الخطط السوقية تأثير على نتائج الحرب في مختلف ساحات العمليات
والجبهات ومناطق العمليات.

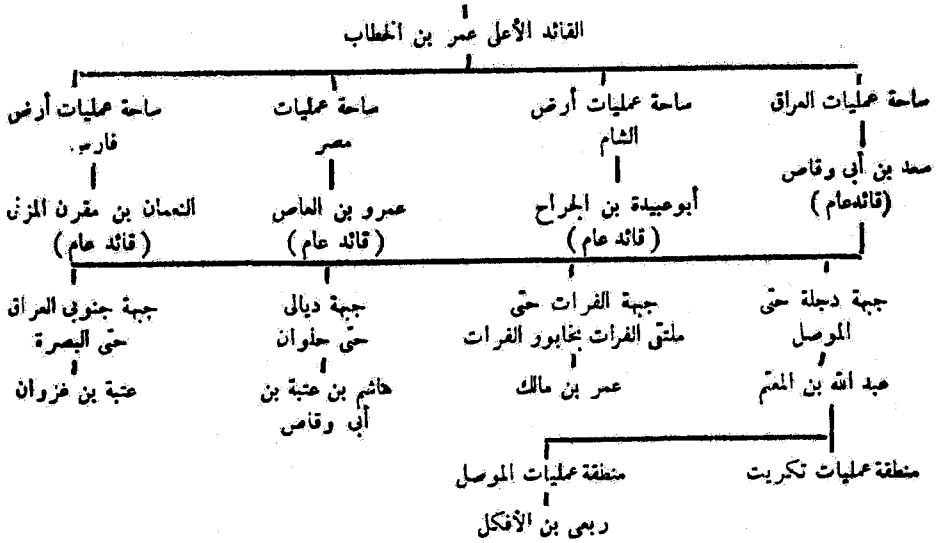
«انظر المخطط الإيضاحي في الصفحة التالية عن ساحات الحرب والقيادات، وعن
تفصيل القيادات، وعن تفصيل ساحة الحرب»^(٣) :

(١) انظر: كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة).

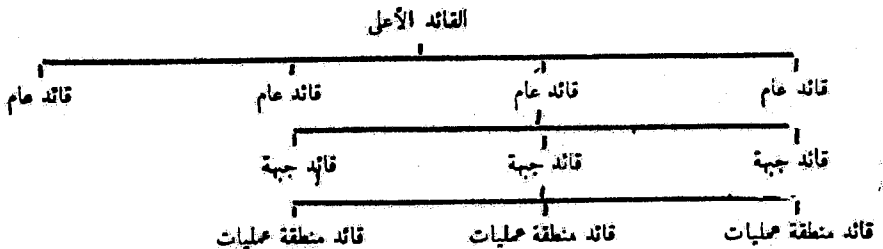
(٢) ساحة الحرب: هي جميع البلاد التي يحتمل أن يتقابل فيها الفريقان المتخاصمان في البر والبحر.

(٣) نقلاً عن كتاب «الفاروق القائد» للواء الركن محمود شيت خطاب، ص ١٦٤

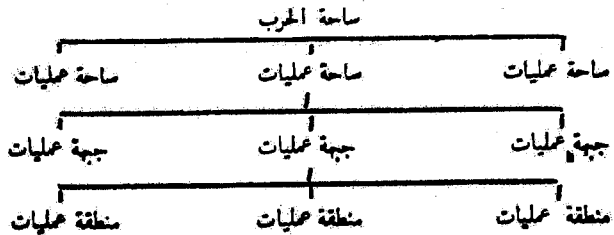
ساحة الحرب



(تفصيل القيادات)



(تفصيل ساحة الحرب)



إن القائد الأعلى «عمر بن الخطاب» كان هو المسئول الأول عن إعداد الخطط السوقية، ويشمل ذلك: إعداد هذه الخطط من الناحية العسكرية، وإصدار الوصايا أو

الأوامر لتنفيذها، وإعداد جيوشه بالإمدادات من الرجال والمعدات لإدامة الحرب، وتزويد تلك الجيوش بالأمور الإدارية، ومراقبة وصول تلك المواد الإدارية إلى جيوشه، والعمل على رفع معنويات رجاله في ساحة الحرب وفي كل مكان، واختيار القادة العامين والقادة المرعوسين القادرين على تنفيذ أوامره ووصاياهم نصًّا وروحًا.

٣- لقد أنجز عمر بن الخطاب كل واجباته قائداً أعلى بشكل يدعو إلى التقدير العميق والإعجاب الشديد.

تهيات له الأسباب الجوهرية لإنجاز تلك الواجبات بكل جدارة، وقد مرّ بنا بعض تلك الأسباب:

- كان يؤمن بالشورى؛ فلا يستقل برأيه، ولا ييالي أن يأخذ الحكمة من أي وعاء؛ وهذا يقلل من فرص الخطأ والإهمال.

- وكان يحرص على جمع المعلومات من منابعها بشتى الطرق والأساليب؛ وهذا يجعله يعمل على هدى وبصيرة، ولا يسير أبداً وهو مغمض العينين.

- وكان يتيسم بالحرص الشديد على الأرواح؛ وهذا يؤدي إلى عدم زج جيوشه في المهالك دون مسوّغ.

- وكان فطناً عالماً بعيد النظر؛ ومن نتائج ذلك: استكمال دراساته العسكرية بدقة وإتقان حين وضع الخطط العسكرية مع إدخال أسس الاحتمالات في الحساب.

- وكان شجاعاً يُعدُّ لكل أمر عُدَّتُهُ، ثم لا يُحجّم عن تنفيذ خطته، ولا يتردد، ولا يتراجع.

- وكانت له قابلية بدنية ممتازة تُعينه على تحمل المشاق والصعاب بصبر وحزم وإقدام.

- وكان يعرف عِظَمَ مسؤوليته وضخامة عبئها؛ فلا يتردد في تحمل أعبائها، ولا يتهرب من نتائجها، ولا يُلقِي بأعباء تلك النتائج على الآخرين.

- وكان له تجارب طويلة في الحرب جندياً وقائداً مرعوساً ومستشاراً خبيراً للرسول

القائد - عليه أفضل الصلاة والسلام - وخليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده؛ كما كان خبيرًا بمبادئ الحرب مطبقًا لها عالمًا بتفاصيلها حريصًا على مراعاتها.

تلك هي الأسس الموضوعية التي تهيئ لكل قائد أنسب فرصة للنجاح في إعداد الخطط السوقية، والتي تهيأت لعمر بشكل واضح ملموس قل أن تجد له مثيلًا في تاريخ الحروب بكل زمان ومكان.

فلا عجب - بعد ذلك - أن تكون خططه السوقية دقيقة متكاملة عملية بعيدة عن المخاطر.

ولا عجب أن تكون نتائجها فتحًا مستدامًا، لم تتراجع راياته منذ أربعة عشر قرنًا حتى اليوم.

لقد كان عهد عمر عهدًا ذهبيًا للفتح الإسلامي العظيم.

٤- كان دستور في الحرب أن يضع الأسس العامة، ويعهد في تنفيذها إلى ذي خبرة وأمانة، ولا يتخلى عن تبعيته العظمى في مصائر الحرب كل التخلي اعتمادًا على القائد وحده؛ إذ ليس القائد المحلي هو المسئول الوحيد عن المصير.

فإذا رأى القائد العام رأيًا وخالفه هو في رأيه، أعانه بالمدد والمشورة على الأخذ بالرأي الذي دعاه إليه، وأبطل معاذيره بتوضيح الأمر وإعانتته عليه.

ولقد كان إلى جانب السهر على الميادين - عامة - لا يُغفل يد القائد فيما يُحسب أن تنطلق فيه، فإذا تجاوز الأمر سياسة الحرب العامة من فتح الميادين، وفك الحصار، وانتظار الهجوم، فمن حق القائد عنده أن يختار لنفسه، ولا ينتظر الرجوع إليه، وأن يجري في إدارة المعركة على الوجه الذي تمليه ضرورة الساعة.

استشاره أبو عبيدة في دخول الدروب خلف العدو؛ فكتب إليه: «أنت الشاهد، وأنا الغائب، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وأنت بحضرة عدوك، وعيونك يأتونك بالأخبار، فإن رأيت الدخول إلى الدروب صوابًا، فابعث إليهم السرايا، وادخل معهم بلادهم، وضيّق عليهم مسالكهم، وإن طلبوا إليك الصلح

فصالحهم...».

فهو يضع القواعد العامة للحملة كلها منذ بدايتها، وهو يختار القائد الضليع بتسيير تلك الحملة، وهو - بعد هذا - لا يُعْفِي نفسه من التبعية، ولا يُعْفِي القائد من واجب الرجوع إليه في المواقف الحاسمة، ولا يُعْطِلُ يده فيما هو أدري به وأقدر على الاختيار فيه، ولا ينسى أن يعينه إذا خالفه في الرأي؛ ليتفق الرأيان المختلفان، فإذا رجع القائد إلى الحصار الذي أزمع أن يتركه مثلاً، رجع إليه وهو مؤمن بصواب ما يعمل ليستمد من الإيمان بالصواب قوة لن يشعر بها وهو يؤدي عملاً يخالف الصواب في تقديره.

وهذه السياسة هي التي جرى عليها عمر في جميع بعوثه وغزواته وسراياه - وهي السياسة التي لا يستطيع الحاكم أن يجري على غيرها في حرب قديمة أو حديثة، وقد جرى عليها - جعلته كاسب النصر كما يكسبه القائد في الميدان، وجعلت بطل الفرس «رستم» المشهور في التواريخ والأساطير يقول: «إن عمر هو هازمه في الميدان» وأنه هو الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل! أكل كبدي، أحرق الله كبده»^(١). وربما يتبادر إلى الأذهان أن عمر كان مركزياً في قيادته، يشل أيدي قادته العامين وقادته المرءوسين، وهذا وَهْمٌ ليس له من الحق نصيب.

إنه رضي الله عنه يضع الخطط العامة ويترك لقادته التفاصيل بعد أن يبذل قصارى جهده في اختيارهم لتحمل تبعاتهم بجدارة وقوة وإيمان... إنه يضع الخطط السوقية، ويترك لقادته أمر وضع الخطط التعبوية.

كان يشتد اغتباطه حين يرى قادته وعماله يتجردون لخير الرعية، ويُنْبِئِي عليهم لذلك أعظم الثناء؛ فقد كتب إلى عمير بن سعد الأنصاري الأوسي^(٢) وهو على حمص: «أقبل بما جبيت من فيء المسلمين»، فلما أقبل عمير سأله عما صنع، فقال: «بعثني حتى أتيت البلد، فجمعت صلحاء أهلها، فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه

(١) عبقرية عمر ص (١٥٥ - ١٥٧).

(٢) انظر: ترجمته في كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة) ص (٤٦٩ - ٤٧٥).

وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به!»، فقال عمر: «فما جئتنا بشيء؟!»، فلما أكد له أنه أنفق كل شيء على أهل حمص، قال: «جددوا لعمير عهدًا»^(١).

لقد كان عمر قائدًا سوقيًا، يُعدُّ الخطط السوقية ويصدر أوامره ووصاياه إلى قادته العاملين وقادته المرعوسين مبيِّنًا لهم السياسة العامة للحرب، ثم يترك لهؤلاء القادة تحمل أعباء كل التفاصيل التنفيذية.

٥- إن التاريخ لَيَذْكُرُ لنا نماذج حية رائعة من خطط عمر السوقية أصدرها إلى قادته؛ أوامر جازمة صريحة، ووصايا حاسمة واضحة، كان من نتائجها العصر الذهبي للفتح الإسلامي في أيام عمر الفاروق.

أ- بعد معركة «اليرموك» في أرض الشام استخلف أبو عبيدة بن الجراح على «اليرموك» بشير بن كعب الحيري، وسار حتى نزل بـ «الصفرة»^(٢)، فأتاه الخبر أن الروم وحلفاءهم المنهزمين اجتمعوا بـ «فحل»^(٣)، وأتاه الخبر - أيضًا - بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص؛ فكتب إلى عمر في ذلك؛ فأجابه يأمره بأن يبدأ بدمشق؛ فإنها حصن الشام وبيت ملكهم، ويشغل أهل «فحل» بخيل تكون يازائهم، وإذا فتح دمشق، سار إلى «فحل»، فإذا فتحت عليهم، سار هو وخالد إلى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص بالأردن وفلسطين^(٤).

تلك هي الخطة السوقية لعمر التي بموجبها فتحت أرض الشام «سورية، والأردن، ولبنان، وفلسطين»، ومنها يتضح أن عمر بدأ بـ «هدف العمليات الخطير»^(٥)؛ وهو: مدينة دمشق عاصمة البلاد، وبعد فتحها تتوجه الجيوش إلى الأهداف الثانوية، ولكي

(١) بقي عمير واليًا على حمص وقنسرين طيلة أيام عمر بن الخطاب؛ انظر: ابن الأثير (٨/٣)، (٣٠)، والطبري (٢٢٧/٣)، (٣٠٤)، (٣٣٩).

(٢) الصفرة: موضع بين دمشق والجلولان. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٥/٣٦٧).

(٣) فحل: اسم موضع بالشام. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٦/٣٤٠).

(٤) ابن الأثير (١٦٤/٢).

(٥) هدف العمليات الخطير: هو الهدف الذي متى ما تمَّ الاستيلاء عليه تنتهي الحرب، أو أن العدو يضطر إلى قبول الصلح؛ وتؤلف عواصم البلاد هدف العمليات الخطير.

يحرم الروم وحلفاءهم من تعاون قواتهم في مختلف مناطقها عند فتح دمشق أمر عمر بتخصيص قوات من الفرسان لمشاغلتهم أثناء محاولة المسلمين فتح دمشق.

لقد أدى تطبيق هذه الخطة السوقية إلى فتح أرض الشام بسهولة ويسر.

ب - وقبل معركة «القادسية» الحاسمة أمر عمر أبا عبيدة بن الجراح أن يصرف جند العراق الذين كانوا في أرض الشام إلى العراق - وهم الذين شهدوا معركة «اليرموك» -، وأمرهم بالحث إلى سعد بن أبي وقاص^(١)؛ وذلك لتحشيد أكبر قوة ممكنة في الزمان والمكان المناسبين، فكان لحضور هؤلاء معركة «القادسية» أثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة على جيوش الفرس الجرارة.

إن مهمة القائد الأعلى هي أن يحشد أكبر عدد من الرجال قبل المعركة الحاسمة؛ ليضمن لجيوشه النجاح والنصر، فإذا كانت قوات العراق قد شهدت معركة «اليرموك» الحاسمة، فلا مسوغ لبقائها في أرض الشام بعد انتصار المسلمين في تلك المعركة وبعد فتح دمشق، ومن الضروري أن تعمل تلك القوات في ساحة أخرى أكثر أهمية من ساحات أرض الشام؛ خاصة بعد انكشاف الموقف في تلك الساحات؛ لأن المعارك المتوقعة فيها لا تزيد على معارك تعبوية هي من أجل استثمار الفوز الذي حققه المسلمون في «اليرموك» وبعد فتح دمشق.

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بعد اختياره لحرب فارس: «إذا انتهيت إلى القادسية، وهو منزل رغب خصيب دونه قناطر وأنهار ممتعة، فتكون مسالحك^(٢) على أنقابها^(٣)، ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات المدر والجراع^(٤) بينها،

(١) الطبري (٦٢٧/٢).

(٢) المسالح: جمع مسلحة؛ وهي: الحامية الأمامية أو المركز الذي تقيم فيه قوة عسكرية، وهما كالخافر الحديثة التي فيها قوة عسكرية مناسبة.

(٣) أنقاب: جمع نقب؛ وهو: الطريق في الجبل؛ انظر: ترتيب القاموس المحيط (٣٧٦/٤)، والمعجم الوسيط (٩٥٢/٢)، وهي تعني: الطرق التقريبية للعدو إلى قوات المسلمين.

(٤) الجراع: جمع أجرع؛ هي: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل؛ انظر: المعجم الوسيط (١١٨/١).

ثم الزم مكانك فلا تبرحه؛ فإنك إذا أحسوك^(١) أنغصتهم، ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم، فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله وقويت الأمانة، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدًا، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحجر في أديباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنت عليهم أجرًا وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل، حتى يأتي الله بالفتح^(٢).

ونلاحظ في هذه الخطة السوقية الفذة أمورًا عسكرية كثيرة؛ أهمها:
أولاً: أن عمر أصاب في معرفة المنطقة التي ستدور عليها المعركة الحاسمة؛ وهي:
«القادسية».

ثانياً: أن معلوماته عن طبيعة أرض المعركة دقيقة جدًا.

ثالثاً: أنه أعطى خطة واضحة للعمل؛ تُرسلُ المسالِح؛ لتطوق منطقة «القادسية»، وتستطلع أخبار العدو، وتمنعه من التسرب إلى مواضع المسلمين الأصلية، وتقوم هذه المسالِح بواجب حماية القوات الضاربة للمسلمين، وتبقى قوات المسلمين الضاربة في منطقة قريبة من الصحراء؛ لكي تنسحب إليها عند الضرورة بسهولة ودون خسائر في الأرواح والمواد.

رابعاً: أن العدو إذا اندحر، كانت هذه المعركة قاضيةً على قواته الضاربة، أما إذا انتصر العدو، كان من السهولة على المسلمين الانسحاب إلى الصحراء التي يعرفونها ويطلقون القتال عليها، ولا يعرفها العدو ولا يطبق القتال في مجاهلها، وعند ذلك يخفق العدو حتمًا في مطاردته المسلمين؛ فيعيد المسلمون على عدوهم الكرة حتى يأتي الله بالفتح.

إنها خطة سوقية سليمة مضمونة النجاح في حالتها النصر أو الاندحار.

(١) حَسٌّ: حس الشيء حسًا: استأصله، وحسومهم: استأصلوهم قتلاً.

(٢) انظر: عبقرية عمر ص (١٤٥).

ج - وفي سنة سبع عشرة هجرية (٦٣٨م) قصد الروم أبو عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بـ «حمص»؛ فقد أرسل أهل الجزيرة إلى إمبراطور الروم يحثونه على إرسال الجنود إلى الشام، ويذكرون له أنهم سيعاونونه.

وحين علم المسلمون باجتماع الروم وأهل الجزيرة، سحب أبو عبيدة مسالحه من مواضعها وعسكر بفناء مدينة حمص، وأقبل خالد من «قنسرين»^(١) إليهم، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصين إلى مجيء الغياث؛ فأشار خالد بالمناجزة، وأشار آخرون بالتحصين ومكاتبة عمر؛ فأطاعهم أبو عبيدة، وكتب إلى عمر بذلك، وقد كان عمر اتخذ في كلٍ مِضْرٍ خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عُدةً للحوادث الطارئة؛ فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس، وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفرٌ من أهل الكوفة، وكان في كل مصر من الأمصار الثمانية على قدره، فإن تأتتها آتية ركبها الناس وساروا إلى أن يتجهز الناس، فلما سمع عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص: «انذب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص؛ فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وتقدم إليهم في الجد والحث»، وكتب إليه -أيضاً-: «سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند، وليأت «الرقعة»؛ فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وسرح عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى «نصيبين»، ثم ليقتصد «حوران» و«الرها»، وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وسرح عياض بن غنم، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم»^(٢)، فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص، وخرج عياض بن غنم وأمراء

(١) قنسرين: مدينة تقع في ديار ربيعة، منها إلى حلب مرحلة صغيرة، ومنها إلى معرة النعمان مرحلة كبيرة. انظر: تقويم البلدان ص (٢٦٦، ٢٦٧)، ومعجم البلدان (٦٦٨/٧)، والمسالك والممالك، لابن خردادبة ص (٧٥)، وأحسن التقاسيم ص (١٥٤)، والبلدان، لابن الفقيه ص (١٧٩).

(٢) الطبري (١٥٤/٣)، وابن الأثير (٢٠٥/٢).

الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على «الفراض»^(١) وغير «الفراض»، وتوجه كل أمير إلى الكورة التي أُمرَ عليها، وخرج عمر بنفسه من المدينة مغيثاً لأبي عبيدة يريد «حمص» حتى نزل «الحجبية»^(٢)، ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص - وهم معهم - خبر الجنود الإسلامية، تفرقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم، عند ذلك استشار أبو عبيدة خالدًا في الخروج أو البقاء، فأشار عليه خالد بالخروج؛ فخرج إليهم وقاتلهم؛ ففتح الله عليهم، وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام، فكتب أبو عبيدة بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك؛ فكتب إليه: «أشركوهم؛ فإنهم نفروا إليكم وانفرك لهم عدوكم»، وقال: «جزى الله الكوفة خيرًا؛ يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار»^(٣).

أول ما نلاحظ من خطة عمر السوقية هذه: أنه كان قد أعد في الأمصار خيولاً للطوارئ تتحرك بإنذار قصير إلى الأماكن المهددة بالخطر من دار الإسلام، وقد حمى عمر بعض المراعي لتلك الخيول؛ فحمى «الربذة»^(٤) - مثلاً - لخيول المسلمين^(٥)، وكان عنده خيل موسومة على أفخاذها: «حبيس في سبيل الله»^(٦)، يحمل الغزاة عليها.

ونلاحظ ثانيًا: أن عمر أمر بمشاغلة قوات الروم في «حمص» بعد أن حرم الروم من معاونة أهل الجزيرة الأشداء لهم؛ وذلك بمهاجمتهم في عقر دارهم.

-
- (١) الفراض: جمع فرضة؛ وهي: المشرعة، والأصل في الفرضة الثلثة في النهر. والفراض تخوم العراق والشام والجزيرة. انظر: التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٠/٦).
- (٢) الحجبية: قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران. التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٣).
- (٣) الطبري (١٥٤/٣)، وابن الأثير (٢٠٥/٢).
- (٤) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال على طريق ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من قيد تريد مكة. انظر: التفاصيل في معجم البلدان (٢٢١/٤).
- (٥) ابن الأثير (٢٠٣/٢).
- (٦) طبقات ابن سعد (٣٠٦/٣).

ونلاحظ ثالثاً: أن الإمدادات تحركت بسرعة هائلة من العراق ومن الحجاز باتجاه «حمص»؛ لضرب القوات الرومية؛ مما جعل التفوق بالعدد إلى جانب المسلمين. ونلاحظ رابعاً: أن هذه الإجراءات السريعة الحاسمة رفعت معنويات المسلمين وحطمت معنويات أعدائهم.

إن حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد إلى هدف بعيد ليس سهلاً.. إنه يكاد يكون مستحيلًا حتى في أيامنا الحاضرة هذه، فكيف أنجزه المسلمون قبل أربعة عشر قرناً؟!

وهذا يدلنا على ما بلغت الجيوش الإسلامية حينذاك من دقة ومثانة في التنظيم، وهو بعض الجواب على تساؤل المؤرخين قديماً وحديثاً: كيف تمّ الفتح الإسلامي بالسرعة التي تمّ بها؟!

إن عمر - شخصيًا - كان يتدخل في أدق تفاصيل تنظيم هذه الجيوش حسب خطة مرسومة وتفكير عميق؛ قال السائب بن يزيد: «رأيت عمر بن الخطاب يصلح أداة الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله برادعها وأقتابها، فإذا حمل الرجل على البعير جعل معه أدواته»، وكان عمر يُعزّي الأعرَب عن ذي الحليلة، ويُعزّي الفارس عن القاعد، وكان يعقب بين الغزاة^(١)... فما أروع دقة تفاصيل هذا التنظيم، وما أحرى أن تنتصر مثل هذه الجيوش التي على رأسها مثل عمر قائدًا أعلى.

د- وحين قدم الأحنف بن قيس التميمي على رأس وفد على عمر بعد فتح «تُسْتَر» كما ذكرنا، سأل عمر الوَفْدَةَ قائلاً: «لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة، فلماذا ينتقصون بكم؟!»، وكان يشير إلى انتقاص الهرمان الذي كان مع الوفد بعد صلحه مع المسلمين، فقال الأحنف: «يا أمير المؤمنين، إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وإن ملك فارس بين أظهرهم، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أن لم نأخذ شيئًا بعد شيء إلا

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٦).

بانبعاثهم وغدرهم، وإن ملكهم يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح، فنسيح في بلاهم ونزيل ملكهم، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس؛ فقال عمر: «صدقني والله»، وأذن في الانسياح في بلاد فارس^(١).

واطمأن عمر إلى انتصار جنده في معركة «نهاوند» الحاسمة؛ فذكر نصيحة الأحنف له بالانسياح في أرض فارس؛ فأمر أبا موسى الأشعري أن يسير من البصرة إلى نهر منقطع ذمة البصرة، فيكون هناك حتى يأتيه أمره، ودفع لواء «خراسان» إلى الأحنف بن قيس، ولواء «أردشير خروءة» إلى مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء «أصطخر» إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء «فسا» و«دار ايحرد» إلى سارية بن زنيمة الكناني، ولواء «كرمان» إلى سهيل بن عدي، ولواء «سجستان» إلى عاصم بن عمرو، ولواء «مكران» إلى الحكم بن عمير التغلبي، وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة؛ فأمد سهيل بن عدي بعبد الله بن عبد الله بن عتبان، وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر، وبعبد الله بن أبي عقيل، وبربيعي بن عامر، وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعي، وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق في جموع^(٢).

هذه الخطة السوقية لعمر، التي بدأ تنفيذها بعد معركة «نهاوند» الحاسمة، هي خطة؛ لاستثمار الفوز؛ من أجل القضاء على مقاومات الفرس التعبوية في بلادهم، وتطهير أرض فارس من الجيوش المعادية للمسلمين.

إن هذه الخطة الرصينة حرمت الفرس من تعاون قواتهم في منطقة معينة في وقت معين تحت قيادة موحدة، وجعلت أهل كل منطقة يدافعون عن منطقتهم وحدثهم أمام تيار المسلمين الجارف الذي حشد له عمر أكبر عدد ممكن من الرجال بقيادة ذوي الكفايات من القادة البارزين المجريين الذين تسلموا مناصبهم بجدارة تامة وبدون محاباة، أو عاطفة، أو محسوبية، أو منسوية، أو صلة قريى أو صداقة.

(١) الطبري (١٨٤/٣، ١٨٥)، وابن الأثير (٢١٣/٢).

(٢) ابن الأثير (٢١٤/٢).

ثم فتح فارس بموجب هذه الخطة؛ فوجد الفرس أن حكم العرب المسلمين أكثر إنصافاً وعدلاً، وأقل إرهاباً من حكم الأكاسرة؛ فقد تركهم المسلمون لم يزعموهم عن دينهم، ولم يتدخلوا في شئونهم، ثم جعلوا لأمرء الولايات من الاستقلال أكثر مما كان لهم في عهد «يزدجرد» وأسلافه، كما تركوا لهم المناصب العامة ولم يحاولوا استغلالها لأنفسهم، مكتفين بالجزية يقتضونها وفقاً للمعاهدات المعقودة بينهم وبين مختلف الولايات^(١).

هـ- وفي فتح مصر أشفق عمر على جيش عمرو بن العاص؛ فبعث الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً^(٢)، وبذلك استطاع عمرو فتح بلاد وادي النيل. هذه هي بعض خطط عمر السوقية: خطة لفتح العراق، وخطة لفتح أرض الشام، وخطة لفتح بلاد فارس، وخطة لفتح مصر الذي امتد من أرض الكنانة إلى ليبيا وأرض النوبة.

تلك أمثلة رائعة من خططه السوقية للفتح، تُصوِّرُ لك كيف نهض عمر بتبعات قيادته قائداً أعلى لجيوش المسلمين في عصر الفتح الذهبي، إنها تكشف لك عن السر في قدرته الممتازة على الاضطلاع بأعبائه الجسام على نحو لا يزال مَثَارًا للعجب الناس وإعجابهم، كما تبين لك كيف كانت قابليات عمر القيادية من أهم الأسباب التي هيأت لامتداد الفتح شرقاً وغرباً، ودفعت المسلمين إليه، ورجبتهم فيه؛ لقد كانوا يرون أمير المؤمنين خير كفيل بحقوقهم وبمن يخلفون وراءهم من عيالهم وذويهم، وكانوا يرونه يؤثر على نفسه وأهله، ويؤدي لكل ذي حق حقه؛ فلا جرم أنهم لَيُنْدَفِعُونَ إلى ميادين القتال وكلهم الطمأنينة إلى غدهم وإلى مصير أبنائهم وذويهم، وما ضُرَّ أحدهم أن يُقتل في سبيل الله وفي سبيل الفتح الإسلامي، وهو على يقين أن بنيه سَيُجَزَوْنَ إذا استشهد بخير مما كانوا يجزون به إذا ظل حيًّا، وأنه سَتُفْتَحَ له أبواب

(١) الفاروق عمر (٥٨/٢).

(٢) انظر: فتوح مصر والمغرب ص (٩٢)، وانظر: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص (٨).

الجنة مما وهب الله نفسه مجاهدًا في سبيله^(١).

٦- وإذا كُتِبَ لخطط عمر السوقية النجاح الفد؛ فلأنه بناها على أسس قومية، ولعل من أهم هذه الأسس هو تطبيقه مبدأ «التحشد» تطبيقًا بلغ حد الروعة عددًا وعُدَدًا؛ فكان قاداته لا يخوضون غمار معركة قبل أن تتوالى عليهم إمدادات عمر؛ الخيل تتبعها الخيل، والرجال تتبعها الرجال، كما يقول عمر عن تلك الإمدادات. لقد حرم أبو بكر الصديق المرتدين من شرف مشاركة المجاهدين في شرف الجهاد من أجل نشر الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا؛ فقد كتب إلى خالد بن الوليد وعياض بن غنم: «استنفروا من قاتل أهل الردة وَمَنْ ثَبِتَ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَعْزُونَ أَحَدًا ارْتَدَّ حَتَّى أَرَى رَأْيِي»، فلم يشهد الأيام مرتد^(٢).

أما عمر، فقد استفتح خلافته بقوله: «إنه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضًا، وقد وسع الله ﷻ وفتح الأعاجم»، واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها، وجعل فداء كل إنسان سبعة أبعرة وستة أبعرة إلا حنيفة وكندة؛ فإنه خَفَّفَ عنهم لقتل رجالهم، فتتبع النساء بكل مكان وَقَدُوهُنَّ^(٣). كما أمر عمر باستنفار من حَسَنَ إسلامه من أهل الردة^(٤)، وندب أهل الردة فأقبلوا سرًا من كل أوب فرمى بهم الشام والعراق^(٥).

لقد كان عمر يرى أن العرب مادة الإسلام، وأنهم هم مادة الفتح الإسلامي قادة وجنودًا؛ لذلك كتب عمر إلى ملك الروم حين أخبره الوليد بن عقبة عن دخول بعض القبائل العربية من أهل الجزيرة ديار الروم: «بلغني أن حيًّا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فوالله لتخرجنه إلينا أو لنخرجن النصارى إليك»، فأخرجهم ملك الروم،

(١) انظر: الفاروق عمر (٢/٢٢٦).

(٢) الطبري (٢/٥٥٠، ٥٥٤).

(٣) الطبري (٢/٥٤٩)، وابن الأثير (٢/١٤٧).

(٤) ابن الأثير (٢/١٦٦).

(٥) الطبري (٢/٦٣٤).

فخرج منهم أربعة آلاف وتفرق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة وبلاد الروم، فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف، وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من «تغلب» إلا الإسلام، فكتب فيهم إلى عمر، فكتب إليه عمر: «إنما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام، فدعهم على ألا ينصروا وليدًا ولا يمنعوا أحدًا منهم من الإسلام»^(١)، وأضعف عمر الصدقة عليهم عوضًا عن الخراج^(٢)، فقد أراد عمر أن يأخذ الجزية منهم فانطلقوا هارين في أرض الله الواسعة، فقال عبادة بن النعمان التغلبي^(٣): «يا أمير المؤمنين! إن بني تغلب قد علمت شوكتهم، وأنهم يزاء العدو، فإذا ظاهروا عليك العدو اشتدت مئونتهم، فإن رأيت أن تعطيهم شيئًا، فافعل»، فصالحهم عمر على مضاعفة الصدقة عليهم عوضًا عن الجزية^(٤).

إنه استمال قلوب العرب بكل ذلك وأراد أن يشعروا كل الشعور بعزتهم وكرامتهم، وبذلك استطاع أن يطبق مبدأ «التحشد» على العرب كافة، وبعثهم إلى ساحات القتال جيوشًا ومددًا.

٧- وكانت الوحدة السياسية لبلاد العرب بعض ما سُغِلَ به عمر في خلافة أبي بكر الصديق، فلما استُخلف كان تثبيت هذه الوحدة وتوطيد دعائمها أول ما اتجه إليه همُّه، وقد هداه تفكيره إلى أن هذه الوحدة لن تكون سليمة إلا أن تصفوا من كل شائبة، وذلك بأن يكون الجنس العربي كله متحدًا في موطنه وعقيدته كاتحاده في لغته، واليهودية والنصرانية لا تزالان قائمتين في شبه الجزيرة العربية، أتراه يستطيع إجلاءهما عنها من غير أن يخالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؟

لقد وادع رسول الله ﷺ اليهود أول ما نزل بيثرب، فلما نقضوا عهدهم وحاولوا

(١) ابن الأثير (٢/٢٠٦).

(٢) الخراج ص (١٤٤).

(٣) هكذا ورد في الخراج ص (١٤٣)، وفي البلاذري ص (١٨٥) وَرَدَ اسمه: النعمان بن زرة أو زرة بن النعمان.

(٤) الخراج ص (١٤٣)، والبلاذري ص (١٨٥، ١٨٦).

الغدر به أجلاهم عن المدينة المنورة، ثم إنه أجلاهم عن أكثر مواطنهم في شبه الجزيرة العربية لما ناصبوه العداوة، ألا يدل ذلك على أن بقاء اليهود في موطنهم لم يكن حقاً لهم يجب احترامه، وإن موادعتهم، كانت سياسة قضت بها مصلحة الدولة أو العهد ييثرب، فلما رأى الرسول ﷺ مصلحة الدولة العليا لا تستقيم بها عدل عنها إلى سياسة غيرها؟! ومصلحة الدولة العليا توجب في رأي عمر أن توحد العقيدة في شبه الجزيرة العربية كلها؛ لذلك كان من أول ما استفتح به عهده أن أجلى نصارى «نجران» عن شبه الجزيرة العربية، فأمر يعلى بن أمية ألا يفتنهم عن دينهم وأن يخرج معهم من أقام على نصرانيته، وأن يعطوا بالعراق أرضاً كأرضهم بنجران، وأن تحسن معاملتهم^(١)، كذلك فعل بمن بقي من اليهود بخبير أو بقدك: أجلاهم عن أرضهم إلى الشام، وعرضهم عنها بمال يعدل قيمتها، ولم يسيء إلى أحد منهم؛ بذلك خلصت شبه الجزيرة العربية من كل عقيدة إلا الإسلام، فتوطدت فيها قواعد الوحدة التي قصد إليها أمير المؤمنين.

هذا تصوير واضح للباعث الذي دفع إلى إخراج اليهود والنصارى من شبه الجزيرة العربية، وهو في ذلك لم يخالف سنة ولم يخرج عليها، فعهد رسول الله ﷺ مع اليهود والنصارى لم يكن سنة تثبت حكماً، بل كان سياسة تغيرت في عهد الرسول ﷺ، فلا بأس أن تتغير بعده، وإنما غيرها عمر؛ لأن أحداث الوقت وامتداد الفتح

(١) انظر: الخراج، لأبي يوسف ص (٨٧، ٨٨).

وفيه ما كتب لهم عمر: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب به عمر أمير المؤمنين لأهل نجران؛ من سار منهم آمن بأمان الله، لا يضره أحد من المسلمين، وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ).

أما بعد: فَمَنْ مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق، فليوسقهم - الوسق ستون صاعاً. قال الخليل: الوسق حمل البعير. وَأَوْسَقَ البعير: حَمَلَهُ حِفْلَهُ - من حرث الأرض، فما احتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله، وعقبة لهم مكان أرضهم، لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم.

أما بعد. فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم؛ فإنهم أقوام لهم الذمة، وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن يقدموا، ولا يكلفوا إلا من صنعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم).

وشدة الحرص على تمكين أوامر الوحدة في شبه الجزيرة العربية قضت بتغييرها، وما كان عمر ليجمد على عهد تغير عليه العهد وأصبح مضرًا بمصلحة الدولة وسياستها العليا، فكيف به وهو موقوت بطبيعته، ينقضي بانقضاء مدته، ولا يتجدد إلا إذا رضي أمير المؤمنين بتجديده؟

لقد استند عمر في إجلاء اليهود والنصارى إلى ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يجتمع ببلاد العرب دينان»، وأن عمر خافهم على المسلمين^(١) وأن نصارى نجران بعد أن استخلف عمر أصابوا الربا وكثروا، فخافهم على الإسلام فأجلاهم^(٢)، ولكن عمر أمر عماله بالعراق والشام أن يعرضوهم عن أرضهم وأن يحسنوا معاملتهم، ولو أنه أجلاهم لأنهم نقضوا عهدهم لما لطف بهم كل هذا اللطف، ولما أحسن معاملتهم كل هذا الإحسان.

ولكن لا يكفي لتثبيت دعائم الوحدة في بلاد العرب ألا يبقى بها دين غير الإسلام، إذا بقي من الفوارق بين أهلها من العرب ما يجعلهم يشعرون بأن بعضهم أكثر حرية من بعض أو أوفر كرامة من بعض، وإذا لم تقم المساواة الصحيحة الكاملة بينهم علمًا على سلامة تضامنهم، وقد بقيت بعض الفوارق بينهم بسبب الردة والحروب التي قضت عليها، أما وعمر يريد الوحدة الصحيحة الكاملة فلا بد من القضاء على هذه الفوارق بإزالة أسبابها؛ لذا رفع عن أهل الردة ما كان أبو بكر قد فرضه عليهم ألا يحاربوا في صفوف المسلمين، كما أمر برد السبي من العرب إلى عشائرتهم ورد حريتهم إليهم؛ لأنه كره أن يكون السبي شنةً في العرب؛ بذلك استفتح عهدًا سرى معه في نفوس العرب جميعًا روح أشعرهم - على اختلاف مواطنهم من شبه الجزيرة العربية - بأنهم أمة واحدة، لها هدف واحد مشترك، وتوجهها سياسة عامة ومصلحة عليا يهيمن عليها عمر.

(١) الخراج ص (٨٧).

(٢) البلاذري ص (٧٧).

هذه هي المصلحة العليا التي أملت على عمر ما قدمت تحقيقاً لوحدة العرب تحت ظل الإسلام^(١)؛ وبذلك أصبح العرب المسلمون قوة جبارة وجدت لها متنفساً في الفتح الإسلامي العظيم، واستطاعت تحمل أعبائه الجسام بكل جدارة واندفاع. إن قرار توطيد أركان الوحدة العربية في شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام - وذلك بالاستناد على مبدئين: لا يجتمع ببلاد العرب دينان، ولا فرق بين العرب في الحقوق والواجبات - هو قرار مصيري ما كان الفتح الإسلامي في عهد عمر لیتم بمثل ما تم عليه من قوة وسعة وشمول وسرعة، لو لم يتخذ عمر هدفاً حاسماً ويعمل على وضعه في حيز التنفيذ بحزم وحكمة؛ لأن الفتح لا بد أن يستند على قاعدة أمينة، وشبه الجزيرة العربية كانت قاعدة^(٢) الفتح التي انطلق منها مكتسحاً الحدود والسدود والعقبان.

٨- ولكن هذه القاعدة الأمينة وهي الجزيرة العربية كانت «قاعدة عمليات»^(٣) بالدرجة الأولى، عليها تستند الجيوش الإسلامية في الفتح الإسلامي الأول، ومنها تنطلق إلى واجباتها، وعلى سكانها تعتمد في تكوينها وتزويدها بالرجال، وإدامة سيل إمدادها بالمجاهدين.

ولم تكن هذه القاعدة الأمينة «قاعدة تموين»^(٤) للجيوش الإسلامية بالمعنى الواسع لقاعدة التموين؛ لأن المسلمين كانوا يأخذون منها السلاح الضروري والذخيرة الضرورية لحوض معاركهم، ويتزودون منها بما يبلغهم مناطق عملياتهم من الأرزاق، وهي المنبع الأول لإبلهم وخيولهم، ولكنهم إذا وصلوا إلى مناطق العمليات تزودوا

(١) الفاروق عمر (٢٠٤/٢، ٢٠٥).

(٢) القاعدة: هي البلاد التي يستند إليها الجيش قبل شروعه في العمليات. انظر: الجغرافية العسكرية ص (١١).

(٣) قاعدة العمليات: هي القاعدة التي يشرع منها الجيش أو تشرع منها الجيوش في العمليات الفعلية وتستند عليها.

(٤) قاعدة التموين: هي البلاد أو المدينة التي يأخذ الجيش مهماته وأرزاقه منها.

من هناك بمتطلباتهم الإدارية من سلاح وذخيرة وأرزاق وإبل وخيل وتجهيزات، ويكون اعتمادهم الأول على ما يفىء الله به عليهم منها نتيجة للمعارك التي يخوضونها، وعلى الجزية والخراج والغنائم والأنفال... إلخ التي يحصلون عليها نتيجة لتلك المعارك.

هذا هو الفرق بين قاعدة الجيوش الإسلامية الآمنة، وبين قواعد الجيوش الغازية الأخرى: قاعدة المسلمين قاعدة عمليات، وقاعدة غير المسلمين قاعدة عمليات وقاعدة تموين على حد سواء.

من هنا جاءت الفروق بين التشريعات الإسلامية التي وضع عمر أكثر أسسها وبين التشريعات غير الإسلامية، فما هي تلك التشريعات والأسس التي قررها المسلمون الأولون وعلى رأسهم أمير المؤمنين؟

شُغِلَ عمر بكثرة الأموال التي كان عماله يبعثون بها، ورأى أن لا بد من وضع نظام لإحصائها وتوزيعها، ولم تكن هذه الأموال ما يؤديه المسلمون في شبه الجزيرة العربية من الزكاة والصدقات، فتلك كانت توزع على الذين نزل فيهم قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] ^(١)، وكان الكثير من هذه الصدقات لا يرسل إلى المدينة المنورة، بل يوزع على الفقراء والمساكين من أهل القبائل والأمم التي تؤديها، فأما ما كان يرسل منها إلى المدينة المنورة - ومعظمه من الإبل والماشية -، ثم يفيض بعد التوزيع عن حاجة مَنْ وَرَدَ ذكْرهم في آية الصدقات، فكان يوسم بميسم خاص ويوضع على مقربة من المدينة المنورة بمكان أطلق عليه اسم: الحمى، فإذا غزا المسلمون أعانوا بهذه الإبل والأموال من لا يجد دابة تحمله أو سلاحاً يقاتل به، وعالوا فقراء

(١) انظر: تفسيرها في (تفسير ابن كثير) (١٨٥/٤) و(البغوي بهامش ابن كثير) (١٨٦/٤)، و(تفسير الكشاف) (٣٨/٢)، و(أنوار التنزيل) (٧٢/٣)، و(فتح الباري بشرح البخاري) (٢٤٨/٨).

المسلمين بما بقي منها.

وأما ما كان المسلمون يغنمونَه في غزوات رسول الله ﷺ من الفبيء، فكان هو يوزعه بعد المعركة ولا يُتَّقِي منه شيئاً، وقد سار أبو بكر سيرته وصنع صنيعه، فكان ما يرد من فبيء العراق - مثلاً - يوزع بين أهل المدينة المنورة ولا يُتَّقِي منه شيء.

وجرى الأمر على ذلك في العهد الأول من خلافة عمر، ولكن اتساع رقعة الفتح زاد في أموال الفبيء، كما فتح مورداً آخرَ أغزر مادة وأبقى، ذلك هو مورد الخراج والجزية، فقد صالح المسلمون أهل البلاد التي فتحوها في العراق وفارس وفي أرض الشام ومصر على أن يدفعوا جزية كان متوسطها على كل رأس دينارين^(١)، وذلك فضلاً عن الخراج الذي كان الزراع يدفعونه عن أرضهم، فينفق جانب منه على مرافقتهم وعلى تنظيم الحكم فيهم، ويرسل ما بقي منه بعد ذلك إلى المدينة المنورة، وقد بلغت غزارة هذا المورد قبل أن يتم فتح فارس وقبل أن يبدأ غزو مصر مبلغاً حمل الخليفة على التفكير في إقامة نظام مالي للدولة الناشئة.

قدم أبو هريرة من «البحرين»، فسأله عن الناس، ثم قال: «ما جئت به؟»، قال: «جئت بخمس مئة ألف درهم»، فدهش عمر وقال: «هل تدري ماذا تقول؟»، فأعاد أبو هريرة أنه جاء بخمس مئة ألف درهم، وظن عمر أن الرجل يباليغ، فكرر عليه السؤال: فلما سمع الجواب الأول قال له: «إنك ناعس، فارجع إلى أهلك فتم، فإذا أصبحت فأنتني». فلما غدا عليه أبو هريرة وأكد له أنه جاء بخمس مئة ألف درهم، قال عمر للناس: «إنه قدم علينا مالٌ كثير، فإذا شئتم أن نعده لكم عدداً، وإن شئتم أن نكيله كيلاً»، فقال له رجل: «يا أمير المؤمنين! إنني رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه»، فدوّن عمر الديوان^(٢).

وقيل: إن عمر استشار الناس في تدوين الديوان، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(١) انظر: تفصيل ذلك في (الخراج) ص (٢٨ - ٣٢).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٣٠٠).

«تقسم كل سنة ما اجتمع عليك من مال ولا تبق منه شيئاً»، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يُحصوا حتى نعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر»، فقال الوليد بن هشام بن المغيرة: «يا أمير المؤمنين! قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجنّدوا جنودا، فدوّن ديوانا وجنّد جنودا»، فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومحرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش، فقال لهم: «اكتبوا الناس على منازلهم»^(١)، وقال: «ابدعوا بقرابة الناس منه رضي الله عنه، الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله»^(٢).

بدأ بيني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب برسول الله صلّى الله عليه وآله، فكان الناس إذا استنوا في القرابة برسول الله صلّى الله عليه وآله قدم أهل السابقة حتى أتى إلى الأنصار، فقالوا: «بمن نبدأ؟» فقال عمر: ابدعوا برهط سعد بن معاذ الأشهلي، ثم الأقرب فالأقرب بسعد بن معاذ، وفرض عمر لأهل الديوان، ففضل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض، فبدأ بمن شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار، ففرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة، حليفهم ومولاهم معهم بالسواء، وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد «أحدًا» أربعة آلاف درهم لكل رجل منهم، وفرض لأبناء البدرين ألفين إلا حسنا وحسينا فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلّى الله عليه وآله، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم، وفرض للعباس بن عبدالمطلب خمسة آلاف درهم لقرابته برسول الله صلّى الله عليه وآله، ولم يفضل أحدًا على أهل بدر إلا أزواج النبي صلّى الله عليه وآله، فإنه فرض لكل امرأة منهن اثني عشر ألف درهم، وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم، وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفين، وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مسلمة الفتح، وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم، فقال عبدالله بن عمر: «فرضت لي ثلاثة آلاف

(١) طبقات ابن سعد (٢٩٥/٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٢٩٥/٣).

وفرضت لأسامة أربعة آلاف، وقد شهدت ما لم يشهد أسامة، فقال عمر زدته لأنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك»، ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم، ثم جعل من بقي من الناس بابًا واحدًا، فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة المنورة في خمسة وعشرين دينارًا لكل رجل، وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ألفين إلى ألف إلى تسع مئة إلى خمس مئة إلى ثلاث مئة، لم ينقص أحدًا عن ثلاث مئة، وقال: «لئن كثر المال، لأفرض لكل رجل أربعة آلاف درهم: ألف لسفره، وألف لسلاحه، وألف يخلفها لأهله، وألف لفرسه وبغله»، وفرض لنساء مهاجرات: فرض لصفية بنت عبدالمطلب ستة آلاف، ولأسماء ابنة عميس ألف درهم، ولأم كلثوم بنت عقبة ألف درهم... إلخ.

وكان عمر يفترض للمنفوس مئة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مئتي درهم، فإذا بلغ زاده، وكان إذا أتى باللقيط فرض له مئة درهم، وفرض له رزقًا يأخذه وليه كل شهر ما يصلحه، ثم ينقله من سنة إلى سنة، وكان يوصي بهم خيرًا ويجعل رضاعتهم ونفقتهم من بيت المال.

قال حزام بن هشام الكلبي: «رأيت عمر يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل «قديداً»^(١) فتأتيه بقديد، فلا تغيب عنه امرأة بكرٌ وثيب، فيعطيهم في أيديهم، ثم يروح فينزل «عسفان»^(٢) فيفعل مثل ذلك، حتى توفي»^(٣).

وقال عمر: «والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه»؛ يعني: في طلبه^(٤)...

(١) قديد: اسم موضع قرب مكة.

انظر: التفاصيل في معجم البلدان (٣٨/٧).

(٢) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الحنفية ومكة. انظر: معجم البلدان (١٧٤/٦).

(٣) طبقات ابن سعد (٢٩٥/٣، ٢٩٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٣٠٠/٣).

وكتب عمر إلى حذيفة بن اليمان: أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم، فكتب إليه: «إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير» فكتب إليه عمر: «إنه فيؤهُم الذي أفاء الله عليهم وليس هو لعمر ولا لآل عمر، أقسمه بينهم»^(١).

عن سالم بن عبدالله قال: «فرض عمر بن الخطاب للناس حتى لم يدع أحدًا من الناس إلا فرض له، حتى بقيت بقية لا عشائر لهم ولا موالي، ففرض لهم ما بين الممتين إلى ثلاث مئة»^(٢).

قال عمر: «لكن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلاهم»^(٣)، وقال: «لكن عشت لأجعلن عطاء المسلمين ثلاثة آلاف»^(٤)، ورزق الناس جريين كل شهر: المرأة والرجل والمملوك جريين جريين كل شهر»^(٥).

وكان عمر يحمي «النفيع»^(٦) لخليل المسلمين، ويحمي «الريذة» و«الشرف»^(٧) لإبل الصدقة، وكان يحمل على ثلاثين ألف بعير في سبيل الله كل سنة^(٨).
دوّن عمر الديوان وفرض العطاء؛ ليتفرغ العرب للجهاد في سبيل الله، وقد أعان تدوين الديوان وفرض العطاء أولئك العرب الأولين على أداء الرسالة التي فرضت الأقدار عليهم أداءها.

والديوان كلمة فارسية معربة معناها: مجتمع الصحف، يُكتَبُ فيها رجال الجيش ومن فُرض لهم العطاء، وقد تطور مدلول هذه الكلمة من بعد، فصارت تطلق على

(١) طبقات ابن سعد (٣/٩٩٩).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٤).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥).

(٦) النفيع: واد من أودية الحجاز، يدفع سيله إلى المدينة المنورة، والنفيع موضع قرب المدينة. انظر:

التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣١٢).

(٧) الشرف: موضع في الريذة. انظر: معجم البلدان (٥/٢٥٣).

(٨) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥).

الأمكنة التي يجلس فيها القائمون على هذه السجلات؛ كما تطلق على السجلات نفسها، وبديهي أنها لم تتعد في عهد عمر معناها الأول، فكان الديوان سجلاً أحصي فيه من فرض لهم العطاء من رجال الجيش ومن غيرهم، وذكر فيه أمام كل اسم عطاء صاحبه^(١).

إن تدوين الديوان جعل لكل جندي يقاتل في الجبهة عطاء مضموناً يجعله قرير البال على أهله وذويه في مدينته أو في قريته أو في صحرائه، له تأثير معنوي كبير فيه؛ لأن الجندي الذي لا يطمئن كل الاطمئنان إلى الحالة المعيشية لأهله وذويه لا يقاتل كما ينبغي.

٩- ولكن لا بد للجيش من موارد ثابتة تديم الأمور الإدارية لهم في أيام الفتح وبعده؛ لذلك أبقى عمر أن يقسم أرض «السواد»^(٢) على الفاتحين، سأل بلال بن رباح وأصحابه عمرَ قسمة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام وقالوا: «اقسم الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر»، فقال عمر: «لقد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء، ولئن بقيت ليلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه» وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص حين افتتح العراق: «أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم، فإذا أتاك كتابي هذا، فانظر ما أجلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع ومال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرض والأنهار لعمالها؛ ليكون ذلك في أعظيات المسلمين، فإنك إن قسمتها بين

(١) الفاروق عمر (٢/٢٢٧، ٢٣١)، وانظر: ما جاء عن تدوين الديوان وفرض العطاء في (الطبري) (٣/١٠٨، ١١٣)، و(ابن الأثير) (٢/١٩٤، ١٩٥)، و(مقدمة ابن خلدون) ص (٢٤٣، ٢٤٤)، و(الأحكام السلطانية، للماوردي) ص (١٩٩، ٢٠٣)، و(كتاب الوزراء والكتاب) ص (١١)، و(الإدارة الإسلامية في عز العرب) ص (٤٤، ٤٦)، و(الخراج) ص (٤٩، ٥٦) إلخ.

(٢) أرض السواد: أرض العراق وضياعها، سماه العرب: سواداً؛ لخصرتها بالزروع والأشجار. وحد السواد من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية شرق خانقين وبالقرب منها عرضاً. انظر: التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٥٩).

من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء، وقد كنت أمرتك أن تدعو من لقيت إلى الإسلام قبل القتال، فمن أجاب إلى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وله سهم في الإسلام، ومن أجاب بعد القتال وبعد الهزيمة، فهو رجل من المسلمين وماله لأهل الإسلام؛ لأنهم قد أحرزوه قبل إسلامه، فهذا أمري وعهدي إليك».

وأصاب سعد مئة ألف فلاح في بعض غزواته، فأرسل إلى عمر يستأذنه، فأجابه: «إن ما جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة، ومن هرب فأدر كتموه فشانكم به»، فخلى سعد عنهم، وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة، فلم يبقَ غربيٍّ دجلة إلى أرض العرب سواذيٍّ إلا آمن واغتنب بملك الإسلام^(١).

وبعد فتح مصر كتب عمرو بن العاص إلى عمر يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها، فكتب إليه عمر: «لا تقسمها وذرم يكون خراجها فينما للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم»^(٢).

وبذلك أصبح خراج الأراضي وجزية الرعوس وما كان بمعناها موارد ثابتة للدولة تصرف إلى عمارة الدين والمصالح العامة، ومنها رواتب الولاة والقضاة وأهل الفتوى من العلماء والجيش وإصلاح الطرق وعمارة المساجد والرباطات «للجهاد» والقناطر والجسور وسد الثغور وإصلاح الأنهار العامة^(٣).

لم يسترح بعض الفاتحين إلى رأي عمر في تأميم الأرض المفتوحة، فلما ألح عليه بعضهم بقسمة الأرض استشار المهاجرين الأولين فاختلفوا، فأرسل إلى عشرة من الأنصار؛ خمسة من الأوس، وخمسة من الخزرج من كبارهم وأشرفهم، فلما

(١) الخراج ص (٢٨، ٢٩)، وانظر: البلاذري ص (٤٣٣).

(٢) ابن الأثير (١٧/٢٩).

(٣) فتوح مصر والمغرب ص (١٢٤).

اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «إني لم أزعجكم إلا لأن تشتركو في أمانتي فيما حملت من أموركم، فإني واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق: خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ولست أريد أن تتبنوا هذا الذي هو هواي، معكم من الله كتاب ينطق بالحق، فوالله لئن كنت نطقت بأمر ما أريد به إلا الحق (١)»، قالوا: «قل نسمع يا أمير المؤمنين!»، فقال: «قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنني أظلمهم حقوقهم، وإني أعوذ بالله أن أركب ظلمًا، لئن كنت ظلمتهم شيئًا هو لهم وأعطيته غيرهم، لقد شقيت! ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلو جهم (٢)، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجه وأنا في توجيهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها، فتكون فينا للمسلمين: المقاتلة والذرية ولن يأتي بعدهم، أرايتم هذه الثغور (٣)، لا بد لها من رجال يلزمونها! أرايتم هذه المدن العظام، لا بد لها من أن تشحن بالجيوش، ولا بد من إدرار العطاء عليهم! فمن أين يعطى هؤلاء إذا قُسمت الأرضون والعلوج!؟»، فقالوا جميعًا: «الرأي رأيك، فنعم ما قلت وما رأيت، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم»، فقال: «بان لي الأمر، فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون؟»، فاجتمعوا على عثمان بن حنيف وقالوا: «تبعته إلى أهم من ذلك، فإن له بصيرًا وعقلًا وتجربة»، فأسرع إليه عمر وولاه مساحة الأرض، فأدت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مئة ألف ألف درهم، والدرهم يومئذ درهم ودانفان

(١) اشتراكية الإسلام، للسباعي ص (٢٠٨) الطبعة الثانية، وانظر: النزعة الاشتراكية في الإسلام ص (١٨٧).

(٢) علاج: يوزن العجل؛ الواحد من كفار العجم، والجمع: علوج وأعلاج وعلجة.

(٣) الثغور: جمع ثغر؛ موضع الخفاة من فروج البلدان.

ونصف، وكان وزن الدرهم يومئذٍ وزن المثقال ^(١).

وقال عمر للذين أرادوه أن يقسم أرض الشام: «إذن أترك من بعدكم من المسلمين لا شيء لهم» ^(٢)، ولم يقسم الأرض، بل تركها لعمالها؛ ليكون خراجها في أعطيات المسلمين.

ولم يقسم أرض مصر - كما أسلفنا -؛ ليكون خراجها في أعطيات المسلمين - أيضًا.

وكان عمل عمر هذا كما يقول الإمام أبو يوسف في كتابه «الخراج»: «والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها - عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك - توفيقاً من الله، كان له فيما صنع فيه الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته عموم النفع لجماعتهم؛ لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن بالثغور ولم تقوّ الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرترقة» ^(٣).

١٠- ولم تقف همة عمر على تأمين ركوب المقاتلين ورواتبهم وتأمين الأرض المفتوحة لتكون رصيذاً لا ينضب لرواتب الجيوش وتسليحهم وتنقلهم وإعداد قضاياهم الإدارية كافة، بل ذهبت همته إلى أبعد من ذلك: تأمين السكن لهم. ففي سنة سبع عشرة الهجرية «٦٣٨م» أرسل سعد بن أبي وقاص وفدًا إلى عمر بفتوح العراق، فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوأنهم وحالهم فقالوا: «لوخومة البلاد عندنا»، فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلًا ينزله الناس ^(٤).

(١) الخراج ص (٣٠، ٣١) وانظر: الخراج، لقدماء بن جعفر ملحق بالمسالك والممالك (٢٣٧، ٢٣٩)

حول تفاصيل واردات السواد.

(٢) الخراج ص (٣١).

(٣) الخراج ص (٣٢).

(٤) ابن الأثير (٢٠٣/٢).

وقيل: بل كتب حذيفة بن اليمان إلى عمر: «إن العرب قد رقت بطونها، وجفت أعضادها، وتغيرت ألوانها»، وكان حذيفة مع سعد، فكتب عمر إلى سعد: «أخبرني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم»، فكتب إليه سعد: «إن الذي غيرهم وخومة البلاد، وأن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان»، فكتب إليه عمر: «أن ابعث سلمان^(١) وحذيفة^(٢) رائدين، فليرتادا منزلاً برياً بحرئياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر»، فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى أتى «الأنبار»، فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وسار حذيفة بن اليمان في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة - وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة - فأتيا عليهما فأعجبتهما البقعة، فلما رجعا إلى سعد وقدم كتاب عمر إليه - أيضاً - كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو وعبدالله بن المعتم أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده، وارتحل سعد من «المدائن» حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة الهجرية، فكتب إلى عمر: «إني قد نزلت بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات برياً وبحرئياً، تنبت الحلفاء^(٣) والنصي^(٤)، وخيرت المسلمين بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام في المدائن تركته فيها كالمسلحة»، ولما استقروا بها رجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم، فاستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل «البصرة» - أيضاً - التي استقر منزل المسلمين فيها في الشهر الذي نزل فيه أهل الكوفة مدينتهم، فكتب إليهم: «إن العسكر أشد لحربكم وأذكر لكم، ما أحب أن أخالفكم»، فابتنى أهل المصريين بالقصب، ولكن الحريق وقع في الكوفة والبصرة، فبعث سعد نفرًا منهم إلى عمر يستأذونه في البنيان باللبن، فقال: «افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان، والزمو السنة تلزمكم الدولة»، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان

(١) سلمان الفارسي.

(٢) حذيفة بن اليمان.

(٣) الحلفاء: نبات حمله قصب النشاب؛ انظر: التفاصيل في (لسان العرب) (٤٠٢/١).

(٤) النصي: نبت سبط من أفضل المراعي، واحده نصية.

وأهل البصرة بمثل ذلك، وقدر المناهج أربعين ذراعًا ما بين ذلك عشرين ذراعًا، والأزقة سبع أذرع ليس دون ذلك شيء، والقطائع ستين ذراعًا، وأول شيء خط في البصرة والكوفة مسجدهما، وقام في وسطهما رجل شديد النزاع فرمى في كل جهة بسهم وأمر أن يبنى ما وراء ذلك، وبنى ظلّة في مقدمة مسجد الكوفة على إحاطين من رخام، فبنى المسجد في مربعة لاجتماع الناس فيها؛ لئلا يزدحموا، وبنوا لسعد دارًا بحياله وهي قصر الكوفة^(١).

وعزل عمر عتبة بن فرقد السلمي^(٢) عن الموصل وولاهها عرفجة البارقي، وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع، فحصرها عرفجة وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع^(٣)، كما أن عرفجة نزل «حدِيثه الموصل»^(٤) وكانت قرية فيها بيعتان، فحصرها واختطها قبل الموصل الحدباء^(٥). وبنى أبو مدلاج التميمي «حدِيثه الفرات»^(٦) في أيام عمر، وكان قد بعثه عمر على رأس جيش يستقرئ ما فوق الفرات^(٧).

ولما فتحت الإسكندرية رأى عمرو بن العاص بيوتها وبنائها مفروغًا منها، فهِمَّ أن يسكنها، وقال: «مساكن قد كفيناها»، فكتب إلى عمر يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول: «هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟»، قال: «نعم يا أمير المؤمنين، إذا جرى النيل»، فكتب عمر إلى عمرو: «أن لا أحب أن تُنزل المسلمين منزلًا يحول الماء بيني

(١) الطبري (١٤٧/٣، ١٥١)، وابن الأثير (٢/٢٠٣، ٢٠٥).

(٢) انظر: ترجمته في كتاب (قادة فتح العراق والجزيرة) ص (٤١٥ - ٤٢٢).

(٣) البلاذري ص (٣٢٧)، ومعجم البلدان (٣/٢٣٤).

(٤) حديثه الموصل: بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى. انظر: التفاصيل في

(معجم البلدان) (٣/٢٣٤)، (المشترك وضعًا) ص (١٢٣).

(٥) معجم البلدان (٣/٢٣٤).

(٦) حديثه الفرات: مدينة على فراسخ من الأنبار، وبها قلعة حصينة في وسط الفرات، والماء محيط بها.

انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٣/٢٣٥) (المشترك وضعًا) ص (١٢٣).

(٧) معجم البلدان (٣/٢٣٥).

وبينهم في شتاء ولا في صيف»، فتحول عمرو من الإسكندرية إلى «الفسطاط»^(١)، فاختمها عمرو وأسكنها المسلمين^(٢).

وبنى معاوية بن أبي سفيان في عهد عمر «جبله»^(٣) بعد خرابها وإجلاء أهلها عنها، وكانت حصناً للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين «حمص»، وشحنها معاوية بالرجال وبنى حصناً خارجاً عن الحصن الرومي، وسكن المسلمون هذه المدينة^(٤).
وبنى عثمان بن أبي العاص «توج»^(٥)، وبنى فيها المساجد وجعلها داراً للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم وذلك في أيام عمر بن الخطاب^(٦).

لقد كانت شبه الجزيرة العربية قاعدة الفتح الإسلامي التي انطلقت منها جيوش المسلمين لفتح العراق وأرض الشام، فلما فتحت العراق والشام، كان لا بد من إنشاء قواعد متقدمة لانطلاق الفتح منها شرقاً وغرباً، فكانت الكوفة والبصرة القاعدتين الأماميتين لانطلاق الفتح نحو الشرق، وكانت مدن أرض الشام ومنها دمشق وجبله القواعد الأمامية لانطلاق الفتح نحو الغرب.

وبعد فتح مصر، كانت الفسطاط القاعدة المتقدمة لانطلاق الفتح منها إلى

(١) الفسطاط: سميت الفسطاط؛ لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم، أمر بنزع فسطاطه، فإذا فيه يمام قد فرخ؛ فقال عمرو: (لقد تحرم منا بمتحرم)؛ فأمر به فأقر كما هو، وأوصى به صاحب القصر، فلما قفل المسلمون من الإسكندرية، قالوا: (أين ننزل؟) فقالوا: الفسطاط (لفسطاط عمرو الذي خلفه)، وكان مضروباً بموضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصى عند دار عمرو الصغيرة اليوم. انظر: فتح مصر والمغرب ص (١٣٣)، ومعجم البلدان (٦/٣٧٩)، (٣٨٠).

(٢) فتح مصر والمغرب ص (١٣٣، ١٣٤)، ومعجم البلدان (٦/٣٧٩ - ٣٨٤)، والمسالك والممالك، لابن خرداذبة ص (٨٤)، وأحسن التقاسيم ص (١٩٧)، وانظر: زبدة كشف الممالك ص (٣٠)، والبلدان، لابن الفقيه ص (٥٩).

(٣) جبله: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٣/٥٣).

(٤) انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٣/٥٣)، و(المشترك وضعاً) ص (٩٥، ٩٦).

(٥) توج: مدينة بفارس قريبة من كازرون. انظر: التفاصيل في (معجم البلدان) (٢/٤٢٦).

(٦) معجم البلدان (٢/٤٢٦).

إفريقية، وكانت «توج» وبعض مدن فارس القواعد المتقدمة لانطلاق الفتح إلى حدود الصين شرقاً وإلى السند جنوباً وإلى حدود سيبيريا شمالاً، كما كانت مدينة الموصل القاعدة الأمامية لانطلاق الفتح منها إلى شمال العراق وإلى أذربيجان.

ولكن هذه المدن الجديدة كانت بالإضافة إلى ذلك معسكرات كبيرة للجيش الإسلامي سكنها المسلمون واستقروا فيها وعوائلهم وذويهم، فأصبحت مواطن لهم بعد نزوحهم عن مواطنهم الأولى في الصحراء أو في حواضر شبه الجزيرة العربية. لقد ضمن عمر أمر سُكِنَى الجنود وعوائلهم، فكان المسلمون في صدر الإسلام إذا فتحوا بلدًا جعلوا مساكنهم في بعض ضواحيه أو في مواضع مناسبة يختارونها، وكانوا يسمون هذه المراكز «ثكنات»^(١)، وكان المسلمون إذا فتحوا مدينة قريبة من العدو أو عند ساحل وضعوا فيها حامية من الرجال لحمايتها، ولم تكن هذه المراكز العسكرية إلا معسكرات ومضارب خيام في بادئ الأمر، مَصَّرَهَا القواد فتحولت إلى مدن كبيرة على مر السنين: زاهرة بالعلوم والفنون والآداب، زاخرة بالمقاتلين من الجنود وبالسلاح والمؤن والتجهيزات، حافلة بالعيال، مواجهة بالأيدي العاملة: فلا حين يعدون الغلات، وعمالاً يصنعون الأسلحة، وأرباب حرف يعدون النسيج ويخيطونه^(٢).

١١- إن عمر ذهب إلى مدى أبعد من ذلك في الحرص على راحة المجاهدين وأموارهم كافة، فقد كتب ألا تحبس الجيوش بعيدة عن عوائلها أكثر من أربعة أشهر، فبينما كان يطوف في أرجاء المدينة ليلاً سمع امرأة تقول:

«تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني أن لا خليل لأعبه
فوالله لولا الله إني أراقبه لزحج من هذا السرير جوانبه»

(١) ثكنة: اللواء ومجمع الجند، جمعها: ثكن وثكنات.

(٢) انظر: مقال (جيش المسلمين في عهد بني أمية) في المجلد الرابع، الجزء الثاني من مجلة المجمع العلمي

العراقي الصادر في (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م).

فقال عمر: «مالك؟!»، فقالت: «أغزيت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه»، فقال: «أردت سوءاً؟!»، فقالت: «معاذ الله»، فقال: «فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه»، فبعث إليه، ثم دخل على حفصة أم المؤمنين ابنته فقال: «إني سائلك عن أمر قد أهمني، فافرجه عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟»، فخفضت رأسها واستحيت، فقال: «إن الله لا يستحي من الحق»، فأشارت بيدها ثلاثة وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر ألا تجبس الجيوش فوق أربعة أشهر^(١).

بل كان عمر يخلف الغزاة في أهليهم^(٢) يسهر على خدمتهم، ويكثر من رعايتهم.

ذلك هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين والقائد الأعلى للجيوش الإسلامية: يعد الخطط السوقية لجيوشه، ويسهر على مراقبة تنفيذ تلك الخطط، ويحشد أكبر عدد ممكن من الرجال قبل خوض المعارك ليضمن لهم النصر، ويمد جيوشه بالإمدادات المتعاقبة، ويوحد العرب في شبه الجزيرة العربية ليطمئن إلى سلامة قاعدته الأمنية، ويؤمن العطاء للمجاهدين ولذويهم، ويجعل الأرض المفتوحة كلها رصيذاً لبعض هذا العطاء، ويضمن السكن للجنود ولعوائلهم، ولا يترك الجنود بعيدين عن عوائلهم أكثر من أربعة أشهر حفاظاً على معنوياتهم ومعنويات عوائلهم، ويخلف الغزاة بأهليهم... ولست أعرف قائداً أعلى كانت القيادة العليا بعض واجباته فعلاً أكثر مما فعله عمر في سبيل جيوشه مادياً ومعنوياً.

لقد طبق عمر الحرب الاجتماعية^(٣) قبل أربعة عشر قرناً، فلا يزعم أحد أن الألمان أول من طبقها في الحرب العالمية الثانية «١٩٣٩-١٩٤٥ م».

لقد وضع المسلمون «الضمان الاجتماعي» للجنود موضع التنفيذ قبل أن تحلم به

(١) تاريخ الخلفاء ص (٩٦)، هناك رواية أن مدة بقاء المجاهد ستة أشهر.

(٢) تاريخ عمر ص (٤٧).

(٣) الحرب الاجتماعية أو الحرب الاعتصامية: من التعبيرات العسكرية الحديثة؛ ومعناها: تحشيد الأمة ومرافقتها المادية والمعنوية للحرب. انظر: الأمة في الحرب، للمارشال لودندروب.

أوروبة وأميركا بأربعة عشر قرناً، فلا يقولن قائل: إن من مزايا هؤلاء ضمان الرواتب للجنود ولأسرهم في حياتهم وبعد موتهم، وضمان سكناتهم وراحتهم في كل أرض يحلونها، فقد كان نصيب المسلمين من كل ذلك في عهد عمر أوفر نصيب^(١). إن أعمال عمر العسكرية يمكن أن تكون مثلاً أعلى لكل قائد أعلى، ويمكن أن تكون أعماله دروساً في الكليات العسكرية وكليات الأركان في كل مكان. إنها أروع ما سجله التاريخ العسكري في صفحاته للأمم كافة، وستبقى نموذجاً حياً ومثلاً أعلى يحتذيه كل قائد في أية أمة بكل زمان ومكان.

من وصايا القائد الفذ المجاهد الفاروق

كان رضي الله عنه يرشد قواده وجنوده من خلال رسائله ووصاياه الدرر ومن أهمها:

١- مصابرة العدو: قال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وكان مما قاله عمر رضي الله عنه في الصبر لسعد بن أبي وقاص من بعث به إلى العراق: «واعلم أن لكل عدة عتادا، فعتاد الخير الصبر، فالصبر على ما أصابك أو نابك، يجتمع لك خشية الله»^(٢)، كما كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو بالشام قائلاً: «لقد أتني الله على قوم بصبرهم، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨] فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح، وأما ثواب الآخرة

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع، الجزء الثاني ص (٦٥٠) مقال (جيش المسلمين في

عهد بني أمية).

(٢) تاريخ الطبري (٤/٣٠٦).

فالمغفرة والجنة، وقرأ كتابي هذا على الناس، ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله وليصبروا؛
 كما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة»^(١).

وكان مما قاله عليه السلام «اتنزلوا وارعدوا وانتعلوا واحتفوا، وارموا الأغراض، وألقوا
 الركب، وانزلوا على الخيل وعليكم بالمعدية - أو قال العربية - ودعوا التثمم وزبي
 العجم، ولن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم على ظهور الخيل ونزعتم بالقسي»^(٢).
 ٢- الرفق بجند الإسلام وحسن الرعاية من قبل الفاروق المجاهد:

كتب الفاروق إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائلاً: «وترفق بالمسلمين في مسيرهم
 ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم
 والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكرام، وأقم
 بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون
 أسلحتهم وأمتعتهم، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح»^(٣)، وحين بعث الخليفة عمر
رضي الله عنه بمجدد إلى جند الشام حمل ضعيفهم وزودهم وأمر عليهم سعيد بن عامر، وعندما
 همَّ بالمسير قال عمر: على رسلك حتى أوصيك، ثم سار عمر نحو الجيش راجلاً
 وقال له: يا سعيد وليتك هذا الجيش ولست بخير رجل فيهم إلا أن تتقي الله، فإذا
 سرت فارفق بهم ما استطعت، ولا تشتم أعراضهم، ولا تحتقر صغيرهم، ولا تؤثر
 قلوبهم، ولا تتبع سواك، ولا تسلك بهم المغاور، واقطع بهم السهل، ولا ترقد بهم
 على جادة^(٤) الطريق، والله - تعالى - خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين»^(٥).

٣- أن يتصفحهم عند مسيرهم: فقد كان الفاروق يتصفح الجيوش عند مسيرهم
 ويوصيهم بالأخلاق الرفيعة والقيم العظيمة، فقد أمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالوفاء

(١) تاريخ فتوح الشام ص (١٨٣).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري (١٦٨/٦).

(٣) المصدر السابق (١٦٩/٦).

(٤) الجادة: معظم الطريق، والجمع: جواد.

(٥) تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص (١٨٦).

مع الأعداء حين طلبهم للأمان، وأن لا يغدروا، وبين له أن الخطأ في الغدر هلكت ووهن له وقوة للأعداء، وَحَدَّرَهُ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَبِيًّا لِتَوْهِينِهِمْ^(١).

٤- عدم التعرض عند اللقاء لمن خالفه منهم؛ لئلا يحصل افتراق الكلمة والفشل: ومن وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمرائه وقادته في هذا الباب قوله: لا يجلدن أميرُ جيش ولا سرية أحدًا الحَدَّ حتى يطلع الدرب؛ لئلا يحمله الشيطان أن يلحق بالكفار^(٢).

وعندما بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقائد سلمان بن ربيعة الباهلي على رأس جيش كان برفقته عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد الأسدي وحدثت بين عمرو بن معدي كرب وسلمان بن ربيعة أمورٌ بلغت عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمر قائلاً: أما بعد: فقد بلغني صنعك بعمرو، وإنك لم تحسن بذلك ولم تجمل فيه، فإذا كنت بمثل مكانك في دار الحرب فانظر عمرًا وطليحة وقربهما منك واسمع منهما فإن لهما بالحرب علمًا وتجربة، وإذا وصلت إلى دار السلم فأنزلهما منزلتهما التي أنزلا أنفسهما بها، وقرب أهل الفقه والقرآن^(٣). وكتب إلى عمرو بن معدي كرب: أما بعد فقد بلغني إفحامك لأميرك وشتمك له، وإن لك لسيفًا تسميه الصمصامة، وإن لي سيفًا أسميه المصمم، وإني أحلف بالله لو قد وضعت على هامتك لا أرفعه حتى أقدك به، فلما جاء الكتاب لعمرو قال: واللَّهِ إِنْ هَمَّ لِيَفْعَلَ^(٤).

يتجلى من النصين السابقين فقه الفاروق فيما ينبغي أن يتحلى به القائد في دار الحرب من الائتلاف للقلوب وخاصة وهم يزاء العدو، وأن على القائد أن يستشير من له خبرة بالحرب، وهذا لا يعني انقطاع العلاقة والمودة بينهما حين عودة العسكر إلى دار السلام، وفي فتح الرها^(٥) على يد عياض بن غنم قدم عليه مدد من الشام

(١) الإدارة العسكرية (١٧٦/١).

(٢) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص (١٣١).

(٣)، (٤) الأوائل، للعسكري (٤٥/٢).

(٥) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام.

بقيادة بسر بن أبي أرطاة العامري، وجه به يزيد بن أبي سفيان بأمر من عمر رضي الله عنه وحدث بينهما خلاف وهم في دار الحرب، وكان عياض مستغنياً عن المدد، فطلب إليه الرجوع إلى الشام، فكتب عمر رضي الله عنه إلى عياض طالباً منه أن يوضح له سبب إرجاعهم وخاصة وهم ما قدموا إلا لمساندتك ولإعلام العدو أن الأمداد متواترة إليك، فتنكسر قلوبهم ويسارعوا إلى طاعتك، فأجابه عياض قائلاً: خشيت أن يحصل شيء من التمرد وتختلف قلوب العساكر، ولما كنت غنياً عن مدده اعتذرت إليه وأمرته بالعودة، وهذا هو السبب في إعادته^(١)، عندها صوبه عمر رضي الله عنه ودعا له خاصة وهم يزاء العدو حتى لا تتفرق الكلمة ويتناحروا فيما بينهم ويحصل الفشل^(٢).

٥- حراستهم من غرة يظفر بها العدو في مقامهم ومسيرهم:

اهتم الفاروق بأمر الحراسة؛ ولذلك أمر قاداته بالحرص والحذر من بيان العدو وأخذهم على غرة، وطلب منهم إقامة الحرس في حلهم وترحالهم، فمن ذلك قوله لسعد بن أبي وقاص: أذك حراسك على عسكرك، وتيقظ من البيان جهدك، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه؛ لترهب بذلك عدو الله وعدوك^(٣). وكان رضي الله عنه يوصي قاداته باتخاذ العيون وبث الطلائع عند بلوغ أرض العدو حتى يكونوا على علم ودراية بحالهم وبنواياهم، فمما كتبه إلى سعد بن أبي وقاص قوله: وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخفى عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تثق به وتطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاش عيّن عليك ليس عيّنًا لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا

(١) فتوح الشام، لابن أعمش (١/٢٥٣ - ٢٥٥).

(٢) الإدارة العسكرية (١/١٨٨).

(٣) نهاية الأرب (٦/١٧٠).

أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم، وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإذا لقوا عدوًا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك^(١).

ويتضح لنا من هذه الوصية القيمة أن الخليفة عمر رضي الله عنه لم تقتصر عنايته باتخاذ العيون على الأعداء، بل اتخذها - أيضًا - في الجيوش الإسلامية في الرقابة الإدارية على الولاة والعمال والقادة والجنود؛ ليتعرف أحوالهم وسيرتهم ومعاملتهم وسير أعمالهم العسكرية، فقد كانت له عيون في كل جيش ومعسكر ترفع إليه تقريرًا عما يدور فيه^(٢)، وعندما شكَا عمير بن سعد الأنصاري إلى الخليفة عمر حين قدم عليه وكان على طائفة من أهل الشام قائلًا: يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها: عرب سوس^(٣)، وإنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئًا ولا يظهروننا على عوراتهم. فقال له عمر: فإذا قدمت فخيرهم بين أن تعطيتهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بعير بعيرين ومكان كل شيء شيئين، فإن رضوا بذلك فأعطهم وخرّجها، فإن أبوا فأنب إليهم وأجلهم سنة ثم خربها^(٤). ثم لما قدم عليهم عمير بن سعد عرض عليهم ذلك فأبوا فأجلهم سنة ثم خربها^(٥).

٦- اختيار موضع نزولهم لمحاربة العدو: فقد كان الفاروق يوصي سعد بن أبي وقاص بأن لا يقاتل حتى يتعرف على طبيعة أرض المعركة كلها مداخلها ومخارجها ووفرة الماء والكلاب بها وما يجري مجرى ذلك^(٦)، كما كتب إليه قبل القادسية بأن يكون أدنى حجر من أرضهم؛ لأنهم أعرف بمسالكها من عدوهم، فمتى كانت

(١) نهاية الأرب (١٦٩/٦).

(٢) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، للدكتور صالح بن سليمان آل كمال، جامعة أم القرى (٣٩٦/١).

(٣) عرب سوس: مدينة بالفر من ناحية الحدث.

(٤) فتوح البلدان، للبلاذري (١٨٥/١).

(٥) المصدر نفسه (١٨٥/١)، والإدارة العسكرية (٣٩٧/١).

(٦) نهاية الأرب (١٧٠/٦)، والإدارة العسكرية (٢٠٥/١).

الهزيمة استطاع التمكن من الانسحاب بالجند فينجوا من القتل فلا يستطيع العدو اللحاق بهم لجنه من اتباعهم وعدم معرفتهم بطرقها^(١)، وبالإضافة إلى ذلك فقد ولى الفاروق سعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان قيادة الجيش في اختيار موقع وموضع نزوله وإقامته، فقد قام الفاروق بتوزيع المهام الإدارية بين القادة^(٢)، وكان الفاروق يشترط في إدارته العسكرية على قاداته عند اختيارهم لموضع نزولهم وإقامة معسكراتهم الحربية أن لا يفصلهم عن مقر القيادة العسكرية العليا ماء؛ وذلك لما لها من مركزية في التخطيط ولتسهيل الإمداد والتموين^(٣)، كما كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح قائلاً: ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف ماتا^(٤).

٧- إعداد ما يحتاج إليه الجند من زاد وعلوفة: كان عمر رضي الله عنه يبعث لجند المسلمين بالعراق من المدينة المنورة بالتموين من الغنم والجزور^(٥)، وحمى النقيع والربذة^(٦) للنعم التي يحمل عليها في سبيل الله، كما اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لما يعرض، فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس، وبالبصرة نحو منها، وفي كل مصر من الأمصار على قدره^(٧)، ثم حين قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشام لمصالحة أهل بيت المقدس أنشأ إدارة لتموين الجيش عرفت باسم الأهراب^(٨)، وكان عمر بن عبسة أول موظف عين لإدارة تموين الجيش^(٩).

- (١) الإدارة العسكرية (٢٠٥/١).
- (٢) المصدر نفسه (٢٠٦/١).
- (٣) الإدارة العسكرية (٢٠٦/١).
- (٤) الإدارة العسكرية (٢٠٧/١) نقلاً عن تاريخ الطبري.
- (٥) فتوح البلدان، للبلاذري (٣١٤/٢).
- (٦) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قرية من ذات عرق على طريق الحجاز.
- (٧) الإدارة العسكرية (٢١٧/١).
- (٨) الهري: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان، والجمع أهراء.
- (٩) الإدارة العسكرية (٢١٧/١).

٨- تحريضهم على القتال: كتب الفاروق إلى أبي عبيدة يحرضه على الجهاد قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك، فإني أحمد الله عز وجل سرًا وعلانية، وأحذركم من معصية الله عز وجل وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا ممن قال الله في حقهم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، وصلى الله على خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين ^(١).

فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين فعلموا أن أمير المؤمنين يحرضهم على القتال، ولم يبق أحد من المسلمين إلا بكى من كتاب عمر بن الخطاب، كما كتب إلى سعد بن أبي وقاص بالعراق ومن معه من الأجناد يحرضهم على القتال ويمينهم ويأمرهم بالالتزام بالفضائل ويحذرهم من ارتكاب المعاصي ^(٢)، هذا وكان من مهام أمراء الأعيان في إدارة الفاروق رضي الله عنه التحريض في القتال ^(٣).

٩- أن يذكرهم بثواب الله وفضل الشهادة: ففي عصر الفاروق قام سعد بن أبي وقاص في القادسية يُذَكِّرُ جُنْدَهُ بثواب الله - تَعَالَى - وما أعد لهم في الآخرة من النعيم، ورغبهم في الجهاد، وأعلمهم ما وعد الله نبيه من النصر وإظهار الدين، وبين لهم ما سوف يكون بأيديهم من النفل والغنائم والبلاد، وأمر القراء أن يقرءوا سورة الجهاد «الأنفال» ^(٤)، كما قام أبو عبيدة بن الجراح في جند الشام خطيبًا ومُذَكِّرًا إياهم بثواب الله - تَعَالَى - ونعيمه ومخبرًا إياهم أن الجهاد خير لهم من الدنيا وما فيها ^(٥)، كما اشتهر عن عمرو بن العاص قوله لجند فلسطين: من قُتِلَ كان شهيدًا ومن عاش كان

(١) فتوح الشام، للواقدي (١/١١٧).

(٢) (٣) الإدارة العسكرية (١/٢٣٩).

(٤) تاريخ الطبري (٤/٣٥٦).

(٥) الإدارة العسكرية (١/٢٤٣).

سعيًا. وأمر الجند أن يقرءوا القرآن وحثهم على الصبر ورجبهم في ثواب الله وجنته^(١).

١٠- أن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق: فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد يوصيه بقوله: أما بعد: فإني أمرتك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وأمرتك ومن معك أن تكونوا أشد احتراستًا من المعاصي من احتراستكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعضية عدوهم لله^(٢).

١١- أن ينهاهم عن الاشتغال بتجارة وزراعة ونحوهما: فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد في أن يبلغوا العسكر أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل، وأن ينهوه عن الزراعة، حتى إنه عاقب من لم يمثل ذلك^(٣)، كل ذلك حرصًا من الفاروق رضي الله عنه بتفريغ الجند للجهاد ونشر الإسلام؛ ولئلا يلتصقوا بالأرض حين يزرعون فيركنون إلى ذلك ويصبح قلبهم منشغلًا؛ ولذلك استطاع عمر رضي الله عنه أن يوجد جنودًا متفرغًا للقتال جاهزًا لوقت الحاجة والطلب، وضمن عدم انتشارهم لجني الثمار والزراعة وما يتبعها من حصاد وحرث وتسويق^(٤).

● القائد الفاروق المجاهد يدعو قواده للعدل مع المجاهدين:

عن جرير رضي الله عنه أن رجلاً كان ذات صوت ونكاية على العدو مع أبي موسى الأشعري فغنموا مغنمًا، فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يفه، فأبى أن يأخذه إلا جميعًا فضربه عشرين سوطًا، وحلق رأسه، فجمع شعره وذهب به إلى عمر رضي الله عنه. قال جرير: وأنا أقرب الناس منه، فأخرج شعروًا من جيبي، فضرب به صدر عمر،

(١) فتوح الشام (١/١٨، ٢٠).

(٢) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص (١١٩).

(٣) الإدارة العسكرية (١/٢٥٦).

(٤) المصدر السابق (١/٢٥٧).

فكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى: سلامٌ عليك، أما بعد:

فإن فلان بن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنتَ فعلتَ ما فعلتَ في ملاٍ من الناس، جلست له في ملاٍ من الناس فاقصص منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلاء، فاقعد له في خلاء فليقتصص منك. قال له الناس: اعف عنه، قال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس. فلما دَفَعَ إليه الكتاب قعد للقصاص، رفع رأسه إلى السماء، وقال: قد عفوت عنه لله - تعالى - ^(١).

● اهتمام الفاروق القائد المجاهد بحدود دولته:

كان عمر رضي الله عنه من خوفه على المسلمين وحدود الدولة الإسلامية لاتساعها وكرهه لقتال الروم يقول إذا ذكر الروم: والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم، لنا ما دونه وللروم ما وراءه ^(٢). وقال الشيء نفسه حول حدود الدولة الإسلامية نحو الفرس: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدًا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، وإني أؤثر سلامة المسلمين على الأنفال ^(٣). فأمر بإقامة قواعد عسكرية إسلامية لها عدة وظائف ومهام، والتي سبق وأشرنا إلى بعض منها، بالإضافة إلى كونها مراكز حربية في مواضع استراتيجية متقدمة على الحدود بينها وبين البلاد المفتوحة لترد أي عدوان خارجي، وكمراكز تجمع للجند ولنشر الإسلام، وكان في طليعتها مدينتا البصرة والكوفة في مجاورة الدولة الفارسية والفسطاط بمصر ^(٤)، وثغور أخرى بسواحلها وسواحل الشام لرد هجمات الروم من البحر، وجمندًا أربعة أجناد فيما بعد، فيقال: جند حمص، وجند دمشق، وجند الأردن، وجند فلسطين، حيث كانت لاختصاصهم حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على

(١) خبر حسن: أخرجه ابن شبة في (تاريخ المدينة) (٨٠٩/٣)، والبيهقي في (سننه الكبرى) (٥٠/٨).

(٢) تاريخ يعقوبي (١٥٥/٢).

(٣) تاريخ الطبري نقلًا عن الإدارة العسكرية (٣٥٢/١).

(٤) الإدارة العسكرية (٤٥٢/١).

النسب يتميزون بها عند أمرائهم؛ لتسهيل عملية إدارتهم في المهمات العسكرية، ولرعاية شئونهم والتي كانت منها العطاء^(١)، هذا إلى جانب المعسكرات والتحصينات التي بالثغور والتي سبق إجلاء العدو عنها واستولى عليها المسلمون واتخذوها قواعد عسكرية لهم وأسكنوا بها جندهم لحماية حدود الدولة الإسلامية^(٢)، ثم صار المسلمون كلما تقدموا في الفتح أقاموا في نهاية توسعهم ثغراً يحرس الحدود يشحن بالجند المرابطين ويتولى أمره قائد من أكفأ القواد^(٣)، ومن أهم تلك الإجراءات التي اتخذها الفاروق رضي الله عنه بإقليم العراق والمشرق المسالحي التي أقيمت بين المسلمين والفرس، فحينما بلغ اجتماع الفرس على يزدجرد للقائد المثنى بن حارثة والمسلمين، كتبوا إلى الخليفة عمر بذلك فجاءهم الرد بقوله: أما بعد، فاخرجوا بين ظهرائي الأعاجم، وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم.. فنفذ المثنى الأمر^(٤)، كما أوصى الخليفة عمر رضي الله عنه سعداً قبل القادسية بقوله: وإذا انتهيت إلى القادسية فتكون مسالحك على أنقابها^(٥).

وفي جلولاء كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد: إن هزم الله الجندين، جند مهران وجند الأنطاق فقدم القعقاع بن عمرو بثغر حلوان بجنود المسلمين لحماية المنطقة والحفاظ عليها من تقدم الأعداء وحتى يكون ردّاً لإخوانه من جند المسلمين الغازي منهم والمقيم^(٦)؛ لذا كان القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالعراق يطلب من الجند ويحثهم على التقدم نحو الفرس مخبراً إياهم أن الثغور والفروج قد سدت بقوله: ليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه كفاكموهم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذاتهم^(٧).

(١) فتوح البلدان (١٥٦/١).

(٢) تاريخ التمدن، جرجي زيدان (١٧٩/١).

(٣) الإدارة العسكرية (٤٥٣/١).

(٤)، (٥) الإدارة العسكرية (٤٥٣/١).

(٦) المصدر نفسه (٤٥٤/١) نقلاً عن الطبري.

(٧) المصدر نفسه (٤٥٤/١).

والملاحظ أن هذه المسالحي في عهد الفاروق لا تنشأ إلا بأمر من القيادة العليا المركزية للإدارة العسكرية وذلك في قول الخليفة عمر لقيادة المسالحي: اشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري^(١). وقد بلغت ثغور الكوفة وحدها في عهد الفاروق أربعة ثغور هي: ثغر حلوان وعليه القعقاع بن عمرو التميمي، وثمر ماسبذان وعليه ضرار بن الخطاب الفهري، وثمر قرقيسيل^(٢) وعليه عمر بن مالك الزهري، وثمر الموصل وعليه عبدالله بن المعتم العبسي، وكان لكل قائد من هؤلاء من ينوب عنه في ثغره لإدارته إذا توجه لمهمة ما.

ومن الجدير بالذكر أن جنود المسلمين لا يبنون الثغور حصناً ولا يصرون مدينة إلا وأقاموا المسجد في المقدمة لما له من دور دعوي وتربوي وجهادي كما هو معروف^(٣)، وأما فيما يتعلق بحماية الحدود بين الروم والمسلمين في الجبهة الشامية في عهد عمر رضي الله عنه، فقد بدأت عنايته بها - أيضاً - منذ الفتح الإسلامي لبلاد الشام؛ حيث اتخذ لذلك إجراءات دفاعية كثيرة ومتعددة لحماية المنطقة، منها: بناء المناظر، وإقامة الحرس، واتخاذ المسالحي بها، وتحصين المدن الساحلية إلى جانب الرباطات الدائمة، بالإضافة إلى الحصون المفتوحة وترتيب المقاتلة فيها - أي الجنود الغازي - وسياسة التهجير أو النوافل، وجمعه الساحل الشامي كله تحت إدارة عسكرية موحدة، ففي السنة التي سار فيها عمر بنفسه إلى بلاد الشام لتوقيع الصلح مع أهل بيت المقدس تفقد بعض الثغور الشامية ووضع بها الحاميات والمسالحي ورتب بها أمراء الأجناد والقادة، وسد فروعها ومسالحها وأخذ يدور بها ليرى احتياجاتها الدفاعية^(٤)، ثم رجع إلى المدينة وخطب الناس قبل رجوعه قائلاً: ألا قد وليت عليكم وقضيت الذي

(١) المصدر نفسه (٤٥٤/١)

(٢) بلد على نهر الخابور، قرب مالك بن طوق، وعندها مصب الخابور في الفرات.

(٣) الإدارة العسكرية (٤٥٥/١).

(٤) الإدارة العسكرية (٤٥٧/١).

عليّ في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله قسطنا بينكم فيكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغنا ما لديكم، فوجدنا لكم الجنود هيأنا لكم الفروج وبوأنا لكم، ووسعنا عليكم ما بلغ فيكم وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمينا لكم أطعاعكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن عَلمَ عِلْمَ شيءٍ ينبغي العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله^(١).

وعندما فتح أبو عبيدة بن الجراح ثغراً نطاكية بالحدود الشامية الشمالية كتب إليه الخليفة عمر رضي الله عنه قائلاً: أن رتب يانطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ولا تجبس عنهم العطاء^(٢)، فنقل أبو عبيدة قوماً من أهل حمص وبعلك بها مرابطة بها لحماية حدود المنطقة من أي عدوان خارجي، وعيّن على الثغر حبيب بن مسلمة الفهري الذي اتخذ من ثغراً نطاكية قاعدة لانطلاقه لغزو ما خلف الحدود الإسلامية، فمنها كان يأتي المدد للخطوط الأمامية في الجبهة الرومية، وكان منها غزوه للجرجومة^(٣) التي صالح أهلها على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام ضد الروم^(٤)، وكذلك عندما سار أبو عبيدة إلى ثغر بالس^(٥) رتب به جماعة من المقاتلين، وأسكنه قوماً من عرب الشام الذين أسلموا بعد قدوم المسلمين لحفظ الثغر وضبطه من هجمات الروم^(٦).

ومن التحصينات والوسائل الدفاعية التي اتخذها الوالي معاوية بن أبي سفيان لحماية الحدود الإسلامية لسواحل الشام في نهاية عهد عمر بن الخطاب وبداية عهد الخليفة عثمان بن عفان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - هو قيامه ببناء عدة حصون مثل

(١) تاريخ الطبري (٤٠/٤).

(٢) فتوح البلدان (١٧٥/١).

(٣) الجرجومة: يقال لأهلها: (الجرجمة)، على جبل اللكام بالثغر الشامي.

(٤) معجم البلدان (١٢٣/٢).

(٥) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة.

(٦) فتوح البلدان، للبلاذري (٢٢٤/١).

طرسوس^(١)، ومرقية^(٢)، وبلنياس^(٣)، وبيت سليمة، بالإضافة إلى قيامه بتطوير الحصون التي استولى عليها الجند المسلمون بسواحل الشام وشحنها جميعًا بالجند المقاتلة وأقطعهم القطائع بها وبنى المناظر ووضع بها الحرس لمراقبة اقتراب العدو، فتقوم كل منظره بإشعال النار لإخبار الأخرى التي تليها إلى أن يصل الخبر إلى المدينة والثغر والمسلحة في زمن قليل فيسرعون نحو الجبهة التي أقبل منها العدو للتصدي له ومنعه من التسلل^(٤).

وفيما يتعلق بحماية الحدود بين المسلمين والروم في الجبهة المصرية لإدارة عمر رضي الله عنه، فقد شملت الرعاية والعناية كمثيلاتها من الجبهات الأخرى، فقد أمر عمرو بن العاص ببناء الفسطاط كقاعدة عسكرية أولى لإيواء جند المسلمين بالمنطقة، وجعل لكل قبيلة محرسًا وعريفًا، فمنها كان المنطلق في الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا بالإضافة إلى كونها إحدى الحاميات الدفاعية المهمة للثغر المصري إلى ما هنالك من مهام تضطلع بها، واشترط عمر رضي الله عنه في موقعها، كما اشترط في مواقع القواعد السابقة، بأن لا يفصل بينها وبين القيادة العليا المركزية بالمدينة ماء حتى يكون الاتصال بينهما مستمرًا وميسرًا^(٥)، وكان عمرو بن العاص يُذكّر جنوده بأن مقامهم بمصر عبارة عن رباط وذلك في قوله: اعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة؛ لكثرة الأعداء حولكم، وتشوق قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية. وفي الفترة التي استولى فيها جند المسلمين على الحصون والمسالح التي بالثغر المصري قاموا بتجديدها وترميمها والاستفادة منها في مرابطتهم؛ حيث

(١) طرسوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية.

(٢) مرقية: قلعة حصينة في سواحل حمص.

(٣) بلنياس: كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

(٤) فتوح البلدان (١/١٥٠ - ١٥٨).

(٥) فتوح مصر، لابن عبدالحكم، والإدارة العسكرية (١/٤٦٢).

شحنوها بالجنود، وكان العريش أول مسالح مصر وأعمالها^(١)، وقد أمر الفاروق بإقامة المسالح على سواحل مصر كلها^(٢)، وحينما فتح عمرو بن العاص ثغر الإسكندرية جعل به ألف رجل من أصحابه مسلحة به لحفظه وحمايته، وكان عددهم لا يفي بالغرض المطلوب مما جعل الروم يعودون إليهم من البحر، فقتلوا من قتلوا من أصحاب المسلحة وهرب من هرب، فرجع إليهم عمرو بن العاص مرة أخرى وفتح الثغر، وجعل من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع الجيش؛ كما جعل في السواحل الربع الآخر وأبقى معه بالفسطاط النصف الآخر^(٣)، وكان الفاروق يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة المنورة بثغر الإسكندرية ويكاتب الولاة بأن لا تغفل عنها، وأن تكثف رابطتها إضافة إلى من جعل بها عمرو بن العاص من المرابطين^(٤)؛ وبذلك استكمل عمر رضي الله عنه فقهه البعيد في حماية الحدود البرية وتحصينها في الجبهات الثلاث العراقية والشامية والمصرية^(٥)، ولم يقتصر الأمر على هذه الوسائل الدفاعية لحماية الحدود الإسلامية، بل أنشأ عمر رضي الله عنه نظام الصوائف والشواتي؛ وهي الحملات التي كانت تخرج بانتظام سنويًا كالدوريات المنظمة في فصل الصيف وفي فصل الشتاء^(٦)، ولم تقتصر حملات الشواتي والصوائف على ثغور بلاد الشام بل شملت جميع حدود الدولة الإسلامية حينئذ، وكان يتولاها كبار القادة أمثال أبي عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبي سفيان، والنعمان بن مقرن، وغيرهم كثير^(٧)، وكان الفاروق يزيد في الأرزاق والأعطيات للجنود الذين يبعثون إلى الثغور للمرابطة بها؛ حتى تعينهم على تحمل بعدهم، ويقطعهم القطائع بها^(٨)، ونرى قادة

(١) تاريخ اليعقوبي ص (٣٣٠).

(٢) البداية والنهاية (١٠٣/٧).

(٣) البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، سعاد ماهر ص (٧٧).

(٤) فتوح مصر ص (١٩٢)، الخطط، للمقرئزي (١٦٧/١).

(٥) الإدارة العسكرية (٤٦٤/١).

(٦) فتوح البلدان، للبلاذري (١٩٤/١، ١٩٥).

(٨) الفن الحربي في صدر الإسلام، عبدالرؤف عون ص (٢٠١)، الإدارة العسكرية (٤٦٥/١).

الفاروق رضي الله عنه في إدارتهم العسكرية للمعارك يقسمون لأهل المسالح من الفياء مثل الذي يقسم لهم؛ لأنهم كانوا ردةً للمسلمين؛ لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه ^(١)، وحين حضرت الخليفة عمر رضي الله عنه الوفاة قال موصيًا الخليفة من بعده: وأوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار خيرًا فإنهم ردة الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم ^(٢).

• الفاروق القائد يستنصر لجنده:

لما أبطأ على عمر رضي الله عنه خبر نهاوند والنعمان بن مقرن، كان عمر رضي الله عنه يستنصر، وكان الناس يرون من استنصاره.

قال جبير بن حية: «كان عمر - رضوان الله عليه - بالمدينة يدعو الله، و ينتظر مثل صيحة الجبلى» ^(٣)، وانظر إلى حزنه العميق عندما علم باستشهاد أئمة المجاهدين وصالحيهم في نهاوند، كما جاء في خبر جبير بن حية: «... فكتب حذيفة بالفتح مع رجل من المسلمين، فلما قدم عليه قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذل فيه الشرك وأهله.

قال عمر: النعمان بعثك؟ قال: احتسب النعمان يا أمير المؤمنين. فبكى عمر، واسترجع، وقال: ومن وعك؟ فقال: فلان، وفلان، وفلان. حتى عد الناس، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم. فقال عمر - رضوان الله عليه - وهو يبكي: لا يضرهم أن لا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم» ^(٤). هذا الحزن الصادق عرفه القاضي والداني وأرخت به الأيام حتى يقول سعيد بن المسيب: «إني لأذكر عمر بن الخطاب حين نعى النعمان بن مقرن» ^(٥).

(١) الإدارة العسكرية (٤٦٥/٢)، تاريخ الطبري (١٣٤/٤).

(٢) مناقب أمير المؤمنين، لابن الجوزي ص (٢١٩، ٢٢٠).

(٣) حسن: رواه ابن حبان (٤٧٣٦)، وفيه ابن فضالة، وهو صدوق.

(٤) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٨)، وابن حبان (٤٧٣٦)، والطبري في (تاريخه) (١٤٣/٤).

(٥) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٢١/٨)، والبخاري في (التاريخ الصغير) (٥٦/١).

● وانظر إليه وهو يؤدب جنده ويعلمهم صدق التوكل على الله ﷻ واستنصاره:

عن عياض الأشعري رضي الله عنه قال: شهدت اليرموك، وعلينا خمسة أمراء؛ أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض - وليس بعياض الأشعري .. قال: قال عمر: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه أنه قد جاش إلينا الموت واستمددناه، فكتب إلينا:

إنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإنني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحصن جندًا، الله ﷻ فاستنصروه، فإن محمدًا صلوات الله عليه قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تراجعوني.

قال: فقاتلناهم فهزمتهم، وقتلناهم أربع فراسخ، وأصبنا أموالاً^(١).

● الفاتح المجاهد في الشام يلقي الدرر على مسامع جنده:

قال طارق بن شهاب: «لَمَّا قَدِمَ عَمْرُ الشَّامِ أْتَتْهُ الْجُنُودُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَخِفَانٌ وَعِمَامَةٌ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ بَعِيرِهِ يَخُوضُ الْمَاءَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَلْقَاكَ الْجُنُودُ وَبِطَارِقَةِ الشَّامِ وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟! قَالَ: فَقَالَ عَمْرٌ: إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَلَنْ نَلْتَمِسَ الْعِزَّ بغيرِهِ»^(٢).
وفي رواية أخرى يقول ابن شهاب:

لَمَّا قَدِمَ عَمْرُ الشَّامِ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ، وَنَزَعَ مُوقِيَهُ فَأَمْسَكَهَا بِيَدِهِ، وَخَاضَ الْمَاءَ، وَمَعَهُ بَعِيرُهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عبيدة: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا. فَصَكَ عَمْرٌ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: أَوْه! لَوْ غَيْرَكَ يَقُولُهَا يَا أَبَا عبيدة، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذْلَ النَّاسِ وَأَحْقَرَ النَّاسِ، وَأَقْلَ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُونَ الْعِزَّ بغيرِهِ يَذَلُّكُمْ اللَّهُ ﷻ»^(٣).

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤٩/١)، وابن أبي شيبة (٣٥/٨)، وابن حبان (٤٧٤٦)، والطبري في تاريخه (١٢٦/٣).

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في (مصنفه) (٣٩/٨)، وابن عساكر (٢/٥٢).

(٣) صحيح: أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣/٥٢).

● فارس الإسلام وفاروقه يُخرج اليهود من جزيرة العرب:

كان مما أوصى به رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل موته إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وقد قام بتنفيذ هذه الوصية الغالية فاروقُ الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: أوصى النبي صلّى الله عليه وآله عند موته فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»^(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعتُ النبي صلّى الله عليه وآله يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»^(٢).
وجزيرة العرب: هي مكة والمدينة، واليامة واليمن.

وقال الأصمعي: جزيرة العرب من أقصى عدن أين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جُدَّة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام^(٣)، فكيف تم إخراج اليهود في عهد عمر رضي الله عنه.

عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهودُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أن يقرهم بها على أن يكفوه عملها، ولهم نصف الثمر. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «نقركم على ذلك ما شئنا»، وفي رواية أخرى: «نقركم ما أقرّكم الله»^(٤).

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٥/٤، ١٢١)، ومسلم (١٦٣٧)، وأبو داود (٣٠٢٩)، والحميدي (٥٢٦)، وأحمد (٢٢٢/١)، وعبدالرزاق في (مصنفه) (١٩٣٧١)، والبخاري (٢٧٥٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٦٧)، وأبو داود (٣٠٣٠)، والترمذي (١٦٠٧)، وأحمد (٢٩/١)، وعبدالرزاق (٩٩٨٥)، (١٩٣٦٥)، والبخاري (٢٧٥٦).

(٣) شرح السنة، للبخاري (١١/١٨١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١/٣، ٢٥٢)، ومسلم (٢٥٥١)، وأحمد (١٤٩/٢)، وعبدالرزاق في (مصنفه) (٩٩٨٩)، والبخاري في (شرح السنة) (٢٧٥٧)، والبيهقي في (الدلائل) (٢٣٤/٤)، والسنن الكبرى (٢٠٧/٩)، وابن عبد البر في (التمهيد) (٤٦٤/٦).

فأقروا حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء^(١) وأريحاء^(٢).

فلما كان زمان عمر غشوا المسلمين، وألقوا ابن عمر من فوق بيت، ففدعوا^(٣) يديه، فلما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً، فقال: إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «نفركم ما أقركم الله»، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فغدي عليه من الليل، ففدعت يده ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم.

فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق وهو رئيسهم فقال: يا أمير المؤمنين، أخرجنا، وقد أقرنا محمد، وعاملنا على الأموال، وشرط ذلك لنا؟! فقال عمر: أظننت أنني نسيْتُ قولَ رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوبك ليلة بعد ليلة؟»^(٤).

فقال: كان ذلك هزيمة من أبي القاسم!

فقال: كذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من التمر مالا، وإبلاً، وغروصاً من أقتاب، وحبال، وغير ذلك.

فأين نحن من عمر.. بل من شسع عمر... يهود ولا عمر لهم؟!!

أهذه القدس والأقصى يزئنها مسرى النبي أفيها ساجد عمر

أم أورشليم يهوذا بات يحكمها وهيكل الظلم في أحضانها نضر

لعل الله أن يمن على المسلمين بمن يسير بهم على درب الفاروق فيخرج اليهود من

بيت المقدس وفلسطين.

(١) تيماء: بلدة معروفة بين الشام والمدينة على سبع أو ثمان مراحل من المدينة.

(٢) أريحاء: هي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس.

(٣) الفدع: هو زيف في الكف بينها وبين الساعد، وفي الرجل بينها وبين الساق.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥٢/٣)، والبيهقي في (الدلائل) (٢٣٤/٤).

● تمنى الفاروق للشهادة ونيله إياها:

عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أنها سمعت أباها يقول: اللهم ارزقني قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك. قالت: قلت: وأني ذلك؟! قال: إن الله يأتي بأمره أنى شاء. وفي رواية: يأتي به الله إن شاء ^(١).

فاستجاب الله للفاروق، ونال ثواب الشهادة.

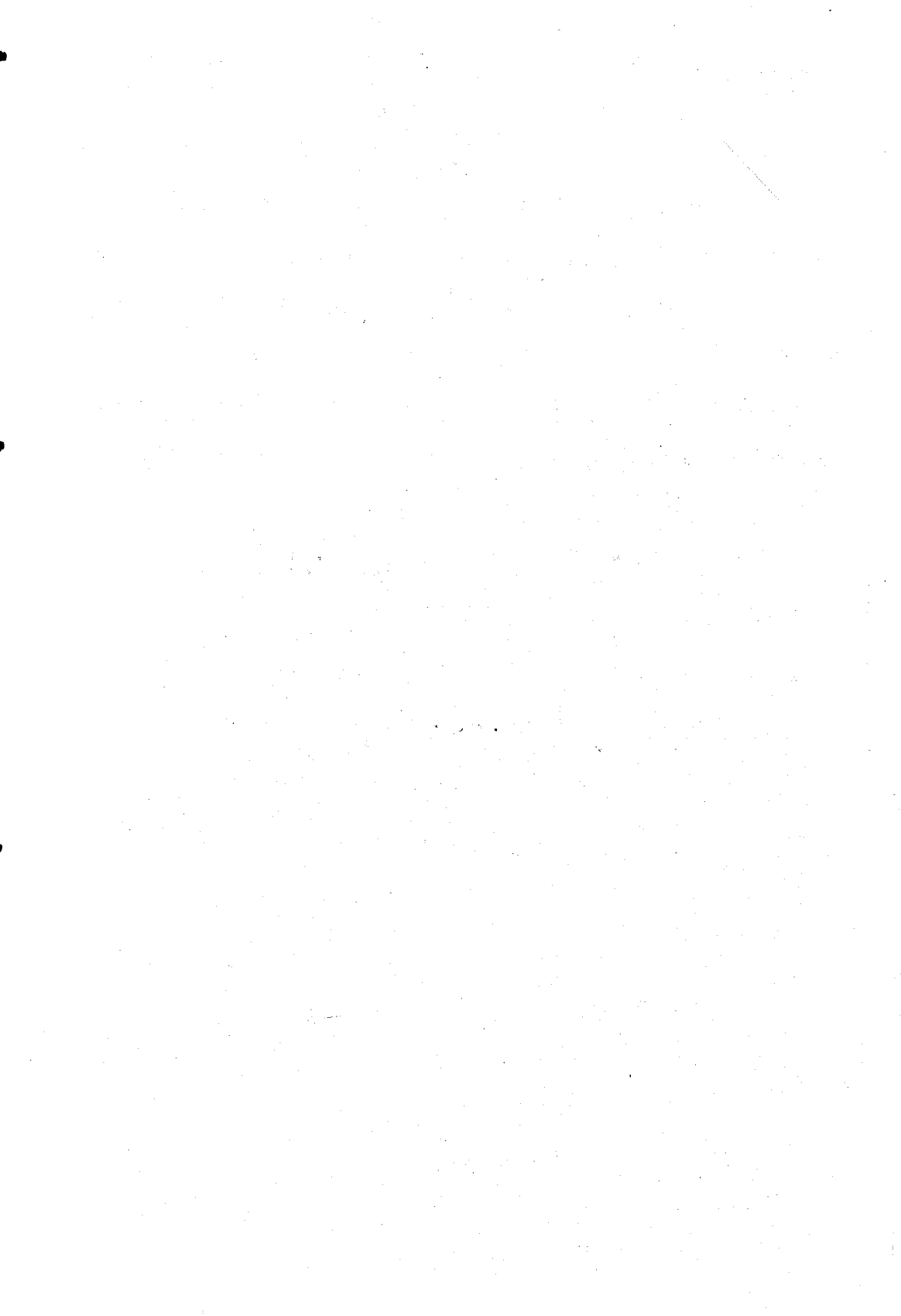
وفي رواية زيد بن أسلم - رحمه الله - عن أبيه عن عمر رضي الله عنه قال: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد نبيك» ^(٢).

* * *

(١) صحيح: أخرجه مالك في (الموطأ) (١٠٢١)، والبخاري في (صحيحه) (١٨٩٠)، وابن سعد في

(الطبقات) (٣٣١/٣) وابن شبة في (تاريخ المدينة) (٨٧٢/٣).

(٢) صحيح: أخرجه ابن سعد (٣٣١/٣)، وابن شبة (٨٧٨/٣).



المجاهد الشهيد ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

• كانت الفتوحات في عصره كالماء المنهمر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فقال: «أثبت أحد، وإنما عليك نبِّي وصدِّيق وشهيدان»^(١).

ذو النورين المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله... يقوم رضي الله عنه بتجهيز جيش العسرة كله، حتى لم يتركه بحاجة إلى خِطام أو عقال، قال ابن شهاب: «قدَّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسع مئة وأربعين بعيرًا، وستين فرسًا أتمَّ بها الألف»، إنه عثمان المهاجر من ماله.

عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان رضي الله عنه حين حُوصِرَ أشرف عليهم وقال: «أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنْشُدْ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم». أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَجَهَّزْتَهُ؟ قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ»^(٢).

وفي رواية أخرى: «أَذْكَرَكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: «مَنْ يَنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبِلَةً، وَالنَّاسَ مُجَاهِدُونَ مَعْسُرُونَ»، فَجَهَّزْتَ ذَلِكَ الْجَيْشَ؟ قَالُوا: نَعَمْ»^(٣).

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥)، وأبو داود (٤٦٥١)، والترمذي (٣٦٩٧)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في (فضائل الصحابة) (٣٢)، وأحمد في (فضائل الصحابة) (٢٤٦)، وفي (المسند) (١١٢/٣)، وأبو يعلى (٢٨٩/٥)، (٢٩٠).

(٢) صحيح لشواهده: رواه البخاري معلقًا (٢٧٧٨)، وذكر ابن حجر في (الفتح) (٤٠٧/٥): أنه موصول عند الإسماعيلي، ورواه الدارقطني موصولًا (١٩٩/٤).

(٣) عند النسائي (٢٣٦/٦)، (٢٣٧)، والدارقطني (١٩٩/٤)، والترمذي (٣٦٩٩)، وابن حبان في (الموارد) (٢١٩٨).

ومن حديث الأحنف بن قيس «... أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له»؛ يعني: جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقلاً ولا خطاماً؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد»^(١).

وعن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن عثمان بن عفان جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار في كُمه حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، فرأيت النبي ﷺ يُقبلها في حجره، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»^(٢).

«ما»: نافية بمعنى ليس؛ أي: ليس عليه ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة، والمعنى أنها مكفرة لذنوبه الماضية والآتية.

رضي الله عن عثمان ذي النورين، لقد جهز جيش العسرة بأكمله في زمان القيظ، وقلة الماء، والحاجة إلى العدة والعتاد.

يسرت للعسرة العشواء غزوتها	بالخيل والعيير فيها كل قرحان
وجئت بالمال في حجر النبي ولم	تكن على الملة الكبرى بمنان
ومن يعن ملة الإسلام في حرج	يكن له الله حسباً غير معوان
كأن مالك مال المسلمين متى	شاءوا فلست على شيء بخزان
فكنت عند رسول الله ناصره	يجلك العرب من قاصٍ ومن دان ^(٣)

● الفتوح في عهد عثمان كماء منهمر:

لله در الخليفة الكهل الذي بلغ السابعة والسبعين من عمره يوم يفكر ويخطط،

(١) حسن لغيره: أخرجه ابن أبي شيبة في (مصنفه) (٤٨٦/٧)، وابن خبان (٦٨٨١)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٣٠٣).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٨٥)، وأحمد (٦٣/٥)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٢٧٩)، والحاكم (١٠٢/٣) وصححه، وأقره الذهبي، والبيهقي في (الدلائل) (٢١٥/٥)، وابن عساکر في (تاريخ دمشق).

(٣) نقلًا عن (أحسن القصص، لعلي فكري) (١٥٨/٣).

ويعزم ويحزم، وكأتما قد حل داخل إهابه شباب التاريخ!!

هذا الخليفة العظيم الكهل الذي يبهر بمضاء عزمه حتى يجهز الجيوش للبحر،
وركب جنوده ثبج البحر مثل الملوك على الأسيرة في غزو قبرص، وفي غزوة ذات
الصواري.

قال رسول الله ﷺ: «أول جيش من أمتي يركبون البحر، وأول جيش من أمتي
يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»^(١).

وقال ﷺ: «عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر؛ كالمملوك على الأسرة»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «رأيت قوماً ممن يركب ظهر هذا البحر؛ كالمملوك على
الأسرة»^(٣).

وقال ﷺ: «ناس من أمتي غرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله، يركبون ثبج^(٤) هذا
البحر ملوكاً على الأسرة»^(٥).

وقال ﷺ: «غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز^(٦) البحر
فكأنما أجاز الأودية كلها، والمائد^(٧) فيه؛ كالمشحط^(٨) في دمه»^(٩).

(١) رواه البخاري عن أم حرام بنت ملحان.

(٢) رواه البخاري عن أم حرام.

(٣) صحيح: رواه أبو داود عن أم حرام، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٤٧٣).

(٤) ثبج: وسط.

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي عن أنس، وأحمد في (مسنده)، ومسلم، والنسائي، وابن

ماجه عن أم حرام.

(٦) أجاز: احترق.

(٧) هو الذي يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة.

(٨) المذبح المتلطخ بدمه.

(٩) صحيح: رواه الحاكم في (المستدرک) عن ابن عمرو، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم

- سارت جيوش الخليفة تحت راياتها المنتصرة إلى كل مكان: فمعاوية يُوغل في بلاد الروم حتى يقرع أبواب «القسطنطينية» ذاتها، وإلى فارس، وكرمان، وسجستان، ومرو، يزحف ابن عامر، والأحنف بن قيس، والأقرع بن حابس، ومُهدت الأرض لزحف المسلمين حتى بلغوا السودان والحبشة في الجنوب، والهند والصين في المشرق، وخلال عهده رضي الله عنه بلغت الفتوحات أبعد الآماد، وأرحب الآفاق^(١).

سجل الفتوحات في عهد الشهيد ذي النورين

- سنة أربع وعشرين: فيها افتتح أبو موسى الأشعريّ الرّي، وكانت قد فُتحت على يد حذيفة، وسويد ابن مقرن، فانتقضا^(٢).
- وفيها: غزا الوليد بن عقبة أذربيجان، وأرمينية؛ لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه، فسبى وغنم ورجع^(٣).
- وفيها: استمد أمراء الشام من عثمان رضي الله عنه مددًا، فأمدهم بشمانية آلاف من العراق، فمضوا حتى دخلوا إلى أرض الروم مع أهل الشام، وعلى أهل العراق سلمان بن ربيعة الباهلي، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري، فشنوا الغارات، وسبوا وافتتحوا حصونًا كثيرة^(٤).
- سنة خمس وعشرين: فيها سار الجيش من الكوفة عليهم سلمان بن ربيعة إلى بَزْذعة، فقتل وسبى^(٥).

(١) انظر: رجال حول الرسول، لخالد محمد خالد.

(٢) انظر: تاريخ خليفة (١٥٧)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٣٠٧/٣).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢٤٦/٤)، وتاريخ الإسلام (٣٠٩/٣).

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٢٤٧/٤)، وتاريخ الإسلام (٣٠٩/٣).

(٥) تاريخ خليفة (١٥٨)، وتاريخ الإسلام (٣١٢/٣).

وفيها: انتقض أهل الإسكندرية فغزاهم عمرو بن العاص أمير مصر وسباهم، فردَّ عثمان السبي إلى ذمتهم، وكان ملك الروم بعث إليها منوِيل الحَصِي في مراكب فانتقض أهلها - غير المقوقس - فغزاهم عمرو في ربيع الأول، فافتتحها عنوة غير المدينة، فإنها صلح^(١).

وفيها: استأذن ابن أبي سرح عثمان في غزو إفريقية فأذن له^(٢).

● سنة ست وعشرين:

فيها: فُتحت سابور وأميرها عثمان بن أبي العاص^(٣).

● سنة سبع وعشرين:

فيها غزا معاوية بن أبي سفيان قبرص، فركب البحر بالجيوش، وأكمل ابن أبي سرح غزو إفريقية^(٤).

● سنة ثمان وعشرين:

فيها: غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم^(٥).

وفيها: غزا الوليد بن عقبة أذربيجان مرة أخرى، فصالح أهلها مثل صلح حذيفة^(٦).

● سنة تسع وعشرين:

فيها: افتتح عبدالله بن عامر إصطخر عنوة فقتل وسب كثيرًا.

وفيها: انتقضت أذربيجان فغزاهم سعيد بن العاص فافتتحها^(٧).

وفيها: غزا ابن عامر وابن بديل الخزاعي أصبهان^(٨).

(١) تاريخ خليفة (١٥٨)، وتاريخ الطبري (٢٥٠/٤).

(٢) تاريخ الإسلام (٣١٢/٣).

(٣) تاريخ خليفة (١٥٨)، وتاريخ الإسلام (٣١٥/٣).

(٤) تاريخ خليفة (١٦٤)، وتاريخ الإسلام (٣١٧/٣، ٣١٩).

(٥) تاريخ الطبري (٢٦٣/٤)، وتاريخ الإسلام (٣٢٤/٣).

(٦) تاريخ خليفة (١٦٠)، وتاريخ الإسلام (٣٢٤/٣).

(٧) ، (٨) تاريخ خليفة (٦٣)، وتاريخ الإسلام (٣٢٦/٣).

● سنة ثلاثين:

فيها فُتحت جور من أرض فارس على يد ابن عامر، فغنم كثيرًا.
وفيها: افتتح ابن عامر بلادًا كثيرة من أرض خراسان^(١).

وسار الأحنف بن قيس في أربعة آلاف، فجمع له أهل طخارستان، وأهل الجوزجان، والفارياب فاقتتلوا قتالًا شديدًا، ثم هزم الله المشركين وكان النصر، ثم سار الأحنف بن قيس على بلخ فصالحوه، ثم أتى خوارزم فلم يُطعها ورجع، وفتحت هراة، وفتح ابن عامر مرو صلحًا^(٢).

● سنة إحدى وثلاثين:

وفيها: فُتحت نيسابور صلحًا.

وفيها: معركة الأساور، فغزا عبدالله بن أبي سرح من مصر في البحر، وسار فيه إلى ناحية مصيصة^(٣).

● سنة اثنين وثلاثين:

وفيها: كانت وقعة المضيق بالقرب من القسطنطينية، وأميرها معاوية رضي الله عنه^(٤).

● سنة ثلاث وثلاثين:

فيها: غزا معاوية ملطية وحصن المروة من أرض الروم^(٥).

وفيها: غزا ابن أبي سرح الحبشة^(٦).

(١) تاريخ خليفة (١٦٣)، وتاريخ الإسلام (٣/٣٢٩).

(٢) تاريخ خليفة (١٦٥، ١٦٦)، وتاريخ الطبري (٤/٢٦٩، ٣٠١)، وتاريخ الإسلام (٣/٣٣٠).

(٣) تاريخ الطبري (٤/٢٨٨)، وتاريخ الإسلام (٣/٣٦٣، ٣٦٤).

(٤) تاريخ الإسلام (٣/٣٧١).

(٥) تاريخ خليفة ص (١٦٧)، وتاريخ الإسلام (٣/٤١٥).

(٦) تاريخ الإسلام (٣/٤١٦).

● سنة أربع وثلاثين:

فيها كانت غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية وأميرها ابن أبي سرح (١).

● سنة خمس وثلاثين:

فيها: غزوة ذي حُشب، وأميرها معاوية رضي الله عنه.

وفيها: استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بمقتله؛ لينال أجر الشهادة رضي الله عنه.

* * *



البطل الشهيد.. حيدرة الأبطال
الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(١). قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» «٧٤/٧»: «وقد روينا عن الإمام أحمد قال: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي».

روى البخاري عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة.

وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿هَذَا نِ حَصَمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ الآية. قال: «هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة - أو أبو عبيدة - بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة»^(٢).

«وعن علي قال: تقدم - يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: مَنْ يُبَارِزُ؟ فانتدب له شبابٌ من الأنصار، فقال: مَنْ أَنْتُمْ؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِي، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ»، فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأئخن كل واحدٍ منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد، فقتلناه واحتملنا عبيدة»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» «٢٩٨/٧»: فيه فضيلة ظاهرة لحمزة وعلي

(١) رواه مسلم (٢٤١٧)، والترمذي (٣٦٩٦)، وقال: (هذا حديث صحيح)، وأحمد في (المسند) (٢/٤١٩).

(٢) وفي (فضائل الصحابة) (١٠٦١)، والنسائي في (فضائل الصحابة) (١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٦٥)، وعزاه المزي للنسائي.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٦٥)، وأحمد (١١٧/١).

وعبيدة بن الحارث رضي الله عنه

وانظر- بريك- إلى الفارس الشاب.. علي بن أبي طالب، وإلى قتلاه يوم بدر، فقد قتل بعد شبيبة، والوليد: العاص بن سعيد بن العاص، وعامر بن عبدالله النمري، وطعيمة بن عدي بن نوفل، وزمعة بن الأسود بن المطلب، ونوفل بن ثؤيلد بن أسد وهو أخو أم المؤمنين خديجة - وكان من شياطين قريش -، وعقيل بن الأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث قتله صَبْرًا بعد المعركة، وعُمير بن عثمان بن عمرو، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، وأبا قيس بن الفاكهة بن المغيرة، وحاجب بن السائب بن عويمر، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة، والعاص بن مُتَيْبَةَ بن الحجاج، وأوس بن مِعْيَرِ بن لَوْذَانَ؛ خمسة عشر رجلاً قتلهم حَيْدَرَةٌ.. علي بن أبي طالب في يوم بدر.
عن أبي إسحاق: «سأل رجل البراء- وأنا أسمع- قال: أشهد عليّ بدرًا؟ قال: بارز وظاهر (١)» (٢).

● وفي أحد:

ثبت علي رضي الله عنه مع النبي ثبات الأبطال، وقتل علي أبا أمية بن حذيفة بن المغيرة، وعبدالله بن حميد بن زهير.

● قتل عليّ لعمر بن عبد ود فارس قريش في يوم الأحزاب:

كان عمرو بن عبد ود العامري كبش الكتيبة؛ قد حضر معركة بدر الكبرى، وذاق مرارة الهزيمة بعد أن جرح في المعركة، فنذر أن لا يَمَسَّ رأسه دُهنًا حتى يقتل محمدًا؛ ولهذا كان أول الفرسان المقتحمين بخيلهم الخندق نحو المسلمين، ومعه فوارس من قريش، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُغْنِقُ (٣) نحوهم.

(١) ظاهر: أي لبس درعًا على درع.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٧٠).

(٣) تُغْنِقُ؛ أي: تُسرِع.

قال ابن إسحاق: «كان عمرو بن ود العامري - وهو كبش الكتبية - قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدًا، فلما كان يوم الخندق خرج مُعلِّمًا ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب».

وعند البيهقي في «دلائل النبوة»: «خرج عمرو بن عبد ود وهو مُقنَّع بالحديد، فنادى: مَنْ يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب فقال: أنا لها يا نبي الله. فقال: «إنه عمرو، اجلس»، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يُؤنِّبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه مَنْ قُتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليّ رجلاً؟! فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «اجلس»، ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بُحِثُ من النداء
ووقفْتُ إذ جَبُنَ المشجِعُ
ولذاك إنني لم أزل
إن الشجاعة في الفتى
لجمِعهم هل من مُبارزٍ
موقفَ القرنِ المناجِزِ
متسرِّعًا قبلَ الهزاهزِ
والجود من خيرِ الغرائزِ

قال: فقام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله، أنا. فقال: «إنه عمرو»، فقال: وإن كان عمراً. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تَفَجَلُنْ فَقدَ أتاك
في نيّةٍ وبصيرةٍ
إنني لأرْجُو أن أقيـ
من ضربةٍ نجلاءٍ يَبـ
مُجيبُ صَوْتِكَ غيرُ عاجزِ
والصدقُ مَنْجِي كلِّ فائزِ
مَ عليك نائِحَةُ الجنائزِ
قَى ذكرها عندَ الهزاهزِ^(١)

ولما مشى علي إلى عمرو ليجارزه قال له: يا عمرو، إنك كنت تقول: لا يدعوني أحدًا إلى واحدةٍ من ثلاثٍ إلا قبلتها. قال له: أجل. فقال له: إنني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتُسَلِّمَ لرب العالمين. فقال عمرو: يا بن أخي، أخز عني هذه. قال علي: وأخرى: ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد رسول الله

صَادِقًا كُنْتَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا كَانَ الَّذِي تَرِيدُ. فَقَالَ عَمْرُو: هَذَا مَا لَا تَتَحَدَّثُ بِهِ نِسَاءُ قَرِيشٍ أَبَدًا، كَيْفَ وَقَدْ قَدَرْتُ عَلَى اسْتِيفَاءِ مَا نَذَرْتُ؟! ثُمَّ قَالَ عَمْرُو: فَالثَّلَاثَةُ، مَا هِيَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: الْبِرَازُ. فَضَحِكَ فَارِسُ قَرِيشٍ عَمْرُو. وَكَانَ فَارِسًا مَشْهُورًا مُعَمَّرًا قَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ: إِنَّ هَذِهِ الْخِصْلَةَ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَرُوُّعَنِي بِهَا. ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ لَهُ: أَنَا عَلِيٌّ. قَالَ: ابْنُ عَبْدِ مَنْفَى؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ عَمْرُو: يَا ابْنَ أَخِي مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: وَلَكِنِّي - وَاللَّهِ - أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ غَضِبَ عَمْرُو غَضَبًا شَدِيدًا، وَنَزَلَ فَسَلَّ سَيْفَهُ، كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ نَارٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ عَلِيٍّ مُغَضَّبًا، وَاسْتَقْبَلَهُ عَلِيٌّ بِدَرَقَتِهِ فَضْرِبَهُ عَمْرُو فِي دَرَقَتِهِ فَقَدَهَا، وَأَثْبَتَ السَّيْفَ فِيهَا، وَأَصَابَ رَأْسَهُ فَشَجَّهُ، وَضْرِبَهُ عَلِيٌّ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ فَسَقَطَ، وَثَارَ الْعَجَاجُ، وَسَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّكْبِيرَ، فَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ قَتَلَ عَمْرًا، فَثَمَّ يَقُولُ عَلِيٌّ:

أَعْلِيٌّ تَقْتَحِمُ الْفَوَارِسَ هَكَذَا عَنِي وَعَنْهُمْ أَخْرَوْا أَصْحَابِي
 الْيَوْمَ يَمْنَعُنِي الْفِرَازَ حَفِيظَتِي وَمُضَمَّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي
 وَأَلْقَى عِكْرَمَةَ رِمْحِهِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مَنهَزَمٌ عَنِ عَمْرُو، فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ:
 فَرٍ وَأَلْقَى لَنَا رِمْحَهُ لَعَلَّكَ عِكْرَمٌ لَمْ تَفْعَلِ
 وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظُّلِيِّ مَ مَا أَنْ يَحُورَ عَنِ الْمَعْدِلِ
 وَلَمْ تَلَوْ ظَهْرَكَ مَسْتَأْنَسًا كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فَرْعَلٍ^(١)

قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: هَلَا اسْتَلَبْتَ دَرَعَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ دَرْعٌ خَيْرَ مِنْهَا. فَقَالَ: ضْرِبْتَهُ فَاتَّقَانِي بِسَوْعَتِهِ فَاسْتَحْيَيْتُ - ابْنَ عَمِي - أَنْ أَسْلِبَهُ.

وَبَعَثَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشْتَرُونَ جَيْفَتَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ، فَقَالَ: «ادْفَعُوا إِلَيْهِمْ جَيْفَتَهُ؛ فَإِنَّهُ خَيْثُ الْجَيْفَةِ، خَيْثُ الدِّيَةِ»، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا.

● علي عليه السلام صاحب الراية يوم خيبر الذي يفتح الله عليه:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه». قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورت لها رجاء أن أذعى لها. قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها. وقال: «امش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك»، فسار علي شياً، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(١).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدركون ليلتهم، أيهم يُعطاهما؟ فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، كلهم يرجو أن يُعطاهما، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُرُ النعم»^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٤٠٥)، وأخرجه أحمد (٣٨٤/٢)، وفي (الفضائل) (١٠٣٠، ١٠٣١)، والنسائي في (الخصائص) (١٨، ١٩، ٢٠)، والقطيعي في (زيادات الفضائل) (١٠٤٤، ١٠٥٦، ١١٢٢)، والطيالسي (٢٤٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦)، والنسائي في (فضائل الصحابة)، وأحمد في (المستند) (٣٣٣/٥)، وفي (فضائل الصحابة) (١٠٣٧)، والنسائي في (الخصائص) (١٦)، وأبو يعلى (١/٢٩١، ٢٩٢).

وعند البخاري عن سلمة، قال: «كان عليّ قد تخلف عن النبي ﷺ في خير، وكان به رمدٌ، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ! فخرج عليّ فالحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتحتها الله في صباحها، قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «لَأُعْطِيَنَّ الرَايَةَ - أَوْ لِيَأْخُذَنَّ الرَايَةَ - غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولَهُ - أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ - يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ»، فإذا نحن بعلي، وما نرجوه، فقالوا: هذا علي. فأعطاه رسول الله ﷺ الراية، ففتح الله عليه»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها، ثم قال: «مَنْ يَأْخُذُهَا بِحَقِّهَا؟» فجاء فلان فقال: أنا. قال: «أَمْطُ»، ثم جاء رجلٌ فقال: «أَمْطُ»، ثم قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَأُعْطِيَنَّهَا رَجُلًا لَا يَفِرُّ، هَاكِ يَا عَلِيُّ»، فانطلقت حتى فتح الله عليه خير وفدك، وجاء بعجوتهما وقديدهما^(٢).

وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم: «ثم أرسلني رسول الله ﷺ إلى عليّ وهو أرمد، فقال: «لَأُعْطِيَنَّ الرَايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ، أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولَهُ». قال: فأتيْتُ عليًّا فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيتُ به رسول الله ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج «مرحب» فقال:

قد علمتُ خيبرُ أني مرحبُ شاكِي السلاحِ بطلٌ مجربُ
إذا الحروبُ أقبلتْ تلهُبُ

فقال عليّ:

أنا الذي سمّيتُ أُمِّي حَيْدَرَةَ^(٣) كَلَيْتِ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمُنْظَرَةَ
أَوْفِيَهُمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةَ

قال: فضرب رأس «مرحب» فقتله، وكان الفتح على يديه^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧).

(٢) حسن: أخرجه أحمد في (المسند) (١٦/٣)، وأخرجه أحمد في (فضائل الصحابة) (٩٨٧، ١٠٥٤).

(٣) حيدرة: الأسد.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

ومزحَب هذا: فارس فرسان اليهود، وكان مكتوبًا على سيفه بالعبرية:
 هَذَا سَيْفٌ مَرَحَبٌ مِنْ يَدِ قَهْ يَعْطَبُ
 فضربه عليٌّ فقدَّ الحجر والمغفر رأسه، ووقع السيف في الأضراس.
 وقبله قتل علي أخا مَرَحَب، وهو الحارث، وبارز عليٌّ قائدًا يهوديًا - بعد مبارزة
 الزبير لياسر - وكان هذا القائد الفارس يُسَمَّى عامرًا، فقتله عليٌّ أمام الحصن، قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله حين طلع عامرٌ: «تروونه خمسة أذرع؟» وكان طويلًا جسيمًا، فلما دعا
 للبراز، وخطر بسيفه، وعليه درعان، وهو مُقَنَّعٌ في الحديد يصيح: من يبارز؟ فأحجم
 الناس عنه، فبرز إليه عليٌّ فضربه ضرباتٍ، كل ذلك لا يصنع شيئًا، حتى ضرب ساقه
 فبرك، ثم ذَفَّفَ ^(١) عليه فأخذ سلاحه ^(٢).
 وفتح الله على يد عليٍّ بن أبي طالب حصن «ناعم» أقوى حصون خيبر.. فيا لعليٍّ
 مِنْ حَيْدَرَةٍ!!

وعن البراء قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله جيشين وأمر عليًّا أحدهما علي بن أبي طالب،
 وعلي الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا كان القتال فعليًّا، قال: فافتح عليٌّ حصنًا
 فأخذ منه جارية، فكتب معي خالدًا كتابًا إلى النبي صلى الله عليه وآله يشي به، قال: فقدمت علي
 النبي صلى الله عليه وآله فقرأ الكتاب فتغير لونه، ثم قال: «ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه
 الله ورسوله»، قال: قلت: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله الله، وإنما أنا
 رسول. فسكت ^(٣).

«وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لأعطين الراية رجلاً يحبه الله ورسوله
 - أو قال: يحب الله ورسوله»، فدعا عليًّا وهو أرمَد ففتح الله على يديه ^(٤).

(١) ذَفَّفَ عليه؛ أي: أجهز عليه.

(٢) موسوعة الغزوات الكبرى (خيبر)، لمحمد أحمد باشمیل ص (١٢٢).

(٣) صحيح بشواهده: أخرجه الترمذي (٣٧٢٥)، وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وابن أبي شيبة في (المصنف) (١٢١٦٨).

(٤) صحيح: أخرجه النسائي في (الخصائص) (٢١) وفي (فضائل الصحابة) (٤٧).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان أمام هوازن رجل جسيم على جمل أحمر في يده راية سوداء، إذا أدرك طعن بها، وإذا فاتته شيء من بين يديه دفعها من خلفه فأنفذه، فصمد له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار كلاهما يريداه، قال: فضربه عليّ على عرقوبي الجمل فوق علي عجزه. قال: وضرب الأنصاري ساقه. قال فطرح قدمه بنصف ساقه فوقه واقتل الناس»^(١).

السرايا التي بعثها النبي تحت إمرة علي

هذه السرايا تدل على شجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيادته الفذة: ولذا اختاره النبي قائداً على هذه السرايا:

- سرية علي بن أبي طالب إلى فدك في السنة السادسة من الهجرة: هذه السرية كانت مكونة من مئة رجل على رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أرسلها النبي إلى فدك إلى بني سعد بن بكر في شعبان من السنة السادسة من الهجرة، وكان قائد الأعداء هو رئيس القبيلة، وكانت النتيجة إحباط حشدهم مدداً ليهود خيبر، فهرب بنو سعد، وخلفوا خمس مئة بعير وألفي شاة غنمها المسلمون^(٢).
- سرية علي بن أبي طالب إلى الفلّس صنم طيئ في السنة التاسعة من الهجرة: أرسل النبي صلّى الله عليه وآله هذه السرية من مئة وخمسين رجلاً بإمرة علي بن أبي طالب على مئة وخمسين بعيراً إلى محلة آل حاتم الطائي بأرض طيئ على جبلهم «أجأ» في ربيع الآخر من السنة التاسعة إلى الفلّس صنم طيئ، وكان قائد المشركين عدي بن حاتم الطائي قبل إسلامه، وهدم علي بن أبي طالب الفلّس وعاد بالسيبي والنعم والشاء^(٣).

(١) حسن: أخرجه أبو يعلى (٣/٣٨٨)، وأحمد (٣/٣٧٦).

(٢) قادة النبي صلّى الله عليه وآله، لمحمد شيت خطاب ص (٦٥١).

(٣) المصدر السابق ص (٦٥٥).

● سرية علي بن أبي طالب إلى مَدَجَج في رمضان من السنة العاشرة: وكانت قوة السرية ثلاث مئة فارس إلى مَدَجَج باليمن، وقاتلهم علي وانتصر عليهم، وغنم منهم النَّعَم والشَّاء وأسر الأسرى، ثم أعلنوا إسلامهم^(١).

● قتال علي للمتأولين والمارقين والمبتدعة من الخوارج كلاب أهل النار: قال رسول الله ﷺ: «الخوارج كلاب أهل النار»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا جلوساً ننتظر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ - فخرج علينا من بعض بيوت نساءه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل علي تأويل هذا القرآن؛ كما قاتلت علي تنزله» فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: «لا، ولكنه خاصف النعل»، قال: فجئنا بنشره، قال: وكأنه قد سمعه^(٣).

وعن زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي عليه السلام الذين ساروا إلى الخوارج.

فقال علي عليه السلام: أيها الناس إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قُضي لهم على لسان نبيهم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ - لا تَكَلُّوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع، على رأس

(١) المصدر السابق ص (٦٥٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم عن ابن أبي أوفى، وأخرجه أحمد والحاكم عن أبي أمامة، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٣٤٧)، و(تخريج المشكاة) (٣٥٥٤).

(٣) حسن: رواه أحمد في (مسنده) (٨٢/٣)، وله شاهد عند الترمذي (٣٧١٥) من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام مرفوعاً.

عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله. قال سلمة بن كهيل: فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلّوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدونكم كما ناشدوكم يوم حروراء. فرجعوا فَوَحَّشُوا برماحهم وسلّوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقُتِل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلاً، فقال لهم علي عليه السلام: التمسوا فيهم الخدج. فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي عليه السلام بنفسه حتى أتى ناساً قد قُتِل بعضهم على بعض، قال: أخروهم. فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين: الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -؟ فقال: أي والله الذي لا إله إلا هو. حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له»^(١).

وعن علي عليه السلام: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم محدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»^(٢).

وفي أكثر روايات الصحيحين: «فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقسم قسماً؛ إذ أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم -، فقال: يا رسول الله اعدل.

(١) أخرجه مسلم ص (٧٤٨)، وأبو داود (٤٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)، وأبو داود (٤٧٦٧)، والنسائي (١١٩/٧)، وأحمد (٨١/١، ١١٣، ١٣١) وفي (الفضائل) (١١٩٨)، وأبو يعلى (٢٢٥/١، ٢٢٦)، والنسائي في (الخصائص) (١٧٣، ١٧٤).

فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنظر إلى رِضافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نِصْبِهِ - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قُدْذِهِ فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيْتُهُمْ رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد: فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمِسَ فَأُتِيَ به حتى نظرت إليه على نعت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - الذي نَعَتَهُ (١).

وقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «إن من ضئضئ (٢) هذا قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز (٣) حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون (٤) أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» (٥).

وقال عليه السلام: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم؛ يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود» (٦).

اجتمع الخوارج بعضهم إلى بعض في منزل عبد الله بن وهب الراسبي في الكوفة،

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤)، وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه ابن ماجه مختصرًا (١٦٩)، وأحمد (٥٦/٣).

(٢) أي: صلبه ونسله.

(٣) يتعداها.

(٤) أي: يسألونهم، من الموادة.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أبي سعيد.

(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أبي سعيد.

وقال عبدالله بن وهب الراسبي: «أخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة»، وقال حمزة ابن سنان الأسدي: «وَلَوْ أَمْرُكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكُمْ مِنْ عِمَادٍ وَسِنَادٍ وَرَايَةٍ تَخْفُونَ بِهَا وَتَرْجِعُونَ إِلَيْهَا»، فتولى عبدالله بن وهب القيادة، وتقرر الخروج إلى جسر النهراون، والكتابة إلى خوارج البصرة للانضمام إليهم، فاستجاب لهم خمس مئة من خوارج البصرة، تولى قيادتهم مسعر بن فدكي التميمي، والتحق بهم آخرون، وهددوا أمن البلاد بشكل خطير، فلم يعد باستطاعة أمير المؤمنين علي عليه السلام تجاهلهم. كانت خوارج الكوفة قد سبقت إلى «جسر النهر»، وأقامت معسكرها هناك، ثم سارت خوارج البصرة للانضمام إلى خوارج الكوفة، وعندما اقتربت من النهر، خرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟

قال: أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض - وكان سقط عنه لما أفزعوه - فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم. قالوا له: لا روع عليك! فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعل الله ينفعنا به! فقال: حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً»، فقالوا: لهذا الحديث سألتناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً، وعادوا فسألوه: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها. وسألوه: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ فرد عليهم عبدالله بن خباب: «إنه أعلم بالله منكم، وأشد توفيقاً على دينه، وأنفذ بصيرة»، فقالوا له: «إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً»، فأخذوه، فكشفوه، ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل قد كثر حمله فسقطت منه رطبة، فأخذها

أحدهم فقتلها في فمه، فقال له أحدهم: بغير جِلِّها أخذتها وبغير ثمن. فلفظها وألقاها من فمه، ثم أخذ سيفه، فمر به خنزير لأهل الذمة، فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فأتى صاحب الخنزير، فأرضاه من خنزيره، فلما رأى ذلك منهم عبدالله بن خباب، قال: «لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم بأس، إني لمسلم، ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد أمتموني عندما قلتم: لا روع عليك!»، فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: «إني إنما امرأة، ألا تتقون الله!»، فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ، وقتلوا أم سنان الصيداوية. علم أمير المؤمنين علي بما فعله الخوارج، فأرسل إليهم الحارث بن مرة العبدي لمعرفة حقيقة ما حدث، فلما جاء الحارث إلى الخوارج قتلوه، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، وأرسل علي عليه السلام إلى الخوارج: «ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام، فلعن الله يقلب قلوبكم، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم»، فبعثوا إليه ردهم: «لكننا قتلناهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم».

ولما خرجت الخوارج على علي وكانوا ثمانية آلاف من قراء الناس، ونزل بحروراء فناظرهم علي، فرجع منهم أربعة آلاف فيهم عبدالله بن الكواء، فبعث علي إلى الآخرين أن يرجعوا فأبوا، فأرسل إليهم: كونوا حيث شئتم، وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دم حراماً، ولا تقطعوا سبيلاً، ولا تظلموا أحداً، فإن فعلتم نبذتم إليكم الحرب.

قال عبدالله بن شداد: فوالله ما قتلهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم الحرام، وذلك بقتلهم عبدالله بن خباب بن الأرت، وبقروا بطن سُرَيْيَةَ.

«وفي الأوسط، للطبراني»: عن جندب بن عبدالله البجلي، قال: لما فارقت الخوارج علياً، خرج في طلبهم، فانتبهينا إلى عسكرهم، فإذا لهم دويي كدويي النحل من قراءة القرآن، وإذا فيهم أصحاب البرانس. أي: الذين كانوا معروفين بالزهد

والعبادة. قال: فدخلني من ذلك شدة، فنزلت عن فرسي، وقمتُ أصلي، فقلتُ: اللهم إن كان في قتال هؤلاء القوم لك طاعة فائذن لي فيه، فمرّ بي عليّ، فقال لما حاذاني: تعوذُ بالله من الشكِّ يا جنذب. فلما جئتهُ أقبل رجلٌ عليّ بزُدُونِ يقول: إن كان لك بالقوم حاجة، فإنهم قد قطعوا النهر. قال: ما قطعوه. ثم جاء آخر كذلك، ثم جاء آخر كذلك. قال: لا، ما قطعوه، ولا يقطعونه، وليقتلنَّ مَنْ دونه عهدٌ من الله ورسوله. قلتُ: الله أكبر. ثم ركبنا فسايرته، فقال لي: سأبعث إليهم رجلاً يقرأ المصحف يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيهم، فلا يُقبل علينا بوجهه حتى يرشقوه بالنبل، ولا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة. قال: فانتبهينا إلى القوم، فأرسل إليهم رجلاً فرماه إنسان، فأقبل علينا بوجهه فقعده، وقال عليّ: دونكم القوم. فما قُتل منّا عشرة ولا نجا منهم عشرة».

وفي رواية زيد بن وهب: «فقال عليّ: التمسوا فيهم الخرج. فالتمسوه فلم يجدوه، فقام عليّ بنفسه حتى أتى ناساً قد قُتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم. فوجده ممّا يلي الأرض، فكبّر، ثم قال: صدقَ الله وبلغَ رسوله».

وفي رواية عبيد الله بن أبي رافع: «فلما قتلهم عليّ قال: انظروا. فنظروا، فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا؛ فوالله ما كُذبت، ولا كُذبت. مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه»، [أخرجها مسلم].

وفي رواية للطبري من طريق زيد بن وهب: «فقال عليّ: اطلبوا إذا التديّة. فطلبوه فلم يجدوه، فقال: ما كُذبت ولا كُذبت، اطلبوه. فطلبوه، فوجدوه في وَهْدَةٍ من الأرض، عليه ناس من القتلى، فإذا رجل على يده مثل سبلات السنور، فكبّر عليّ والناس، وأعجبه ذلك»^(١). وفرح الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ما كانوا يجدونه.

وفي رواية أخرى: «تَوَجَّهَ قيس بن سعد بن عبادة في محاولة لتجنب سفك الدماء، وخاطب الخوارج فكان مما قاله لهم: عباد الله! أخرجوا إلينا طلبتنا منكم،

وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم، فإنكم ركبتم عظيمًا من الأمر، تشهدون علينا بالشرك، والشرك ظلم عظيم، وتسفكون دماء المسلمين وتعدونهم مشركين! فرد عليه عبدالله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا؛ فلسنا نبايعكم أو تأتوننا بمثل عمر. فقال لهم سعد: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ نشدتكم بالله في أنفسكم أن لا تهلكوها؛ فإنني لأرى الفتنة قد غلبت عليكم!.

وخاطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال لهم: «عباد الله! إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعَلَّامٌ تقاتلوننا؟ فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكمتم غدًا. فأجابهم أبو أيوب: أنشدكم الله أن لا تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل».

وعاد أمير المؤمنين علي للتحديث إلى الخوارج فلما فشل في إقناعهم، وعجزوا عن مقارنته بالحجة والمنطق، تداعوا إلى السلاح، فكان لا بد من خوض المعركة، ولكن وقبل بدء الاشتباك رفع أمير المؤمنين علي «راية الأمان»، وأرسلها مع أبي أيوب الأنصاري، فقال أبو أيوب للخوارج: «من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم». فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليًا، لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفد لي بصيرتي في قتاله أو أتباعه. وانصرف في خمس مئة فارس. وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة، وانضم إلى أمير المؤمنين علي منهم نحو من مئة، وهكذا لم يبق من الأربعة آلاف مقاتل الذين كانوا مع «عبدالله بن وهب» سوى ألفين وثمان مئة.

كان أمير المؤمنين علي قد نظم قواته، فجعل على يمينته حجر بن عدي، وعلى يسارته شيب بن ربعي، - أو معقل بن قيس الرياحي -، وعلى الخيل - الفرسان - أبا

أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة - المشاة - أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة - وهم سبع مئة أو ثمان مئة رجل - قيس بن سعد بن عبادة.

وبالمقابل فقد نظم الخوارج قواتهم، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي، وعلى ميسرتهم شريح بن أوفى العبسي، وعلى خيلهم - فرسانهم - حمزة بن سنان الأسدي، وعلى الرجالة - المشاة - حرقوص بن زهير السعدي.

وضع أمير المؤمنين عليّ قوة الفرسان في المواجهة، وصف الناس وراء الفرسان صفيين، ووضع صفًا - نسقًا - من الرماة أمام الصف الأول، وأصدر أمره: كفوا عنهم حتى يبدءوكم، فإنهم لو شدوا عليكم - وَجَلُّهُمُ من المشاة - لم يصلوا إليكم إلا وهم مرهقين - لاغبين - وأنتم رادون حامون.

وانطلق الخوارج بالهجوم، فتراجعت قوة فرسان أمير المؤمنين علي، ثم انقسمت إلى فرقتين؛ فرقة نحو الميمنة، وفرقة نحو الميسرة، وأقبلوا نحو نساق المشاة، فاستقبلهم الرماة بالنبل، وعظفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم المشاة بالرمح والسيوف، وما هي إلا جولة سريعة وخاطفة حتى أبيدت قوة الخوارج إبادة شبه تامة بعد أن أحيط بها من كل مكان، وجمع الجرحى فكان عددهم أربع مئة رجل، فأمر بهم أمير المؤمنين علي فدفعوا إلى عشائرهم، وقال: احملوهم معكم فداووهم، فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما في عسكرهم من شيء^(١).

ومما قاله أمير المؤمنين يحضُّ على الجهاد:

«أيها الناس! استعدوا للمسير إلى عدوكم، ففي جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، حيارى في الحق، جفاة عن الكتاب، نكَّب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويعكسون في غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله نصيراً».

وقال: «عباد الله! ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثاقتم إلى الأرض؟ أَرْضَيْتُمْ بالحياة

الدنيا من الآخرة، وبالذل والهوان من العز؟ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة - منزوعة - فأنتم لا تعقلون! وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون، لله أنتم! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين تُدعون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة أبدًا، وما أنتم بركب يصال بكم، ولا ذي عز يعتصم إليه، لعمر الله، لبئس حُشاش الحرب أنتم، إنكم تُكادون ولا تكيدون، وينتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إن أخوا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع، وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب».

فلقد أرسل علي بن أبي طالب معقل بن قيس لقتال الخزّيت بن راشد ومن معه من الخوارج من بني ناجية وأتباعهم، فقتلوا الخزيت، وقُتل معه سبعون ومئة، ومزق من بقي منهم شر ممزق.

لقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام من أهل الشجاعة والإقدام، حتى قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لقد رأيته - يعني عليًا - يخطر بالسيف هام المشركين يقول: سنحنح الليل كأنني جني^(١).

وفي رواية أخرى لهذا الخبر قال: «سمع مع كأنني من جني».

(١) حسن: أخرجه ابن الأثير في (أشد الغابة) (٩٧/٤).

يخطر: يقال: خطر بسيفه ورمحه يخطر خطرًا: إذا رفعه مرة، ووضعته أخرى. والهام: الرعوس.

والمعنى: أن عليًا رضي الله عنه يقول: لا أنام الليل أبدًا، فأنا متيقظ. فالسنحنح: العريض الذي يسنح كثيرًا، وأضافه إلى الليل، على معنى أنه يكثر السنوح فيه لأعدائه، والتعرض لهم لجلادته.

والسمعع: السريع الخفيف، وهو في وصف الذئب أشهر.

والسمعع: الصغير الرأس والجمّة، الداھية.

● إذا جالت الخيل يا أبا الحسن فأين نطلبك؟

قيل لعلي عليه السلام: «إذا جالت الخيل فأين نطلبك؟ قال: حيث تركتموني»^(١).
قال الأبشيهي وهو يعدد الشجعان: «منهم علي بن أبي طالب، آية من آيات الله، ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، مؤيد بالتأييد الإلهي، مثبت قواعد الإسلام ومرسيها، وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مزية ولا خلاف، وكان يقول: والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتة علي فراش».

وقال بعض العرب: «ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أوصى بعضنا على بعض»^(٢).

● شجاعة أبي الحسن وثبات قلبه:

ليس أدل على شجاعة أبي الحسن عليه السلام وثبات قلبه من أنه حمى الدعوة في شخص نبيها صلى الله عليه وسلم، ونام في فراشه ليلة الهجرة في أصعب ليلة مرت بها الدعوة، رجل ينام في الفراش، وهو يعلم أن على الباب رجالاً معهم سيوفهم الصوارم لا يريدون إلا رأس النائم في الفراش.. فأى شجاعة ورباط جأش يفوق هذا.

فلن ينسى النبي له صنيعاً	عشية ودع البيت الحراما
عشية سامه ^(٣) في الله نفساً	لغير الله تكبر أن تُساما
فأرخصها فدى لأخيه لما	تسجى في حظيرته وناما
وأقبلت الصوارم والنايا	لحرب الله تنتحِم انتحاما ^(٤)
فلم يأبه لها أنفاً عليّ	ولم تقلق بجفنيه مناما

(١) المستطرف (٣١٦/١).

(٢) المستطرف (٣١٤/١)، (٣١٥).

(٣) سامه الشيء: طلبه منه.

(٤) الانتحام والانتهاج بمعنى؛ وهو: علو النفس من غضب أو خوف أو نحوهما، ومنه صوت الأسد والهر الذي يشبه الغطيظ.

وما زأموا الفتى ولربّ بأسٍ
وأغشى الله أعينهم فراحث
لهم يقضي به الليث ازوثاما^(١)
ولم تر ذلك البدر التماما

• ويرحم الله من قال:

وبات دُوَيْنَهُ في الفراشِ
مُوْطَنَ نَفْسٍ على الأصعبِ

• الراية مع علي يوم بدر، ومعه جبريل وميكال:

عقد النبي يوم بدر لواءً أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير، وكان أمامه رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب، والثانية مع سعد بن معاذ، وقيل: مع الحباب بن المنذر.

هذا عليّ في اللواء ومصعب
حملاً لِيُوَائِيهِ فلو صدح الهدى
والنصر في عطفيهما يترنخ
في مشهد جليل لأقبل يصدخ
عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قيل لعليّ^(٢) ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال أو قال: يشهد الصف». يا لجلال هذا المشهد الوضيء..

وانظر إلى الحديث الآخر الذي لا يقوم لجماله أي جمال، عن هبيرة بن مريم قال: سمعت الحسن بن علي قام فخطب الناس فقال:

«يا أيها الناس لقد فارقتكم أمس رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعثه البعث فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره»^(٣).

ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبع مئة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها

(١) زأمه: أفزعه، والازوثام افتعال منه.

(٢) القائل: هو رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو واضح في رواية أبي يعلى والحاكم.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٧/١)، وأبو يعلى (٢٨٣/١، ٢٨٤)، والحاكم (١٣٤/٣)، وقال: (هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وأشار الذهبي إلى أنه على شرط مسلم، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٢١٧)، وابن سعد في (الطبقات) (١٢٤/١/٣)، وابن أبي شيبة في (المصنف) (١٢٠٠٢).

خادمًا» (١).

● قتل علي لأحد حملة اللواء العبدري:

بعد أن قُتل من حملة اللواء العبدري «لواء المشركين» ستة من بيت واحد - وهو بيت أبي طلحة عبدالله بن عثمان بن عبد الدار - ضرعوا جميعًا حول لواء المشركين، ثم حمل اللواء بعدهم - من بني عبد الدار - أرطاة بن شرحبيل فلم يمهله علي بن أبي طالب بل قتله (٢).

● حامل لواء المسلمين يوم بني قريظة هو علي عليه السلام:

عندما اعتزم الرسول صلى الله عليه وسلم التحرك بجيشه نحو بني قريظة أعطى اللواء لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكان هذا اللواء هو نفس اللواء الذي قاتل المسلمون تحته أيام الخندق، لم يُحلَّ من ساريتته (٣).

● ويضرب أعناق بني قريظة بعد حكم سعد بن معاذ بضرب أعناقهم:

لقد تولى علي عليه السلام والزبير - كما سيأتي ذكره فيما بعد - عملية قتل يهود بني قريظة، وتوليا قتل جميع هؤلاء الخونة في ليلة واحدة على ضوء مشاعل سعف النخل وكان عددهم ما بين ست مئة إلى سبع مئة أو ثمان مئة إلى التسع مئة.

● وفي سريته إلى طيئ لهدم «الفلس» قال أحمد محرم في ديوانه «مجد الإسلام»:

إلى طيئ يابن عمّ النبي	إلى معشر يعبدون الصنم
إلى الفلس في جندك الغالبيين	فلن يلبث الشرك أن يُصطلم (٤)
أضل العقول وأعمى القلوب	وأشقى النفوس وهذا همم

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٢٢١١)، وأحمد (١٩٩/١)، والبخاري (٢٥٧٤ - الكشف)، والطبراني في المعجم الكبير (١/١٣١/١)، والنسائي في (الخصائص) رقم (٢٥) نحوه، وابن عساكر (١٢/١٢١٥ - ٢).

(٢) موسوعة الغزوات الكبرى (أحد) ص (١٠٢).

(٣) موسوعة الغزوات (قريظة) ص (١٤٥).

(٤) اصطلم الشيء: استأصله.

فما من مَلَاذٍ، ولا مُعْتَصَمٍ
 فيغضى عليه ولا يَنْتَقِمِ
 فزالَ الجلالُ وبأَدِ العِظَمِ
 فَتَلَكَ تَفَارِيقُهُ ما تَلَمَّ
 وكانت حَبائِسَ مِنْدُ القِدَمِ
 ودائِعَ لـلـوارِثِينَ الأَمِّ
 فأصبحن مِيراثَ ما حِى الظُّلَمِ
 وأشرقَ في راحَتِينِ الحِزَمِ
 كأدراعِهِ الغالِياتِ القِيمِ
 وبالشِفاءِ مَجْلوبَةً والنُّعَمِ
 حُماةَ المِخارِمِ إِذِ يُغْتَمِّمِ

أرى طَيْئًا خَذَلتْ رِبَّها
 فِيا لَكَ رَبِّنا يَذوقُ الهِوانِ
 مضى عِزُّهُ وانطوى مِجَدُهُ
 وأصبح تَذرُوه هُوجُ الرِياحِ
 وهاتيكَ أسلابُهُ أَطْلِقَتْ
 سِيوفَ بَقِيْنَ طِوالِ العُصُورِ
 مَلانَ لَدى الفُلسِ عَهْدَ الظلامِ
 أضاءَ الرُّسُوبُ بِهِ واليَماني
 وما نَظَرَتْ أَعينُ الدَّرَاعيِنِ
 رَجَعَتْ بِها يابنَ عَمِّ النَبِيِّ
 وبالسَّبَبِيِّ مُغْتَمِّمًا ما رَأى

● وفي سرية علي عليه السلام إلى «مذحج» قال أحمد محرم:

هُوَ الدِّينُ أَوْ حَدُّ الحِسامِ المُهَيِّدِ
 تَرَوُا عَجَبًا مِنْ مِشْهَدِ لَيْسَ بِالدِّدِ (١)
 يَشُدُّ عَلَيْها مالِكُ المُلْكِ بِاليدِ
 تُعِمِّمُهُ لِلحِربِ كَفُّ مُحَمَّدِ
 إِذا انتَسَبَ الأَبْطالُ في كُلِّ مِشْهَدِ
 وَأَنتُمْ بِنِياى بَينَ صَرَعى وَهُجْدِ
 هُوَ الحَقُّ مَنْ يُؤَيِّزُهُ يَرشُدُ وَيَهْتِدِ
 وَإِنْ تُعْرِضُوا فَالسيْفُ عَضْبُ المِجْرَدِ
 عَنِ الحَقِّ رَأى طائِشٌ لَمْ يُسَدِّدِ
 تَتابعُ شَتى بَينَ مِثْنى وَموَحِدِ
 رَمِيتُمْ بِأَحلامِ عَوازِبِ شُرُودِ (٢)

بني مِذْحِجٍ ما تَمَّ مِنْ مُتَرَدِّدٍ
 أَلّا فَانظَرُوا سِيفَ الإِمامِ وبِأَسَهِ
 بُلَيْيْتُمْ بِمِعقُودِ اللِواءِ عَلى يَدِ
 بَني مِذْحِجٍ ما ظَنُّكُمْ بِمِذْحِجِ
 غِزاكُم بِمَنْ لا تَعْرِفُ الحِربُ غَيرَهُم
 أَصابوا مِنَ الأَسْلابِ والسَّبَبِيِّ ما ابْتَغَوا
 فَلِما لَقُوكُم قال صَاحِبُ أَمْرِهِم
 فَإِنْ تُسَلِّمُوا فَاللَّهُ بَينِي وَبَينَكُم
 صَدَدْتُمْ صُدُودَ الجاهِلينَ وَرَدَّكُم
 جَرى النَبْلُ يَهوي وَاسْتَطازَتْ حِجارَةٌ
 رَمَيْتُمْ بِها جُنَدَ النَبِيِّ وَإِنَّمَا

(١) الدُّد: اللب.

(٢) أحلام عوازب؛ أي: عقول خالية أو زاهية، من عزب: غاب وبعد وذهب.

مضى السيف يجزيكم على الشرِّ مثله
فوليتم الأديار وارتدَّ جمعكم
وآمن منكم معشرٌ عادَ جدُّهم
وجاءوا فقالوا هذه صدقاتنا
ندينُّ بأنَّ البِرَّ لا شيءٌ مثله
وأنا لكم عونٌ على ما وراءنا
وندعو إلى الإسلامِ ننشرُ نوره
لك الشكرُ فأزجِعْ يا عليُّ مظفراً
● وللهُ در الشاعر محمد عبد المطلب إذ يقول:

فكم طابت به للحق نفسٌ
وكم شهدت له الزوراء يوماً
فسائل في المواطن عن فتاها
إذا لمعث سيفُ الله فيها
وخيل الله في الجلبات شعثٌ
سل الرايات كم رآث عليّاً
كأنِّي بابن عتبة يوم بدر
ولو علم الوليد بمن سيلقى
بطيبة حين أوطنها مقاما
وكم حمد الحنيفُ له مقاما
إذا حبَّكت عواصفها القتاما^(٤)
تقطُّ خواصراً وتقدُّ قاما^(٥)
تدكُّ السهل أو تطسُّ الرضاما^(٦)
يصرف تحتها الجيشُ اللُّهاما^(٧)
يُعاني تحت مجثمه جُثاما^(٨)
لألقي قبل مصرعه السلاما

(١) البسل: الحرام.

(٢) شراذم: جماعات ممزقة، والشعاع المتفرق من كل شيء.

(٣) المنكد: القليل العسر.

(٤) القتام: الغبار.

(٥) الخواصر: جمع خاصرة. والقام: القامات.

(٦) الجلبة: صوت الناس في الحرب ونحوها. وشعث: جمع أشعث؛ أي: أغبر. وتطس: تضرب

بحوافرها. الرضام: الحجارة.

(٧) رآث: رأت. واللهمام: الغزير.

(٨) ابن عتبة: هو الوليد، وهو قرن على يوم بدر. والجثام - بالضم -: الكابوس.

بني الأعمام والرَّحِم الحراما
فكان الخزْمُ أن تَرُدوا الحَمَاما
سقاَهُم من صوارمنا سَمَاما (١)
وكان عليهم يوماً عُقَاما (٢)
إذا لبسوا القَوَانِسَ والعماما (٣)
كمن يدعُو ربيعة أو هشاما
بني في النُّجْم بيتًا لا يُسَامى

زُوَيْدَ بني ربيعة قد ظَلَمْتُم
وصلناكُم بها وقطعتموها
فهل ينشون للفرقان يوماً
لقد ظنوا بنا الظنونَ فخابُوا
وهل وجدُوا كفتيتهم عليًا
وما صهر النبي إذا تنادوا
ومن تُهدي البتولُ له عروسا

● يوم أحد

وقد حَلَك العَجَاجُ بها وآما (٤)
يهزُون المثقَّفَ والهُدَاما (٥)
على الدَّقَعَاءِ يلتهم الرِّغَاما (٦)
بأم الأرض ترتطمُ ارتطاما (٧)
هُوي الباز يعتبِطُ الحَمَاما (٨)
وطاحوا في مصارعهم حُطَاما (٩)
بجند الكفر يصطدمُ اصطداما

فسائلُ عنه في أحد العوالي
وجاءت في زمازمها قريش
فقَطِر كِبَشَها وهوى صريعًا
هوى من تحت رايتهم فخرت
وحطَّم غمدهُ وهوى إليهم
فطاروا عن مواقفهم شَفَاعًا
وألفى ثمَّ أحمد في رحاها

(١) الفرقان: يوم بدر.

(٢) يوم عُقَام - بالضم -: شديد.

(٣) القوانس: جمع قونس؛ وهو: أعلى البيضة، مجاز فيها. والعمام: جمع عمامة.

(٤) حلك: أسود. والأوام والإيام: الدخان، وأم فعل منه.

(٥) الزمازم: جمع زمزمة - بالفتح -: وهي: الصوت البعيد ذو الدوي. والمثقف: الرمح. والهدام - بالضم -: السيف.

(٦) قطر الفارس: صرعه. والكبش: حامل اللواء، وكان من بني عبد الدار في أحد. والدقعاء: الأرض. والرغام: التراب.

(٧) أم الشيء: أصله. وارتطم: اصطدم؛ كارتضم، يقال: أم رأسه، والمجرة أم النجوم، ونحوه كثير.

(٨) اعتبطه الموت: غشيه.

(٩) طاروا شَفَاعًا - بالفتح -: تفرقوا مع التلاشي. وطاحوا: هلكوا. والحطام: الكسارة.

● يوم الخندق

فذاك ولو تَرَى إذ جاب قوم
وأقبل في لباس البأس عَمَزُو
يدافع نفسه ولها غطيظ
ردى حسبي هَنَاءةً يوم بدر
لقد أكلت نساء الحي عرضي
ملأن بطاخ مكة بي حديثا
فشارو للأسنة والمواضي

● قتله مَرْحَبَ بن منسية

أقبل مَرْحَبُ في البأس يحبو
يميلُ إذا انتمى صَلْفًا وكبرًا
ألم أكَ مرحبًا يوم التتادي
ألست لآل إسرائيل عوثا
وما علم الفتى أن المنايا
وأن له من الكرار يوما
سلا ابن الخيبرية يوم وافى

(١) الذام: العيب.

(٢) القدام - بالكسر -: جمع قديم.

(٣) دَوَى بالتضعيف لا غير. ودام: استمر.

(٤) الصاحب الأزام - بضم الهمة -: الملائم.

(٥) الصلف: كالكبر. والهدام - بالضم -: دوار البحر.

(٦) الأام: فعل ما يلام عليه.

(٧) الهدام: الشجاع.

(٨) الإيام - بالكسر -: الدخان. واحتبك: عقد.

(٩) المراد به مرحب بن منسية المشار إليه. والرغام - بالفتح -: حدة النظر.

- وظاهرَ فوقَ بينضته الرخاما (١)
يُثنى في الرغى يفا ولاما (٢)
نضاهُ لكل جاحمة سظاما (٣)
ولا ضعفتُ لحمه سَلامى (٤)
هناك تخالُهُ جبلاً تسامى (٥)
وقد أعيا تَحْمَلُهُ الفئاما (٦)
بیمنا الفتى مرنا زؤاما (٧)
بیمناه لعادَ بها هياما (٨)
ولم يجد الحديدَ له عصاما
لسيف الله في الهيجا لثاما (٩)
بحيدر ذلك الأسد الرزاما (١٠)
يُقَسِّمُ في كتابه اقتساما (١١)

ضفا حَلَقُ الحديد عليه مَثْنَى
ولم أر قبل مَرَحِب من كمي
فشد على الإمام بذي سظام
فزال مَجْنٌ حيدر لا لوَهْن
ومال بطرفه فإذا رتاجٌ
فَسَلٌ يُسراه كيف تلقفتهُ
يُقبله بها ترسا ويغشى
يُقبله بها ترسا ويغشى
فلم يعصمه من حين رُخام
وليس أخو اللثام وإن تزكى
رأى ابن الخيرية كيف لاقى
وعادت خيبرُ لهُ فينا

- (١) ضفا: سبغ وطاق. وظاهر بين الدرعين: جعل بطن إحداهما على ظهر الأخرى؛ أي: لبسها فوقها.
جاء مرحب إلى علي، وقد لبس درعين، وتقلد سيفين ورمحين، ولبس فوق البيضة أخرى من الرخام.
(٢) اللّامُ بتسهيل الهمزة: جمع اللّامة؛ وهي: أداة الفارس وشكته.
(٣) السظام الأولى: حد السيف، والثانية: ما يُقَلَّبُ به الحداد نار الكير. ونضاه: جرده.
(٤) السّلامى: أصول الأصابع في الراحة.
(٥) الرّتاج - بالكسر -: الباب العظيم.
(٦) الفئام - بالكسر -: الجماعة من الناس.
(٧) الزؤام - بالضم -: الشديد.
(٨) رضوى: جبل. والهيّام - بالفتح -: الرمل المهيل.
(٩) لثام الأولى: جمع لثيم، والثانية: المثل.
(١٠) الرّزام - بالفتح -: البروك على فريسته.
وحاصل القصة: أن مرحباً لما اشتد على الإمام، طار محجته من يده؛ فمال إلى باب كبير هناك، لم يستطع حمله بعد ذلك إلا سبعون رجلاً، وترس به لمرحب، ثم صعقه بالسيف صعقةً فلّق بها البيضتين، وما وقف السيف إلا في فكه الأسفل، وخرّ صريعاً، وكان قد رأى في رؤى في المنام أن ليثاً افترسه، فلما سمع عليّاً يقول: (أنا الذي سمتني أمي حيدرة)، تحقق تأويل رؤياه.
(١١) الفىء: المغنم.

● زعامته في المواطن

فدع عنك المواطنَ والمغازي
فَجَبَةً لِلطَّغَاةِ بِهَا وَجُوهَا
وَمَنْ أَجْرَى عِتَاقِ الْخَيْلِ قَبَا
يَخُوضُ بِهَا الْمَوَاطِنَ مُغْلَمَاتِ
فَمَا وَجَدْتَ كَحَيْدَرَةِ إِمَامَا
وَلَقِيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ اللَّهِ شَهِيدًا عَلَى يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمِ الْخَارِجِيِّ أَشَقَى
الْآخِرِينَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وقال أبو الأسود الدؤلي:

أَفِي شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعْتُمُونَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
وَمَنْ لَبَسَ النِّعَالَ وَمَنْ حَذَاهَا
إِذَا اسْتَقْبَلْتَ وَجْهَ أَبِي حَسِينِ
لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ حَيْثُ كَانَتْ
وقال بكر بن حسان الباهري:

قُلْ لَابْنِ مَلْجَمِ وَالْأَقْدَارِ غَالِبَةِ
قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
صَهَرَ النَّبِيَّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرَهُ
وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رِغْمِ الْحَسُودِ لَهُ
هدمت للدين والإسلام أركاننا
وأعظم الناس إسلامًا وإيمانًا
سن الرسول لنا شرعًا وتبيانًا
أضحت مناقبه نورًا وبرهانًا
مكان هارون من موسى بن عمراننا

(١) شَامَ السَّيْفِ: هنا أغمده، فهو ضد.

(٢) جَبَّةٌ وَجَبَّةٌ بِالتَّضْعِيفِ وَالتَّخْفِيفِ: ضرب الجبهة. والحثمة: أرينة الأنف، يأتي الأكمه. والجذع: قطع الأنف.

(٣) قَبَا: أي: ضوامر. والمتالع: التلال ونحوها.

(٤) الروع: الخوف. والإدام: قدوة القوم الذي به يُعْرَفُونَ.

قبل المنية أزماناً فأزمانا
فقلتُ سبحان رب العرش سبحان
كلا ولكنه قد كان شيطانا
ولا سقى قبر عمران بن حطان
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
وسوف يلقي بها الرحمن غضبانا
إلا ليصلي عذاب الخلد نيرانا^(١)

قد كان يخبرهم هذا بمقتله
ذكرت قاتله والدمع منحدر
إني لأحسبه ما كان من إنس
فلا عفا الله عنه سوء فعلته
يا ضربة من شقي ما أراد بها
بل ضربة من غوي أوردته لظي
كأنه لم يرد قصداً بضربته

* * *

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١٩٩/٣).

عبد الرحمن بن عوف الزهري

● صاحب رسول الله صلوات الله عليه وأحد العشرة المبشرين بالجنة وقائد إحدى سرايا النبي صلوات الله عليه

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا للإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، وصلى خلفه النبي صلوات الله عليه في غزوة تبوك، وكان رضي الله عنه من المهاجرين الأولين إلى الحبشة، وإلى المدينة المنورة، وهو أحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، وأخبر أن رسول الله صلوات الله عليه توفي وهو عنهم راض، وهو الذي أخرج نفسه من الخلافة، واختار للمسلمين خليفته عثمان.

● جهاده

١- في غزوة بدر الكبرى:

خرج المسلمون من المدينة إلى موقع «بدر» يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية^(١)، وكانت إبل المسلمين سبعين بعيراً، فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بعير يعتقبونه^(٢)، قال عبد الرحمن: «عَبَّأنا رسول الله صلوات الله عليه بليل، فصنَّفنا، فأصبحنا ونحن على صفوفنا^(٣)، وبينما أنا واقف في الصف يوم بدر، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثه أسنانهما، فتمنَّيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عمُّ! أتعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال: أُنبئتُ أنه يسب رسول الله صلوات الله عليه، والذي نفسي بيده، لو رأيته لا يفارق سوادي

(١) طبقات ابن سعد (١٢/٢).

(٢) مغازي الواقدي (٢٤/١)، والدرر (١١١)، وجوامع السيرة (١٠٨)، وابن الأثير (١١٨/٢).

(٣) مغازي الواقدي (٨٨/١).

سواده^(١) حتى يموت الأعجل منا. وغمزني الآخر، فقال مثلها، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان! هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتداه بأسيافهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. قال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا: لا. فنظر في السيفين، فقال: «كلاكما قتله»^(٢)، وقد استشهد هذان البطلان الصغيران يوم بدر، وهما ابنا عَمْرَاء: عَوْفُ بن الحارث الخزرجي الأنصاري^(٣)، ومُعَوَّذُ بن الحارث الخزرجي الأنصاري^(٤).

كما روى عبدالرحمن قصة قتل أمية بن خلف فقال: «كان أمية بن خلف لي صديقًا بمكة، وكان اسمي: عَبْدَ عَمْرُو، فتسميت حين أسلمت: عبدالرحمن ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عَبْدَ عَمْرُو، أرغبتَ عن اسم سماكه أبواك؟ فأقول: نعم. فيقول: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئًا أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. فكان إذا دعاني يا عَبْدَ عَمْرُو لم أجبه! فقلت: يا أبا علي! اجعل ما شئت! قال: فأنت عبدالإله، قلت: نعم! فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله. فأجيبه، فأحدث معه، حتى إذا كان يوم بدرٍ مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن أمية أخذ بيده، ومعني أدراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها. فلما رأني قال لي: يا عبد عمرو! فلم أجبه! فقال: يا عبدالإله! فقلت: نعم. قال: هل لك في، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ فطرح الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول: ما رأيت كالיום قط!!!

(١) السواد: الشخص أو الشبح.

(٢) الاستبصار (١٥٦).

(٣) انظر: تفاصيل سيرته في (طبقات ابن سعد) (٤٩٢/٧)، و(الإصابة) (٤٢/٥)، و(أشد الغابة) (٤/١٥٥)، و(الاستيعاب) (١٢٢٥/٣).

(٤) انظر: تفاصيل سيرته في (طبقات ابن سعد) (٤٩٢/٧)، و(الإصابة) (١٢٩/٦)، و(أشد الغابة) (٤/٤٠٢)، و(الاستيعاب) (١٤٤٢/٤).

أما لكم حاجة في اللبن^(١)؟! وقال لي أمية بن خلف: يا عبد الإله! من الرجل المغلّم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبدالمطلب! قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل! فوالله إنني لأقودهما؛ إذ رآه بلالٌ معي، وكان هو الذي يُعذّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء^(٢) مكة إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد. فيقول بلال: أأحدٌ أحدًا! فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوثُ إن نجا! فقلت: أي بلال! أبأسيري؟ قال: لا نجوثُ إن نجا! ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله! رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوثُ إن نجا. فأحاطوا بنا، حتى جعلونا كالمسكة^(٣)، وأنا أذبُّ عنه، فأخلف رجل السيف^(٤)، فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعتُ بمثلها قط، فقلت: أنجُ بنفسك ولا نجأ بك، فوالله ما أغني عنك شيئًا! فهبروهما^(٥) بالسيف حتى فرغوا منهما، فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً! ذهبت أذراعي، وفجعتني بأسيري^(٦).

وقد أسر السائب بن أبي حُبَيْش الأسدي يوم بدر^(٧)، كما قتل السائب بن أبي رفاعة من بني أمية بن المغيرة من بني مخزوم^(٨).

لقد كان عبد الرحمن بدرياً^(٩) من البدرين الفاعلين، قاتل وقُتل وأسر وغنم مما يدل على أثره البارز في هذه الغزوة الحاسمة.

(١) يريد باللبن: أن من أسرني اقتديت منه بإبل كثيرة اللبن؛ انظر: سيرة ابن هشام (٢/٢٧٢).

(٢) الرمضاء: الرمل الشديد الحرارة من الشمس.

(٣) المسكة: السوار من عاج أو ذبل. والذبل: جلدة السلحفاة البرية.

(٤) يقال: أخلف الرجل إلى سيفه: إذا ردَّ يده إليه فسله من غمده.

(٥) هبروهما: قطعوا لحمهما؛ تقول: هبرت اللحم: إذا قطعته قطعًا كبيرًا.

(٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٧١ - ٢٧٣)، وانظر: مغازي الواقدي (١/٨٢، ٨٣)، وابن الأثير (٢/١٢٧).

(٧) مغازي الواقدي (١/٧٩)، وأنساب الأشراف (١/٣٠٢)، والسائب بن عبد العزى من بني أسد.

(٨) مغازي الواقدي (١/١٥٠)، وأنساب الأشراف (١/٣٠٠).

(٩) سيرة ابن هشام (٢/٣٢٧)، ومغازي الواقدي (١/١٥٥)، وجوامع السيرة (١١٧)، والدرر (١٢٣)،

وطبقات ابن سعد (٣/١٢٨).

٢- في غزوة أُحُد:

وكانت هذه الغزوة في شهر شَوال من سنة ثلاث الهجرية^(١).
 وثبت رسول الله ﷺ يوم أُحُد في عصابة صبروا معه: أربعة عشر رجلاً؛ سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، وكان عبدالرحمن أحد السبعة المهاجرين الذين ثبتوا يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ^(٢)، فُجرح يومئذٍ إحدى وعشرين جراحة، وجرح في رجله وسقطت ثنيتاه^(٣)، وجُرح في رجله فكان يعرج منها، وسقطت ثنيتاه فكان أهُتَمَ^(٤)، وقتل أسيد بن أبي طلحة^(٥)، وهو من بني عبد الدار من قريش، فكان مَنْ قُتِل في هذا اليوم من بني عبد الدار عشرة نفرٍ ومولى لهم^(٦)، وقيل: إنه قتل كلاب بن أبي طلحة - أيضاً - من بني عبدالدار^(٧)، وعرج عبدالرحمن من جراحة برجله إلى أن مات^(٨).

لقد كان عبدالرحمن بحق أحد أبطال المسلمين في غزوة «أُحُد»، فقد استقتل في الدفاع عن النبي ﷺ، وثبت ثبات الرواسي في المعركة في موقف خطير للغاية، فأدى واجبه في الدفاع عن النبي ﷺ وفي الثبات على أحسن ما يكون عليه الدفاع البطولي والثبات العنيد.

٣- في الغزوات الجديدة:

أ - شهد غزوة الحُدَيْبِيَّة التي كانت في ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية،

- (١) جوامع السيرة (١٥٦)، والدرر (١٥٣).
- (٢) مغازي الواقدي (٢٤٠/١)، وأنساب الأشراف (٣١٨/١).
- (٣) تهذيب الأسماء واللغات (٣٠١/١).
- (٤) أشد الغابة (٣١٤/٣).
- (٥) المعارف (١٦١).
- (٦) المعارف (١٦٠، ١٦١)، والدرر (١٦٥).
- (٧) الدرر (١٦٥).
- (٨) الدرر (١٥٨)، وهكذا تركت عاهة مستدامة منه.

فساق قوم من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه الهذلي^(١) من أهل الغنى، منهم عبدالرحمن^(٢)، وكان أحد شهود صلح الحُدَيْبِيَّةِ بين المسلمين وقريش^(٣)، ثم نحر بَدَنَاتٍ له ساقها من المدينة^(٤)، وعاد مع النبي صلوات الله عليه إلى المدينة المنورة.

ب - وشهد غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر المحرم من السنة السابعة الهجرية^(٥)، فوقع سهم عبدالرحمن مع قسم من الصحابة في «الشَّق»^(٦) من خيبر، وقد جعل على كلِّ مئة رأس من المسلمين رأس يُعْرَف يُقْسِم على أصحابه ما خرج من غلتها، فكان عبدالرحمن أحد الرؤساء^(٧).

ج - وشهد غزوة فتح مكة التي كانت في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية^(٨)، فلما طلعت كتيبة رسول الله صلوات الله عليه الخضراء، ومر رسول الله صلوات الله عليه على ناقته القَصْوَاء بين أبي بكر وأَسِيد بن حُضَيْر وهو يحدثهما، فقال العباس لأبي سفيان بن حرب: هذا رسول الله صلوات الله عليه في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، فيها الرايات والألوية، مع كل بطن من الأنصار راية ولواء، في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق. ويقال: كان في الكتيبة ألف دارع. وأعطى رسول الله صلوات الله عليه رايته سعد بن عُبَادَة وهو أمام الكتيبة، فلما مر سعد براية النبي صلوات الله عليه نادى: يا أبا سفيان! اليوم يوم المَلْحَمَة^(٩)، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَة! اليوم أذل الله قريشًا! فأقبل رسول الله صلوات الله عليه حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله! أمرت بقتل قومك؟! زعم سعد ومن معه حين مر بنا قال:

(١) الهذلي: ما يُهْدَى إلى الحرم من التَّعْم، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ (٢) مغازي الواقدي (٥٧٢/٢، ٥٧٣).

(٣) مغازي الواقدي (٦١٢/٢)، وسيرة ابن هشام (٣٦٨/٣)، وابن الأثير (٢٠٥/٢).

(٤) مغازي الواقدي (٦١٤/٢)، والبَدَنَات: جمع بَدَنَة؛ ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانًا، وكانوا يسمونها لذلك.

(٥) الدرر (٢٠٩)، وجوامع السيرة (٢١١).

(٦) مغازي الواقدي (٦٨٩/٢)، وسيرة ابن هشام (٤٠٤/٣)، والدرر (٢١٧)، وجوامع السيرة (٢١٤).

(٧) مغازي الواقدي (٦٨٩/٢).

(٨) الدرر (٢٢٧).

(٩) المَلْحَمَة: الحرب الشديدة وموضعها، والجمع: مَلْجَم.

يا أبا سفيان! اليوم يوم المَلْحَمَة! اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَة! اليوم أذلُّ الله قريشًا! وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس، وأرحم الناس، وأوصل الناس. قال عبدالرحمن بن عوف وعُثمان بن عفان: يا رسول الله! ما نأمن سعدًا أن يكون منه في قريش صولة. فقال رسول الله ﷺ: «اليوم يوم المَرْحَمَة! اليوم أعزُّ الله فيه قريشًا»، وأرسل رسول الله ﷺ إلى سَعْدِ فَعَزَلِه، وجعل اللِّوَاءَ إلى قيس بن سعد بن عُبَادَة^(١).
 د- وبعد فتح مكة بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد على سرية داعيًا لا مقاتلاً^(٢)، إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السِّلاح، فقال خالد: «ضعوا السِّلاح فإن الناس قد أسلموا»^(٣).

٤- في الغزوات الأخرى:

شهد عبدالرحمن تحت لواء النبي ﷺ المشاهد كلها^(٤)، فشهد غزوة بني النَّضِير من يهود التي كانت في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية^(٥)، فأعطى له رسول الله ﷺ «سُؤَالَة» وهو الذي يقال له: مال سُلَيْم^(٦).

كما شهد غزوة الخندق^(٧) التي كانت في شهر شوال من السنة الخامسة الهجرية^(٨)، وشهد غزوة بني المِصْطَلِق «غزوة المُرَيْسِيع» التي كانت في شعبان من السنة الخامسة الهجرية، وكان فارسًا^(٩).

وشهد غزوة بني قُرَيْظَة من يهود التي كانت في شهر ذي القعدة من سنة خمس

(١) مغازي الواقدي (٨٢١/٢، ٨٢٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٥٣/٤).

(٣) سيرة ابن هشام (٥٣/٤)، وطبقات ابن سعد (١٤٧/٢).

(٤) طبقات ابن سعد (١٢٨/٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٠٠/١).

(٥) الدرر (١٧٤).

(٦) مغازي الواقدي (٣٧٩/١).

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (٣٠١/١).

(٨) الدرر (١٧٩).

(٩) مغازي الواقدي (٤٠٤/١ - ٤٠٥).

الهجرية، وكان فارساً^(١)، فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ للفرس سهمين ولصاحبه سهمًا واحدًا^(٢)، ولما سُيِّيَ بنو قُرَيْظَةَ، باع رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف طائفة^(٣).

وشهد غزوة «ذِي قَرْدٍ»^(٤) التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنة السادسة الهجرية^(٥)، وكان لعبد الرحمن إبل ترعى في «الغابة»^(٦)، كما كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لِقَاح^(٧) ترعى في الغابة -أيضًا-، فأغار عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ في أربعين فارسًا على سَرَحِ المدينة، فأخطأ مكان إبل عبد الرحمن بن عوف واهتدى إلى لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاقها، فطارده المسلمون^(٨) وهرب المشركون^(٩).

٥- قائد سرية دُومَةَ الجَنْدَلِ^(١٠).

كانت في شهر شعبان من سنة ست الهجرية، فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف، فأقعده بين يديه وعممه بيده، وقال: «اغزُ بسم الله وفي سبيل الله، فقاتل مَنْ كفر بالله، لا تَغُلْ، ولا تَغْدُرْ، ولا تقتل وليدًا».

وبعثه إلى بني كَلْبٍ بِدُومَةَ الجَنْدَلِ، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام مَنْ أقام على إعطاء الجزية، وكان الأصبغ نصرانيًا.

(١) مغازي الواقدي (٤٩٦/٢ - ٤٩٨).

(٢) مغازي الواقدي (٥٢٢/٢).

(٣) مغازي الواقدي (٥١٣/٢).

(٤) ذو قرد: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان، وقيل: على مسافة يوم منها.

(٥) سيرة ابن هشام (٣٢٣/٣).

(٦) الغابة: موضع شمالي المدينة.

(٧) اللقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان.

(٨) مغازي الواقدي (٥٣٩/٢).

(٩) انظر: التفاصيل في (الدرر) (١٩٨، ١٩٩)، و(جوامع السيرة) (٢٠١ - ٢٠٣).

(١٠) دومة الجندل: حصن على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة؛ انظر: التفاصيل في (معجم

البلدان) (١٠٦/٤ - ١٠٩).

وكان النبي ﷺ قد قال لعبد الرحمن: «إن استجابوا لك، فتزوج ابنة ملكهم»، فتزوج عبدالرحمن تَمَاضِر بنت الأَصْبَغ، وقدم بها إلى المدينة، وهي أم أبي سَلَمَةَ بن عبدالرحمن بن عوف^(١).

ولا نعلم شيئًا عن عدد أفراد هذه السرية، وهي على كلِّ حال من سرايا الدعوة، أدى فيها عبدالرحمن واجبه أداءً كاملاً.

ولكن خالدًا وجد السُّلَاح على بني جَدِيمَةَ، فسألهم: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا وصدقنا بمحمد، وَبَيَّنَّا المساجد في ساحاتنا، وأذَّنَّا فيها. قال: فما بال السُّلَاح عليكم! فقالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوةً، فحفظنا أن تكونوا هم، فأخذنا السُّلَاح! قال: فضعوا السُّلَاح! فوضعوه، فأسرهم وفرقهم في أصحابه، فلما كان في السَّحَر نادى خالد: مَنْ كان معه أسير، فَلْيُدْأَفْهُ. والمدَّافَةُ الإِجْهَاز عليه بالسيف، فأما بنو سُلَيْم فقتلوا مَنْ كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم، فبلغ النبي ﷺ ما صنع خالد فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»، وبعث علي بن أبي طالب، فودى لهم قَتْلَاهُمْ وما ذهب منهم، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره^(٢).

وقد كان بين خالد وبين عبدالرحمن بن عوف كلام في ذلك، فقال له عبدالرحمن: عَمِلْتَ بِأَمْرِ الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما تَأَزَّتْ بِأبيك. فقال عبدالرحمن: كذبت، قد قتلتُ قاتل أبي، ولكنك تَأَرْتِ بِعَمِّكَ الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شَرٌّ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مَهْلًا يَا خَالِد! دَغَّ عَنْكَ أصحابي، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذَهَبًا، ثم أنفقته في سبيل الله، ما أدركتْ غَدْوَةَ رَجُلٍ من أصحابي ولا رَوْحَتَهُ»^(٣).

(١) طبقات ابن سعد (٢/٨٩)، وسيرة ابن هشام (٣/٣٢٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/١٤٧ - ١٤٨).

(٣) سيرة ابن هشام (٤/٥٦)، وانظر: أيضًا في الواقدي (٣/٨٨٠، ٨٨١).

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعوف بن عبد عوف، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجارًا إلى اليمن، ومع عفان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبدالرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة ابن عامر هلك باليمن إلى ورثته، فادعاه رجل منهم يقال له: خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقتل عوف بن عبد عوف، والفاكه بن المغيرة، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، وهمت قريش بغزو بني جذيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم على ملا منا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة فأصابوهم، ولم نعلم، فنحن نغفل^(١) لكم ما كان لكم قبيلنا من دم أو مال، فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب^(٢).

هـ - وشهد غزوة حُخَيْن التي كانت في شهر شوال من السنة الثامنة الهجرية وحصار الطائف التي كانت في شوال من السنة الثامنة الهجرية - أيضًا، فنال عبدالرحمن امرأة من سبي هوازن^(٣)، فلما أمر النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعادة السبي إلى هوازن أعاد عبدالرحمن المرأة التي كانت عنده إلى أهلها^(٤).

و - وشهد غزوة تبوك التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية^(٥)، فحضر رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين على القتال والجهاد وأمرهم بالصدقة، فحمل عبدالرحمن من جملة من حمل إلى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالاً، مثتي أوقية^(٦)، وهي أربعة آلاف

(١) عقل القليل: ودأه، فعقل ديبه بالعقل في فناء ورثته، وكانت في الجاهلية من الإبل. والعقل: الدية.

(٢) سيرة ابن هشام (٥٦/٤، ٥٧).

(٣) مغازي الواقدي (٩٤٣/٣).

(٤) مغازي الواقدي (٩٥٢/٣).

(٥) طبقات ابن سعد (١٦٥/٢).

(٦) مغازي الواقدي (٩٩١/٣).

درهم^(١) - كما ييدو.

وفي طريق النبي ﷺ من المدينة إلى تبوك صَلَّى رسول الله ﷺ خلفه في سفرة^(٢) سافرها ركعة من صلاة الفجر^(٣).

قال المغيرة بن شعبه: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فلما كان في السَّحْرِ، ضَرَبَ عُنُقَ راحلتي؛ فظننت أن له حاجة، فعدلت معه، فانطلقنا حتى تبرزنا عن الناس، فنزل عن راحلته ثم انطلق فتغيب عني حتى ما أراه، فمكث طويلاً ثم جاء. فقال: «حاجتك يا مُغَيَّرَة!» قلت: ما لي حاجة! قال: «فهل معك ماء؟» قلت: نعم، فقممت إلى قربة أو قال: سطيحة^(٤) معلقة في آخر الرحل، فأتيته بها، فصَبَّيْتُ عليه، فغسل يديه فأحسن غسلهما، وأشكُّ دَلَكَهُمَا بِتُرَابِ أم لا، ثم غسل وجهه، ثم ذهب يحسر عن يديه وعليه جُبَّةٌ شامية ضيقة الكم، فضاقت، فأخرج يديه من تحتها إخراجاً، فغسل وجهه ويديه، ثم مسح بناصيته ومسح على العمامة ومسح على الخفَّين، ثم ركبنا، فأدركنا الناس وقد أقيمت الصلاة، فتقدمهم عبدالرحمن بن عَوْفٍ، وقد صَلَّى ركعة وهم في الثانية، فذهبت أذنه فنهاني، فصلينا الركعة التي أدركنا، وقضينا التي سَبَقَتْنا»، وكان هذا في تبوك، وكان المغيرة يحمل وضوء رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ حين صَلَّى خلف عبدالرحمن بن عَوْفٍ: «ما قُبِضَ نبي قط، حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته»^(٥).

● جهاده بالمال

كان عبدالرحمن كثير الإنفاق في سبيل الله^(٦)، وقد تصدق على عهد رسول

(١) سيرة ابن هشام (٢١٠/٤).

(٢) أشد الغابة (٣١٤/٣)، والإصابة (١٧٧/٤).

(٣) الإصابة (١٧٧/٤)، والبداية والنهاية (١٦٤/٧).

(٤) السطيحة: المزادة تكون من جلدتين لا غير.

(٥) طبقات ابن سعد (١٢٨/٣، ١٢٩)، وانظر: مغازي الواقدي (١٠١٢/٣).

(٦) أشد الغابة (٣١٤/٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٠١/١).

الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف درهم، ثم تصدق بأربعين ألفاً من الدراهم، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمس مئة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة^(١)، وكان كثير المال محظوظاً بالتجارة^(٢).

وحين حمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف درهم قال: كان عندي ثمانية آلاف، فأمسكت أربعة آلاف لنفسي وعبالي، وأربعة آلاف أقرضها ربي صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت»^(٣)، فنزلت في عثمان بن عفان وفي عبد الرحمن الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

هذا هو مبلغ جهاد عبد الرحمن المعلن بالمال الذي كان معروفاً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مبلغ جسيم ولا شك، وبخاصة في تلك الأيام، ولا بد أن يكون له جهاد غير معلن بالمال، لا يعلمه غير الله، لقد أدى عبد الرحمن واجبه مجاهداً بالأموال والنفس. وما تقول في ابن عوف رضي الله عنه وسقاه من سلسبيل الجنة، الذي ذكروا عنه أنه أعتق ثلاثين ألف نسمة في حياته؟!^(٤).

● عبد الرحمن بن عوف القائد

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب عن الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

أثبت عبد الرحمن بن عوف كفاية قتالية متميزة في كل غزوة خاضها تحت لواء

(١) أشد الغابة (٣/٣١٦)، والإصابة (٤/١٧٧).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/٣٠١).

(٣) الرياض النضرة، للمحب الطبري (٢/٣٧٩).

(٤) الإصابة (٤/١٧٧)، وحلية الأولياء (١/٩٩).

الرسول القائد - عليه أفضل الصلاة والسلام -، فأسر في بعض تلك الغزوات أسرى من المشركين، وقتل منهم قتلى، وباشر القتال في الصفوف الأمامية، وثبت مع عدد قليل من المسلمين ثبتوا إلى جانب الرسول ﷺ واستقتل في الدفاع عن النبي ﷺ حتى أصيب بأكثر من عشرين جرحاً، أحدها في ثنيتيه فهُتم، وفي رجله فرج كل حياته، فكان عَزَجُهُ بعد إصابته برجله يوم أُحد شاهداً على ثباته العنيد ووساماً على شجاعته وبطولته. لقد أبلى بلاءً حسناً في كل غزوة خاضها، وبخاصة غزوة أُحد، وأبدى شجاعة نادرة في تلك الغزوة وفي غيرها من الغزوات حتى أصبح معدوداً من شجعان المسلمين المعدودين الذين يشار إليهم بالبنان، ويرشحون لقيادة السرايا على عهد النبي ﷺ وقيادة الجيوش بعد انتقاله - عليه الصلاة والسلام - إلى الرفيق الأعلى. ولم يكن مجاهداً من الطراز الأول بنفسه فحسب، بل كان مجاهداً من الطراز الأول بماله - أيضاً -، وقد ذكرنا جهاده بالمال نقداً وإبلاً وخبولاً.

« كان عارفاً بمبادئ الحرب، مطبقاً لها، يختار مقصده اختياراً دقيقاً، وكان قائداً تعرضياً، يطبق مبدأ المباغتة على خصمه، ويحرمه من تطبيق هذا المبدأ على رجاله، يحشد قوته قبل المعركة، ويقتصد بالمجهود ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويحرص على أمن رجاله حرصاً بغير حدود، خططه مرنة، يتعاون تعاوناً وثيقاً مع القيادة من جهة ومع رجاله من جهة أخرى، ويديم معنويات قواته، ويؤمن لها أموراً إدارية.

يتحلى بالطاعة والضببط المتين، ولا يخالف الأوامر التي تصدر إليه، ولا يحب الفتنة ولا يحب أهلها، ولا يسعى إليها بسيفه أو يده أو لسانه أو بها جميعاً، فمصلحة المسلمين ووحدة كلمتهم وصفوفهم هي هدفه الأعلى الذي يسعى إلى تحقيقه بكل ما يستطيع من قوة وتصميم وعزم.

ولم يكن يحب الإمارة ولا يسعى إليها، ولكنه لا يمتنع عن توليها باعتبارها تكليفاً لا تشريفاً (١).

الصحابي الجليل

أبو محمد طلحة بن عبيد الله التيمي، الشهيد

● أحد العشرة المبشرين بالجنة، المقاتل دون رسول الله ﷺ قتال جيش كامل في أحد، فيوم أحد كله لطلحة رضي الله عنه

«قاتل طلحة بن عبيد الله التيمي يوم أحد دون رسول الله ﷺ قتال جيش كامل، ولعل قتال طلحة - يوم انهزم الناس عن النبي - كان أروع وأصدق قتال؛ فقد روى البيهقي في الدلائل عن أبي الزبير عن جابر، قال: «انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار، وطلحة بن عبيد الله، وهو يصعد في الجبل، فقال النبي ﷺ: «أَلَا أَحَدٌ لِهَؤُلَاءِ؟!» فقال طلحة: أنا يا رسول الله. فقال: «كما كنت يا طلحة»، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله. فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قُتِلَ الأنصاري، ولحقوا رسول الله، فقال: «أَلَا رَجُلٌ لِهَؤُلَاءِ؟» فقال طلحة مثل قوله، فقال له رسول الله مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله. فقاتل وأصحابه يصعدون، ثم قتل؛ فلحقوا رسول الله، فَيَزِلُّ يقول مثل قوله الأول، وطلحة يقول: أنا يا رسول الله. فيحبسه، فيستأذنه رجل من الأنصار، فيأذن له، فيقاتل مثل مَنْ كان قبله، حتى قُتِلوا جميعاً، ولم يبق مع الرسول ﷺ إلا طلحة حتى غشيهم المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «من لهؤلاء؟»، فقال طلحة: أنا. فقاتل قتال جميع من كان قبله»^(١).

وفي رواية أخرى: «عن جابر قال: لما كان يوم أحد، وَوَلَّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً، منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: «مَنْ للقوم؟»، قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت»، فقال رجل: أنا. قال: «أنت»، فقاتل حتى قُتِل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «مَنْ لهم؟»، قال طلحة: أنا.

(١) موسوعة الغزوات الكبرى (أحمد)، لمحمد أحمد باشمیل ص (١٤٢).

قال: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: «أنت»، فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة، فقال: «من للقوم؟»، قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعه، فقال: «حَسْبُ»، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: «بسم الله»، لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون»، ثم رَدَّ الله المشركين. وعند الطبراني: «لو قلت: «بسم الله»، لطارت بك الملائكة، والناس ينظرون إليك»^(١).

وعند النسائي والبيهقي في الدلائل: «حتى تَلِجَ بك في جو السماء». لِلَّهِ دَرُ أَبِي مُحَمَّدٍ.. مَا فَعَلَ، حتى لو نطق بـ «بسم الله»، لطارت به الملائكة، حتى تَلِجَ به السماء؟!

«وقد جُرِحَ طلحة البطل وهو يذود المشركين عن رسول الله ﷺ أكثر من سبعين جرحًا».

فقد روى أبو داود الطيالسي عن أم المؤمنين عائشة، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد، قال: ذاك كله لطلحة. ثم أنشأ يحدث... قال: «كنتُ أولَ مَنْ فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دون رسول الله، فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني. وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله منه، وهو يخطف المشي خطفًا، لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتبهنا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرَت رباعيته وشُجَّ في وجهه، ودخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر؛ فقال ﷺ: «عليكما صاحبكما - يريد طلحة -»، وقد نَزَف، فأتينا طلحة في بعض تلك الحفار، فإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وإذا به قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه»^(٢).

(١) حسن: أخرجه النسائي، والطبراني، والحاكم، وابن شاهين، والبيهقي في (الدلائل)، وقال الذهبي: رواه ثقات. وقال الألباني في (السلسلة الصحيحة) (٢٠٤/٥): (ورجال إسناده ثقات، كلهم على شرط مسلم، لكن أبو الزبير مدلس، وقد عنعنه، وبالجملة: فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق. والله أعلم).

(٢) البداية والنهاية (٣٠/٤)، وموسوعة الغزوات (أحمد) ص (١٤٢، ١٤٣).

ومن المواقف العظيمة لطلحة رضي الله عنه قتله لحامل لواء المشركين الجلاس بن طلحة بعد مقتل إخوته حملة اللواء من قبله، فقد طعنه طلحة بن عبيد الله طعنة أودت بحياته^(١).

عن قيس بن أبي حازم قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم قد سُئِلَتْ»^(٢).
وعند البخاري^(٣): «رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد».

وعن المعتمر - وهو ابن سليمان - قال: سمعت أبي، عن أبي عثمان، قال: «لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام^(٤) التي قاتل فيهن غير طلحة وسعد. عن حديثهما^(٥)»^(٦).

«وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة، قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجرة مربعة، وقطع نساها - يعني العِزْق -، وسُئِلَتْ إصبعه، وكان سائر الجراح في جسده، وغلبه الغشي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مكسورة رباعيته، مشجوج في وجهه، قد علاه الغشي، وطلحة مُحْتَمِلُهُ، يرجع به القَهْقَرَى، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشعب»^(٧).

● طلحة ممن قضى نحبه

قال - تعالى -: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣].

(١) موسوعة الغزوات (أخذ) ص (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٤)، وابن ماجه (١٢٨)، وابن سعد في (الطبقات) (١٥٥/١/٣)، وأحمد في (المسند) (١٦١/١) وفي (فضائل الصحابة) (١٢٩٤).

(٣) البخاري (٤٠٦٣).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٣٦٠/٧): المراد يوم أحد.

(٥) قال النووي في (شرح مسلم) (٢٨٠/٥): معناه: وهما حدثاني بذلك. وبنحوه قال الحافظ في (الفتح) (٣٦٠/٧).

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٢٢، ٣٧٢٣)، ومسلم (٢٤١٤).

(٧) سير أعلام النبلاء (٣٢/١).

عن طلحة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأله عمَّن قضى نَجْبَه: من هو؟ وكانوا لا يجترئون على مسأله ﷺ، ويوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنني اطلعتُ من باب المسجد - وعليَّ ثيابُ خُضْرٍ - فلما رأني رسول الله ﷺ قال: «أين السائل عن قضى نجبه؟» قال الأعرابي: أنا. قال: «هذا ممن قضى نَجْبَه»^(١).

وقال ﷺ: «طلحة ممن قضى نجبه»^(٢).

وعن طلحة رضي الله عنه، قال: عُقرتُ يوم أحد في جميع جسدي، حتى في ذكري^(٣) ولله در حسان بن ثابت حين يقول في طلحة:

وطلحة يوم الشَّعبِ واسى محمداً لدى ساعة ضاقت عليه وسُدَّتْ
وقاهُ بكفِّيه الرماحَ ففُطِعَتْ أصابعُهُ تحت الرماحِ ففُشِلَّتْ

● قتله لحامل لواء المشركين في أحد «الجلال بن طلحة بن أبي طلحة»

لما حمل لواء المشركين الجلال بن طلحة بن أبي طلحة بعد مقتل إخوته لم يمهله طلحة بن عبيدالله حتى طعنه طعنة أودت بحياته^(٤).

قال موسى بن طلحة: «إن طلحة رجع بسبع وثلاثين أو خمس وثلاثين بين ضربة وطعنة ورمية، ترصع جبينه، وقطعت سبَّابته، وشلت الإصبع التي تليها»^(٥).

قال طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه لما كان يوم أحد ارتجزت بهذا الشعر:

(١) حسن: أخرجه الترمذي في (المنقب) (٣٧٤٢)، وقال: (حسن غريب)، وأبو يعلى (٢٦/٢، ٢٧)، والطبراني في (الكبير)، وابن سعد، والطبري في (التفسير) (٩٣/٢١)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٣٩٩)، وسنده حسن.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه عن معاوية، وابن عساكر عن عائشة، وابن سعد والترمذي وأبو يعلى والضياء عن طلحة، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٩١٦)، و(الصحيحه) رقم (١٢٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٩/١).

(٤) موسوعة الغزوات الكبرى (أحمد)، لباشميل ص (١٠٢).

(٥) رواه الحاكم (٢٥/٣، ٢٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

نحنُ حُماةُ غالبٍ ومالكٍ نذبُ عن رسولنا المبارك
 نضربُ عنه اليوم في المعارك نضرب صفاح الكوم^(١) في المبارك
 فلما انصرف النبي ﷺ يوم أحد، قال لحسان: «قل في طلحة» فأنشأ حسان وقال:
 وطلحة يوم الشَّعبِ آسى محمداً على سالكٍ ضاقت عليه وشقَّتِ
 يقيه بكفِّيه الرماح وأسلمتْ أشاجعُهُ تحت السيوفِ فشلتْ
 وكان إمام الناس إلا محمداً أقام رحي الإسلام حتى استقلت^(٢)

● «أوجب طلحة حين صنَّع برسول الله ﷺ ما صنَّع»

عن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ: «أوجب طلحة حين صنَّع برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ما صنَّع»^(٣) ومعنى أوجب؛ أي: عمل عملاً أوجب له الجنة.

ولفظ الترمذي: «كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى صخرة فلم يستطع: فأقعد تحته طلحة فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أوجب طلحة»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «طلحة شهيد يمشي على الأرض»^(٥)، وقال ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيدالله»^(٦).

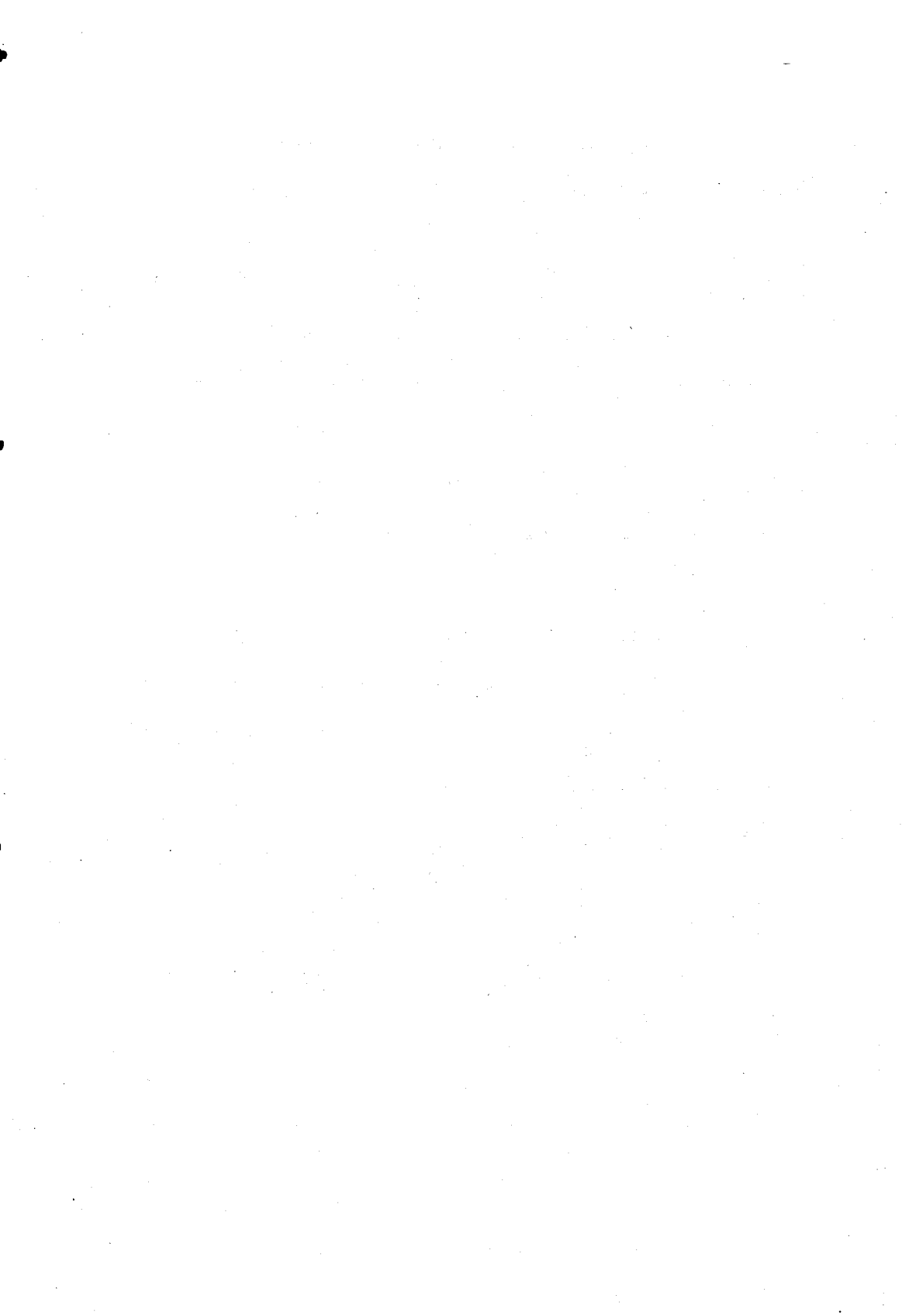
(١) الكوم: الضراب، وأصله من الارتفاع. (٢) الحاكم (٢٥/٣).

(٣) حسن: رواه أبو يعلى، واللفظ له في (مسنده) (٢٣/٢)، والترمذي (٣٧٣٨)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب)، وأخرجه أحمد (١٦٥/١)، وابن حبان (موارد الظمان) (٢٢/٢)، والحاكم في (المستدرک) (٣٧٤/٣)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، وابن سعد في (الطبقات) (١٥٥/١/٣)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٣٩٧، ١٣٩٨)، وأحمد في (فضائل الصحابة) (١٢٩١)، وابن أبي شيبة (١٢٢٠٩).

(٤) وهي عند ابن حبان أيضًا، وإسناده حسن.

(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه عن جابر، وابن عساكر عن أبي هريرة وأبي سعيد، وأخرجه الطيالسي، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) رقم (١٢٥)، و(صحيح الجامع) رقم (٣٩١٥).

(٦) صحيح: أخرجه الترمذي، والحاكم في (المستدرک) عن جابر، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) رقم (١٢٦)، و(صحيح الجامع) رقم (٥٩٦٢).



أول من سل سيفه في الإسلام الزبير بن العوام حواري النبي صلى الله عليه وسلم

● هو أول من سل سيفاً في الإسلام، بأبي هو وأمي، من فدّاه النبي صلى الله عليه وسلم بأبويه.

ولله در أحمد محرم حين يقول عن الزبير يوم أحد:

ألا برز الزبير فأبى وصف حواري الرسول يفني ويكفي
برزت لخالد حثفاً لحفي تصد قواؤه عن كبرٍ وزحف

وتدفعه إذا ابتعث الرعيلاً^(١)

جاء الزبير بسيفه في بداية الدعوة بمكة، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ما لك؟ قال: أخبرت أنك أخذت. قال: «فكنت صانعاً ماذا؟»، قال الزبير: كنت أضرب به من أخذك. فدعا له ولسيفه؛ وكان أول سيف سُئل في سبيل الله - تعالى -^(٢).

● في يوم بدر

كان الزبير أحد مهاجري الإسلام وأبطاله في يوم الفرقان، وكان على الميمنة، وقد قتل الزبير في هذا اليوم العظيم عبيدة بن سعيد بن العاص، كما قتل السائب بن أبي السائب بن عابد^(٣)، ونوفل بن خويلد بن أسد عمّه. وفلّ فلة في سيفه وجرح جرحين غائرين، بأبي وأمي فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، من نزلت بسيماء الملائكة في يوم

(١) ديوان مجد الإسلام ص (١٢٨).

(٢) حلية الأولياء (٨٩/١) والمستدرک (٤٠٧/٣) ومختصر تاريخ دمشق (١٣/٨، ١٤)، والأوائل ص (٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٤٥/١).

(٣) موسوعة الغزوات الكبرى ص (١٧٨، ١٨١).

وفي رواية ابن هشام (٧١١/١): أن السائب هذا أسلم وحسن إسلامه.

أخرج الحاكم بسنده (٤٠٧/٣) عن علي بن أبي طالب قال: «كانت أول غزوة في الإسلام بدر، ما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد»، وكان فرس الزبير يوم بدر يقال له: اليعسوب. انظر: الكامل (٨٢/١).

بدر، وجمع له رسول الله ﷺ بين أبويه.

عن عروة بن الزبير قال: كانت على الزبير يوم بدرِ عمامةٌ صفراءُ، فنزل جبريل على سيماء الزبير.

وفي هذا يقول عامر بن صالح بن عبدالله بن الزبير:

جَدِّي ابْنُ عَمَةٍ أَحْمَدٍ وَوَزِيرُهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَفَارِسُ الشُّقْرَاءِ
وَعَدَاةُ بَدْرِ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ شَهِدَ الْوَعْيَ فِي اللَّامَةِ الصَّفْرَاءِ
نَزَلْتُ بِسَيْمَاهُ الْمَلَائِكُ نُضْرَةً بِالْحَوْضِ يَوْمَ تَأَلَّبِ الْأَعْدَاءِ

عن الزبير قال: لقيتُ يوم بدرِ عُبَيْدَةَ بن سعيد بن العاص، وهو مُدَجَّجٌ لا يُرَى إلا عيناه، وكان يُكنى: أبا ذات الكرش، فحملتُ عليه بالعنزة، فطعنته في عينه، فمات. فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعتُ رجلي عليه، فكان الجهدُ أن نزعتهَا - يعني الحربة -، فلقد انثنى طرفُهَا. رواه البخاري.

● وفي أحد فداه النبي ﷺ بأبويه

كان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، وقد كان حملته الواحد تلو الآخر من بني عبد الدار من صنديد قريش، وكانت الإطاحة باللواء - وخاصة في ذلك العصر - تُعَجَّلُ بالهزيمة؛ ولهذا كان لا يتحمل مسؤولية حمل اللواء في تلك المعارك إلا الأبطال المغاوير، كما قال أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة أحد حملة لواء قريش. إن على أهل اللواء حقًا أن تخضب الصعدة^(١) أو تندقا وقبيل المعركة بلحظات قال أبو سفيان قائد المشركين: «يا بني عبد الدار قد وُلِيتُم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه»، فغضب بنو عبد الدار لقول أبي سفيان هذا أشد الغضب، وهموا به وتواعدوه، وقالوا له: «نحن نسلم إليك لواءنا؟؟ ستعلم غدًا إذا التقينا كيف نصنع»^(٢).

(١) الصعدة: نوع من الرماح. (٢) موسوعة الغزوات الكبرى (أُخذ) لياشميل ص (٩٠).

(١) الصعدة: نوع من الرماح.

وبرزت نساء قريش أمام حملة لواء مكة العبدريين وهن يُنشدن الأشعار المحرضة الموجهة إليهم بصفتهن الخاصة والتي منها.

ويها بني عبد الدار
ضرباً بكل بتار^(١)

● مصرع قائد حملة لواء مكة بيد الحواربي

كان أول وقود المعركة قائد حملة لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، وكان يوم أحد راكباً جميلاً ومعه لواء مكة، وكان المسلمون لشجاعته يسمونه كبش «كبش الكتبية»، فقد دعا طلحة العبدري هذا المسلمين إلى البراز، فأحجم الناس عنه، ولكن الزبير بن العوام أجابه إلى البراز، ولما كان طلحة راكباً جميلاً لم يمهله الزبير حتى ينزل إلى الأرض، بل وثب إليه وثبة الليث حتى صار معه على جملة، ثم اقتحم به الأرض وبرك عليه، ثم عاجله بطعنة من سيفه فصلت رأسه عن جسده.

وكان النبي القائد يرقب صراع الزبير مع قائد حملة لواء مكة، فلما قتل الزبير طلحة بن أبي طلحة - وهو كبش الكتبية كما يقول ابن سعد في «طبقاته» - سُرَّ النبي ﷺ سروراً عظيماً، ورفع صوته بالتكبير، فكبر المسلمون لتكبيره، وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أن النبي ﷺ أثنى على الزبير بن العوام لقتله حامل لواء المشركين، فقال في حقه: «إن لكل نبي حوارياً، وحواريي الزبير»^(٢)، وأنه ﷺ قال - أيضاً - بعد أن صرع الزبير حامل اللواء: «لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت أنا إليه، لما رأيت من إحجام الناس عنه»^(٣).

(١) المصدر السابق ص (٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، والترمذي عن جابر، والترمذي، والحاكم في (المستدرک) عن علي.

(٣) البداية والنهاية (٢٠/٤)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (الغازي) ص (١٧٢، ١٧٣)، والسيرة الحلبية

(١٨/٢)، وموسوعة الغزوات (أحمد) ص (١٠٠، ١٠١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الزبير ابن عمتي، وحواري من أمتي»^(١)، والحواري: الناصر كما قال سفيان.

وفي هذا يقول أحمد محرم:

من الداعي يصيخُ على البعير أما لي في الفوارس من نظير
أروني همّة البطل المغير إليّ فما بمثلي من نكير
أنا الأسد الذي يحمي الشُّبولا

تحذاه الزبيرُ وفي يديه قضاءً خفَّ عاجله إليه
رمى ظهر البعير بمنكبته وجرّعه منيته عليه
فأسلم نفسه وهوى قتيلاً

ألا بُغداً لطلحة حين يهذي فيأخذه الحواري^(٢) شرّاً أخذ
أصيب بقسوري البأس فذُ يُعدُّ لكل طاغي النفس مُؤذ^(٣)
يُعالج داءه حتى يزولا^(٤)

وبعد قتل حملة اللواء أبي شيبه، وأبي سعيد ومسافع حمل اللواء بعدهم كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فانقضَّ عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله^(٥).
«ورأى النبيّ يوم «أحد» رجلاً يقتل المسلمين قتلاً عنيفاً، فقال: «قم إليه يا زبير» فرقى إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى

(١) أخرجه أحمد في (مسنده)، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) رقم (١٨٧٧) و(صحيح الجامع) رقم (٣٥٨٣).

(٢) في ديوان (مجد الإسلام): (فيأخذه علي) أبدلناها بـ(الحواري)؛ فهو قاتل طلحة. وفي ديوان (مجد الإسلام) ص (١٣٠): (طلحة بن أبي طلحة، من بني عبد الدار، حامل لواء المشركين، طلب المبارزة وجعل يهذي بكلام منه: (يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلاتنا إلى النار)، وفي رواية: (إنكم تزعمون أن الله يجعلنا بسيفكم إلى النار ويعجلكم بسيفنا إلى الجنة، فهل أحد منكم يجعلني بسيفه إلى النار، أو أعجله بسيفي إلى الجنة، كذبتهم واللوات والعزى)، خرج إليه الزبير؛ فقتله).

(٣) القسوري نسبة إلى القسور؛ وهو: الأسد.

(٤) ديوان مجد الإسلام ص (١٣٠).

(٥) موسوعة الغزوات (أحد)، لباشميل ص (١٠٢).

الأرض، فوق الزبير على صدره وقتلته»^(١).

● ومن شجاعته وبطولته الفذة يوم أحد فداه بأبويه عن عبدالله بن الزبير عن الزبير رضي الله عنه قال: «جمع لي رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أبويه يوم أحد»^(٢).

● الزبير رضي الله عنه من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرع عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْعُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قالت لعروة: يابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «من يذهب في إثرهم؟»، فانتدب منهم سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير»^(٣). وعند مسلم عن عروة قال: «قالت لي عائشة كان أبواك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع»^(٤).

● شجاعة الزبير وبطولته يوم الأحزاب وتفدية الرسول له بأبويه في هذا اليوم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: «من يأتينا بخبر القوم؟»، فقال الزبير أنا. ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم؟»، فقال الزبير: أنا. ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم؟»، فقال الزبير: أنا. ثم قال: «إن لكل نبي حوارياً، وإن حوارِي الزبير»^(٥).

(١) تهذيب تاريخ ابن عساکر (٣٥٨/٥).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في (مسنده) (١٦٤/١)، وفي (فضائل الصحابة) (١٢٦٧)، وابن أبي شيبة في (المصنف) (١٢٢١١)، والنسائي في (فضائل الصحابة) (١١٠).

وعند ابن أبي شيبة أيضاً أن ذلك كان يوم قريظة.

(٣) رواه البخاري (٤٠٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤١٨)، وابن سعد في (الطبقات) (٧٣/١/٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤١١٣)، ومسلم (٢٤١٤)، والترمذي (٣٧٤٥)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه (١٢٢)، والنسائي في (فضائل الصحابة) (١٠٧)، وأخرجه أحمد (٣٠٧/٣)،

٣١٤، ٣٣٨، ٣٦٥)، وأبو يعلى (١٩/٤، ٦٣)، وعبد بن حميد في (المنتخب) (١٠٨٦)، وأحمد =

وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه قال: «كنت يوم الأحزاب جعلتُ أنا وعُمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف. قال: أو هل رأيتي يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من يأت بني قريظة فيأتينني بخبرهم؟»، فانطلقت فلما رجعتُ جمع لي رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أبويه فقال: «فذاك أبي وأمي»^(١)، وما أحلاه من تاج يرصع به النبي صلى الله عليه وسلم هَامَ وجبين الزبير الفارس المقدم الجسور في يوم زاغت فيه الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.

وعن ابن أبي الزناد قال: ضرب الزبير يوم الخندق عثمان بن عبدالله بن المغيرة بالسيف على مغفره، فقطعه إلى القربوس^(٢)، فقالوا: ما أجود سيفك! فغضب الزبير، يريد أن العمل ليده لا للسيف^(٣).

• ويل لليهود بني قريظة من عليٍّ والزبير

لما حكم سعد بن معاذ في يهود بني قريظة بحكم الله من فوق سبع سماوات عاد النبي إلى المدينة في اليوم السابع من ذي الحجة سنة خمس للهجرة، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم يهود بني قريظة فأدخلوا إلى المدينة.. دخلت بهم جميعاً قوة من الحرس النبوي بقيادة محمد بن مسلمة وعبدالله بن سلام.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبس الرجال في دار أسامة بن زيد، وشرع النبي صلى الله عليه وسلم في إجراءات تنفيذ حكم الإعدام في هؤلاء اليهود، فأمر بحفر خنادق عميقة لتدفن جثث هؤلاء الخونة بعد إعدامهم، وكان المكان الذي اختير لإعدامهم ودفنهم هو

= في (فضائل الصحابة) (١٢٦٤)، وابن سعد في (الطبقات) (٧٤/١/٣)، وابن أبي شيبة في (المصنف) (١٢٢١٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦)، والترمذي مختصراً (٣٧٤٣)، وقال: هذا حديث

حسن.

(٢) مقدم السرج ومؤخره.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/١)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (المغازي) ص (٣٠١).

سوق المدينة الذي يغلب على الظن أنه المُسمَّى اليوم بـ«سوق المناخة».

وبعد أن انتهت عملية حفر الخنادق المعدَّة لدفن اليهود جلس النبي صلَّى اللهُ عليه وآله في المكان المُعدَّ لإعدامهم ومعه كبار الصحابة، ثم أمر بإحضار الرجال من بني قريظة المحكوم عليهم، فأمر بإعدامهم، فأعدموا دفعة بعد دفعة حتى لم يبق منهم أحدٌ، وكان الصحابة كلما تمَّ إعدام دفعة من هؤلاء اليهود قذفوا بهم في الخنادق وواروهم بالتراب حتى انتهوا منهم.

وقد اختلف المؤرخون في عدد اليهود الذين تمَّ إعدامهم، فالبعض يقول: إنهم ما بين ست مئة إلى سبع مئة. والبعض الآخر يقول: إنهم ما بين الثمان مئة إلى التسع مئة (١). ولقد أُعدم هؤلاء اليهود في ليلة واحدة، وقد جرت عملية الإعدام على ضوء مشاعل سعف النخيل، وكان الذي تولى عملية قتل هؤلاء اليهود والخونة هو علي بن أبي طالب والزبير بن العوام - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - (٢).

لله در سعد بن معاذ، وعلي، والزبير.. والله إن الأمة اليوم في حاجة إلى شسع نعالهم.. أو طيف من خيالهم.

وآل الأمرُ أحسن ما يثولُ	أتى (٣) فأقرَّ حكم الله فيهم
صقيل منهما عَضْبٌ ثَقِيلُ	عليٌّ والزبير لكلِّ عَضْبٍ
وَزَوْجُ اللهِ بينهما رَسِيلُ (٤)	هما استبقا نفوس القوم نهبًا

* * *

ورِذُّ يا كَعْبُ ما ورد الزميلُ	تقدِّم يا حُيَيُّ فلا محيِصُ
هُمُ البُرْحَاءُ والداء الدخيلُ (٥)	لبئس السيدان لشُرِّ قوم

(١) سمط النجوم العوالي، لعبد الملك بن حسين العصامي (١٣٨/٢).

(٢) السير الحلبية، لابن برهان الدين (١٢٠/٢).

(٣) أي: سعد بن معاذ رضي الله عنه.

(٤) الرسيل: المرسل، والموافق في النضال وغيره.

(٥) البرحاء: الأذى الشديد.

منابت فتة خبثت وساءت فلم تطب الفروع ولا الأصول
 قلوب من سواد القوم غمّي وألباب من الزعماء حوّل
 لعمز الهالكين لقد تأذى تراب في حفائرهم مهيل
 طوى رجسًا تكاد الأرض منه تموز بمن عليها أو تزول
 والله إن ذكر هذا اليوم الأغرّ الذي أطاح فيه سيف الزبير وسيف علي بهذه
 الرقاب النجسة ليجدد الأمل في المستقبل الزاهر لهذه الأمة، لقد أطاح سيف الزبير
 بثلاث مئة أو أربع مئة تولى تنفيذ حكم الله فيها الحواري النبيل.

إذا ذُكرت مناقبه الغوالي تعالت أمة واعتز جيل
 مناقب ما يزال لها طلوع إذا الأقماز أدركها الأفول
 لها من نابه الأدب انبعث فما يخفي زواهرها الخمول
 لعل الله يجعلها ربيعًا لألباب أضرب بها المحول
 فوا أسفا أظعمني القوافي فيخلف مَطمَعٌ ويخيب سول
 وواحربا أما يُرجى فكاك لأسرى ما تفارقها الكبول^(١)؟

● الزبير يقتل ياسر أخا مرحب بطل خيبر أمام حصن ناعم

أعنف قتال شهدته خيبر هو القتال الذي دار حول حصن ناعم وهو حصن آل
 مرحب، وبلغ من اعتداد اليهود المرابطين في هذا الحصن بأنفسهم أنهم خرجوا أكثر
 من مرة وهاجموا المسلمين حتى كشفوهم وطاردوهم حتى ألقوهم إلى مقر قيادة
 النبي ﷺ، وبالرغم من تمكن علي رضي الله عنه من قتل مرحب بطل خيبر وكبير القادة
 المدافعين عن الحصن، فإن الحصن لم يستسلم للمسلمين في الحال، بل ظل اليهود
 محتفظين به يدافعون عنه بضراوة.. يدلنا على ذلك أن ياسر الذي خلف أخويه -
 مرحبًا والحارث في القيادة- ظل يدافع عن الحصن بضراوة، بل قد ذهبت به الشجاعة
 والجرأة - بعد أن لقي أخواه مصرعهما - إلى أن يتحدى المسلمين؛ حيث خرج من

(١) ديوان مجد الإسلام ص (٢٣٦ - ٢٣٩). يقصد الأمم الإسلامية المغلوبة على أمرها في أيامنا هذه.

الحصن تحرسه قوات كثيفة من اليهود، وركز رمحه أمام الحصن، وأخذ يجول بفرسه وهو يطلب المبارزة قائلاً.

قد علمت خيبر أني ياسرُ شاكي السلاح بطل مغامرُ
إذا الليوث أقبلت تبادرُ وأحجمت عن صولتي المخاطرُ
إن حماتي فيه موت حاضر

وكان اليهودي ياسر من أشجع قاداتهم وأشدهم بأسًا، وكانت معه حربة يحوش^(١) بها المسلمين حوشًا، فبرز له علي فقال الزبير: أقسمتُ عليك إلا خلّيت بيني وبينه. ففعل عليّ، وأقبل ياسر يسوق بها الناس، فبرز له الزبير، فخشيت عليه صفة عمه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله - إنه يقتل ابني. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «بل ابنك يقتله إن شاء الله..»، وقد ردّ الزبير على شعر ياسر بقوله:

قد علمت خيبر أني زيارُ قزم لقزم غيرُ نكس فؤار
وابن حماة المجد وابن الأخيار ياسر لا يغرك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الجزار

فتجاولا برهة بعدها تمكن الزبير من قتل خصمه ياسر^(٢)، وبقتله فقد المدافعون عن حصن ناعم قاداتهم الكبار الثلاثة، فأثر ذلك تأثيرًا كبيرًا في معنوياتهم الأمر الذي يسّر للمسلمين اقتحام الحصن وفتحه بقيادة علي بن أبي طالب، وبعد أن قتل الزبير قائد اليهود ياسرًا، قال النبي صلّى الله عليه وآله للزبير: «فداك عمّ وخالّ، لكل نبي حوارِي، وحواري الزبير». «الزبير».

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: فكان الزبير إذا قيل له: إن كان سيفك يومئذٍ لصارمًا، فيقول: ما كان صارمًا، ولكنني أكرهته^(٣).

(١) يحوش: يسوق.

(٢) سيرة ابن هشام (٣٣٤/٢)، وإمتاع الأسماع ص (٣١٦)، والسيرة الحلبية (١٦٣/٢)، وزاد المعاد (٣٢٩/٢).

(٣) موسوعة الغزوات الكبرى (خيبر) ص (١١٦، ١١٧).

● ولله در القائل:

تَوَّابٌ يَاسِرٌ فَتَلَقَّفَتْهُ
أما سمعته خيبر حين يهذي
ولو تَسَطَّيْعٌ لَاتَّخَذَتْ حَيَاءً
غُرَابُ الشُّؤْمِ يَفْزَعُهَا نَعِيبًا
فَتَى شَاكِي السَّلَاحِ وَلَا سِلَاحٍ
ألا إن الزبير لذو بلاءٍ
حواريُّ الرسولِ يكون منه
مخالبُ فاتكِ ألفِ الوثابا
فصدت عنه ثوجعه عتابا
من البيض الرقاق لها نقابا
فيا لك بومةً ولدت غرابا
لئن يبغي من الموت اقترابا
وإن خشيت صفيئة أن يُصابا
بحيث يريدُ صبرا واحتسابا^(١)

● شهود الزبير لفتح مكة

عن عروة بن الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن الزبير قال: واللَّهِ! ما خرج رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مخرجًا في غزوةٍ غزاها ولا سريةٍ إلا كنت فيها^(٢).
وفي فتح مكة كان الزبير على مجنبة الجيش اليسرى وكان معه إحدى رايات المهاجرين الثلاثة^(٣)، وفي رواية: أنه كان على كل المهاجرين والأنصار^(٤).
فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد قادة المسلمين في فتح مكة، وكان المقداد بن الأسود على المجنبة اليمنى، فلما دخل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مكة، وهدأ الناس، جاء الزبير والمقداد بفرسيهما، فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يمسح الغبار عن وجوههما بثوبه وقال: «إني جعلت للفرس سهمين، وللفارسان سهمًا، فمن نقصهما نقصه الله»^(٥).

(١) ديوان مجد الإسلام ص (٣٠٣).

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٤٠٧/٣).

(٣) طبقات ابن سعد (١٠٤/٣، ٢٦/٤)، والطبري (٣٣٤/٢).

(٤) تاريخ الطبري (٣٣١/٢).

(٥) طبقات ابن سعد (١٠٤/٣).

● ويوم حنين يخشى قائد هوازن مالك بن عوف النصري أسر الزبير له فيفرُّ منه في الشعاب:

كان الزبير بن العوام ممن ثبت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله حين فرّ الناس، وكان عثمان بن عفان، وعلي، وأبو دجانة، وأمين يقاتلون بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله، واستبسل قائد قبيلة هوازن ومملكها مالك بن عوف النصري وقبيلته بني نصر، وقاتلوا بشراسة وشجاعة وثبات، حتى كادوا أن ينفوا عن آخرهم، ولم ينسحب مالك بن عوف من الميدان إلا بعد أن رأى أن الهزيمة ماثلة أمام عينيه، وانسحب من الميدان في كوكبة من الفرسان هم كبار قادته وهيئة أركان حربه وحرصه، وكان الذي تولى مطاردة مالك وصحبه الزبير بن العوام في الخيل، وقد ذكر المؤرخون أن القائد العام مالكاً لما رأى أن الزبير هو الذي يتولى مطاردته نزل عن فرسه واختفى بين الأشجار في الشعاب؛ لئلا يقع أسيراً في يد الزبير؛ لأن مالكاً يعلم أن الزبير لن يتركه يفلت من يده.

فقد جاء في كتب التاريخ والسير أن مالك بن عوف - عقب انهزامه - وقف على مرتفع من الأرض ومعه فُرسانٌ من أصحابه، فأمرهم أن يقفوا مكانهم حتى يمرّ الضعفاء من استطاع النجاة من الذراري قائلاً: قفوا حتى يمضي ضعفاؤكم حتى تلتئم أخراكم.

وبعد أن مرّ الضعفاء وأصبحوا بمنجى في مرتفعات الجبال قال لأصحابه - طالباً الاستطلاع -: انظروا ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً على خيولهم واضعين رماحهم على أذان خيولهم. قال - وكان خبيراً عسكرياً واسع الاطلاع على عادات القبائل -: أولئك إخوانكم بنو سليم وليس عليكم منهم بأس. ثم قال: انظروا ماذا ترون؟ قالوا: نرى رجالاً أكفألاً^(١) قد وضعوا رماحهم على أكفال خيولهم. قال: تلك الخزرج، وليس عليكم منهم بأس، وهم سالكون طريق إخوانهم. ثم قال: انظروا ماذا ترون؟

(١) قال في لسان العرب: الكفل من الرجال الذي يكون في مؤخر الحرب. والأكفال جمع كفل - بالتحريك - وهو العجز. وقيل: ردف العجز.

قالوا: نرى قومًا كأنهم الأصنام على الخيل. قال: تلك كعب بن لؤي وهم مقاتلوكم. ثم قال: انظروا ماذا ترون؟ قالوا: نرى رجلًا بين رجلين معلّمًا بعصابة صفراء، يخطب برجليه الأرض واضعًا رمحه على عاتقه. قال: ذلك ابن صفية، الزبير بن العوام، وأيم الله لينزلنكم عن مكانكم.

وفي رواية: «هذا الزبير بن العوام، وأحلف بالله ليخالطنكم، فاثبتوا. فلما انتهى الزبير إلى أسفل الشية، أبصر القوم، فعمد إليهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزالهم عنها»^(١).

وفعلًا هاجم الزبير مالكا وأصحابه حتى كاد يطوقهم، فلما غشيت مالكا الخيل نزل عن فرسه مخافة أن يقع في الأسرى، ثم أخذ يلوذ ويتستر بالشجر كي لا يراه أحد من أصحاب الزبير، ثم سلك في يسوم «جبل بأعلى نخلة» فأعجزهم هربًا، وما زال ملك هوازن وقائدهم موعلاً في الهرب، حتى وصل وادي لية^(٢)، وهناك تحصن في قصر له، وبلغ النبي ﷺ تحصن مالك بن عوف في قصر لية فلم يأمر بتعقبه أو إزعاجه؛ لأنه كان يطمع في أن يهديه الله للإسلام، وفعلًا بعث الرسول ﷺ إلى ملك هوازن مبعوثًا خاصًا يبلغه أن الرسول ﷺ سيعفو عنه وسيعيد إليه أهله وأمواله إن هو دخل في الإسلام، فأسلم مالك وحسن إسلامه وصار خير عون للإسلام في محاربة من تبقى على الشرك^(٣).

● انظر إلى الزبير ومنزلته العظيمة عند رسول الله ﷺ:

كان الزبير يقول: «جمع لي رسول الله ﷺ أبويه مرتين: في أحد وفي قريظة»^(٤). وكان الزبير أحد ثمانية تُوفي النبي وهو عنهم راض كما قال عمر بن الخطاب.

(١) انظر: مختصر تاريخ دمشق (١٨/٩).

(٢) بكسر أوله وثانيه (لية).

(٣) مغازي الواقدي (٩١٧/٣)، وسيرة ابن هشام (٩٧/٤)، وتهذيب ابن عساكر (٣٥٩/٥)، والبداية والنهاية (٣٣٦/٤، ٣٣٧)، وموسوعة الغزوات (حنين) (١٢٨ - ١٣٠).

(٤) الرياض النضرة، للمحب الطبري (٣٥٧/٢) والاستيعاب (٥١٣/٢)، وأشد الغابة (١٩٧/٢).

● جهاده مع الصديق

بعد أن ارتدت العرب، أُنذر أبو بكر أهل المدينة بالخطر، وحشد المقاتلين بعدة القتال في المسجد، وجعل على مداخل المدينة علي بن أبي طالب، والزبير، وعبدالله ابن مسعود^(١)، ولم يلبث أهل المدينة إلا ثلاثة أيام حتى زحف عليهم مانعو الزكاة، فأحس العسس^(٢) المقيمون على مداخل المدينة قدوم القبائل، فأرسل علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة بن عُبيد الله بالخبر إلى أبي بكر، فأجابهم: «الزموا أما كنكم»، وخرج في أهل المسجد على الإبل حتى بلغ مواقع القبائل المهاجمة^(٣)، فاستطاع التغلب عليهم ودفع خطرهم عن المدينة^(٤).

● ثبات الزبير في يوم اليمامة وحسن بلائه وشجاعته

عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَمُومِ: أَلَا تَشُدُّ فَتَشُدُّ مَعَكَ. فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ. فَقَالُوا: لَا نَفْعُ. فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضَرَبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ عُرْوَةُ: كُنْتُ أَدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرْبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ. قَالَ عُرْوَةُ: وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ اثْنُ عَشَرَ سِنِينَ، فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا^(٥).

قال الذهبي في السير معلقًا: «هذه الواقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله؛ فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين»^(٦).

وذكر ابن كثير أن الواقعة هي «اليرموك»، ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين.

(١) الطبري (٤٧٦/٢، ٤٧٧)، وابن الأثير (١٣١/٢).

(٢) العسس: الخفراء والحراس الليليون. وعس: طاف بالليل. وَعَسَسَ: جمع عاسس.

(٣) الطبري (٤٧٧/٢).

(٤) الطبري (٤٧٧/٢ - ٤٧٩)، وابن الأثير (١٣١/٢، ١٣٢).

(٥) رواه البخاري (٣٩٧٥).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦٢/١، ٦٣).

ويا لروعة إقدام الزبير حين يحجم الأبطال من صحابة رسول الله ﷺ ولا يصبرون معه.

● الزبير أحد الذين أشاروا على الصديق يغزو أرض الشام

كان الزبير أحد كبار المهاجرين من أمثال عمر، وعلي، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف، الذين كانوا يؤلفون هيئة شورى أبي بكر، وكان مركز القيادة العامة قويًا بهم وبما يضعون من خطط ويدبرون من أمور، فكان الزبير أحد الذين أشاروا على أبي بكر بغزو الشام^(١).

● في يوم اليرموك يحمل الزبير على الروم ويشق صفوفهم

سار الزبير مع المجاهدين في أيام أبي بكر إلى أرض الشام، فشهد معركة اليرموك الحاسمة قائدًا لأحد الكراديس^(٢)، فحمل على الروم حتى شق صفوفهم، ثم عاد أدراجه وقد جرح جرحًا غائرًا^(٣).

قال ابن كثير: «وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقالوا: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه. وفي رواية: جرح^(٤)». ويقول ابن كثير مرة أخرى: «خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرموك، فتشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء، والهمة العليا، اخترق جيوش الروم

(١) قادة فتح الشام ومصر، لمحمد شيت خطاب ص (٢٠٧).

(٢) الطبري (٥٩٤/٢)، وتهذيب ابن عساكر (٣٥٥/٥).

(٣) فتح الباري (٢٣٣/٧، ٢٣٤).

(٤) البداية والنهاية (١١/٧).

وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم»^(١).

● الزبير قائد جيش المدد لفتح مصر، وفتح حصن بابلين^(٢)، والساعد الأيمن لفتح مصر

«ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوّات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسة مئة رجل^(٣)، كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده^(٤)، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً^(٥)، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مَخْلَد. وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع^(٦). وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألفٍ منهم رجل مقام ألفٍ. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال»^(٧).

وكان الزبير قد همّ بالغزو وأراد إتيان إنطاكية، فقال له عمر: «يا أبا عبد الله! هل لك في ولاية مصر؟ فقال: لا حاجة لي فيها، ولكن أخرج مجاهدًا، وللمسلمين معاونًا، فإن وجدت عَمْرًا قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدت إلى بعض السواحل فرابطت به، وإن وجدته في جهاد كنت معه. فسار على ذلك»^(٨).

وحين قدم الزبير على عمرو وجده مُحاصِرًا حصن «بابلين»، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخنديق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق^(٩)،

(١) البداية والنهاية (٧/٢٦٠).

(٢) بابلين: اسم عام لديار مصر بلغة القدماء، وقيل: هو اسم لموضع القسطنطينية، وهذا الحصن هو موضع مدينة القسطنطينية يقع في القاهرة القديمة.

(٣) البلاذري ص (٢١٤).

(٤) فتوح مصر والمغرب، لابن عبد الحكم ص (٩١).

(٥) البلاذري (٢١٤)، وفتوح مصر والمغرب ص (٩٢).

(٦) فتوح مصر والمغرب ص (٩٢)، ومعجم البلدان (٦/٣٨٧).

(٧) فتوح مصر والمغرب ص (٦١)، ومعجم البلدان (٦/٣٧٦).

(٨) البلاذري ص (٢١٤).

(٩) فتوح مصر والمغرب ص (٩٢).

وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، ف قيل للزبير: «إن بها الطاعون»، فقال: «إنما جئنا للطعن والطاعون»^(١).

«وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: «إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين»، فوضع سُلَّمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سُوق الحُمَام ثم صَعِد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفاً من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فَتَحَ حصنُ بابلِيون أبوابه للمسلمين؛ فانتَهت بفتحها المعركة الحاسمة لفتح مصر»^(٢).

«وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المُقَوِّس في معركة «بابلِيون» الحاسمة التي فتحت للعرب المسلمين أبواب مصر على مصراعِها»^(٣).

ولله دَرُّ حسان حين يقول:

أقام على عهد النبي وهديه	أقام على عهد النبي وهديه
أقام على منهاجه وطريقه	أقام على منهاجه وطريقه
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي	هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي
إذا كشفت عن ساقها الحربُ حَشَّها	إذا كشفت عن ساقها الحربُ حَشَّها
وإنَّ امرأ كانت صفيَّةً أمُّه	وإنَّ امرأ كانت صفيَّةً أمُّه
له من رسول الله قربي قريبةً	له من رسول الله قربي قريبةً
فكم كُوزِيَّةٌ دَبَّ الزبيرُ بسيفه	فكم كُوزِيَّةٌ دَبَّ الزبيرُ بسيفه

(١) طبقات ابن سعد (١٠٧/٣)، والبلاذري ص (٢١٥).

(٢) فتوح مصر والمغرب ص (٩٤)، ومعجم البلدان (٣٧٨/٦)، والبلاذري ص (٢١٥).

(٣) قادة فتح الشام ومصر ص (٢٠٩، ٢٢٧).

(٤) يقال: أرقل القوم إلى الحرب إرقالاً: أسرعوا. والإرقال: ضرب من الخبب؛ وهي: سرعة سير الإبل.

ثَنَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فَعَالٍ مَعَاشِرٍ وَفَعْلُكَ يَا بْنَ الْهَاشِمِيَةِ أَفْضَلُ
فَمَا مِثْلُهُ فِيهِمْ وَلَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَيْسَ يَكُونُ الدَّهْرُ مَا دَامَ يَذْبُلُ^(١).

● الزبير وسيفه

قال الإمام سفيان الثوري: نجدة الصحابة: حمزة، وعلي، والزبير.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الزبير ركن من أركان الدين^(٢).

وقال عامر الشعبي: «أدركت خمس مئة أو أكثر من الصحابة يقولون: علي،

وعثمان، وطلحة، والزبير في الجنة»^(٣).

قال الإمام الذهبي معلقاً بقوله: «لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، من

البدرين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر - تعالى - أنه رضي

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ؛ ولأن الأربعة قتلوا، ورزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم، باغضون

للأربعة الذين قَتَلُوا الأربعة».

وقيل لعلي بن أبي طالب وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أشجع الناس يا أبا

الحسن؟»، فقال: «ذاك - وأشار إلى الزبير - الذي يغضب كالنمر وَيَثْبُ وَيُثَبُّ وَثُوبَ

الأسد»^(٤).

وسأل أبو بكر الصديق عمرو بن العاص عن الزبير فقال: «شجاعٌ جَسِرٌ»^(٥).

قال عروة بن الزبير: وقال لي عبد الملك بن مروان حين قُتِلَ عبد الله بن الزبير: يا

عروة هل تعرف سيف الزبير؟ قلت: نعم. قال: فما فيه؟ قلت: فُلَّةٌ فُلَّهَا يوم بدر. قال:

صدقت «بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ»، ثم رَدَّهُ علي عروة^(٦).

(١) ديوان حسان (١٩٩، ٢٠٠) (ط/ دار صادر البيروتية). ويذبل: جيل مشهور بنجد.

(٢) الكامل (١٠٥/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦٢/١).

(٤) تهذيب ابن عساكر (٣٦٢/٥).

(٥) اليعقوبي (١٠٧/٢).

(٦) رواه البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم (٣٩٧٣).

«وهو من المدح في معرض الذم؛ لأن الفلَّ في السيف نقص حَسِّيٌّ، لكنه لما كان دليلاً على قوة ساعد صاحبه كان من جملة كماله».

وكان في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي^(١). كما قال علي بن زيد عن رأى الزبير: لقد تحمَّل الزبير رضي الله عنه في سبيل الله ما تحمَّل حتى لم يبق عضو من أعضائه إلا وقد جرح مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله حتى انتهى إلى فرجة^(٢).

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: «إن شجاعة وإقدام الزبير كانا مضرب الأمثال، وهما الزيتان البارزتان من بين مزايا قيادته، والحق أنه كان جندياً ممتازاً يتحلى بكل مزايا الجندي الممتاز: عقيدة راسخة، وضبط متين، وعقلية متزنة، وشجاعة شخصية، وتدريب جيد، وقابلية بدنية، ومعنويات عالية، وبهذه المزايا برز الزبير بطلاً في كل معركة خاضها في أيام النبي صلَّى الله عليه وآله وبعده. وقد تولى منصب قيادة المدد في أيام عمر، فكان لشجاعته أثر حاسم في انتصار المسلمين في معركة بابلين الحاسمة^(٣).

● حبه للشهادة وتمنيه لها، وشهادة النبي له بأنه شهيد

عن عروة بن الزبير قال: قال الزبير بن العوام: إن طلحة بن عبيد الله التيمي يُسَمَّى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد عُلم أن لا نبي بعد محمد، وإني أُسَمِّي بِنَبِيِّ بِأَسْمَاءِ الشَّهَدَاءِ لَعَلَّهُمْ أَنْ يُشْتَشْهَدُوا. فسمى عبدالله بـ«عبدالله بن جحش رضي الله عنه»، والمنذر بـ«المنذر بن عمرو رضي الله عنه»، وحمزة بـ«حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه»، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه»، ومصعب بـ«مصعب بن عمير رضي الله عنه»، وعبيدة بـ«عبيدة بن الحارث رضي الله عنه»، وخالد بـ«خالد بن سعيد رضي الله عنه»، وعمراً بـ«عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنه» قُتِلَ يَوْمَ اليرموك^(٤).

(١) صفة الصفوة (١/١٣٤).

(٢) أشد الغابة (٢/١٩٧).

(٣) قادة فتح الشام ومصر ص (٢٢٧، ٢٢٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/١٠١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلوات الله عليه: «اهدأ فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد»^(١).

رجع الزبير لم يشهد معركة الجمل، فقال له رجل من كلب: أرى أن ترجع إلى فرسك ودرعك فتأخذهما، فإن أحدًا من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس أبدًا. فتعقبه عمرو بن جرموز التميمي، وطعنه من خلفه وهو متوجه يصلي وقتله. ولما أتى قاتل الزبير عليًا برأسه يستأذن عليه، لم يأذن له.

عن زر بن حبيش قال: استأذن ابن جرموز على علي رضي الله عنه وأنا عنده، فقال علي رضي الله عنه: بشر قاتل ابن صفية بالنار. ثم قال علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «إن لكل نبي حواريًا، وحواريًا، والزيير»^(٢).

قال: قال أبي: سمعت سفيان يقول: الحواري: الناصر.

وحين أدخلوا على علي سيف الزبير، قبله الإمام علي وأمعن في البكاء وهو يقول: «سيف طالما والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله...!!»، أو «إن هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله صلوات الله عليه»^(٣). وقال بنو تميم قوم ابن جرموز يخاطبونه: «فضحت والله اليمن بأسرها؛ قتلت الزبير رأس المهاجرين، وفارس رسول الله، وحواريه، وابن عمته، والله لو قتلته في حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عازك، فكيف وهو في جوارك وذمتك؟! والله ليزيدنك علي أن يشرك بالنار».

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير ترثيه وتذكر غدر ابن

(١) رواه مسلم (٢٤١٧)، والترمذي (٣٦٩٦)، وقال: (هذا حديث صحيح)، وأحمد (٤١٩/٢)، والنسائي في (فضائل الصحابة) (١٠٣).

(٢) حسن: رواه أحمد (٨٩/١)، وأخرجه الترمذي مختصرًا مقتصرًا على المرفوع (٣٧٤٤)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأخرجه أيضًا أحمد (١٠٢/١، ١٠٣)، وابن أبي عاصم في (السنن) (١٣٨٨)، والطيالسي (١٦٣)، وأحمد في (فضائل الصحابة) (١٢٧٢، ١٢٧٣)، وابن سعد في (الطبقات) (٧٣/١/٣).

(٣) أشد الغابة (١٩٩/٢).

جرموز به:

غدر ابن جرموز بفارس بُهمة يوم اللقاء وكان غير معرّد^(١)
يا عمرو لو نبّهته لوجدته لا طائشاً رعى الجناد ولا اليد
إن الزبير لذو بلاء صادق سمح سجيته كريم المشهد^(٢)
ولقد أوصى الزبير بثلث ماله يُنْفَقُ في سبيل الله، وكان جميع مال الزبير خمسون
ألف ألف ومئتا ألف^(٣).

سَلَامٌ عَلَى الزُّبَيْرِ فِي مَمَاتِهِ بَعْدَ مَحْيَاةٍ... سَلَامٌ عَلَيْهِ وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ وَمَا كَانَ
يَتَمَنَّا... سَلَامٌ ثُمَّ سَلَامٌ عَلَى حَوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ.

* * *

(١) بهمة: الجيش، وفلان فارس بهمة؛ أي: شديد البأس.

(٢) خزانة الأدب (٤/٣٥٠).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/١٠٨، ١٠٩)، وصفة الصفوة (١/١٣٥).

أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح القرشي

- فاتح أرض الشام
- أمين الأمة..
- أول من لقب بـ «أمير الأمراء»..
- مَنْ أَمَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ عَلَى بَعْضِ سَرَايَا الْمُسْلِمِينَ فِي ثَلَاثِ غَزَوَاتٍ، عَلَى جَيْشٍ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ.
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّا أَمِينُنَا أَيْتَهَا الْأُمَّةُ أَبُو عَبِيدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ»^(١).
- وَعَنْ حَذِيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ لَنَا رَجُلًا أَمِينًا. فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقًّا أَمِينًا»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ النَّاسُ، فَبَعَثَ أَبَا عَبِيدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ^(٢).
- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَعِمَ الرَّجُلُ أَبُو عَبِيدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩)، وأحمد (١٣٣/٣، ١٨٩، ٢٤٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٣٤٥)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٩٦)، وأبو يعلى (١٩٠/٥، ١٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٥/٧).

وفي رواية لمسلم عن أنس: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام. قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة»، وأخرجها ابن سعد (١/٣/٣٩٩)، وأحمد في «مسنده» (١٢٥/٣)، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٧٩)، والحاكم (٢٦٧/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٨١)، ومسلم (٢٤٢٠)، والترمذي (٣٧٩٦)، وابن ماجه (١٣٦)، والنسائي في «فضائل الصحابة»، وأحمد في «المسند» (٤٠١/٥)، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٧٦)، والطيالسي (٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٦/٧)، وابن سعد في «الطبقات» (١/٣/٢٩٩، ٣٠٠).

(٣) حسن: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣٠٠/١/٣).

«وكما عاش أبو عبيدة مع الرسول ﷺ أمينًا، عاش بعد وفاة الرسول ﷺ أمينًا... يحمل مسئولياته في أمانة تكفي أهل الأرض لو اغتروا منها جميعًا»^(١).
ولو لم يكن له إلا موقفه في سقيفة بني ساعدة لكفاه، وهو يجمع شمل المسلمين على أبي بكر.

وعن عبدالرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»^(٢).

● أَنْزَلَ فِي فَضْلِهِ قُرْآنَ يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

فلقد كان له الموقف الزاهر الباهر في يوم بدر يوم أن قَتَلَ أباه؛ من أجل العقيدة. عن عبدالله بن شاذب قال: «جعل أبو أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح، قصده أبو عبيدة؛ فقتله؛ فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]»^(٣).

ما يمكن أن يغزِمَ أبو عبيدة هذه العزمة إلا بروح من الله تَنْقُضُ عن قلبه الطاهر

(١) رجال حول الرسول، لخالد محمد خالد ص (٢٦٢)، دار الريان للتراث.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٩٣/١)، وفي «فضائل الصحابة» (٢٧٨)، والترمذي (٣٧٤٧) وأبو يعلى (١٤٨/٢).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٦٥/٣)، وسكت عنه الحاكم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في «سننه الكبرى» (٢٦/٩) «كتاب السير - باب المسلم يتوقى في الحرب قتل أبيه، ولو قتله لم يكن به بأس»، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والطبراني وابن عساکر. انظر: الدر المشور (١٨٦/٦).

السليم كلَّ عرض من أعراض الدنيا الفانية، وتجرده من كلِّ رابطة وأصرة إلا رابطة العقيدة.

هذه صورة أمين هذه الأمة، صورة وضيئة للذي فعل ما لم يفعله أي بشر. هذا مقام الأمين، وهو مقام عال رفيع.. انقطع عن كل شيء، ووصل نفسه باللَّه؛ فتقبله في كنفه، وكتب الإيمان في قلبه، وأفسح له في جنباه، وأشعره برضاه فرضي.. رضيت نفسه بهذا القرب، وَأَنْسَتْ به، واطمأنت إليه.

قال ابن كثير: «نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قَتَلَ أباه يوم بدر»^(١).

لَلَّهِ دَرْكٌ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ.. هذا موقف منك لا يشاركك فيه أحد.

اللَّهُ لَا وَلَدَ أَحَبُّ وَلَا أَبٌ مِنْهُ، فَأَيْنَ الْمُنْتَأَى وَالْمَنْزَحُ^(٢)

أَفَمَا رَأَيْتَ أَبَا عُبَيْدَةَ ثَائِرًا وَأَبُوهُ فِي يَدِهِ يُتَلُّ وَيُسَطَّحُ^(٣)

هل قتل أبو عبيدة أباه يوم بدر؟! رأي آخر لشُرَّاب:

يقول الأستاذ محمد محمد حسن شُرَّاب: «لقد تناقلت كتب المغازي، والتاريخ، والتفسير: أن أبا عبيدة قَتَلَ أباه يوم بدر كافرًا، وَتَمَسَّكَ بهذا الخبر كثيرٌ من الوعاظ، وخطباء المساجد، ورجال الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، وأذاعوه شاهدًا لجواز أو وجوب خروج الابن على أبيه إذا اختلفا في الاتجاه السياسي أو المشرب الحزبي مع اتفاقهما في أصل الدين.

فهل يصح شيء من الطرق القائلة بأن أبا عبيدة قَتَلَ أباه يوم بدر؟!!

الجواب: أن أبا عبيدة لم يقتل أباه يوم بدر، وليس في هذا خبر صحيح، أو حسن، أو ضعيف؛ فقد نُقِلَ الخبر في «تاريخ دمشق»، قال: وأخرج الحافظ من طريق البيهقي

(١) تفسير ابن كثير (٢٧٣/٨)، وانظر: الإصابة (١١/٤، ١٢)، والسيرة الحلبية (١٧٨/٢).

(٢) المنتأى: محل البعد. والمنزح: من نَزَحَ إِذَا بَعُدَ.

(٣) يتل ويسطح بمعنى: يصرع.

عن عبدالله بن شوذب. وقال ابن حجر في «الإصابة»: وهو فيما أخرجه الطبراني عن عبدالله بن شوذب. وقال السيوطي في «أسباب النزول»: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة حين قتل أباه يوم بدر ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وأخرجه الحاكم من طريق ضمرة بن ربيعة الفلسطيني عن عبدالله بن شوذب.

فكل طرق الخبر تنتهي عند عبدالله بن شوذب، وعبدالله بن شوذب وُلِدَ سنة (٨٦هـ)، وتوفي سنة (١٥٧هـ)، قالوا: إنه ثقة في رواية الحديث. وَلَكِنَّهُمْ يوثقون روايته عندما تكون مسندة متصلة الإسناد إلى الصحابي الذي سمع من رسول الله، ولو أنه قال: قال رسول الله... دون إسناد، ما قَبِلَ أحدٌ روايته؛ فهو ليس تابعيًا صغيرًا، ولا تابعيًا كبيرًا، وهم لا يقبلون مرسل التابعي الكبير؛ فكيف يقبلون معضل تابع التابعين؟! وإذا كانوا يتشددون في الأحاديث التي تتعلق بالحلال والحرام، ويتساهلون فيما عداها، فإن هذا الخبر يتصل أيضًا بِسُنَّةِ جهادية، وهو متصل بالسيرة النبوية؛ لأن القصة حصلت في معركة بدر التي شهدها رسول الله ﷺ؛ وكل ما حصل في المعركة عَلِمَ به رسول الله ﷺ، وسكوته عليه يجعله سُنَّةً، ومن الحق ألا نقبل مثل هذا الخبر إلا إذا كان صحيحًا، وهذا الخبر لا يصح سندًا ولا متنا.

أما السند: فهو معضل؛ لأن عبدالله بن شوذب بعيد جدًا عن زمن الحدث، وهو رجل خراساني بصري شامي، لم يرحل إلى المدينة منبِت الأخبار التي حصلت في العصر النبوي.

ولا يصح متنا؛ لأن ابن عساكر نقل عن المفضل بن غسان أن الواقدي كان ينكر أن يكون أبو أبي عبيدة أدرك الإسلام، ويُنكر قول أهل الشام أن أبا عبيدة لقي أباه في زحف؛ فقتله، وقال: سألت رجالاً من بني فهر^(١)؛ منهم: زفر بن محمد وغيره فقال: توفي أبوه قبل الإسلام.

(١) قوم أبي عبيدة بن الجراح.

فالخبر - إذن - نشأ في الشام، وذاع في الشام، ولم يعرفه أهل الحجاز، ومثل هذا الخبر لو كان حصل، لتناقله أهل المدينة، ولكان ذاع بين قبيلة بني فهر؛ لأنه خبر غريب، وتميل النفوس إلى سماع الغرائب وروايتها.
قد يُقَالُ: إن الواقدي غير موثوق عند المحدثين.

قلت: ولكنه إخباري واسع الاطلاع، وينقلون عنه؛ لترجيح الآراء، وقد وُصِلَ خبره بسؤال بني فهر عن شيخهم.

فعبد الله بن شوذب ثقة، خبره منقطع معضل، والواقدي ضعيف، خبره موصول، فإذا جعلنا الخبرين سواء في المنزلة، نخلص إلى القول: إن الخبر لا أصل له^(١).

«ثم ينقل قول الزمخشري في سبب نزول الآية وقوله: إنها نزلت في أبي بكر حين صَكَّ والده لما سَبَّ رسول الله ﷺ كما زعموا.
وقوله: إنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح؛ قتل أباه الجراح في يوم أحد.. وليس في يوم بدر...»

وقال شراب: «وقد فهم بعض العلماء أن الآية ترسم المنهج في التعامل مع الفاسقين الذين ينتمون إلى المسلمين، ولا يطبقون تعاليم الإسلام، فتَقَلَّ عن الثوري أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان. وعن عبدالعزيز بن أبي رواد أنه لقيه المنصور - الخليفة العباسي - في الطواف، فلما عرفه هرب منه، وتَلَا الآية... لقد عرض عبدالرحمن الباشا قصة أبي عبيدة في «صور من حياة الصحابة» عرضاً أدبيّاً، ومن شأن الأدباء أن يختاروا العناصر المثيرة في ترجماتهم، وأن لا يتحروا صحة الأخبار، فلما وصل إلى قوله: «فلما ضاق به ذرعاً ضرب رأسه بالسيف ضربة فلقت هامته فلقتين؛ فخرَّ الرجل صريعاً بين يديه».

(١) أبو عبيدة عامر بن الجراح، لمحمد محمد حسن شراب ص (٧١-٧٤) «دار القلم - سلسلة أعلام المسلمين».

وقال الباشا: «لا تحاول أيها القارئ الكريم أن تخمن من يكون الرجل الصريع؟! أما قلت لك: إن عنف التجربة فاق حسابان الحاسبين وجاوز خيال المتخيلين، ولقد يتصدع رأسك إذا عرفت أن الرجل الصريع هو عبدالله بن الجراح والد أبي عبيدة»، ثم قال الباشا: «لم يقتل أبو عبيدة أباه، وإنما قتل الشرك في شخص أبيه...» إنه تبرير أدبي، لا يمنع انغلاق رأس قارئ قصة أبي عبيدة، يستوي في ذلك المؤمن والكافر^(١).

● جهاده في أحد، وثباته مع النبي ﷺ:

شهد أبو عبيدة أحدًا، وثبت مع رسول الله ﷺ حين انهزم الناس وولوا؛ قال أبو بكر الصديق: «لما كان يوم أحد، ورُمي رسول الله ﷺ في وجهه حين دخلت في وجنتيه حلقتان من المغفر^(٢)، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ وإنسان قد أقبل من قِبَل المشرق يطير طيرانًا، فقلت: اللهم اجعله طاعة، حتى توافينا إلى رسول الله ﷺ فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرني، فقال: أسألك بالله أبا بكر إلا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله ﷺ فتركته؛ فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر؛ فنزعها، وسقط على ظهره، وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى، فسقطت؛ فكان أبو عبيدة في الناس أثرم^(٣).

وثبت أبو عبيدة في ميدان المعركة وأبلى بلاء حسنًا^(٤).

● سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في ربيع الآخر من السنة السادسة من الهجرة:

لما أجمع «بنو محارب» و«ثعلبة» وأغاروا على مواشي المدينة وهي ترعى

(١) المصدر السابق ص (٧٦، ٧٧، ٧٨).

(٢) المغفر: زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب.

(٣) طبقات ابن سعد (١٣/٤١٠). والثرم - بالتحريك -: سقوط الثنية؛ وهي: واحدة الأسنان الأربع، وانظر: سيرة ابن هشام (٣/٢٨)، ونقل ابن عساكر عن الواقدي: أن الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله هو عقبة بن وهب بن كلفة، ورجحه، ونقل ذلك عن ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٢/٤٩٢).

(٤) مغازي الواقدي (١/٢٤٠).

بـ«هيفاء»^(١)، بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً، فساروا حتى وصلوا إلى «ذي القصة»^(٢)، فأغاروا على أولئك القوم، وأخذ أبو عبيدة بعض ما لديهم من النعم، ولكن المشركين أعجزوهم هرباً في الجبال، وأسَرَ أبو عبيدة رجلاً واحداً من المشركين؛ فأسلم^(٣).

● بَعَثَ النَّبِيُّ لِأَبِي عَبِيدَةَ عَلَى رَأْسِ مَدَدٍ فِيهِمُ الصَّدِيقُ وَالْفَارُوقُ:

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في المهاجرين الأولين - فيهم أبو بكر وعمر - مدداً لعمر بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وقال له: «لا تختلفا»، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم على عمرو، قال له عمرو: «إنما جئت مدداً لي»؛ قال أبو عبيدة: «لا، ولكنني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه».

فقال عمرو: «بل أنت مدد لي»

فقال أبو عبيدة: «يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لي: لا تختلفا، وإنك إن عصيتني أطعتك»^(٤).

● سرية أبي عبيدة في رجب من السنة الثامنة من الهجرة إلى القبليّة:

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في ثلاث مئة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى حي من «جهينة» بـ«القبليّة» مما يلي ساحل البحر؛ فأصابهم في الطريق جوع شديد حتى أكلوا الخبط^(٥)، فابتاع لهم قيس بن سعد جزراً، ونحرها لهم، وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه، ثم انصرفوا دون أن يلقوا كيداً^(٦).

(١) هيفاء: موضع على بعد أربعة أميال من المدينة.

(٢) ذو القصة: موضع على بُعْدِ أربعة وعشرين ميلاً من المدينة.

(٣) طبقات ابن سعد (٢/٨٦، ٣/٤١١)، وعيون الأثر في فنون المغازي والسير (٢/١٠٥).

(٤) سيرة ابن هشام (٣/٢٩٩)، وطبقات ابن سعد (٢/١٣١)، والإصابة (٤/١٢).

(٥) الخبط: ورق الشجر.

(٦) طبقات ابن سعد (٢/١٣٢)، وسيرة ابن هشام (٣/٣٠٩)، وفتح الباري (٨/٢٦).

● غزوة سيف^(١) البحر أو غزوة الخَبِط^(٢):

عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أنه قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثًا قِبَلَ الساحل، وَأَمَرَ عَلَيْهِمَ أَبُو عبيدة بن الجراح وهم ثلاث مئة؛ فخرجنا وَكُنَّا بِيَعُضِ الطَّرِيقِ فَنَبِيَّ الزَّادُ؛ فَأَمَرَ أَبُو عبيدة بِأَزْوَادِ الْجَيْشِ فَجَمِعَ؛ فَكَانَ مِزْوَدِي^(٣) تَمْرًا، فَكَانَ يَقُوتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى فَنَبِيَّ، فَلَمْ يَكُنْ يَصِيبُنَا إِلَّا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ^(٤)؛ فَقُلْتُ: مَا تَغْنِي عَنْكُمْ تَمْرَةٌ^(٥)؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنَبِيَّتْ. ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى الْبَحْرِ، فَإِذَا حَوْتٌ مِثْلُ الظَّرْبِ^(٦)؛ فَأَكَلَ مِنْهُ الْقَوْمُ ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَمَرَ أَبُو عبيدة بِضَلْعِينَ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَتَصَبَّأَ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَةٍ فَرُحِلَتْ، ثُمَّ مَرَّتْ تَحْتَهُمَا، فَلَمْ تَصِبْهُمَا^(٧).

وقال جابر بن عبد الله: بعثنا رسول الله ﷺ ثلاث مئة راكب، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح، نرصد عير قريش، فأقمنا بالساحل نصف شهر؛ فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخَبِطَ؛ فسمي ذلك الجيش جيش الخَبِطِ، فألقى لنا البحر دابة يُقال لها: «العنبر»؛ فأكلنا منه نصف شهر، وَأَدَهَتْهَا مِنْ وَدَكِهِ^(٨) حتى ثابت إلينا أجسامنا، فأخذ

(١) سيف البحر؛ أي: ساحل البحر. بعث الجيش يتلقون عيرًا لقريش ويقصدون حيًا من جهينة.

(٢) الخَبِطُ: ورق السلم.

(٣) المِزْوَدُ: ما يُجْعَلُ فِيهِ الزَّادُ.

(٤) للجمع بين رواية البخاري ورواية مسلم يقول الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦٧٩/٧): «ويمكن الجمع بأن الزاد العام كان قدر جراب، فلما نفذ وجمع أبو عبيدة الزاد الخاص اتفق أنه - أيضًا - كان قدر جراب، ويكون كل من الراويين - عند البخاري ومسلم - ذَكَرَ ما لم يذكره الآخر، وأما تفرقة ذلك تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ فكان في ثاني الحال».

(٥) عند مسلم من رواية أبي الزبير - أيضًا -: أنه سُئِلَ عن ذلك فقال: «لقد وجدنا فقدها حين فبيت»؛ أي: مؤثرًا. وفي رواية أبي الزبير «فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي الثدي، ثم نشرب عليها الماء؛ فتكفينا يومنا إلى الليل».

(٦) الظَّرْبُ: الجبل الصغير.

(٧) رواه البخاري ومسلم، وزاد مسلم في رواية أبي الزبير: «فأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا فأقدمهم في وقب عينه»، والوقب: حفرة العين في عظم الوجه.

(٨) ودكه؛ أي: شحمه.

وفي رواية أبي الزبير: «فلقد رأينا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقطع منه الفدَرَ كالثور».

مَوَارِدَ النَّصْرِ تَشْفِي كُلَّ حَزَانٍ
 إِلَّا الْقَوَاضِبُ تُشْقَى بِالدَّمِ الْقَانِي
 فَبَادِرِ الْعَيْرِ وَاضْرِبْ كُلَّ خَوَانٍ
 مَا يَزْرَعُ الشُّؤْمُ مِنْ بَغْيٍ وَعَدْوَانٍ
 أُولُو الْحَمِيَةِ مِنْ صَحْبٍ وَإِخْوَانٍ
 لَكِنَّ رَبَّكَ ذُو فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ
 مَا لَيْسَ يَنْفَعُ مِنْ تَقْوَى وَإِيمَانٍ
 لِكُلِّ ذِي سَفَبٍ فِي اللَّهِ طَيَّانٍ^(١)
 يَلْقَوْنَ فِي الْبُؤْسِ عَيْشَ النَّاعِمِ الْهَانِي
 نِعَمَ الْبِنَاءِ وَجَلَّتْ قَدْرَةُ الْبَانِي
 سَرَتْ مَعَانِيهِ فِي رُوحٍ وَجُثْمَانٍ
 فَلَمْ تَجِدْ غَيْرَ أَبْطَالٍ وَفِرْسَانٍ
 لِأَذَى مِنَ الزَّخْرِ الطَّامِي بِأَكْنَانٍ^(٢)
 مِنَ الْأَلَى هُمْ ذُووَهَا كُلُّ شَيْطَانٍ
 أَنْ لَا يَفُوزُوا بِأَكْفَاءٍ وَأَقْرَانٍ؟
 مِنَ الْأُولَى كَرِهُوا الْحَسَنَى بِخُسْرَانٍ^(٣)

أَبَا عُبَيْدَةَ أُرْزِدْهَا مُظْفَرَةً
 مَا لِلْحَفِيظَةِ إِنْ جَاشَتْ مَرَاجِلُهَا
 خَانَتْ قَرِيشَ وَأَمْسَى عَهْدُهَا كَذْبًا
 لَا يَعْجِبُنَّ جُنَاةَ الشَّرِّ إِنْ حَصَدُوا
 لَا تَبْتَسِنَنَّ بِجَرَابِ الثَّمَرِ يَحْمَلُهُ
 أَعْجُوبَةٌ مَالِهَا فِي الدَّهْرِ مِنْ مَثَلٍ
 إِنْ يَنْفَعِ الزَّادُ أَغْنَاكُمْ وَرَوَّدَكُمْ
 كُلُّوْا مِنَ الْحَبْطِ نَعَمَ الْحَبْطُ مِنْ أَكْلِ
 حَيَاكُمُ اللَّهُ مِنْ صَيْدِ غَطَارِفِيَّةٍ
 هِيَ النَّفُوسُ بَنَاهَا اللَّهُ مِنْ شَمَمٍ
 إِذَا تَدَفَّقَ دِينَ الْمَرْءِ فِي دَمِهِ
 رَمَتْ جُهَيْنَةُ بِالْأَبْصَارِ مِنْ فَرْعٍ
 لِأَذَى بِأَكْنَانِهَا الْقُصُوى وَلَوْ قَدْرَتْ
 وَوَلَّتِ الْعَيْرَ يُخْشَى أَنْ يُحَاطَ بِهَا
 مَاذَا عَلَى الْقَوْمِ يَرْضَى الْبَأْسُ إِنْ غَضَبُوا
 آبُوا بِخَيْرٍ وَآبَتْ كُلُّ طَائِفِيَّةٍ

● جهاده بعد رسول الله ﷺ

استعمل أبو بكر الصديق أبا عبيدة على جيش من جيوش المسلمين، وأمره بحمص، وكان نص أمر أبي بكر الذي أصدره لقادة الشام: «إذا اجتمعتم على قتال، فأمركم أبو عبيدة»^(٤)، فاستغفاه أبو عبيدة من ذلك^(٥)، ولكن أبا بكر أصر على رأيه؛

(١) جوعان.

(٢) أكنان: جمع كن؛ وهو: البيت ووقاء كل شيء وستره.

(٣) ديوان «مجد الإسلام، لأحمد محرم» ص (٥٥٧ - ٥٦٠).

(٤) البلاذري (١١٦)، وفتوح الشام، للواقدي (٨/١).

(٥) البلاذري (١١٦).

فسلك أبو عبيدة طريق «المغرة» حتى نزل «الجابية»، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمس مئة رجل.

وما كادت جيوش المسلمين تصل إلى أرض الشام، حتى بعث هرقل قاده وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين^(١)؛ ليشغل جيوش المسلمين بعضهم عن بعض، وليحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عن يازائها من الروم، ولكن قادة المسلمين فوّتوا على الروم هذه الفرصة باجتماعهم في اليرموك؛ استعدادًا لمواجهة الروم جيشًا واحدًا يقوده قائد واحد.

● في اليرموك:

استمد أبو عبيدة بعد اجتماع المسلمين في اليرموك أبا بكر؛ فقال أبو بكر: «خالد لها!!»؛ فبعث إليه وهو بالعراق، وعزم عليه، واستحثه في السير^(٢).

وطلع خالد على المسلمين؛ ففرحوا به فرحًا شديدًا؛ فكان خالد قائدًا عامًا في معركة اليرموك الحاسمة، وكان أبو عبيدة في القلب^(٣)، فهاجم خالد «القلب» من جيش الروم حتى كان بين مشاتهم وفرسانهم، وكان هجوم القلب صاعقًا، فلما وجدت خيول الروم منفذًا لها للهرب، تركت ساحة المعركة هاربة^(٤)؛ وبذلك قضى المسلمون على مشاة الروم؛ فانتهت معركة اليرموك الحاسمة بانتصار المسلمين.

● بعد اليرموك:

تولى أبو عبيدة بعد اليرموك منصب القيادة العامة في أرض الشام^(٥)؛ وذلك لأن عمر عهد إليه بمنصب القيادة العامة بعد وفاة أبي بكر، وكان يقول: «لا أمير على أبي

(١) الطبري (٥٩٠/٢)، وابن الأثير (١٥٥/٣).

(٢) الطبري (٥٩١/٢).

(٣) الطبري (٥٩٣/٢)، وابن الأثير (١٥٨/٢). والقلب: هو القسم الأكبر من الجيش كما يطلق عليه في الاصطلاحات العسكرية الحديثة.

(٤) الطبري (٥٩٦/٢)، وابن الأثير (١٥٨/٢).

(٥) ابن الأثير (١٥٨/٢)، وطبقات ابن سعد (٣٩٧/٣)، واليعقوبي (١١٧/٢).

عبيدة»، ويصير تحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولاً وعرضاً.. عتادًا وُعْدَةً. استخلف أبو عبيدة على «اليرموك» بشير بن كعب الحميري، وسار حتى نزل بـ«الضُّفْر»، وهناك أتاه الخبر بأن المنهزمين من الروم اجتمعوا بـ«فحل»، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من «حمص»؛ فكتب إلى عمر في ذلك؛ فأجابه بأن يبدأ بدمشق؛ لأنها حصن الشام وعاصمتها، وأن يشغل أهل «فحل» بخيل تكون يازاتهم، وإذا فتح دمشق صار إلى «فحل»، وكان نصُّ وصايا عمر - كما ورد في الطبري (٢/ ٦٢٥) -: «أما بعد: فابدعوا بدمشق، فأنهذوا لها؛ فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل «فحل» بخيل تكون يازاتهم في نحورهم، وأهل فلسطين وأهل حمص، فإن فتحها الله قبل دمشق، فذاك الذي نحب، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق، فليزل بدمشق من يمسك بها ودعوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيّر على «فحل»، فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص، ودع شرحبيل وعمرًا وأجلهما بالأردن وفلسطين، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته».

● في دمشق:

سار أبو عبيدة بالناس من «المرج» وعلى مقدمته خالد بن الوليد، وعلى المجنبتين عمرو بن العاص وأبو عبيدة نفسه، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجال شرحبيل بن حسنة، فقدموا على دمشق، وحصروا أهلها، وطوقوها؛ فكان أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية الباب الشرقي، فحاصروا أهل دمشق نحوًا من سبعين ليلة حصارًا شديدًا بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون وصول الإمدادات، فلما أيقن أهل دمشق أن الإمدادات لا تصل إليهم، فشلوا، ووهنوا، وازداد المسلمون طمعًا فيهم.

وانتهز خالد فرصة انشغال أهل المدينة في احتفالهم بمولد طفل للبطريق؛ فاعتلى هو وأصحابه السور وفتحوا الباب، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له

الصلح؛ فقبل منهم وفتحوا له الباب، وقالوا له: ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب. فدخلها خالد عنوة ودخلها أبو عبيدة صلحاً^(١).

حيك الله أبا عبيدة.. وحيا الله ديننا أنجيك، ورسولاً علمك..

كان عمر رضي الله عنه يقول: «لا أمير على أبي عبيدة»^(٢)؛ ولذا عزل خالد بن الوليد ووُلِّي أبو عبيدة إمرة جيش المسلمين، وذلك في أثناء حصارهم لدمشق، الذي لم يتم فتح دمشق فيه، وكتب أبو عبيدة هذا الخبر في نفسه، ولم يخبر خالدًا بعزله؛ إكرامًا له وإجلالاً^(٣).

كتب أبو عبيدة هذا الخبر في نفسه، طاوياً عليه صدر زاهدٍ فطنٍ أمينٍ، حتى انتهت المعركة، وعلم خالد بأمر عزله؛ فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة؛ فقال: «يغفر الله لك؛ أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تُعلمني، وأنت تصلي خلفي، والسلطان سلطانك؟!» فقال أبو عبيدة: «وأنت يغفر الله لك، ما كنتُ لأُعلمك ذلك حتى تتعلمه من عند غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنتُ أُعلمك إن شاء الله، وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوانٌ وقوَّامٌ بأمر الله عز وجل، وما يضرُّ الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه، بل يعلم الوالي أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة؛ لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله عز وجل وقليل ما هم». وقام خالد وقال للناس: «بُعث عليكم أمين هذه الأمة»، وقال أبو عبيدة للناس عن خالد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خالد سيف من سيوف الله، نعم فتى العشرة»^(٤).

لقد سار أمين هذه الأمة تحت راية الإسلام أنى سارت جندياً؛ كأنه بفضله

(١) الطبري (٢/٦٢٤ - ٦٢٧).

(٢) فتوح الشام، للواقدي (٨/١).

(٣) ابن الأثير (٢/٢٧٨).

(٤) الإصابة (٢/٥٩٥)، وأشد الغابة (٣/٥٨)، والاستيعاب (٢/٧٩٤).

واقدامه الأمير.. وأميرًا؛ كأنه بتواضعه وإخلاصه واحدًا من عامة المقاتلين.

● بعد دمشق:

سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق إلى «فحل» بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق؛ فشهد انتصار المسلمين في هذه المعركة التي كان من نتائجها فتح الأردن على يد شرحبيل بن حسنة^(١)، وبينما كان أبو عبيدة يخوض معركة «فحل»، كان يزيد بن أبي سفيان يخوض معارك فتح ساحل دمشق: صيدا، وعزوة، وبيروت^(٢).

● إكمال فتح سورية:

انصرف أبو عبيدة بخالد بن الوليد ومن معه إلى «حمص»، وفي طريقه إليها اصطدم بقوات الروم في «مرج الروم»، وأرسل خالدًا؛ ليضرب من الخلف قوات الروم التي قصدت دمشق؛ فاستطاع خالد كما استطاع أبو عبيدة الانتصار على الروم. واستمر أبو عبيدة في مسيره باتجاه هدفه «حمص»، فسلك طريق «بعلبك»؛ فطلب أهلها الأمان؛ فأمنهم، وصالحهم، وسار عنهم، فنزل على «حمص» ومعه خالد؛ ففتحها بعد حصار طويل على مثل صلح دمشق^(٣)، ثم مضى إلى «حماة»؛ فتلقاه أهلها مدعين؛ فصالحهم على الجزية لرءوسهم والخراج على أرضهم، ومضى نحو «شيز»؛ فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل «حماة»، فسار أبو عبيدة إلى «معرة حمص» وهي «معرة النعمان»؛ فأذعنوا بالصلح على ما صالح عليه أهل «حمص». وسار أبو عبيدة إلى «اللاذقية»، وكان لها باب عظيم لا يمكن فتحها إلا بجماعة كبيرة من الناس، فعسكر المسلمون على بُعيد منها، ثم أمر فحفرت حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبًا، ثم أظهر المسلمون أنهم عائدون عنها ورحلوا، فلما

(١) الطبري (٢/٦٢٨ - ٦٣٠)، وابن الأثير (٢/١٦٥، ١٦٦).

(٢) ابن الأثير (٢/١٦٥).

(٣) الطبري (٣/٩٧)، وابن الأثير (٢/١٩٠)، والبلاذري ص (١٣٦).

أظلم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر، وأصبح أهل «اللاذقية» وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم؛ فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد، فلم يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة؛ ففتحوها عنوة (١).

وأرسل أبو عبيدة خالدًا إلى «قنسرين» وفي «الحاضر» (٢) اصطدم خالد بقوات الروم؛ فاقتتلوا قتالًا لم يقتتلوا مثله من قبل، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين على الروم، فسار خالد حتى نزل على «قنسرين»، فتحصن أهلها منه، ولكنهم صالحوه على مثل صلح حمص، فأتى إلا على خراب المدينة (٣).

ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين، سار إلى حلب؛ فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا؛ فوجه إليها السمط الكندي؛ فأعاد فتحها.

ووصل أبو عبيدة إلى حاضر حلب، فصالح أصنافًا من العرب على الجزية، ثم أسلموا بعد ذلك، وأتى حلب فتحصن أهلها، ولكنهم لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم، فأعطوا ذلك (٤). وسار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصن بها خلق كثير من قنسرين وغيرها، فحصرها من جميع نواحيها، فصالحوه على الجلاء أو الجزية؛ فجلًا بعضهم وأقام بعضهم، فأمنهم (٥).

وبلغ أبا عبيدة أن جمعًا من الروم بين «معرفة مَضْرِين» و«حلب»؛ فقصدهم وقاتلهم وفتح «معرفة مَضْرِين» على مثل صلح حلب، وجالت خيوله فبلغت «يوقا»، وفتحت قرى «الجومة»، و«سزمين»، و«مَرْحُوَان»، و«تيزين» من نواحي حلب، وغلبوا على جميع أرض «قنسرين» و«أنطاكية».

(١) ابن الأثير (٢/١٩٠)، وفي البلاذري ص (١٣٧): أن الذي فتح هو عبادة بن الصامت.

(٢) الحاضر خلاف البادي، وهو بقرب قنسرين، وهو حاضر قنسرين.

(٣) الطبري (٣/٩٨)، وابن الأثير (٢/١٩١)، والبلاذري ص (١٥٠).

(٤) ابن الأثير (٢/١٩١)، والبلاذري ص (١٥٠).

(٥) ابن الأثير (٢/١٦٢)، والبلاذري ص (١٥٢).

وسار أبو عبيدة يريد «قورس»^(١)؛ فصالحها على صلح «أنطاكية»، وبث خيوله فغلب على جميع أرض «قورس»، وفتح «تل عزاز»^(٢)، ثم فتح «منبج»، و«ذُلوك»، و«رغبان» صلحًا، واشترط على أهلها أن يخبروا المسلمين بخبر الروم، ووجه أبو عبيدة خالدًا وهو بـ«منبج» إلى «مزعش»^(٣)؛ ففتحها وأجلى أهلها وأخربها، كما أنه فتح حصن «الحَدَث»؛ وبذلك أكمل أبو عبيدة فتح «أرض الشام» من هذه الناحية إلى الفرات؛ فولي على كل كورة فتحها عاملاً، وضم إليه جماعةً من الإداريين يعاونونه في إدارة منطقتهم، وجيشًا يدافع عنها، ثم عاد إلى فلسطين^(٤).

وبينما كان أبو عبيدة يعمل جاهدًا لإكمال فتح سورية، كان عمرو بن العاص يعمل جاهدًا لفتح فلسطين، فجاءه أبو عبيدة، وحاصروا «إيلياء» وهي بيت المقدس؛ فطلب أهلها أن يصلحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب؛ فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك؛ فقدم عمر وفتح مدينة القدس^(٥).

● الدفاع عن حمص:

عاد أبو عبيدة إلى «حمص» بعد فتح القدس؛ فقصده الروم، وكان المهيج لهم هم أهل الجزيرة^(٦)؛ فقد راسلوا ملك الروم وحثوه على إرسال الجيوش؛ لاسترداد الشام، وتطوعوا من أجل ذلك لمعاونته.

وسمع أبو عبيدة باجتماع الروم وحلفائهم؛ فضم إليه مسالح المسلمين، وعسكر في داخل مدينة حمص، وأقبل خالد من «قنسرين» إليهم، فاستشاره أبو عبيدة في

(١) كورة من نواحي حلب.

(٢) شمال حلب.

(٣) مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم.

(٤) ابن الأثير (١٩٢/٢)، والبلاذري ص (١٥٥).

(٥) ابن الأثير (١٩٣/٢)، والبلاذري ص (١٤٥).

(٦) الجزيرة: هي التي بين دجلة والفرات، مجاورة أرض الشام، تشمل على ديار مضر وديار بكر.

مهاجمة الروم أو التحصين إلى مجيء الإمدادات، فأشار خالد بالمناجزة، وأشار غيره بالتحصين، فأطاع أبو عبيدة الأكثرية، وكتب بذلك إلى عمر.

وكان عمر قد أعد في كل مصر من أمصار المسلمين الكبيرة - ومنها الكوفة - قوة احتياطية سريعة من الفرسان؛ فكان بالكوفة وحدها أربعة آلاف فارس، وكان واجب هذه القوات الاحتياطية السريعة مساندة مواقع المسلمين التي يتهددها الخطر إسنادًا فوريًا حتى يتجهز الناس، فلما سمع عمر الخبر، كتب إلى سعد بن أبي وقاص: «انذب الناس مع القعقاع بن عمرو، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص؛ فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وتقدم إليهم في الجد والحث»، وكتب إليه أيضًا: «أن يسرح سهيل بن عدي إلى «الروقة»؛ لأن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وأمره أن يسرح عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى «نصيين»^(١)، ثم ليقصد «حران» و«الزها»، وأن يسرح الوليد بن عقبة على عرب «الجزيرة» من ربيعة وتنوخ، وأن يُسرح عياض بن غنم، فإن كان قتال فأمرهم إلى عياض».

ومضى القعقاع من يومه على رأس أربعة آلاف فارس إلى حمص^(٢)، وخرج عياض وأمرء «الجزيرة»، وأخذوا طريق «الجزيرة»، وتوجه كل أمير إلى المنطقة التي أمر عليها، وخرج عمر بن الخطاب بنفسه، فأتى «الجابية» يريد حمص مغنيًا لأبي عبيدة. وبلغ أهل «الجزيرة» الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن جنود المسلمين قد تحركوا من الكوفة دون أن يعرفوا الوجهة الحقيقية لهم - أي: هل يتجهون صوب الجزيرة أم يتجهون إلى حمص؟؛ لذلك تفرق أهل الجزيرة إلى بلدانهم؛ لحمايتها والدفاع عنها من الخطر المباشر الذي داهمها، وبقي الروم وحدهم حول حمص؛ فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم بسهولة قبل أن يبلغ القعقاع حمص بثلاثة أيام؛

(١) مدينة عامرة كبيرة في بلاد الجزيرة.

(٢) يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب معلقًا على هذا: حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد إلى هدف بعيد ليس سهلًا؛ إنه يكاد يكون مستحيلًا في أيامنا الحاضرة؛ فكيف أنجزه المسلمون قبل أربعة عشر قرنًا؟! عشر

فكتب عمر إلى أبي عبيدة؛ كي يشرك أهل الكوفة في العطاء، وقال: «جزى الله أهل الكوفة خيرًا؛ يكفون حوزتهم، ويمدون أهل الأمصار»^(١)؛ وبذلك استطاع أبو عبيدة ترصين ما فتحه من أرض الشام، وإكمال فتح كل أرض الشام «سورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن».

أبو عبيدة بن الجراح القائد.. وأي قائد!!

● رزق الله أمين الأمة بخصال مثالية؛ منها:

١- الشجاعة:

وقد كان أبو عبيدة رضي الله عنه من شجعان قريش الذين لا يُشَقُّ لهم غبار. ومن أبرز المواقف التي ظهرت فيها شجاعته ثباته يوم أحد وهو موقف لا يثبت فيه إلا من أوتي حظًا عظيمًا من الشجاعة^(٢).

٢- المقدرة على اتخاذ القرار الصحيح:

وقد قال عمر رضي الله عنه: «الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث»^(٣) الذي يعرف الفرصة والكف»^(٤).

وقد أخذ بعض الصحابة على أبي عبيدة سريته الشديدة قبل خوض أي حرب، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه هاشم بن سعد عن زيد عن أبيه قال: «بلغني أن معاذًا سمع رجلًا يقول: لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس دوك»^(٥). وذلك في حصار أبي عبيدة دمشق؛ فقال معاذ: «إلى أبي عبيدة تضطر المعجزة لا أبًا لك، والله إنه لخير»

(١) الطبري (١٥٠/٣)، وابن الأثير (٢٠٥/٢).

(٢) أبو عبيدة بن الجراح، لبشام العسلي ص (١٥٨) «طبع دار النفائس».

(٣) المكيث: هو الرزين الذي لا يعجل في أمره. انظر: لسان العرب (٥١٤/٣).

(٤) تاريخ الطبري (٤٤٥/٣).

(٥) الدوك: دق الشيء وسحقه وطحنه، وتَدَاوَكَ القوم؛ أي: تضايقوا؛ ويريد القائل بذلك ما حدث

للمسلمين من شدة ومعاناة... انظر: لسان العرب (١٠٣٤/١).

مَنْ بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ» (١).

وَيُفْهَمُ مِنْ إِنْكَارِ مَعَاذِ رضي الله عنه عَلَى مَنْ أَخَذَ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ سَرِيَّتَهُ قَبْلَ إِصْدَارِ قَرَارَاتِهِ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ تَعَدُّ خِصْلَةً مَحْمُودَةً فِي الْقَائِدِ الْعَسْكَرِيِّ.

٣- الثِّقَةُ وَالْحُبَّةُ الْمُبَادِلَتَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَادَتِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ جُنُودِهِ:

كَانَ رضي الله عنه مِنْ أَحْبَبِ النَّاسِ إِلَى قَلْبِ رَسُولِنَا صلوات الله عليه وآله وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: أَيُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ أَحَبُّ إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: ثُمَّ عُمَرُ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ فَسَكَتَتْ» (٢).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه: «أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَمَنَّؤْا؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَتَصَدَّقَ. وَقَالَ رَجُلٌ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ زَبْرَجْدًا وَجَوْهَرًا فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَتَصَدَّقَ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: «تَمَنَّؤْا؛ فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ رِجَالًا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ وَحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ» (٣). وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه أَيْضًا: «لَوْ أَدْرَكْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ لِاسْتِخْلَفْتَهُ وَمَا شَاوَرْتُ، فَإِنْ سَأَلْتِ عَنْهُ قُلْتُ: اسْتِخْلَفْتُ أَمِينَ اللَّهِ وَأَمِينَ رَسُولِهِ» (٤).

(١) القيادة العسكرية في عهد الرسول صلوات الله عليه وآله، للدكتور محمد الرشيد ص (٥٦٤) «شركة الرياض».
(٢) إسناده صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٠)، وقال: «حسن صحيح»، وأخرجه ابن ماجه في «المقدمة» ح (١٠٢) (٣٨/١)، والنسائي في «السنن الكبرى»، وأحمد (١٢٨١)، وفي «فضائل الصحابة» (٢/٧٤٠)، والإسناد صحيح، وفيه سعيد الجريري، وهو مختلط؛ وثقة أحمد بن حنبل، وضعفه يحيى القطان.

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرک علی الصحیحین» (٢٢٧/٣) «مناقب سالم مولى أبي حذيفة»، وصححه الحاكم وواقفه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد بنحو هذا اللفظ بإسناد حسن في «فضائل الصحابة» (٧٤٠/٢) برقم (١٢٨٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٤١٢/٣)، والإمامة والسياسة، لابن قتيبة (٢٣/١).

● وكان الأمراء والفرسان يُؤثرون قيادته على قيادة غيره!!
 فهذا خالد بن سعيد يتجهز بأفضل العُدَّة ويأتي لأبي بكر قائلاً له ولمن كان عنده:
 «إني أشهدكم أنني وإخواني وفتياني ومن أطاعني من أهلي حبيس في سبيل الله،
 نقاتل المشركين أبداً حتى يُهْلِكَهُمُ اللهُ أو نموت عن آخرنا»، وينضم إلى جيش أبي
 عبيدة، ولا ينضم إلى جيش ابن عمه يزيد بن أبي سفيان، ولَمَّا يُسْأَلُ عن ذلك، يقول:
 «ابن عمِّي أحبُّ إلي من هذا في قرابته، وهذا أحبُّ إلي من ابن عمي في دينه، هذا
 كان أخي في ديني على عهد رسول الله ﷺ ووليي وناصري على ابن عمي قبل
 اليوم، وأنا أشدُّ استئناساً إليه وأشدُّ طمأنينة مني بغيره».

ويفضله هاشم بن عتبة على يزيد؛ يقول أبو بكر لهاشم: «يا هاشم، إنا إنما كنا
 ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدييره، وكنا ننتفع من الشاب بصبره
 وبأسه ونجدته، وإن اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ قد جمع لك تلك الخصال كلها، وأنت حديث السن
 مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر»؛ فقال هاشم: «إن يُرد الله بي خيراً
 يجعلني كذلك، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله، وأنا أزجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم أقتل إن
 شاء الله»؛ قال أبو بكر: «يا هاشم، إن من سعادة جدك ووفاء حظك أنك أصبحت
 ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين... وقد بعث إليّ المسلمون
 يستنصرون على عدوهم من الكفار، فبسر إليهم فيمن تبعك، فإني نادب الناس
 معك، فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد»؛ قال هاشم: «بل على أبي عبيدة».

٤- بُعد النظر:

حيث كان يضع في حسابه أصعب الاحتمالات وقوعاً، وبهذه التدابير
 الاحتياطية لم يستطع العدو في أيامه استعادة أي موقع فتحه المسلمون، وكان - رَحِمَهُ
 اللهُ - يشحن النواحي الخَوْفَةَ بالجنود حتى ترد إليها الإمدادات.

يقول ابن الأثير: «وولي أبو عبيدة على كل كورة فتحها عاملاً، وضم إليه

جماعة، وشحن النواحي الخَوْفَةَ بالجند» (١).

٥- المشاورة:

ولقد كان رضي الله عنه من القادة الذين يستشيرون رجالهم في كل خُطوةٍ يخطونها، وعندما تحشد الروم لاستعادة أرض الشام، استشار أصحابه، فأشار عليه الأكثرية بقبول الحصار في حمص، أما خالد فأشار عليه بالهجوم على جموع الروم، ولكن أبا عبيدة أخذ برأي الأكثرية.

٦- وكان رضي الله عنه مهيبًا مؤثرًا في نفوس رجاله:

فكان يتجول في معسكراتهم وهو يقول: «ألا رُبَّ مبييضٍ لثيابه وهو مدنسٌ لدينه، ألا رُبَّ مكرمٍ لنفسه وهو لها مهين غداً!! ادفعوا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات».

٧- وكان يساوي نفسه برجاله، بل يستأثر دونهم بالأخطار:

فلما أراد عمر بن الخطاب أن يستخرج أبا عبيدة من منطقة الطاعون بعد اشتداده، فكتب إليه: «سلامٌ عليك، أما بعد: فقد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشفهك فيها، فعزمتُ عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تُقبِل»، فعرف أبو عبيدة ما أراد عمر؛ فكتب إليه: «يا أمير المؤمنين، قد عرفتُ حاجتك إلي، وإني في جند المسلمين، لا أجدُ بنفسِي رغبة عنهم، فلستُ أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضائه؛ فخلني من عزيمتك»، فلما قرأ عمرُ هذا الكتاب بكى؛ فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أ مات أبو عبيدة؟! فقال: «لا، وكان قد» (٢).

٨- لقد كانت لأبي عبيدة فكرة سوقية - استراتيجية - ممتازة:

فقد بعث بعض القواتٍ لمشاغلة قوات الروم في «فحل»، بينما حاصر هو دمشق حتى فتحها، ثم قصد «فحل» بقواته كلها، ولولا ذلك لكان من المحتمل أن تتعاون القوتان المعاديتان في «فحل» و«دمشق» على مقاومة المسلمين في وقت واحد وفي

(١) الكامل، لابن الأثير (٢/١٩٢).

(٢) ابن الأثير (٢/٢١٦).

مكان واحد.

كما أرسل خالدًا على رأس جيش؛ لضرب الجيش الرومي الذي كان متوجّهًا إلى دمشق؛ مما أدى إلى فشل هذا الجيش في مهمته؛ لأنه أصبح يقاتل في جبهتين في آن واحد؛ من الأمام يقاتل جيش يزيد بن أبي سفيان، ومن الخلف يقاتل جيش خالد بن الوليد.

ولقد كانت معارك التطهير واستثمار فوز اليزموك أكبر المعارك التي أظهرت مقدرة أبي عبيدة الفذة: «فقد فَضَّلَ أبو عبيدة التخلي عن القيادة العامة في معركة اليرموك الحاسمة لخالد بن الوليد، ولكن أبا عبيدة عادَ إلى تولّي القيادة العامة بعد اليرموك؛ فخاض معارك التطهير بنجاح باهر يكاد يعتبر معجزة عسكرية، إذا أدخلنا في حسابنا تفوق الروم الساجق على المسلمين، وسرعة إنجاز الفتح، وقلة الخسائر بالأرواح التي ضحّى بها المسلمون من أجل فتح البلاد كلها»^(١).
للهِ ذرُّ أبي عبيدة..

من قاهر للروم وما أدراك ما الروم..

بنو الأصفر حدُّ حديدٌ وركنٌ شديدٌ.

للهِ ذرُّه من قائدٍ زاهدٍ لا يكثرث بمتاع الدنيا..

يرسل إليه عمرُ بنُ الخطاب بأربعة آلاف درهم وأربع مئة دينار، وقال لرسوله: «انظر ما يصنع؟!» فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: «الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا!!»^(٢).

ولما قدم عمرُ الشام، تلقاه أمراءُ الأجنادِ وعظماءُ أهلِ الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟!» فقالوا: مَنْ؟! قال: «أبو عبيدة». قالوا: يأتيك الآن. فجاء على ناقَةٍ مَخْطُومَةٍ بحبلٍ، فسلم عليه، فقال عمر للناس: «انصرفوا عنا!!»، وسار مع أبي عبيدة حتى

(١) قادة فتح الشام ومصر، للواء الركن محمود شيت خطاب ص (٨٠) «دار الفكر».

(٢) طبقات ابن سعد (٤١٣/٣).

منزله فنزل عليه، فلم يَرِ في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: «لو اتخذت متاعاً - أَوْ قال: شيئاً -؛ فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقييل».

وفي رواية: «أن عمر قال: اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة. فقال له: وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟! ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي!! ودخل عمر فلم ير في البيت شيئاً؛ فقال: أين متاعك؟! لا أرى إلا لبدًا، وصفحةً، وشئاً^(١) وأنت أمير!! عندك طعام؟! فقام أبو عبيدة إلى جونة^(٢)، فأخذ منها كسيرات؛ فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قلت لك: إنك ستعصر عَيْنَيْكَ علي يا أمير المؤمنين!! يكفيك من الزاد ما بلغك المحل!! فقال عمر: «غَيْرْتَنَا الدُّنْيَا كُلُّهَا غَيْرِكَ يَا أبا عبيدة!!».

رَضِيَ اللهُ عَنْ أَبِي عبيدة قائد القلب يوم اليرموك.. ومطهر الشام من دنس الروم: مرج الصفرة، فحل، حمص، بعلبك، حماة، شيرز، معرة مصرين، معرة حمص، اللاذقية، حلب، أنطاكية، يوقا، الجومة، سرمين، قنسرين، رعبان، مرلحوان، تيزين، أنطاكية، قورس، تل عزاز، منبج، دلوك، مرعش، حصن الحدث، الجزيرة حران، الرها، دمشق..

كلها تعرف أبا عبيدة فاتحاً لها: إما عنوة وإما صلحاً.

٩- كان أبو عبيدة رضي الله عنه قائداً مُتَّبِعاً يتلقى الأوامر وينفذها بكل أمانة وإخلاص: فقد بقي بعد معركة اليرموك في موضعه لا يبرحه حتى أتاه رأي عمر وأمره^(٣)؛ وهذا دليل على شدة ضبط أبي عبيدة وإيمانه بضرورة إطاعة أوامر مرجعه الأعلى.

* * *

(١) الشَّنُّ: القرية الخلق.

(٢) الجونة: السَّلَّةُ المستديرة.

(٣) الطبري (٥٩٩/١).

أبو عبيدة بن الجراح و فن القيادة

١- الاهتمام بالشئون الإدارية «اللوجيستيك»:

كان «أبو عبيدة بن الجراح» مسؤولاً عن تأمين الإمداد الإداري لقواته، وعلى الرغم من توفر المواد التموينية والإمدادات في مسرح العمليات، إلا أن هناك قيوداً صارمة قد فرضت لتأمين هذا الإمداد؛ فقد كان على قوات المسلمين تجنب الاستيلاء على المواد التموينية من المدنيين ومن أهالي البلاد غير المحاربين؛ كما كان على القوات تجنب الحقول المزروعة والبساتين وعدم إيذاء الأشجار المثمرة، مع ضرورة دفع ثمن كل ما تشتريه القوات، وقد أمكن في الواقع تأمين الإمداد الإداري باتباع الأساليب التالية:

١- الحصول على المعلومات الدقيقة عن قوافل إمداد العدو وتموينه والإغارة عليها ومصادرتها لحساب قوات المسلمين، ولما كانت قوافل الإمداد غالباً ما تسير تحت حراسة جيدة، فقد نظمت الإغارات بأعداد قوية حتى تتم إبادة الحامية المرافقة للقافلة ثم مرافقة الغنائم وحراستها حتى الوصول بها إلى مواقع قوات المسلمين.

٢- الاتفاق في نصوص المعاهدات المعقودة مع سكان البلاد على تأمين الإمداد الإداري للقوات، وكان يتم احتساب ثمن المواد التموينية من أصل الجزية المفروضة.

٣- تأمين المتطلبات الضرورية من الأهلين عن طريق الشراء والمبادلة، وقد توفرت لقوات المسلمين إمكانات جيدة بفضل ما حصلوا عليه من غنائم في معاركهم المتتالية، «ويتضمن النظام الإسلامي على - ما هو معروف - توزيع أربعة أخماس الغنائم على المجاهدين، ويبقى الخمس لبيت الله»، وكان يحتسب للراكب «الفارس» سهمين مقابل سهم واحد لجندي المشاة، وقد بلغت الغنائم في كثير من المعارك مبلغاً جيداً ساعد المشاة على التجهز بالخيول والتحول إلى قوات الفرسان.

وكان «أبو عبيدة» يحرص على تنظيم الإمداد الإداري بواسطة مفارز يتم التناوب

فيها بينها؛ وذلك لتحقيق مجموعة من الأهداف:

أولها: إنقاص حجم القوات المكلفة بالتأمين الإداري حتى الحد الأدنى؛ بحيث لا ينصرف المقاتلون عن واجباتهم من أجل تأمين متطلباتهم الحياتية.

وثانيها: حصر مسؤولية التأمين الإداري بعناصر معينة؛ مما ينفي كل إمكانية لحدوث احتكاك بين المقاتلين من المسلمين وبين أهل البلاد من غير المحاربين.

وثالثها: ضمان الأمن للقوات؛ بحيث لا يضطر المقاتلون للابتعاد عن معسكر المسلمين، هذا وكانت منطقة الشؤون الإدارية تقع أثناء المعركة أو أثناء التوقف القصير في مؤخرة قوات المسلمين، وكان النساء والأولاد يقيمون في منطقة الشؤون الإدارية، ويعملون على تأمين الخدمات الضرورية، سواء للمساعدة في إعداد طعام المقاتلين، أو من أجل إسعاف الجرحى ودفن الشهداء، أو حتى للاشتراك في القتال إذا ما تطلب الأمر؛ على نحو ما حدث في اليرموك وفي عدد من المعارك الأخرى، أما في حالة المسير فكان الرتل الإداري عادة ما يسير في قلب القوات أو في مؤخرتها بحسب الموقف؛ وذلك من أجل حمايته.

تُظهر أعمال «أبي عبيدة بن الجراح» أن اهتمامه بالشؤون الإدارية قد تركز على حرمان الروم «البيزنطيين» من مواردهم التموينية ومتطلباتهم الحياتية، وتأمين تعايش قوات العرب المسلمين على حسابهم، ولم تكن بلاد الشام محدودة الموارد الزراعية والاقتصادية حتى تشكل قوات المسلمين عِجًا عليها؛ كما أن متطلبات تلك القوات كانت محدودة نسبيًا؛ لسببين:

أولهما: أن حجم القوات بقيت محدودة وأقل بكثير من حجم قوات الروم التي كانت تتعايش على حساب بلاد الشام.

وثانيهما: أن متطلبات تلك القوات بقيت قليلة؛ نظرًا لما عرف عن المقاتل المسلم من زهد وتقشف، وعلاوة على ذلك فقد كانت بلاد الشام؛ معروفة باسم «إهراءات الرومان»؛ دلالة على خصبها وغزارة مواردها الزراعية التي تضمن إمداد الجيوش الرومانية الجرارة، وتؤمن لها الإمداد بالأطعمة والأغذية؛ ويتأكد ذلك أيضًا من

خلال وصول أول قافلة للإمداد إلى الجزيرة العربية من بلاد الشام بقيادة «أبي عبيدة ابن الجراح»؛ وذلك عندما طلب أمير المؤمنين «عمر» إلى ولاته في الأقاليم إرسال الإمدادات؛ لتأمين الطعام لسكان الجزيرة، عندما أصيبت الجزيرة العربية بالقحط في عام الرمادة «١٧هـ».

وتبقى الظاهرة الأساسية في اهتمام «أبي عبيدة» بالشئون الإدارية؛ وهي: عدم إعطاء أفضلية «التأمين الإداري» على حساب متطلبات العمليات أو الواجبات التعبوية «التكتيكية».

وعلى سبيل المثال: فقد كانت أعمال الحصار الطويل تتطلب تأمين المتطلبات الضرورية؛ ك«المجانيق، والأوهاق، والحبال... إلخ»، ولكن المحافظة على فضائل جيش المسلمين - وفي طليعتها المرونة وخفة الحركة - وتوفر الرغبة بعدم إرهاب القوات بالأعباء الإدارية التي تتطلبها أعمال الحصار فرضت تجنب محاولات الاقتحام بالقوة واللجوء إلى المناورات الخداعية لإخراج المقاتلين من حصونهم وأسوارهم، والدخول معهم في معركة تصادية تتوافق ومعطيات العقيدة القتالية الإسلامية؛ وبذلك عمل «أبو عبيدة» على تطوير الأساليب التعبوية والعملياتية للتعويض عن القصور في الإمداد الإداري بالمعدات الهندسية؛ مما أدى بصورة غير مباشرة إلى تطوير «فن الحرب».

تأتي بعد ذلك الظاهرة الثانية والتي لا تقل أهمية عن الأولى في مجال «الاهتمام بالشئون الإدارية»؛ وهي: عدم حل هذه على حساب غاية المسلم.

٢- العنف في القضاء على أعداء المسلمين:

المقصود بـ «العنف في القضاء على أعداء المسلمين» هو ذلك العنف الذي يهدف إلى تصفية أعداء الإسلام بصورة شخصية؛ نظرًا لمواقفهم المناوئة للإسلام، أو بسبب نكايتهم بالمسلمين والكيد لهم، وهو غير استخدام «العنف بالحرب»؛ إذ إن «استخدام العنف في الحرب» هو مبدأ أساسي في حروب المسلمين التي تهدف باستمرار إلى

«الحسم في المعركة»، ومن المحال التفكير في «الحسم» أو الوصول إليه عن غير طريق إبادة قوات الخصم وقتل كل من حمل السلاح ضد المسلمين.

والعنف في الحرب - بعد ذلك - طبيعة ملاصقة للصراع؛ إذ لو انتفى العنف لانتفت صفة أساسية من صفات الحرب، وقد كان «أبو عبيدة» محاربًا من الطراز الأول في جيش «النخبة المختارة»؛ فكان من الطبيعي أن يستخدم العنف في الحرب حتى حدوده القصوى؛ ولهذا فما أن انتهت معركة «اليرموك» حتى وَجَّهَ «أبو عبيدة» مفازر للفرسان بهدف إبادة فلول القوات المنهزمة، وفي المعارك التالية حَرَصَ أبو عبيدة على تدمير قوات العدو تدميرًا شبه كامل - وفي معركة «مرج الروم» بصورة خاصة -، ولكن الظاهرة المميزة هي تفنين الحرب بدقة؛ بحيث تقتصر على محاربي العدو، وفي إطار ميدان المعركة^(١)، ويمكن اعتبار ظاهرة «العنف في القضاء على أعداء المسلمين» سواء على المستوى الفردي، أو على مستوى الصراع المسلح في ميادين القتال إحدى الوسائل التكميلية لتدمير الاختلاف الكبير في ميزان القوى وتحويله لمصلحة العرب المسلمين؛ كما يمكن اعتبار هذه الظاهرة - أيضًا - وسيلة تكميلية لتحقيق «استراتيجية الهجوم غير المباشر» وردع أعداء المسلمين عن التفكير في مجابهة قوات العرب المسلمين؛ ويتأكد ذلك من خلال التقنين المحكم والدقيق في الفصل بين أسلوب التعامل مع المحاربين الذي يعتمد على «العنف» وبين أسلوب التعامل مع غير المحاربين والذي يعتمد على «الصلح»؛ من خلال الاتفاقيات،

(١) لقد حاولت جيوش العالم قديمها وحديثها تقنينَ الحرب والفصل بين المحاربين وغير المحاربين، ولكن جميع الجيوش فشلت في ذلك باستثناء بعض الحالات الخاصة، وتشير الشواهد الحديثة إلى اتجاه الحرب نحو مزيد من التطرف في أعمال العنف وعدم التمييز بين المحاربين وغير المحاربين؛ سواء في الحروب الثورية - كما حدث في الجزائر وفيتنام - أو في الحروب النظامية، وتشير التقديرات إلى أنه قد سقط في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) (١٨) مليون مدني قتيلاً مقابل (١٢) مليون عسكري، وتشير توقعات استخدام القنبلة الذرية إلى احتمال سقوط (قتيل واحد) مقابل (جريح واحد) في الجيوش، و(٢,٥) قتيلاً مقابل (جريح واحد) في السكان المدنيين، على حين لم تكن المقاييس العسكرية تتجاوز في السابق (قتيلًا واحدًا) مقابل (٣ أو ٤) جرحى.

والمهادنة، واكتساب ثقة المواطنين؛ من خلال تعريفهم بمبادئ الدين الإسلامي وقواعده، ويمكن - دون مبالغة - اعتبار القائد «أبي عبيدة بن الجراح» نموذجاً رائعاً، وأمثلةً تُجسّد كل الفضائل الحربية التي سبق ذكرها؛ وأبرزها: تقنين الحرب والتحكم فيها بكفاءة عالية.

● أبو عبيدة وقواته على استعداد دائم للقتال:

كان نداء: «يا خيل الله اركبي» عند المسلمين يشبه نداء «إلى السلاح» في الجيوش الحديثة؛ ذلك أن قوة الخيل أو قوة الفرسان كانت تمثل قوة الصدمة في جيوش العرب المسلمين، وكانت هذه القوة هي المسؤولة عن مجابهة كل مباغطة محتملة، وكان يتم العمل لمجابهة المباغطة على أساس تدخل قوة الحرس، فإذا عجزت هذه القوة عن مجابهة الخطر، استنفرت قوات الفرسان، وتم دفعها إلى المعركة ريثما يتم تنظيم بقية القوات بعيداً عن كل خطر؛ وبذلك يتم تطويق «المأزق»، وقد تردد في مرات كثيرة أثناء مسيرة الفتوح أن قوات المسلمين «كانت لا تبيت ولا تصحو إلا على تعبئة»؛ وبذلك كانت في حالة استعداد دائم للقتال، وقد حاول الروم في مرات عديدة مباغطة قوات «أبي عبيدة بن الجراح» ولكنهم لم يتمكنوا أبداً من إصابة عُروة المسلمين أو مباغتهم.

ويتعلق الاستعداد الدائم للقتال بفضائل المقاتلين الحربية أكثر مما يتعلق بكفاءة القيادة؛ فالقيادة تضع كل الإجراءات، وتتخذ كل التدابير لتحرك القوات وتوقفها وتحديد واجباتها في كل مرحلة، ولكن يبقى التنفيذ متعلقاً بفضائل الجنود وروحهم المعنوية وإيمانهم بالهدف وحماسهم للقتل والقتال؛ وقد برهنت مسيرة أعمال الفتوح على أن «أبا عبيدة بن الجراح» قد حرص في كل مراحل القتال على توجيه المقاتلين وقيادتهم بكفاءة عالية، وبرهنت مسيرة أعمال الفتوح أيضاً أن الفضائل الحربية في وسط المقاتلين المسلمين لم تكن دون مستوى كفاءة قيادتهم؛ ومن هنا تظهر الاستجابة الكاملة لدى المجاهدين لما كان يطلب إليهم تنفيذه.

ما كانت مسيرة الفتوح مجرد رحلة عبر المفاوز والصحاري، ولا كانت حتى مجرد اختراق للسهول والجبال؛ وإنما كانت أيضًا أعمالًا قتاليةً يتصل فيها الليل بالنهار، وتختلط فيها الأعمال الدفاعية وعمليات الحصار بالأعمال الهجومية وعمليات الاقتحام، مع احتمال الاشتباك في كل وقت وفي كل منطقة. وبذلك كان الجهد المبذول يتجاوز الحدود القصوى لكل ما هو متوقع ولكل ما هو معروف، وقد يكون من السهل الجلوسُ بهدوء وفي مناخ تتوفر فيه كلُّ شروط الراحة الجسدية والنفسية، والتحدثُ عن مشاق القتال في فترة الفتح، وقياسُ المواقع والمسافات بمقاييس الخرائط، ولكن تقويم «درجة الاستعداد القتالي» تتطلب في الواقع ما هو أكثر من ذلك؛ إنها تتطلب - وببساطة - تجربةَ اختراقِ الصحراءِ العربية تحت وهج الشمس اللاهبة وفوق الرمال الحارقة بمثل ما كانت عليه الوسائط المتوفرة، ثم تجربة زج القوات بعد التحرك، واتخاذ تدابير الحيطة والوقاية، وتصوير الجهد المبذول لخوض القتال والاشتباك في الحرب، كل ذلك مع ما كان عليه موقف قوات المسلمين من ضعف عددي يجعل الجهد المبذول مرتفعًا حتى حدوده القصوى؛ بسبب توزيعه على أعداد قليلة، وعلاوة على ذلك كله فقد كانت قوات المسلمين في حالة إعادة تنظيم مستمر؛ حتى تستطيع تنفيذ الأعمال المختلفة، وقد لا تكون هناك حاجة لوصف ما تتطلبه هذه الحالة من جهد إضافي يتحمله جند المسلمين بثبات رائع وتصميم كبير.

وكان «أبو عبيدة» ومعه كل المجاهدين في سبيل الله قد غادروا جزيرتهم وهم يعرفون أن أمامهم تحديات لا حدود لها؛ فكان خروجهم في حد ذاته إنما هو برهان على استعدادهم الدائم للقتال، وكانت جهودهم المبذولة برهانًا على أنهم كانوا فوق التحديات كلها، ما هو متوقع منها وما هو غير متوقع؛ وبذلك استطاعوا المحافظة على استعدادهم الدائم للقتال، رغم كل ظروف القتال الصعبة، ورغم كل الاشتباكات الشاقة، ورغم كل ما كان يبذله العدو من جهد وما يضعه من مخططات لإضعاف إرادة القتال عند المجاهدين.

● وكان ﷺ دائماً يحرض ويحض على القتال.

قال ﷺ في اليرموك: «عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. عباد الله، اصبروا؛ فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار. لا تتركوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدءوهم بالقتال، وأشرعوا الرماح؛ واستتروا بالدرق، والزمو الصمت؛ إلا من ذكر الله ﷻ في أنفسكم حتى يتم أمركم إن شاء الله».

ومما قاله في معركة بعلبك: «اعلموا أن هذه المدينة في وسط أعمالكم وبلادكم؛ فإن بقيت كانت وبالأعلى من صالحتم، ولا تقدرن على سفر ولا على غيره».

● أَبُو عبيدةٌ وَمَا يُعْرَفُ حَدِيثًا بِ«الحرب الشعبية»:

كان جيش الفتح بحكم تكوينه يضم المجاهدين الراغبين في الحرب دون تمييز بسبب فارق العمر أو بسبب الجنس، وكان من واجب قائد العمليات تنظيم القدرات المختلفة وحشد كل الإمكانيات في الحرب، ولكن «أبا عبيدة» لم يقف كقائد للعمليات عند حدود التنظيم والحشد للقوات؛ وإنما تجاوز ذلك بحسب ما تظهره وثائق الصلح التي عقدها «أبو عبيدة» مع أهل البلاد؛ حيث يتبين أن «أبا عبيدة» قد طور مفهوم ما هو معروف حديثًا باسم «الحرب الشعبية»؛ وذلك عن طريق:

أ - تحقيق «غاية السلم»:

من خلال الكفاءة العالية في حسم الصراع المسلح والتمهيد لإقامة المجتمع الإسلامي والعمل بالتالي على حشد الطاقات الجديدة ممن دخلوا في الإسلام حديثًا، وقد كانت هذه العملية مشابهة لتلك التي طبقها الرسول ﷺ منذ بدأ دعوته للإسلام؛ حيث يتم اكتساب الأقاليم سلمًا أو حربًا ونشر الإسلام فيها وتحميل أهلها أمانة نشر الإسلام، وكان هذا في حد ذاته تطويرًا لمضمون الجهاد أو ما يعرف حديثًا ب«الحرب الشعبية».

ب - الإفادة من سكان البلاد «وتحييدهم» إذا صح التعبير:

عن طريق اتفاقيات السلم؛ وذلك لتحقيق هدف مزدوج؛ الأول: هو دعم القدرة الحربية وتأمين الحماية لها، والثاني: توفير المناخ للإفادة من الطاقات المتوفرة كلها لتوجيهها نحو الجهاد وتحقيق المشاركة الكاملة للقوات بأعمال الفتوح؛ بحيث لا يتم تبديد قسم من الجهد أو الطاقة البشرية.

ج - تنظيم القوات بحيث يقوم الجميع بأعباء الحرب:

النساء للشئون الإدارية وإسعاف الجرحى وأحياناً للقتال.

والأحداث للقيام بالأعباء التي تتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم.

ويظهر واضحاً أن واجب «أبي عبيدة» كقائد لمسرح من مسارح العمليات لم يكن محددًا بقيادة الأعمال القتالية فقط؛ وإنما كان يشمل إدارة البلاد التي يتم فتحها، وإقامة دعائم المجتمع الإسلامي، وكان من الطبيعي أن يتبع ذلك - وبصورة مباشرة - تطبيق مبدأ الجهاد أو «الحرب الشعبية».

وكان تطبيق هذا المبدأ يسمح لأبناء البلاد التي تم فتحها العمل على قدم المساواة مع جنود جيش الفتح، وأصبح واجب الجيش في العمل لصهر المجتمع الجديد والمساعدة على عملية البناء بـ«تطبيق مبدأ الجهاد - أو الحرب الشعبية» هو من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتشار الإسلام، وضمنت القوة للمجتمعات الجديدة، وتبرز أهمية هذا المبدأ بصورة خاصة في الفتوحات التالية؛ حيث أصبح أبناء البلاد حديثه العهد بالإسلام - كالشام والعراق - هم حملة مشاعل الإسلام إلى الأقاليم الجديدة التي لم يتم فتحها.

لقد تمت فتوح الشام وفتوح العراق في فترة متقاربة «١٢ - ١٧هـ»، وانصرف المسلمون لبناء المجتمع الجديد، وأعقب ذلك «فتح مصر»، وتحولت هذه الأقاليم بعد فترة قصيرة إلى قواعد قوية لإطلاق جيوش الجهاد اعتماداً على مبدأ الحرب الشعبية، ويعود الفضل في ذلك إلى قادة الفتوحات في هذه الأقاليم الذين تمكنوا من تطبيق

مبدأ الجهاد و«تطوير مفهوم الحرب الشعبية»؛ مما عزز إمكانات المسلمين، وساعد على زيادة قدرتهم البشرية؛ وبذلك أمكن نشر راية الإسلام، ولقد أصبحت جيوش الفتح - بفضل مبدأ الجهاد أو الحرب الشعبية - هي المدارس الحقيقية لتكوين المجتمعات الإسلامية الجديدة والتي تعمل على إعداد القوى الضرورية والطاقات الأساسية لإزالة كل التناقضات التي يمكن لها الظهور - أو يحتمل بروزها - في أخطر مراحل بناء المجتمع الإسلامي في جميع الأقطار.

ويبقى «أبو عبيدة بن الجراح» رائدًا من رواد تطبيق هذا المبدأ الذي يعتبر أساس التنظيم للمجتمع الإسلامي.

● جيش أبي عبيدة رهبان الليل وفرسان النهار:

وَصَفَتِ المصادر التاريخية حال المجاهدين فقالت: «كانوا أسادًا في الحرب ورهبانًا في الليل؛ يُدَوِّنُونَ بالصلاة والدعاء؛ كدوي النحل، لا يُفَضَّلُ من مضى على من بقي إلا بفضل الشهادة».

لما رحل هرقل عن سورية، جاء إليه رجل من الروم كان أسيرًا في أيدي المسلمين، فأقلت، فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم. فقال: أحدثك؛ كأنك تنظر إليهم؛ فرسان بالنهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمر، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه.

فقال: لئن صدقتني ليرثنَّ ما تحت قدميَّ هاتين»^(١).

موقع أبي عبيدة من فن الحرب

لله دُرٌّ خالد بن الوليد رضي الله عنه حين يقول لأبي عبيدة «... لا نعصيك، ولا نقطع دونك أمرًا؛ فأنت سيد المسلمين، لا ينكر فضلك، ولا نستغني عن رأيك»^(٢).

(١) تاريخ الطبري (٦٠٢/٣، ٦٠٣) والكمال في التاريخ، لابن الأثير (٣٤٣/٢، ٣٤٤).

(٢) أبو عبيدة بن الجراح، لبشام العسلي ص (١٣) «دار النفائس».

هذا كلام من قائد من كبار القواد في التاريخ العسكري يقوله في حق أبي عبيدة كقائد.

وتظهر أهمية الدور القيادي لأبي عبيدة بن الجراح لا كرائد من رواد الفتح الأوائل، ولا كقائد أمكن له تطبيق «مبادئ الحرب» بمرونة كبيرة وفقاً «للمواقف القتالية» التي كانت تجابه قوات المسلمين، وإنما تظهر أهمية هذا الدور بتحديد العلاقة بين «السياسة الاستراتيجية للفتح» والتي كان يمارسها الخليفة أبو بكر ومن بعده أمير المؤمنين عمر، وبين «قيادة العمليات» والتي كان يمارسها هو فوق مسرح عمليات بلاد الشام.

ولقد كان تحديد هذه العلاقة بصورتها الواضحة هو العامل الأساسي والحاسم فيما أحرزه المسلمون من انتصارات، وفيما حققوه من أعمال ناجحة.

كان أبو عبيدة - بحسب ما هو واضح من سيرته القيادية - نسيجاً وحده في «فن الحرب»؛ ذلك أنه كان يضطلع بدوره القيادي وهو مقتنع بما يجب عليه عمله، ومدرك للحدود التي يجب عليه التحرك ضمنها؛ فكانت «حرية العمل» المتوفرة له ضيقة جداً عند النظر إليها من زاوية مسرح العمليات، وهي واسعة جداً عند النظر إليها من زاوية السياسة الاستراتيجية؛ إذ كان يتمتع في هذه الحالة بالإمكانات المتوفرة له، علاوة على تلك التي يتم حشدتها لمصلحته، سواء أخذت هذه الإمكانيات شكل «دعم مباشر» أو أخذت شكل «حرب تشتيئية» في مسرح آخر يرتبط - بالنتيجة - مع مسرح عملياته.

انطلاقاً من هذا المفهوم استطاع أبو عبيدة المحافظة على مبدأ «وحدة القيادة»، وقد كان حرصه على ترك «وحدة القيادة في السياسة الاستراتيجية» ماثلاً لحرصه على التمسك بمبدأ وحدة القيادة على «مستوى العمليات».

كل ذلك - في رفق كبير وتواضع رائع - جعل من قيادته نموذجاً لما يجب أن تكون عليه العلاقة مع القيادة العليا ومع القيادات التابعة.

وتبرز كفاءة أبي عبيدة على مستوى العمليات في تقديره الصحيح للمواقف،

الأمر الذي كان يساعده على اتخاذ القرارات المناسبة وتنفيذها في الوقت الملائم. ويمكن الانتقال بعد ذلك إلى مجال تطبيق «مبادئ الحرب» في فترة كانت لا تزال فيها هذه المبادئ تمر بمرحلة التكون؛ ففي تلك الفترة تولى «أبو عبيدة» قيادته، وكانت الحروب مستمرة، والمعارك متتالية متلاحقة، وكان لكل معركة ظروفها الخاصة؛ فكان من المحال تطبيق «مبادئ الحرب» بصورة جامدة أو متييسة، ولكن استخدام تلك المبادئ وتطويرها كان يتطلب كفاءة عالية، ولم يكن أبو عبيدة يفتقر إلى تلك الكفاءة؛ وبذلك أمكن له تحقيق الإنجازات الرائعة في تثبيت «مبادئ الحرب» وتطويرها.

لم تكن كفاءة «أبي عبيدة» على مستوى العمليات وفي جميع الأحوال إلا برهاناً على إمكانات «أبي عبيدة» الكبيرة لممارسة قيادة أكبر من مستوى العمليات، وكان عمر رضي الله عنه أعرف الناس بالرجال، وكان يتمنى لو عاش «أبو عبيدة»؛ حتى يترك له «إمارة المؤمنين»، ولا ريب أن ذلك دليلاً على ما يتوفر لأبي عبيدة من قدرات قيادية كبيرة؛ أبرزها: «الأمانة»، و«العدل»، و«القدرة القيادية»، و«التقدير الصحيح للمواقف»؛ وعلى هذا فقد كان أبو عبيدة فوق القيادة التي مارسها^(١).

١- في الاستراتيجية العليا

١. الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة؛

انطلق «أبو عبيدة» بجيشه إلى الشام، وتوافق ذلك مع حدوث «مأساة خالد بن سعيد» الذي أهمل حماية مؤخرته، ولم يهتم كثيراً بالمحافظة على خطوط مواصلاته؛ فكان في ذلك كارثة رافقت بداية الفتوح، وقد أدرك قادة المسلمون - وفي طليعتهم أبو عبيدة - هذا الدرس؛ فألّوا على أنفسهم على التحرك باستمرار من قاعدة قوية ومأمونة؛ بحيث لا يؤتى المسلمون في خلفهم.

(١) أبو عبيدة بن الجراح، لبشام العسلي ص (٧٤ - ٧٨) باختصار.

وعندما تداعت «الروم» لحرب المسلمين، وأراد «هراقل» توجيه جيوشه للقضاء على كل جيش بمعزل عن الجيوش الأخرى مستفيداً من تفوقه الكبير بالقوى والوسائط، أسرع قادة المسلمين بجيوشهم إلى «اليرموك» بهدف المحافظة على الاتصال بقاعدتهم الأساسية في «المدينة المنورة»، ولقد بقيت نسبة تفوق الروم على المسلمين ثابتة لم تتغير، ولكن تجمع المسلمين ضَمينَ لهم مزيداً من حرية العمل؛ كما ضَمينَ لهم المحافظة على الاتصال بقاعدتهم.

واستمر «أبو عبيدة» في تطبيق مبدأ «الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة» على مستوى العمليات؛ وبرز ذلك عند فتح «دمشق»؛ حيث عمل «أبو عبيدة» على توجيه مجموعات قتالية من قوة «الفرسان» لحماية مسرح العمليات؛ فكانت قوة «ذي الكلاع الحميري» على محور «دمشق - حمص»، وقوة «شرحبيل بن حسنة» ضد قوات «فحل»، وقوة «علقمة بن حكيم» على محور «دمشق - فلسطين» بمثابة حماية لقاعدة العمليات، وبعد ذلك لم يتحرك «أبو عبيدة» نحو واجبه الأساسي في فتح «شمال دمشق» حتى تمت تصفية قوات الروم في «فحل»، وتابع «أبو عبيدة» تحركه نحو بعلبك، ولم يغادرها حتى تم فتحها، وكان مما قاله لجنده: «اعلموا أن هذه المدينة في وسط أعمالكم وبلادكم؛ فإن بقيت كانت وبالاً على من صالحتم، ولا تقدرّون على سفر ولا على غيره»، وكذلك الأمر عند فتح «حمص»؛ فقد استمر الحصار طويلاً، ولم يحاول «أبو عبيدة» التحرك قبل احتلال المدينة وتصفية المقاومة فيها، واستمر العمل بهذا المبدأ حتى تم تحرير سوريا كلها.

لم يكن أسلوب «أبي عبيدة» لإقامة القاعدة القوية والمأمونة يقف عند حدود ضمان «أمن القوات» أو تحقيق مبدأ «حرية العمل العسكري»؛ وإنما كان يشمل التأمين الإداري للقوات، وتوفير الظروف لإقامة المجتمع الإسلامي الجديد، كل ذلك مع الحرص على العنصر العربي - دعامة الإسلام -، وهكذا لم يكن تطبيق مبدأ «الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة» هدفاً في حد ذاته؛ وإنما كان وسيلة لتحقيق الهدف الكبير

وهو «نشر الإسلام»، وكان ذلك سببًا في تقييد «حرية العمل العسكري» الذي جاء مقننًا بدقة، ومنظمًا بإحكام؛ بحيث يقتصر العنف على مسرح العمليات، وبحيث لا يتجاوز العنف حدود الصراع المسلح في جبهة القتال، وضمن هذا الإطار ذاته حَرَصَ «أبو عبيدة» على تنظيم «التأمين الإداري للقوات»؛ بحيث يقوم المسلمون بتأمين متطلباتهم عن طريق «الشراء» وعدم إلحاق الضرر بمتلكات المواطنين أو أرزاقهم؛ فكان في ذلك تحقيق هدف السياسة الاستراتيجية والسياسة العليا؛ وهو: «خوض الحرب بما لا يتعارض مع إقامة سلم مُقبِلٍ».

وكان «أبو عبيدة» في ذلك من الرواد الأوائل الذين سبقوا الدنيا بإدراك هدف الحرب وتطبيق الوسائل الضرورية للوصول إلى الهدف قبل أن يحاول العالم معرفته بأكثر من عشرة قرون.

لقد عرف «تاريخ الحرب» في القديم والحديث جيوشًا كثيرة خرجت لإقامة قواعد جديدة لها، ولكنها فشلت كلها في الوصول إلى أهدافها؛ بسبب تفضيل «حرية العمل العسكري» على «إقامة القواعد القوية والمأمونة»، وبسبب عدم نجاح القادة في تحويل المنطلقات النظرية والمبادئ إلى واقع عملي، ولقد تعرضت «قاعدة بلاد الشام» إلى هجمات وغزوات مستمرة، واستطاعت - رغم ذلك - الصمود لكل التحديات والخروج من كل الأزمات وهي محافظة على قوتها وصلابتها، وقد كان لأبي عبيدة بن الجراح وَمَنْ تَبِعَهُ فضلٌ في ذلك، وقد تحمل الرواد الأوائل - يقينًا - الأعباء الثقيلة، وقدموا التضحيات غير المحدودة حتى أمكن لهم إقامة القاعدة القوية والمأمونة، والتي أفاد منها الأمويون بعد ذلك؛ فجعلوها قاعدة لإطلاق جيوش المسلمين إلى أرجاء الدنيا حتى وصلت إلى الصين وفرنسا، وحفظت «دمشق» للدنيا «أمجاد العرب المسلمين».

٢. وضوح الهدف

إن قضية «وضوح الهدف» عند أبي عبيدة لم تكن مرتبطة بمعرفة الآخرين قدر

ارتباطها بمعرفته لنفسه ولما يريد، وقد تكون قضية «وضوح الهدف» مُسَلِّمٌ بها على مستوى السياسة الاستراتيجية؛ نظرًا لارتباطها بالعبيدة الإسلامية، ولكن ترجمةً مثل هذا الوضوح على مستوى قيادة العمليات وعلى مستوى التنفيذ التعبوي «التكتيكي» هو المجال الرحب أمام قادة العرب المسلمين لإبراز كفاءتهم القيادية، والبرهان على إمكاناتهم الخاصة وقدراتهم الذاتية، وفي هذا المجال كان النجاح الرائع «لأبي عبيدة ابن الجراح».

إن عوامل «الوضوح في الهدف» قد اعتمدت عند أبي عبيدة على المعطيات الآتية:

- ١- التقدير الصحيح للموقف، ومعرفة نوايا العدو بدقة تامة، وإجراء موازنة محكمة بين مجموعة العوامل التي تدخل في اتخاذ القرار.
- ٢- عقد مؤتمرات القادة - بحسب التعبير الحديث - واستشارتهم في المواقف المستجدة بعد طرح الموقف بكل أبعاده، ثم اتخاذ القرار المناسب والعمل على تنفيذه.
- ٣- الفصل بين «الهدف الاستراتيجي» و«الهدف العملياتي»، ومعالجة مواقف العمليات بصورة مباشرة، وترك المواقف الاستراتيجية للقائد الاستراتيجي، والذي كان يمارس دوره الخليفة.

وَتُظهِرُ مسيرة الفتوح بعد ذلك أنها لم تكن ضربة مباغتة في غفلة من الدهر، أو أنها كانت عملاً مرتجلاً بعيداً عن الهدف، مجرداً من الغاية؛ وإنما كانت عملاً موجهًا بدقة رائعة، مارس فيها عقل «أبي عبيدة» الجبار دورًا أساسيًا على مستوى التخطيط للعمليات، وعلى مستوى تحديد الهدف الأساسي والأهداف الثانوية أو الفرعية، وقد تم تنفيذ ذلك كله في إطار من الوضوح التام؛ مما ساعد القوات على الاضطلاع بواجباتها وتنفيذ عملياتها دون خطأ، ودون اضطراب، وفي مناخ من الثقة الكاملة بالنصر.

٣. استراتيجية الحرب التشتيتية

كانت حروب العرب المسلمين نوعًا من الحروب الثورية - بمفهومها الحديث -،

ويظهر أن طبيعة تلك الحروب قد ساعدت قادة العرب المسلمين على استخدام الأساليب الثورية المناسبة؛ للتكيف مع طبيعة الحرب، وضمان الاستجابة المناسبة في مجابهة التحدي المناسب، واستخدمت استراتيجية الحرب التشتيتية - وهي استراتيجية ثورية بالدرجة الأولى؛ لمجابهة تفوق الروم، ولم تكن هذه الاستراتيجية هي الوحيدة التي استخدمها قادة العرب المسلمين؛ للمعاوضة عن نقاط الضعف لديهم؛ ولكنها بقيت من أبرز الاستراتيجيات المستخدمة.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تميزت حروب العرب المسلمين بمجموعة من الخصائص التي وضعت تلك الحروب نموذجاً متقدماً من «حرب الحركة»، ومن طبيعة هذه الحرب عدم الجمود أمام موقف معين، والابتعاد عن «معارك المواقع الثابتة والتحصينات»، والسعي لمقابلة قوات العدو في معارك تصادمية يغلب عليها طابع الهجوم من الحركة مع عدم استعداد مسبق أو مع استعداد يتم تحضيره على عجل، وَيَشْتَرِطُ هذا النوع من الحرب كفاءةً قياديةً عاليةً على مستوى العمليات وإدارة الحرب؛ كما يتطلب كفاءةً عاليةً من المقاتلين لتنفيذ الأساليب التعبوية «التكتيكية» المناسبة.

وتبرز سيرة «أبي عبيدة بن الجراح» وعمليات فتح الشام مجموعةً من الأساليب والطرائق التي استخدمت لتطبيق استراتيجية «الحرب التشتيتية» بنجاح وفاعلية؛ ومنها:

- ١- التحرك على عدد من المحاور المتوازية أو المتلاقية؛ كالتحرك من قاعدة الحشد في المدينة المنورة والانطلاق إلى الشام نحو أهداف عديدة؛ مما أربك الروم، وحملهم على وضع خطة لمجابهة الجيوش الأربعة، وعادت هذه الجيوش للتجمع؛ مما أرغم قيادة الروم على تبديل مخططاتهم مرة أخرى لمجابهة الموقف الجديد، وغنمت جيوش المسلمين من ذلك مكسب فرض المعركة على العدو في الزمن والمكان المناسبين.
- ٢- التحرك على شكل مجموعات قتالية متتالية - على نحو ما حدث في موقعة

مرج الروم، والقضاء على قوات العدو بتجزئتها، والقضاء على كل مجموعة بشكل منفصل عن الأخرى، وحرمانها من تنسيق التعاون فيما بينها.

وظهرت ميزة هذه الاستراتيجية أيضًا عند حصار «دمشق»؛ حيث قامت مجموعة فرسان «ذي الكلاع الحميري» بإحباط كل محاولة لدعم حامية «دمشق» وحرمان قوات الروم من تنسيق التعاون فيما بينها.

٣- يمكن اعتبار «إحباط هجوم الروم ضد حمص» في عام (١٧هـ) نموذجًا رائعًا لأساليب الحرب التشتيتية؛ ففي هذه المعركة توجهت قوات المسلمين من مراكز بعيدة عن مسرح العمليات «الكوفة»، وانطلقت إلى منطقة غير منطقة العمليات التي أرادها العدو؛ فكان تحرك قوات الكوفة إلى «الجزيرة» عاملاً حاسماً أرغم عرب الجزيرة على «التخلي عن دعم الروم» والعودة إلى مراكز قوتهم في الجزيرة للدفاع عنها؛ فخسر الروم بذلك الدعم الذي كانوا ينتظرونه ويتوقعونه؛ وبذلك أمكن القضاء على كل قوة بمعزل عن القوى الأخرى؛ فعمل «أبو عبيدة» ومعه «جيش حمص» على تدمير جيش الروم في حين اضطلع جيش العراق بأعمال إخضاع الجزيرة وفتحها؛ فحققت «استراتيجية الحرب التشتيتية» أهدافها.

٤- دَفَع «أبو عبيدة» مجموعات قتالية أثناء فتح دمشق نحو اتجاهات مختلفة لإخضاع المنطقة المحيطة بدمشق، وفَعَلَ مثل ذلك أثناء حصار «دمشق»؛ حيث قاد «خالد بن الوليد» إحدى المجموعات ووصل بها حتى «قنسرين» و«حاضر حلب» علاوة على تلك المجموعات التي كانت تتحرك باستمرار في «ريف حمص»، وقد كان تنفيذ مثل هذه العمليات يشكل عبئًا ثقيلًا على عاتق المسلمين؛ بسبب ضعفهم العددي، ولكن مقابل ذلك حَرَصَ المسلمون على رصيد معنوي ضخم أضيف إلى رصيدهم الأصلي، وأدى ذلك أيضًا إلى إحباط إرادة القتال عند الطرف المقابل الذي بات يخشى جيش المسلمين الضخم وشدة بأسه، وضمنت العمليات التشتيتية - علاوة على ذلك - أمن كتلة القوات الرئيسية، ووفرت لها ظروف العمل المناسبة بعيدًا

عن كل خطر من تهديد «المباغثة»، ويظهر بوضوح أن «استراتيجية الحرب التشتيتية» قد ساعدت على تحقيق عدد من مبادئ الحرب في وقت واحد.

٥- يمكن أيضًا اعتبار أسلوب المطاردة لتدمير قوات العدو أثناء انسحابها نوعًا من الحرب التشتيتية؛ فقد عمل «أبو عبيدة» بعد معركة «حمص» على توجيه مجموعات قتالية متتالية لمطاردة الروم حتى ما وراء الدروب، وتحركت هذه القوات على محاور متباعدة؛ وهذا ما دفع «أبا عبيدة» لتكوين مجموعات قتالية أخرى تسير على أثر المجموعات المتقدمة لها؛ بهدف دعمها إن هي جابهت مقاومة قوية، أو اصطدمت بمعارك غير متوقعة مع قوات للعدو متفرقة.

لقد استخدم بعض القادة العالميين «استراتيجية الحرب التشتيتية» في القرن الثامن عشر^(١) للمطاردة؛ كما استخدم قادة آخرون العمل على أكثر من محور، ولكن قادة العرب المسلمين - وفي طليعتهم أبو عبيدة بن الجراح - هم أول من استخدم هذه الاستراتيجية في الهجوم والدفاع وحتى أثناء حرب الحصار والمواقع، ولعلمهم أيضًا في مقدمة من استخدم هذه الاستراتيجية في إطار التكامل مع «العقيدة القتالية»؛ بحيث كانت هذه الاستراتيجية وجهًا من وجوه عقيدتهم الغنية بالمبادئ والأسس.

ولعل الظاهرة الأكثر أهمية هي استخدام هذه الاستراتيجية على مستوى السياسة الاستراتيجية للفتح، واستخدامها أيضًا على مستوى العمليات؛ فقد كان توجيه جيوش الفتح إلى الشام، وتحديد عدد من المحاور لتحركها إنما هو من عمل الخليفة «أبي بكر» رضي الله عنه، وكذلك الأمر بالنسبة لإحباط هجوم الروم، وتوجيه القوات لفتح

(١) استخدم هذه الاستراتيجية القائد الروسي (كوتوزوف Koutouzov ١٧٤٥ - ١٨١٣م) أثناء مطاردة جيوش نابليون بعد انسحابه من موسكو، وخلال مرحلة تراجعه نحو فرنسا. كما تُستخدم استراتيجية «الحرب التشتيتية» بصورة خاصة في الحروب الثورية؛ كوسيلة للتعاقد مع قوى العدو المتفوقة، وهدفها الأول «ضرب العدو ضربات موجعة» مع المحافظة على قوات الصورة، وكانت هذه الاستراتيجية إحدى وسائل «الحرب الجزائرية ضد فرنسا» (١٩٥٦ - ١٩٦٣م)، والتي أرغمت قوات فرنسا في كثير من الأحيان لتوجيه ضرباتها نحو الفراغ.

«الجزيرة» بحسب المخطط الذي وضعه أمير المؤمنين رضي الله عنه «عمر»

وفي النموذجين المذكورين تم تخطيط «الحرب التشتيتية» على مستوى السياسة الاستراتيجية، في حين كان توجيه المجموعات القتالية أثناء حصار «دمشق»، وأثناء حصار «حمص»، وأثناء مطاردة قوات الروم بعد المعارك وتوجيه القوات إلى ما وراء الدروب، كل ذلك في إطار «العمليات» ومن تخطيط قائد مسرح العمليات «أبي عبيدة بن الجراح».

ويمكن اعتبار نجاح عمليات فتح الشام في قسم كبير منها؛ نتيجة للسياسة الاستراتيجية التي كان يطبقها «أمير المؤمنين».

كما يمكن إسناد قسم من النجاح للكفاءة العالية التي كان عليها جند المسلمين، ولكن ذلك كله لا ينتقص من كفاءة «أبي عبيدة» كقائد للعمليات، ولعل أكبر نجاح له هو في التنسيق بين أسس السياسة الاستراتيجية وبين إدارة الحرب على مستوى العمليات، والتوفيق باستمرار بين «الهدف» وبين «القوى والوسائط المتوفرة».

٣ استراتيجيات الهجمات الوقائية:

وضع «أبو عبيدة بن الجراح» قاعدة «استراتيجية الهجمات الوقائية» عندما نظم غزوات ما وراء الدروب؛ لإشغال الروم عن أنفسهم، وذلك بعد قيامهم بالهجوم ضد «حمص»، وقد تحولت هذه الغزوات فيما بعد؛ فأصبحت رتبية ودورية ومنتظمة، وبقي الهدف ثابتاً؛ وهو: «عدم السماح للروم بتهديد أمن الثغور الإسلامية»، ولقد تطور مفهوم «استراتيجية الهجمات الوقائية» تطوراً كبيراً، ولكن بقي الأساس الذي أرسى قاعدته «أبو عبيدة»؛ وهو:

١- تنظيم الثغور، وإقامة حاميات قوية على الحدود واجبها الأول تلقي الصدمة عند حدوث هجمات مباغتة، وإنذار قيادة جيش المسلمين، وتوفير الفرصة المناسبة أمام الجيش للدخول في المعركة.

٢- قيام حملات قوية ومنتظمة لغزو بلاد الروم، ونقل «ويلات الحرب» إلى بلاد

الروم، وإبعادها عن بلاد المسلمين، وكانت حاميات الثغور تنضم إلى هذه الحملات، ثم تعود إلى قواعدها مع عودة الحملات - في الصوائف والشواتي.

لم تكن «استراتيجية الهجمات الوقائية» في واقعها بعيدة عن العقيدة القتالية للمسلمين، فقد مارس الرسول ﷺ تطبيق هذه الاستراتيجية في حروبه؛ حيث كان ينتقل إلى مواقع أعدائه، أو يسير إليهم قبل أن يصلوا إليه وقبل أن يهاجموه في قاعدته، وطبق الخليفة الأول هذه الاستراتيجية ذاتها ضد المرتدين؛ فهاجمهم في قاعدتهم، وحرّمهم من تنسيق التعاون فيما بينهم، وعندما تم فتح الشام، أخذت هذه الاستراتيجية ملامح متطورة في مجال التطبيق العملي وفي مجال قيادة العمليات، ويعود الفضل إلى «أبي عبيدة» في إحداث هذه التطورات التي أصبحت أساسًا لكل تطوير لاحق.

وتجد استراتيجية الهجمات الوقائية قاعدة لها في عقيدة قتال المسلمين؛ فحروب المسلمين «حرب حركة» قبل كل شيء، وهي «حرب هجومية»، ورغم أن إشغال الروم عن أنفسهم هو عمل دفاعي، هدفه صرفهم عن التعرض للمسلمين، إلا أن العقيدة القتالية الإسلامية قد جعلت «الحرب الهجومية» وسيلتها لتحقيق «الهدف الدفاعي»، وجاءت استراتيجية الهجمات الوقائية ترجمة واقعية وعملية لهذا المضمون؛ لقد كان من المحال على «أبي عبيدة» تجميد قوات كبيرة للبقاء في الثغور «كحاميات دفاعية في مواقع ثابتة»؛ كما أن مثل هذا الإجراء يتنافى وعقيدة القتال الإسلامية - الهجومية -، وكان من المحال أيضًا منح الثقة لأعداء المسلمين والاعتماد على نواياهم السليمة لو ظهرت مثل هذه النوايا، وكان المخرج الوحيد هو «تنظيم حرب هجومية» بصورة دائمة، ولكن كان من المحال أيضًا البقاء في مواقع الهجوم على جبهة واحدة، في حين كانت الأعمال القتالية الناجحة على الجبهات الأخرى تتطلب تركيز الجهد لتعزيز تلك النجاحات دائمًا، ولم يبق من مخرج إلا التناوب بين الهجوم والدفاع على جبهة الروم بقدر ما يتوفر من «القوى والوسائط»، ونجحت

«استراتيجية الهجمات الوقائية» في إيجاد المخرج من هذا المأزق على حدود بلاد المسلمين مع «الروم».

وتظهر عبقرية «أبي عبيدة» القيادية مرة أخرى من خلال التوفيق بين «الهدف» وبين «القوى والوسائط المتوفرة»، وقد يكون من الطبيعي لقائد أن يكلل هاماته بأكاليل الغار عندما يتصرف بقوى كبيرة وبوسائط جبارة لتحقيق «هدف محدود»، ولكن الكفاءة القيادية الحقيقية - بالنسبة لقائد العمليات - هي في «تحقيق الهدف» بالقوى والوسائط المتوفرة، ويتعاضد دور الكفاءة القيادية عندما تكون تلك القوى والوسائط هي أقل من حجم الواجبات المفروضة على قائد العمليات.

ويعرف «تاريخ الحرب» مجموعات كبيرة من القادة الذين حققوا نجاحاتهم الرائعة بفضل ما توفر لهم من قوى ووسائط، ولكنهم قلة، أولئك الذين بلغوا أهدافهم بوسائط وقوى محدودة، وكان «أبو عبيدة» واحدًا من قادة التاريخ الذين كانت انتصاراتهم أكبر بكثير من حجم قواهم ووسائطهم.

● المبادئ العسكرية التي طبقها القائد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

١- المباغتة:

يُعَدُّ مبدأ المباغتة وتطبيقه في طليعة المبادئ العسكرية التي طبقها أبو عبيدة في حروبه؛ وسنضرب على ذلك مثالين:

الأول: في فتح حمص:

تظاهر أبو عبيدة بالانسحاب من حمص وسمح للروم بمطاردته وقدم شيئًا من الغنائم؛ وذلك لاجتذابهم وإخراجهم من حصونهم، ثم باغتهم بالانقضاض عليهم. وقد كان وقع هذه المباغتة مُذهلاً؛ حيث أدى إلى نجاح استراتيجية الهجوم غير

المباشر^(١).

(١) فتوح الشام، للواقدي (٦٤/١)، وتاريخ فتوح الشام، للأزدي ص (١٤٦)، وأبو عبيدة بن الجراح، لبسّام العسلي ص (١١٠ - ١١٢).

الثاني: في فتح اللاذقية: وقد سبق ذكره.

٢- المبادأة واستخدام القوة الهجومية:

وهذا يعني: وضع العدو أمام مواقف متجددة، يصعب عليه مجابتهها؛ مما يجعله يقتنع بعجزه عن متابعة الصراع.

لقد كان العائق الأكبر أمام تقدم المسلمين التحصينات الدفاعية؛ فكان الحصار الذي ربما طال مما يفقد المسلمين قدرتهم الحركية العالية وقوتهم الهجومية؛ لذلك عمل أبو عبيدة على:

أ- إرغام العدو على مغادرة تحصيناته والدخول معه في مواجهة تكون فيها المبادأة في قبضته، ويتم فيها استخدام القوة الهجومية للمسلمين:

ومن الأمثلة على ذلك: معركة فحل^(١)، وبعليك^(٢)، واللاذقية.

ب- استخدام القوة الهجومية في أعماق التوغل العميق في أثناء عمليات الحصار: ومثال ذلك: أن قوات «ذي الكلاع الحميري» وصلت أثناء حصار دمشق إلى حدود مدينة حمص^(٣).

ج- المطاردة البعيدة لفلول الروم؛ حتى لا تتمكن تلك القوات من إعادة تجمعها:

ومن الأمثلة على ذلك: ما سلكه أبو عبيدة في معركة مرج الروم^(٤).

٣- مبدأ أمن العمل:

عرف المسلمون منذ وقت مبكر مبدأ «أمن العمل»، وطبّقوه في حروبهم بهدف عدم توريث قوات المسلمين في مأزق يعرضها للخطر.

(١) انظر: البداية والنهاية (١٩/٧)، وتاريخ فتوح الشام، للأزدي ص (١١١، ١١٢).

(٢) تاريخ فتوح الشام، للأزدي ص (١١٠).

(٣) الكامل، لابن الأثير (٢/٤٩٠، ٤٩١).

(٤) تاريخ الطبري (٣/٥٩٨، ٥٩٩)، والكامل، لابن الأثير (٢/٤٩٠)، وأبو عبيدة بن الجراح، لبشام

المسلي ص (١٢٦ - ١٢٩).

ولقد طبق القائد أبو عبيدة هذا المبدأ واتخذ التدابير الواقية الآتية لتطبيق هذا المبدأ:

أ - الاستطلاع المستمر لقوات العدو:

وذلك باتخاذ الجواسيس والعيون ودوريات الاستطلاع واستجواب الأسرى ومعلومات الأنصار.

ب - اتخاذ تدابير الحيلة والحذر:

فقد كان أبو عبيدة لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة، وقد حاول الروم عدة مرات مباغته قوات المسلمين في بلاد الشام التي كان أمر فتحها مسندًا إلى أبي عبيدة؛ مثل: «دمشق، وفحل، ومرج الروم، وحمص»، ولكن الروم لم يستطيعوا النيل من المسلمين؛ وذلك لأن عناصر الرصد والإنذار ودوريات الاستطلاع التي كانت تعتمد على الفرسان «الخيالة» كانت متيقظة دائمًا، وكانت تزيد من يقظتها بالليل، وفي الأحوال الجوية غير العادية.

كما أن هناك قوة جاهزة تُسمى «الردء»^(١)، واجبها مجابهة قوات العدو وإشغالها ريثما تستعد القوات الرئيسية لدخول الميدان.

وبهذا الأسلوب أحبطت كل محاولة استهدفت غرة قوات المسلمين.

د - عزل ميدان المعركة عن أي تدخل خارجي:

وذلك بإيجاد مفارز من الفرسان؛ مثال ذلك: المفزة التي شكَّلت بقيادة خالد بن الوليد في أثناء حصار حمص، ويبلغ عدد أفرادها أربع مئة فارس؛ وذلك بقصد عزل ميدان العمليات الحربية عن أي تدخل خارجي غير متوقع^(٢).

وبهذه الوسائل جميعها كان أبو عبيدة يُحدِّث موقفاً لا يتوقعه العدو؛ فتنهار إرادة الصراع لديه، وينتصر جيش المسلمين دون أن يتكبد خسائر فادحة^(٣).

(١) في المصطلح العسكري: القوة الاحتياطية. والردء - في اللغة -: العون والناصر.

(٢) أبو عبيدة بن الجراح، لبشام العسلي ص (١١٥ - ١١٨).

(٣) المصدر السابق ص (١١٧ - ١٢٠).

المبدأ الرابع: وحدة القيادة:

وما قول أبي عبيدة لعمر بن العاص حينما قدم عليه مددًا له: «... إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نَتَّطَوِّعُ؛ فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو» إلا تطبيقًا لهذا المبدأ.

المبدأ الخامس: المحافظة على الهدف:

ومن الأمثلة على ذلك: أن أبا عبيدة رضي الله عنه عندما أراد فتح الشام بدأ بفتح المحور الداخلي الذي يشمل: «بعلبك - حمص - قنسرين - حلب» مرورًا ببقية المراكز، وقد اتخذ من حمص مقرًا لقيادته؛ بحيث يستطيع توجيه قواته منها نحو كل اتجاه يتعرض للتهديد.

فلما أكمل المحور الداخلي، انطلق إلى المحور الساحلي «أنطاكية - اللاذقية - جبلة - طرسوس»، وكانت خطة الفتح واضحة في ذهن أبي عبيدة؛ بحيث لم يتم الانتقال من المنطقة الداخلية إلى المنطقة الساحلية إلا بعد تكوين قاعدة قوية وصلبة في الداخل؛ وبهذا يكون أمين الأمة قد حقق الهدف، وحافظ عليه في وقت واحد. ومما يدل على أهمية هذه القاعدة تركيز الروم هجومهم المضاد على حمص؛ لأنه لو تم لهم ذلك لانهارت المنطقة الساحلية بسهولة.

فعمليات الفتوح التي قام بها هذا القائد المظفر لم تكن عمليات مرتجلة؛ وإنما كانت تخضع لتخطيط دقيق ومحكم، يحدد الهدف ويضع كل ما هو ضروري من وسائل ممكنة للمحافظة عليه^(١).

المبدأ السادس: الاقتصاد في القوى:

طبَّقَ أبو عبيدة هذا المبدأ، وقَصْدُهُ بذلك التعويض المادي والبشري مما كانت تعاني منه قوات المسلمين، واعتمد في ذلك على مجموعة من الأسس؛ منها:

(١) المصدر السابق ص (١٣٤ - ١٣٧).

أولاً: الوصول إلى الهدف من الحرب عن طريق عقد اتفاقات؛ من أجل تحقيق السلم؛ مثال ذلك: صلح أذرع والجزيرة.

ثانياً: تنفيذ العمليات الحربية في جوٍّ من التشتيت، يصعب منه على قوات العدو تطوير أساليبها القتالية في أي جبهة من الجبهات.

ومن الأمثلة على ذلك: ما حدث في بلاد الشام؛ فحيث كان شرحبيل بن حسنة يجاهد وينازل الروم في الأردن، كان عمرو بن العاص يعمل على تصفية جيوب المقاومة بفلسطين، بينما كان معاوية بن أبي سفيان يحرق بقية جيوب المعارضة في ساحل الشام.

ثالثاً: إظهار التصميم لبلوغ هدف الحرب؛ فقد ظن الروم في الشام أن طول الحصار يرغم المسلمين على الانصراف، كما كان أهل حمص يأملون أن تكون برودة الجو وقوة المقاومة سبباً في إرغام جند المسلمين على الانسحاب، واقتنع الروم بعدم جدوى مقاومة المسلمين؛ فكانت سرعة النصر.

قال اللواء محمود شيت خطاب: «كان أبو عبيدة في أعماله الحربية يطبق مبدأ «المباغثة»؛ كما فعل في معركة «اللاذقية»، ويعمل على «اختيار مقصده وإدامته»، وبذل أقصى جهده لإكمال «تحشيد قواته» قبل المعركة، ولكنه كان «يقتصد بالجهود»، ولا يسرف في استخدام قطعات كبيرة دون مبرر، وكان يحرص على استكمال متطلبات «الأمن» لقطعاته؛ حتى تستطيع العمل بمرونة وتعاون، كما كان يديم معنويات رجاله، ويؤمن لها كافة الأمور الإدارية»^(١).

● تمنى الأمين أبي عبيدة للشهادة وموته بالطاعون . وهو شهادة .
بعمواس سنة «١٨ هـ».

ما كان أمين الأمة يكثرث بمتاع الدنيا من مال؛ وإنما ينفقه كله في سبيل الله؛ فقد أرسل عمرُ بن الخطاب إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربع مئة دينار، وقال

(١) قادة فتح الشام ومصر ص (٨٠).

لرسوله: «انظر ما يصنع؟!»، فقسّمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمرَ رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: «الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا»^(١).
 وَقَدْ كَهَذَا يَشْتَاقُ لِلشَّهَادَةِ وَيَحْرُصُ عَلَيْهَا؛ فَقَدْ كَانَ مُعَافَى وَأَهْلَهُ مِنَ الطَّاعُونَ؛
 فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَصِيكَ فِي آلِ أَبِي عَبِيدَةَ»؛ فَخَرَجْتَ فِي خَنْصَرِهِ بَثْرَةً؛ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا؛
 فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ: «إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَبَارِكَ اللَّهُ فِيهَا؛ فَإِنَّهُ إِذَا بَارَكَ فِي
 الْقَلِيلِ كَانَ كَثِيرًا»^(٢).

روى الطبري عن الحارث بن عمير قال: «أخذ بيدي معاذ بن جبل، فأرسلني إلى أبي عبيدة، فسأله: كيف هو، وقد طُعِنًا؟! فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفه، فتكاثر شأنها في نفس الحارث، وفرق منها حين رآها، فأقسم أبو عبيدة بالله، ما يُحِبُّ أَنْ لَهُ مَكَانَهَا حُمْرَ النَّعَمِ»^(٣).

وروى الطبري بإسناده: لما اشتعل الوجع - الطاعون -، قام أبو عبيدة في الناس خطيبًا، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجْعَ رَحْمَةٌ بِكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنْ أَبَا عَبِيدَةَ يَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ. فَطَعَنَ؛ فَمَاتَ. وَكَانَ لِلْأَمِينِ مَا تَمَنَّى؛ فَقَدْ مَاتَ بِطَاعُونَ عَمَوَاسَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ «٦٣٩م»، وَرَزَقَهُ اللَّهُ بِالطَّاعُونَ شَهَادَةَ جِزَاءٍ مَا قَدَّمَ لِدِينِهِ وَأُمَّتِهِ.

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

● هذه صفحة من أمجادنا جاءت على يد أمين الأمة المغوار في صلحه مع أهل دمشق:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها، وأرض الشام من

(١) طبقات ابن سعد (٤١٣/٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٨٦/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/١).

الأعاجم، إنك حين قدمت إلى بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا؛ وإننا اشترطنا لك على أنفسنا أن لا نُحدِثَ في مدينة «دمشق» ولا فيما حولها كنيسةً ولا ديرًا ولا قلامة ولا صومعة راهب، ولا نُجدِّدَ ما خرب من كنائسنا ولا شيئًا منها مما كان في خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوسًا، ولا نكتم على من غشَّ المسلمين، وعلى أن لا نضرب بنواقيسنا إلا ضربًا خفيًا في جوف كنائسنا، ولا نُظهِرَ الصليب عليها، ولا نرفع أصواتنا في صلاتنا وقراءتنا في كنائسنا، ولا نُخرِجَ صليبينا ولا كتابنا، ولا نُخرِجَ باعوثًا ولا سعانين، ولا نرفع أصواتنا بموتانا، ولا نُظهِرَ النيران معهم في أسواق المسلمين، ولا نجاورهم بالخنازير، ولا نبيع الخمر، ولا نُظهِرَ شركًا في نادي المسلمين، ولا نُزَعِّبَ مسلمًا في ديننا، ولا ندعو إليه أحدًا، وعلى أن لا نتخذَ شيئًا من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين، ولا نمنع أحدًا من قرابتنا إن أرادوا الدخول في الإسلام، وأن نلزمَ ديننا حيث كنا، ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فزقٍ شعير، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتسمَّى بأسمائهم، وأن نجزَّ مقدم رءوسنا، ونفرق نواصينا، ونشد الزناير على أوساطنا، وأن لا ننقش في خواتيمنا بالعربية، ولا نركب السروج، ولا نتخذَ شيئًا من السلاح، ولا نجعله في بيوتنا، ولا نتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها، ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نُعلِّمَ أولادنا القرآن، ولا نشارك أحدًا من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة، وأن نُضَيِّفَ كلَّ مسلمٍ عابر سبيل من أوسط ما نجد، ونطعمه فيها ثلاثة أيام، وعلينا أن لا نشتم مسلمًا، ومن ضرب مسلمًا فقد خلع عهده، ضمنا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأرواحنا ومساكننا، وإن نحن غَيَّرْنَا أو خالفنا عما اشترطنا لك وقبلنا الأمان عليه، فلا ذمة لنا وقد حلَّ لك منا ما حلَّ من أهل المعاندة والشقاق، على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا فأقرُّونا في بلادنا التي

أورثكم الله إياها، شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفى به شهيداً»^(١).
 لله درك من أمين يا أبا عبيدة، أين أنت ممن يطلبون قمامة الإفرنج وفضلاتهم؟!
 يرمرم من فتات الكفر قوتنا ويلعق من كئوسهم الشمالة
 يقبل راحة الإفرنج دوماً ويلثم دوماً خجل نعاله
 عزة صحيحة كانت عند صحابة رسول الله المجاهدين في الشام وقائدهم أبي
 عبيدة، حقيقة استقرت في قلوبهم؛ فاستعلوا بها على أسباب الذلة لغير الله .. استعلوا
 بها على شهواتهم وרגائبهم القاهرة، ومخاوفهم ومطامعهم، استعلوا بها على القيد
 والذل .. فالعزة لله جميعاً.. ويأتي تكريم الكريم الجواد لعبادة المؤمنين المتعصمين
 بحبله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يضم الله - سبحانه - رسوله والمؤمنين
 إلى جنابه الكريم، ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم هائل لا يكرمه إلا الله .. وأي
 تكريم فوق هذا التكريم .. ها نحن أولاء .. هذا لواء الأعداء .. وهذا هو الصف
 العزيز.

وصدق الله؛ فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن، العزة المستمدة من عزته -
 تعالى .. العزة التي لا تهون ولا تنحي، ولا تنحني ولا تلين، ولا تزايل القلب المؤمن في
 أخرج اللحظات إلا أن يتضعض فيه الإيمان، فإذا رسخ الإيمان واستقر؛ فالعزة معه
 راسخة مستقرة.

وأنى للبعيد عن منهج الله أن يتذوقوا هذه العزة وقد فقدوا صلته بمصدرها
 الأصيل؟!!

ورضى الله عن الفاروق حين قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة
 في غيره أذلنا الله» ... والواقع خير شاهد.

وَقَفَّةٌ كُلُّهَا عِبْرَةٌ وَعِبْرَاتٌ

«كان هرقل إمبراطور الروم كلما حج بيت المقدس ثم عاد مخلقاً سورياً ظاعناً في

أرض الروم، التفت إلى سورية، وقال: «عليك السلام يا سورية، تسليم مودعٍ لم يقضٍ منك وطره وهو عائد».

أما هذه المرة فقد كان يدرك أن الأمر يختلف؛ فما خرج من «شمشاط» وحاذى سورية، وقف على مرتفع والتفت إلى سورية وقال: «قد كنتُ سلمتُ عليك تسليم المسافر، أما اليوم، عليك السلام يا سورية تسليم المفارِق، سلام مودعٍ لا يرى أنه يرجع إليك أبداً، ولا يعود إليك روميّ أبداً إلا خائفاً، حتى يولد المولود المشتموم، وليته لم يولد، عليك يا سورية السلام، ونعم البلد هذا للعدو»^(١).

ومسك الختام فلسطين «إيلياء» بيت المقدس، حاصرها حتى طلب أهلها من أبي عبيدة أن يصالحهم على مثل ما صالح عليه أهل الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب؛ فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك؛ فقدم عمر وفتح بيت المقدس.

ثرى ماذا يقول أبو عبيدة؟!

لكأني به ينادي من وراء الغيب:

هل فتحتنا فلسطين ليسلمها أخفادنا لليهود؟!

واحسرتاه .. وأسفاه!!

مات القوي الأمين...

مات فوق الأرض التي طهرها من الروم...

وخمّد صوّث القيسيين والنواقيس...

وقهر الروم وما أدراك ما الروم حدّ حديدٌ وركنٌ شديدٌ...

وهناك اليوم تحت ثرى الأردن مثوى رفات نبيل، كان مُستقرّاً لزوج خبيرٍ ونفيس

مطمئنة.

أما في واقعنا فسئل ملوك الهرولة إلى التطبيع، بل على حدّ قول ملكٍ من ملوك

(١) سقوط دمشق، لأحمد عادل كمال ص (٥٢١)، والطبري (٦٠٣/٣)، والبلاذري ص (١٦٢)، والأزدي (٢٣٤).

العرب: «لا أهول بل أركض ركضًا»، قالها الملك الذي كان يحكم الأرض التي تحوي جثمان الأمين.

● قصيدة «في موقف العشق يا قدس»

سافرتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُو السَّفْرُ
سافرتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ سَفْرِي عَلَى دَرْبِي
يَقَاوِمُ فِي عِنَادِ كُلِّ أَعْدَاءِ السَّفْرِ
نَصَبُوا الحَوَاجِرَ فِي طَرِيقِ العِشْقِ
وَاسْتَدْعُوا الحَفْرَ
حَفَرُوا بِدَرْبِ الحُبِّ آلاَفَ الحَفْرِ
وَتَصَيَّدُوا بِحَرَابِهِمْ وَكِلَابِهِمْ
فَرَسَانَ عِشْقِي مَا تَرَاجَعَ أَوْ تَرَدَّدَ أَوْ كَفَرَ
يَا عِشْقَ قَلْبِي مُنْذُ مَا قَبَلَ الَّذِي
يَا حُبَّ رُوحِي مُنْذُ مَا بَعَدَ الَّذِي
لَا قَبْلَ قَبْلِكَ حَيْثُمَا
لَا بَعْدَ بَعْدِكَ أَيْنَمَا
أَنْتِ العَشِيقَةُ والقَصِيدَةُ والأغَانِي والوَثْرُ
سافرتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُو السَّفْرُ
سافرتُ فِيكَ وَأَنْتِ مِشْكَاتِي وَرُومِحِي
وَاللَّيْلُ يَخْنُقُ شُغْلَتِي
وَتَحَاصِرُ الأَنْوَاءُ فَرْحِي
وَقُرَيْشُ تَرْفُضُنِي وَتَطْرُدُنِي

تَسْجِنُ فَجَرِي الْآتِي وَصُبْحِي
فَصَفَعْتُ وَجَهَ اللَّاتِ وَالْعُرَى
لِيَبْرُقَ فِي صَحَارِي النَّيَّةِ جُزْجِي
عَرَيْتُ صَدْرِي لِلخَنَاجِرِ وَالْأَطَافِرِ
وَالثُّيُوبِ الْمَشْرَعَاتِ لِقَتْلِ آمَالِي وَدَبْحِي
وَرَكِبْتُ ظَهْرَ اللَّيْلِ
لَا أَخْشَاهُ
لَا أَزْجُوهُ
بَلْ يَطْوِيهِ إِصْرَارِي وَكَذْحِي
وَالعِشْقُ يَحْمِلُنِي وَيُسَلِّمُنِي لِقَرْحِ بَغْدَ قَرْحِ
وَأَنَا بِهِذَا العِشْقِ مَأْخُودٌ وَمَشْدُودٌ
فَقَزَحِكِ فِي لِيَالِي العِشْقِ صَدْحِي
يَا بَلَسَمَ الجُرْحِ المُرْصَعِ بِالصُّبْيَاءِ وَبِالسَّنَاءِ وَبِالجَمَزِ
سَافَرْتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُو السَّفَرُ
سَافَرْتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ عِشْقِي بِسَاحِكِ يَسْتَعِزُ
العِشْقُ مِجْدَافِي وَكَشَّافِي
وَسَيَّافِي
وَجَلَّادِي الأَشْرَ
العِشْقُ أَشْرَعْتِي وَصَوْمَعْتِي
وَنَاقُوسُ الحَطَرِ

دُقِّي بِصَدْرِي يَا نَوَاقِيسَ الحَطَّزِ
لَنْ تُوقِظِي ظَهْرِي
فَظَهْرِي قَدْ تَسَمَّرَ لِلجِدَارِ وَاللِقْرَارِ وَاللِحَجَزِ
ظَهْرِي تَخَلَّى بَاعِنِي
هَذِي ضُلُوعِي
تَطْعَنُ الرُّمَحَ المُسَدَّةَ وَالشُّطَايَا وَالْمَطْرَ
وَتَدُودُ عَنكَ الرِّيحَ وَالإِغْصَارَ
فِي لَيْلٍ تَدْتُرُ بِالشُّقَاقِ وَبِالتَّفَاقِ وَبِالْحَوَزِ
هَذِي ضُلُوعِي تَلْطِمُ المَوْجَ المُعْزِبَ
فِي بَحَارِ الجُبْنِ وَالتَّدْلِيسِ فِي اللَّيْلِ العَسِيزِ
هَذِي ضُلُوعِي أَصْبَحَتْ جِسْرًا لِجَيْشِ العِشْقِ
حَتَّى يَنْتَصِرَ
سَافَرْتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُو السَّفَرُ

* * *

سَافَرْتُ فِيكَ مُحَبَّبًا مِنْ قَبْلِ آلاَفِ القُرُونِ
سَافَرْتُ فِيكَ مُدَجِّجًا مِنْ بَعْدِ آلاَفِ القُرُونِ
قَدْ كُنْتُ فِي الأُولَى بِحَشْدٍ مِنْ ذَرَارِي
عَاهَدْتُ عَهْدَ الحَيْنِ
عَهْدًا بِلَا شَكٍّ يَمُورُ وَلَا ظُنُونُ
عَهْدَ الإِرَادَةِ كِي تَكُونَ

وما يكونُ لكي تكون
 قد كُنْتِ أنتِ... وأنتِ كُنْتِ لكي تكون
 وأتيتُ في الأخرى فكُنْتِ العهدَ
 نَفْسَ العهدِ
 نَفْسَ القيدِ
 نَفْسَ النَّفْسِ في حشدٍ مِنَ البَشَرِ المُبَارَكِ
 في الحياةِ وفي المُنُونِ
 فَحَمَلْتُ دربي فوقَ كَتْفِي
 وانطلقتُ إليكِ يا عَشِيقِي المعتقِ بالسُّنُونِ
 العِشْقُ في زيفِ الحياةِ مُصَنَّفٌ بَعْضَ الجُنُونِ
 والعِشْقُ في أضلِّ الحياةِ
 هو الحياةُ... هو النعيمُ المُنتظرُ
 سافرتُ فيكَ ولم يزلْ يحلو السَّفَرُ

* * *

سافرتُ فيكَ ولم يَزَلْ
 قَدْرِي المَقْدُرُ أَنْ أُسَافِرَ
 لَسْتُ المَكابِرِ في دروبِ العِشْقِ لكني أصابِرُ
 لَسْتُ المَغَامِرِ إِنَّمَا عِشْقِي على دَرْبِي يُعَلِّمُنِي وَيُلْهِمُنِي
 وَبِنَيْتِ لي أَظَافِرِ
 عِشْقِي المَحَاصِرُ في الشَّعَابِ وفي المَوَانِي والمَغَاوِرِ

عَشِقِي المَقِيدُ فِي السُّطُورِ وَفِي الصُّدُورِ وَفِي الحَنَاجِزِ
عَشِقِي المَكْبَلُ يُزْعَبُ السِّيَافَ
وَالهَيْئَاتِ

وَالشُّبَقِ المَقَامِزِ

لَا الشَّمْسُ يَمَكُنُ أَنْ تَقَرَّ بِرَاحَتِي يَوْمًا

وَلَا القَمَرُ المُنَابِزِ

وَسُرَاقَةُ اخْدَوْعُ لَنْ يُبْنِي جِمَالِي

فِي دُرُوبِ العَشِقِ أَنْ تَأْتِيكَ فِي أَقْصَى المَهَاجِزِ

جَاءَتْكَ فَوْقَ خَيْولِهِمْ

جَاءَتْكَ عَبْرَ فُلُولِهِمْ

جَاءَتْكَ رَغَمَ طُبُولِهِمْ

جَاءَتْكَ تَفْتَحِمُ الحَوَاجِزَ وَالمَغَاوِرَ وَالمَغَارِيزَ وَالحِطَّزَ

سَافَرْتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُو السَّفَرُ

* * *

سَافَرْتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ

سَفَرِي يُصَارِعُ كُلَّ أَشْكَالِ الوَهْنِ

سَافَرْتُ فِيكَ وَأَنْتِ عَذْرَاءُ الوَطَنِ

سَافَرْتُ فِيكَ وَلَسْتَ خَضْرَاءَ الدَّمَنِ

لَا أَضِلَّ جَدِّكَ سَاقِطٌ

لَا فَنَعَ أُمَّكَ هَابِطٌ

لَا اسْمَ أَهْلِكَ يُخْتَبِنُ
 يَا عِطْرَ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ
 يَا زَهْرَ كُلِّ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ
 مَنْ قَالَ إِسْمَكَ مُتَمَهِّنٌ
 مَنْ قَالَ سَيْفَكَ يُزْتَهَنُ
 هَذَا حَدِيثُ الْإِفْكِ مَصْنُوعٌ وَمَدْفُوعٌ
 لِتَشْتَعَلَ الْفِتْنُ
 قَدِيسَةُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالتَّارِيخِ
 وَالْفَرْعِ الْحَسَنِ
 قَدِيسَةُ الثَّرْبِ الْمُبَارِكِ حَوْلَهُ
 يَا عِشْقَنَا

قَدِيسَةُ الرُّوْيَا الْجَلِيلَةِ وَالْأَمَانِي وَالصُّورِ
 سَافَرْتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ يَحْلُو السَّفَرُ

* * *

سَافَرْتُ فِيكَ وَفَوْقَ رَاحِلَتِي عَمَزُ
 وَأَنَا رَفِيقُ رِكَابِهِ وَالْقُدْسُ فِي مَرْمَى الْبَصْرِ
 وَصَهِيلُ خَيْلِكَ فِي الشَّمَالِ وَفِي الْجَنُوبِ
 وَفِي الْبَوَادِي وَالْحَضَرِ
 وَفَوَارِسُ الْجَيْلِ الْعَظِيمِ تَدُقُّ أَبْوَابَ الظُّفْرِ
 وَأَبُو عُيَيْدَةَ وَالْمُتَشَّى وَابْنُ وَقَاصٍ وَخَالِدٌ فِي دَمِي

وَسَيُوفُهُمْ نَشْوَى تَدَوُّدُ عَنِ الْأَقْصَى الْخَطَرَ
 كُنْتُ الْإِعَادَةَ لِلْبَدَايَةِ وَالْبَدَايَةَ لِلشُّرُوقِ الْمُتَنَظَّرِ
 أَحْرَقْتُ إِسْطُولِي بِشَاطِئِكَ الْعَظِيمِ تَفْحَمًا
 وَنَشَرْتُ رَايَاتِي عَلَى هَامِ الْقَمَرِ
 وَحَمَلْتُ دِرْعَكَ لَا أُبَالِي قَيْصَرًا فِي السَّاحِ
 أَوْ كِسْرَى وَلَا حَشْدَ التَّنَزُّرِ
 عُمْرِي عَلَى مُهْرِي

وَمُهْرِي فَوْقَ سَاحِكِ لَا يُيَالِي
 بِالْجُنُودِ وَبِالْقُرُودِ وَبِالذَّنَابِ وَبِالْحُمُرِ
 هَذَا يَمِينِي فَوْقَ سَيْفِ الْحَقِّ إِيْمَانًا وَعَهْدًا
 لَنْ يُرْغَزِعَهُ الْمَوَالِي فِي رِحَابِكَ تَنْتَحِزُ
 سَافَرْتُ فِيكَ وَلَمْ يَزَلْ يَحْلُو السَّفَرُ
 * * *

سَافَرْتُ فِيكَ وَعِشْقُنَا
 يَنُمُو عَلَيَّ لَهَبِ الطَّهَارَةِ وَالغَضَبِ
 مَا كُنْتُ خَائِنَةَ الْعَزِيزِ
 وَلَسْتُ زَانِيَةَ الْعَرَبِ
 إِنِّي أُعِيدُكَ بِالَّذِي أَجْلَاكَ فِي سِوْرِ الْكِتَابِ
 فَكُنْتُ جَوْهَرَةَ الزَّمَانِ الْمُرْتَقَبِ
 إِنِّي أُعِيدُكَ بِالَّذِي سَوَّاكَ عَاصِفَةً بِكَفِّ الْحَقِّ

تكتسحُ العفونةَ والعطبَ
 إني أُعيدُكَ أن تهزِّي الأثْلَ من أجلِ الرطبِ
 لا نخَلُ في وادِ السَّرَابِ ولا رُطْبِ
 هذِي المشائِقُ فاحذري أن تُقربِها
 وارقيها عن كَنَبِ
 فَعَسَى الطَّلِيْقَةُ تَحْتَ ظِلِّ العَرْشِ بَاتَتْ تُقْتَرِبُ
 فإلى متى؟!

تأتي وتنتصبُ العسى؟!
 لا تسأليني فالعسى
 نجمٌ تدلى فوقَ بابلَ قابَ قوسٍ واقترَبُ
 فلترضيه من الشرايين التي
 لم تأكل الثمرَ الحُرْمَ
 لم تُصلِّ للكراسي والرُتَبِ
 فلترضيه من الشرايين التي ما لاكت الكبدُ الشريفَ
 ولا نمتُ في حُضْنِ حَامِلَةِ الحَطَبِ
 فلترضيه من الشرايين التي ما حاصرتُ شِعبَ الصُّمُودِ
 ولم تُدَنَّ للمستبدِّ أبي لهبِ
 فلترضيه من الشرايين التي
 لم تُحتسبي بَحْرَ السَّرَابِ
 ولم تُلقنِ من مُسَيِّلَمَةَ الكَذِبِ

فلترضيه من الشرايين التي
 لم تحمِلِ السيفَ الذي
 ذبحَ الحسينَ
 ولم تنم في صدرها
 نازَ الجراحِ العاصفات ولا الغضبُ
 فلترضيه من الشرايين التي ما سلمت
 لبني قريظة خلفها أو أنفها أو سيفها أو حزفها
 أو أهل يثرب أو صباحا يقترب
 لا تسأليني فالعسى
 نجمٌ تدلى فوق بابل قاب قوسٍ واقترب
 فإذا غدي شمسًا يعانقها الضحى
 تلقني على الأقصى أكاليل الضياء المرقب
 هذي العسى سَطَعَتْ وَكَانَتْ فِي الحَبِزِ
 سافرتُ فيك ولم يزل يحلو السفر^(١).

(١) قصيدة «في موقف العشق»، لسعيد المزين (٣٠ يناير ١٩٨٦) المنشورة بمجلة «ديوان القدس» العدد الثاني رجب ١٤٠٦ هـ - مارس ١٩٨٦ م ص (٥٨ - ٦١).

فارس الإسلام^(١) .. الأمير أبو إسحاق
سعد بن أبي وقاص

- خال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 - بطل القادسية، وفتح المدائن، والعراق والجزيرة، ومُطْفئ نار المجوس المعبودة إلى الأبد:
- سعدُ بنُ مالكٍ لَيْثٌ في بَرائِهِ قَدْ قَالَ عمرُ: إِنَّهُ اللَّيْثُ غَادِيًا.
- عن جابر قال: كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل سعد بن أبي وقاص، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا خالي، فلْيُرني امرؤ خاله»^(٢).
- وهو أول من أراق دماء في الإسلام؛ لما ضرب أحدَ المشركين بِلَحي جملٍ؛ فشجَّه. وهو البطل، أول رامٍ يسهم في سبيل الله.
- قال سعد رضي الله عنه: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط، ثم أصبحت بنو أسد تُعزُّرني على الإسلام، لقد خِبتُ إذن وضلَّ عملي. وكانوا وشؤا به إلى عمر، قالوا: لا يُحسن يصلي^(٣).
- قال سعد:

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (عهد معاوية رضي الله عنه) ص (٢١٣، ٢١٤).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٦٨/٣)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي (٣٧٥٢) عن جابر مرفوعًا، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣١٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٩٧/١/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٢٨)، ومسلم (٢٩٦٦)، وابن ماجه (١٣١)، والترمذي (٢٣٦٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، والنسائي يبعثه في «الفضائل» (١١٤)، وأخرجه أحمد (١/٧٤، ١٨١، ١٨٦)، وأبو يعلى (٨٢/٢، ٩٦)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٠٧، ١٣١٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٩٩/١/٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٢/١).

ألا أبلغ رسولَ الله أني حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصَدُورِ نُبْلِي
 أَذُودُ بِهَا عَدُوَّهُمْ ذِيَادًا بِكُلِّ حَزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ
 فَمَا يُعْتَدِ رَامٍ مِنْ مَعِدٍ بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي^(١)
 وعن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: «ما أسلم
 أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام واني لثلاث الإسلام»^(٢).
 وفي مضممار الأوائل يسجل اسمه بأحرف من نور بأنه أول من أراق دمًا في سبيل
 الله - تَعَالَى -^(٣).

كان أصحاب النبي ﷺ إذا صلوا ذهبوا إلى شعاب مكة المكرمة بعيدًا عن الأنظار
 فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد في نفر من أصحاب النبي ﷺ في شعب
 من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، فناكروهم وعابوا عليهم دينهم
 حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلًا من المشركين بلحي^(٤) جمل فشجّه، فكان هذا
 أول دم أُهريق في الإسلام^(٥).

● جهاده في سبيل الله - تَعَالَى ::

عندما ابتدأ الجهاد في الإسلام، كان سعد من الذين بذلوا أقصى جهودهم في
 ميادين القتال، جنديًا تحت لواء الرسول القائد ﷺ، وتحت لواء أمراء بعوثه تارة،
 وقائدًا لبعض السرايا تارة أخرى.

(١) الإصابة (٨٥/٣)، والاستيعاب (٦٠٧/٢). والحزونة: هي الوَعِزُّ مِنَ الْأَرْضِ.
 (٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٧)، وابن ماجه (١٣٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٢٠)، وأبو نعيم
 في «الحلية» (٩٢/١).
 قال الحافظ في «الفتح» (٨٤/٧): قال ذلك بحسب اطلاعه؛ والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء
 الأمر كان يُخْفِي إسلامه.
 (٣) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٢١٣/١)، والأوائل، للمسكري ص (١٤٧).
 (٤) اللحم: هو العظم على الحد، وهو في الإنسان: العظم الذي تثبت عليه اللحية.
 (٥) سيرة ابن هشام (٢٧٥/١)، وأشد الغابة (٢٩١/٢)، وجوامع السيرة، لابن حزم ص (٥١).

● في سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، أول من رمى بسهم في سبيل الله: في شوال من السنة الأولى الهجرية، عقد الرسول صلوات الله عليه القائد أول راية لعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب في ستين من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وأمر بالسير إلى بطن «رابغ»، فبلغ «ثنية المرة» وهي بناحية «الجحفة» فالتقوا بالمشركين الذين كانوا بقيادة أبي سفيان بن حرب في مئتين من قريش^(١) فلم يكن قتال بينهم، إلا أن سعدا رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي في سبيل الله... وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه.

● سرية سعد بن أبي وقاص إلى «الخَرَار» في ذي القعدة من السنة الأولى: عقد الرسول صلوات الله عليه راية لسعد، فخرج إلى «الخَرَار»؛ لتهديد القافلة التجارية بين مكة والشام بإمرته عشرون رجلاً من المهاجرين؛ للحاق بقافلة تحمل تجارة قريش. قال سعد: «كنا نكمن بالنهار ونسير بالليل حتى صبحنا «الخَرَار» صبح خامسة، وكان رسول الله صلوات الله عليه قد عهد إليّ ألا أجاوز «الخَرَار»، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم، وكانوا ستين»^(٢). وشارك سعد بسرية عبد الله بن جحش.

وقبل نشوب معركة بدر بعث الرسول سعد بن أبي وقاص - في مهمة استطلاعية - إلى ماء بدر مع علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فأسروا غلامين لقريش. وعندما استنطقهما النبي صلوات الله عليه علم منهما أن قريشاً وراء الكتيب بالعدوة القصوى، كما استنبط من استنطاقهما أن قوة قريش بين التسع مئة والألف، كما عرف منهما أن أشراف قريش جميعاً خرجوا لمنعه.

(١) الطبري (١٥٢/٢)، وطبقات ابن سعد (٥١/٣).

(٢) الطبري (١٢٠/٢)، وطبقات ابن سعد (٧/٢)، وقد ذكر ابن هشام في «سيرته» (٢٣٨/٢) أن عدد رجال سعد ثمانية فقط.

● في بدر سعد بن أبي وقاص يقاتل قتال المغاوير:
قاتل سعد بن أبي وقاص قتال الأبطال، وقتل حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة،
واشترك في قتل نبيه بن الحجاج، هو وحمزة بن عبدالمطلب، وأسر أسيرين من
المشركين.

قال عبدالله بن مسعود: لقد رأيت سعدًا يقاتل يوم بدر قتال الفارس في
الرجال^(١).

● وفي أحد لله در سعد، وما أجمل ما حاز سعد من الفضائل التي لا تقوم لها
الدنيا:

عن سعيد بن المسيب قال: «سمعت سعدًا يقول: جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم
أحد»^(٢).

وعند البخاري: قال سعد بن أبي وقاص: «نثل لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد فقال:
ارم فداك أبي وأمي»^(٣).

ويا سعد لا ترفق بقوسك وازمها سَهَامًا أصابت من يد الله بارئًا
وعن سعد أن رسول الله ﷺ جمع له أبويه، قال: كان رجلٌ من المشركين قد
أحرق المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «ارم فداك أبي وأمي» فنزعتُ بسهمٍ ليس فيه
نصل، فأصبت جبهته، فوقع وانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت
نواجذه^(٤).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ما سمعت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -

(١) طبقات ابن سعد (١٠٠/١/٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٦)، ومسلم (٢٤١٢)، والترمذي (٢٨٣٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٩٥، ١٩٦)، وابن ماجه (١٣٠)، والطيالسي (٢٢٠)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنن» (١٤٠٦)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (١٢١٩٥)، وابن سعد في «الطبقات» (١٠٠/١/٣).

(٣) حديث رقم (٤٠٥٥).

(٤) أخرجه مسلم، والطبراني في «الكبير».

جمع أبويه لأحدٍ إلا لسعد بن مالك فإنني سمعته يقول يوم أحد: يا سعد ارم فذاك أبي وأمي»^(١).

فذاك أبي وأمي سعد في يوم «تقذف المشركين فيه بألف سهم»^(٢).

● لله درّه من رام خال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

لما رفع أبو سعيد بن أبي طلحة اللواء بعد مقتل أخويه طلحة وأبي شيبه، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم، فأصاب حنجرتَه فأدلع لسانه، ومات لحينه، فسقط لواء مكة من يده^(٣).

وكتب محمد أحمد باشمیل تحت عنوان «دور الرماة في الدفاع عن النبي صلّى الله عليه وآله» ما يلي: «كان لرماة النبل من الصحابة أبلغ الأثر في صد المشركين والدفاع عن النبي صلّى الله عليه وآله، وكان الرسول صلّى الله عليه وآله رامياً فقد رمى عن قوسه «ساعة تكاثر المشركين» حتى تقطع وتر القوس وتحطمت وصارت شظايا من كثرة الرمي^(٤).

وكان من الرماة الذين اشتهروا بالاستماتة في الدفاع عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في تلك الساعة العصيبة من المعركة، والذين كان لنبالهم الحادة الصائبة أبلغ الأثر في حماية الرسول صلّى الله عليه وآله من أذى المشركين، أبو طلحة الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما ...

أما سعد بن أبي وقاص - وهو أيضاً من الرماة المشهورين -، فقد ثبت مع رسول

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٨٤/٧): «وفي هذا الحصر نظر؛ لما تقدّم في ترجمة الزبير أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - جمع له بين أبويه يوم الخندق، ويُجمَعُ بينهما بأن عليّاً رضي الله عنه لم يطلع على ذلك أو مراده بذلك بقيد يوم أحد. والله أعلم».

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١)، والترمذي (٣٧٥٥)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وابن ماجه (١١٢٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٩٢)، وأحمد (٩٢/١)، ١٢٤، ١٣٦، (١٣٧)، وأبو يعلى (٣٣٤/١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٠٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٠٤، ١٣١٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١٠٠/١/٣)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (١٢١٩٤).

(٣) أحد، لمحمد أحمد باشمیل ص (١٣٨).

(٤) موسوعة الغزوات الكبرى «أحد»، لباشمیل ص (١٠٢).

اللَّهُ ﷺ ساعة انهزام الناس عنه، وكان من الرماة الخلصاء الأبطال الذين ساهموا بنبالهم الحادة في إحباط المحاولات العنيدة التي قام بها المشركون (بعد الانتكاسة) للقضاء على نبي الإسلام ﷺ.

فقد وقف سعد ساعات البلاء المتلاحق، وهي الساعات الدقيقة التي تعرّضت فيها الذات النبوية لهجمات القرشيين العارمة، وقف سعد الباسل بين يدي رسول الله ﷺ يُدافع عنه، وكان له في ذلك المقام المحمود أكبر الأثر في إبعادهم عن رسول الله ﷺ، فقد قذف المشركين (في تلك الساعات العصيبة) بألف سهم.

وسعد بن أبي وقاص هو الرجل الوحيد الذي قال له الرسول ﷺ: «فذاك أبي وأمي»^(١)؛ وذلك لما رأى من بطولته وشجاعته واستبساله وبراعته في إصابة الهدف. فشكر الله لفارس الإسلام سعد ﷺ ما قدم من مواقف وضيعة تبقى نبراساً للسالكين.

فقد كان لدفاعه المستميت مع قسم من الصحابة عن حياة الرسول ﷺ الغالية أثرٌ على تحطيم هجوم قريش الشديد الذي كان يستهدف حياة النبي ﷺ.

● حرص سعد بن أبي وقاص على حياة الرسول ﷺ غاية الحرص:
عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: «كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - سَهْرًا، فلما قَدِمَ المدينة قال: «ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة»، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: «من هذا؟» فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -»^(٢).

وفي رواية لمسلم: «فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: وقع في نفسي

(١) سبق الرّد على هذا الكلام.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠)، والترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد (١٤٠/٦، ١٤١)، وأبو يعلى (٢٦٨/٨، ٢٦٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنّة» (١٤١١)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٢٢٠١)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١١٣).

خوف على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ثم نام».

● سعد رضي الله عنه يوصي بثلث ماله في سبيل الله - تَعَالَى :-

مرض سعد بمكة المكرمة - بعد فتحها -، فخلفه رسول الله فيها مريضًا حين خرج إلى «حنين»، فلما قدم من «الجعرانة» معتمرًا دخل على سعد يعوده، فقال سعد: «يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال: «لا». فقال: فالشطر؟ قال: «لا». فقال: الثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك»^(١).

وعند مسلم في رواية أخرى:

«الثلث والثلث كثير، إن صدقتك من مالك صدقة، وإن نفقتك على عيالك صدقة، وإن ما تأكل امرأتك من مالك صدقة، وإنك إن تدع أهلك بخير خير من أن تدعهم يتكفون الناس»^(٢).

وكان لسعد حينذاك مال كثير، أوصى بثلثه في سبيل الله^(٣).

● فارس الإسلام، مستجاب الدعوة:

عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: سمعت سعدًا يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم استجب له إذا دعاك»^(٤) يعني: سعدًا.

(١) أخرجه مالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة عن سعد.

(٢) أخرجه مسلم عن سعد.

(٣) طبقات ابن سعد (١٤٤/٣).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٥١)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٩٩/٣)، وقال:

«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن حبان في «مؤرد الظمان»

(٢٢/٥) واللفظ له، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٠٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٢/١، ٩٣).

● سعد الفاتح

لما تجهز الفرس لقتال العرب، قال عمر بن الخطاب: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»، وكتب عمر إلى عماله: «لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إليّ، والعجل العجل»^(١).

وأراد عمر أن يتولى قيادة هذا الجيش، فصرفه عن ذلك أهل مشورته، فجمع عمر الناس، وقال لهم: «إني كنت عزمْتُ على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا عليّ برجل»، وكان سعد يومذاك على صدقات هوازن، فلما وصل كتاب منه - حين كان عمر يستشير الناس فيمن يبعثه - قال عمر: وجدته! قالوا: مَنْ؟ قال: «الأسدُ عادياً: سعد بن مالك»^(٢) وقال: «إنه شجاع رام»^(٣).

وقال عبدالرحمن بن عوف: «الأسد في برائته: سعد بن مالك الزهري».

لقد كانت إمارة سعد على جيش العراق نتيجة لمشاورات طويلة أجراها عمر بن الخطاب ﷺ مع خاصة الرجال وعامتهم، فلما قرر عمر نهائياً أن يكون سعد قائداً عاماً على أخطر جيش يتجه إلى أخطر منطقة، استدعاه عمر فقدم عليه وأوصاه قائلاً: «يا سعد، سعد بني وهيب! لا يغرّك من الله أن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله ﷻ لا يحو السيئ بالسيئ، ولكنه يحو السيئ بالحسن! وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضعهم في دين الله سواء يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷻ يلزم فالزمه، فإنه الأمر».

ويستدعي عمر سعداً، ويقول له: «إني قد وليتك حرب العراق، فاحفظ وصييتي،

(١) الطبري (٢/٦٦٠)، وابن الأثير (٢/١٧٢).

(٢) الطبري (٣/٤)، وفي مناقب عمر، لابن الجوزي: أن الذي أشار على عمر بتولية سعد هو عبدالرحمن ابن عوف.

(٣) البلاذري ص (٢٥٥).

فإنك تقدم على أمرٍ شديدٍ كرهه، لا يخلص منه إلا الحق، فعوّد نفسك وَمَنْ معك الخير، واستفتح به، واعلم أنّ لكلّ عتادًا، وعتاد الخير الصبر، فاصبر على ما أصابك»^(١).

● سعد يدير معركة القادسية وهو منبطح على وجهه من كثرة الدمامل التي منعتة حتى من الجلوس

لك الله من يوم وضيء نير، تغسل عنا بعد مرور القرون وخز عار نحسه في قلوبنا.. تشعروا أن لنا أمجادًا تمضي بها الركبان وتعنو لها الأزمان.

فالقادسية ما يزال حديثها عبر تضيء بأروع الأمثال
تحكي مفاخرنا وتذكر مجدنا فتجيبها «اليرموك» بالمنوال
صفحات مجد في الخلود سطورها عزّ الرجال بها على الأندال
وفي القادسيّة نظّم سعدٌ الجيش، وعبّأه للحرب، وجعل على كلّ عشرة رجالٍ
عريفًا، وأمر على الرايات رجالًا من أهل السابقة، وولّى الحروب رجالًا، فولّى على
مقدماتها ومجئياتها، وساقاتها، وطلائعها، ومشاتها، وفرسانها، ولم يتقدم بعد ذلك
إلا على تعبئة، حتى يحول دون مباغطة العدو لقواته.

ولم ينس سعد القضايا الإدارية في جيشه، فعين مسؤولًا عن القضاء، وجعله مسؤولًا عن قسمة الفياء أيضًا، وعين مسؤولًا عن الوعظ والإرشاد، وعين مترجمًا يجيد اللغة الفارسية، كما عين كاتبًا تنتهي إليه الأمور الكتابية.

ووصل جيش المسلمين القادسية، فبعث عيونته؛ ليعلموا له خبر أهل فارس، ثم أرسل بعض المفارز؛ للإغارة على المناطق المجاورة، فعادت كلها بالفتح والغنائم والسلامة، وأرسل وفودًا من رجالات المسلمين إلى كسرى وإلى رستم، يفاوضونهما ويعرضون عليهما مطالب المسلمين: الإسلام، أو الجزية، أو السيف، فكان لهذه الوفود تأثير معنوي حاسم على كسرى وقائده رستم.

وتهيئاً الفريقان للقتال، وقبل أن يأذن سعد بالقتال، بعث ذوي الرأي والعقل والنجدة إلى الناس، ليحرّضوهم على القتال، وأمر سعد بقراءة سورة الجهاد وهي سورة الأنفال، فلما قرئت هشتّ قلوبُ الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها^(١).

ونادى منادي سعد في جيشه: «أَلَا إِنَّ الْحَسَدَ لَا يَحِلُّ إِلَّا عَلَى الْجِهَادِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَحَاسَدُوا وَتَغَايَرُوا عَلَى الْجِهَادِ».

وتخالفت الأمراض على البطل القائد العام سعد، فأصابته بعزق النساء، وبحيون ودما ميل منعه من الركوب، بل حتى من الجلوس، فلم يستطع أن يركب، ولا أن يجلس، فاغتملى القصر وأكب من فوقه على وسادة في صدره يُشرف على الناس، وأسفل منه في الميدان خليفته خالد بن عرفطة، يرمي إليه من أعلى بالرقاع فيها أمره ونهيه، وكان آخر صفوف المسلمين إلى جانب القصر^(٢).

وأكب سعد على وجهه مطلقاً على جيشه، فخطبهم وقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَلِكِ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ خُلْفٌ؛ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٧٥) ﴿[الأنبياء: ١٠٥] إِنَّ هَذَا مِيرَاثُكُمْ وَمَوْعِدُ رَبِّكُمْ، وَقَدْ أَبَاحَهَا لَكُمْ مُنْذُ ثَلَاثِ حَجَجٍ، فَأَنْتُمْ تَطْعَمُونَ مِنْهَا، وَتَأْكُلُونَ مِنْهَا، وَتَقْتُلُونَ أَهْلَهَا وَتَجْبُونُهُمْ وَتَسْبُونُهُمْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، بِمَا نَالَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَيَّامِ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْهُمْ هَذَا الْجَمْعُ، وَأَنْتُمْ وَجُوهُ الْعَرَبِ وَأَعْيَانُهُمْ، وَخِيَارُ كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَعِزٌّ مِنْ وَرَاءِكُمْ، فَإِنْ تَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا وَتَرْتَبِعُوا فِي الْآخِرَةِ جَمَعَ اللَّهُ لَكُمْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَلَا يُقَرَّبُ ذَلِكَ أَحَدًا إِلَى أَجَلِهِ، وَإِنْ تَفْشَلُوا وَتَهْتُوا وَتَضَعُفُوا تَذْهَبْ رِيحُكُمْ وَتَوْبِقُوا آخِرَتَكُمْ»، ثم قال: «إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ خَالِدَ بْنَ عَرَفْطَةَ، وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي أَنْ أَكُونَ مَكَانَهُ إِلَّا وَجَعِي الَّذِي يَعُودُنِي وَمَا بِي مِنَ الْحَبُونِ، فَإِنِّي مَكْبُتٌ

(١) الطبري (٤٧/٣)، وابن الأثير (١٨١/٢، ١٨٢).

(٢) الطبري (٥٣٠/٣، ٥٣١، ٥٧٣).

على وَجْهِي، وشخصي لكم بادٍ، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمرٍ، ويعمل برأبي».

قال الطبري: «فَقَرِيءٌ عَلَى النَّاسِ فزادهم خيرًا، وانتهوا إلى رأيه، وقبلوا منه، وتحادثوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع»^(١).

لك الله أيها «الليث في برائته» تدير أشرس المارك.. المعركة الفاصلة، وأنت منبسط على وجهك في شرفتك، وباب دارك مفتوح، وأقل هجوم من الفرس على الدار يسقطك في أيديهم حيًّا أو ميتًا.

دماملك تنبح وتنزف، وأنت عنها في شغلٍ، فأنت من الشرفة تكبر، وتصيح أوامرك لجنودك: «الزموا مواقفكم، لا تحركوا شيئًا حتى تُصَلُّوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإني مكبرٌ تكبيرةً، فكبروا وشدوا شِئخ نعالكم واستعدوا، واعلموا أن التكبير لم يُعْطَهُ أَحَدٌ قَبْلَكُمْ، واعلموا أنما أعطيتموه تأييدًا لكم، فإذا كبرت الثانية فكبروا وتهيئوا، ولتستتم عدتكم، فإذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس ليرزوا ويطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فشدوا النواجد على الأضراس، واحملوا وازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وكبر سعد، فكبر الذين يلونه، وكبر بعض الناس بتكبير بعض، فاستعد الناس للقتال، ثم نكى سعد، فأكمل الناس استعداداتهم، ثم ثلث فبرز أهل النجدة وأنشبو القتال، ثم كبر سعد التكبيرة الرابعة إشارة لبدء الزحف العام.

وحمل أصحاب الفيلة من الفرس، ففرقوا كتائب المسلمين وفرت خيولهم، ولكن مشاة المسلمين صمدوا متكبدين خسائر فادحة، وكان زخم هجوم الفرس على «بجيلة»، فأرسل سعد إلى بني أسد أن ذبوا عن بني جبيلة ومن حولها من الناس، فاستطاعوا تقطيع أحزمة الفيلة، فسقط عن ظهورها الذين يركبونها ويوجهونها، مما أدى إلى تراجع الفيلة.

(١) الطبري (٤٧/٣).

ورأت سلمى زوج سعد - والتي كانت من قبل زوجا للمثنى بن حارثة - ما حلَّ بالمسلمين في يوم «أرماث»، وهو اليوم الأول من أيام القادسية، فصاحت: «وامشاه! ولا مثنى للخيل اليوم»^(١)، وكان سعد مريضاً بالدمامل في جسمه^(٢)، فكان خليفته «خالد بن عرفطة» يستلم من سعد الأوامر ويشرف على تنفيذها^(٣)، فلطم سعد زوجته وقال لها: أين المثنى من هذه الكتبية التي تدور عليها الرحي^(٤) وبجيلة؟، فقالت سلمى: «أغيرة وجبناً؟!». قال: «والله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني، وأنت ترين ما بي، والناس أحق ألا يعذروني»^(٥)، وقد عذرتة سلمى وعذره الناس؛ لأنه كان «غير جبان ولا ملوم»^(٦).

ولم تشرق شمس اليوم الثاني من أيام القادسية وهو يوم «أغواث» إلا وكان المسئولون عن الشهداء والجرحى قد نقلوهم ليلاً إلى «العذيب»^(٧) حيث دفنوا الشهداء هناك، وأسلموا الجرحى للنساء يقمن عليهم^(٨). ومضى اليوم الأول، واليوم الثاني والحرب سجال.

وفي اليوم الثالث وهو يوم «عماس» عادت الفيلة الفارسية إلى ساحة المعركة، فأرسل سعد إلى جماعة ممن أسلموا من فارس، فلما دخلوا عليه سألهم عن مقاتل الفيلة، فقالوا: المشافر والعيون، فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو وقال:

(١) الطبري (٥١/٣)، وابن الأثير (١٨٣/٢).

(٢) الطبري (٧٩/٣).

(٣) الطبري (٧٣/٣).

(٤) يعني أسداً وعاصم بن عمرو التميمي ومن معه.

(٥) الطبري (٥١/٣).

(٦) الطبري (٥١/٣).

(٧) العذيب: ماء بينه وبين القادسية أربعة أميال.

قال اللواء محمود شيت خطاب: وهذا أروع ما يمكن أن يتخذه قائد من تدابير إدارية لدفن القتلى وتمريض الجرحى حتى بالنسبة للحروب الحديثة؛ فكيف وقد طبق ذلك سعد قبل حوالي أربعة عشر قرناً.

(٨) الطبري (٥١/٣).

«اكفياني الفيل الأبيض» وكان يازئهما، كما أرسل إلى جماعة من بني أسد، وقال: «اكفياني الفيل الأجر» وكانت الفيلة كلها تتبع هذين الفيلين، فحمل القعقاع وأخوه على الفيل الأبيض ففقا عينيه وقطعا مشفره، فبقي هائما بين الصفين، كما جرح بنو الأسد الفيل الأجر فوثب إلى النهر ومن خلفه الفيلة هاربة لا تلوي على شيء^(١).

وزحف القتال ليلاً، وتُسمى هذه الليلة ليلة «الهرير»، وسُميت بذلك؛ لأن الناس تركوا الكلام، وإنما يهرون هريراً^(٢).
وزحف القعقاع على الفرس، فأطل سعدٌ فرأى القعقاع يزاحفهم، مما أثار نخوة غيره من الرجال^(٣).

وبعث سعد طليحة الأسدي، وعمرو بن معديكرب إلى مخاضة أسفل المعسكر؛ ليقوموا عليها خشية أن يأتيه الفرس منها، فعبها طليحة، وضرب مؤخرة الفرس، فارتاع أهل فارس وطلبوه فلم يدركوه، أما عمرو فأغار أسفل المخاضة، ثم رجع^(٤).
وقدّم الفرس صفوفهم، فزاحفهم الناس بغير إذن من سعد، وكان أول من زاحفهم القعقاع، فقال سعد: «اللهم اغفرها له، وانصره، فقد أذنت له». ذلك لأن سعداً قدر أن الموقف الراهن يتطلب هجوم المسلمين على الفرس، فقال: «إذا كبرت ثلاثاً فاحملوا».

وهكذا ابتداء الهجوم العام؛ إذ لحق الناس بعضهم بعضاً، واستقبلوا الليل استقبالا بعدما صلوا العشاء، وكان صليل الحديد هو الصوت السائد في ذلك الليل البهيم. وبات سعد ليلة لم يبت مثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط. وأقبل سعد على الدعاء، فلما كان عند الصبح، انتمى الناس، فاستدل بذلك على

(١) الطبري (٦٣/٣).

(٢) ابن الأثير (١٨٥/٢)، والهرير: صوت الكلب دون النباح، وصوت القوس وغيرها.

(٣) الطبري (٦٨/٣).

(٤) ابن الأثير (١٨٥/٢).

أنهم الأعلون^(١).

واستمر القتال في اليوم الرابع حتى الظهر، عند ذلك بدأ الخلل في صفوف الفرس واضحا للعيان، خاصة بعد مقتل رستم قائد الفرس العام، فانهمز قلب الفرس، وتتابعت الهزيمة بغير نظام، ووقعت خسائر عظيمة في الفرس قتلاً، وغرقاً.

ولما انكشف أمر فارس، أمر سعد بعض قادته بمطاردتهم، وأمر خالد بن عرفة بسلب القتلى، ودفن الشهداء^(٢)، وانهارت معنويات الفرس انهياراً تاماً؛ إذ أصاب أهل فارس يومئذ ما أصاب الناس قبلهم؛ قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم، فيأتيه حتى يقوم بين يديه، فيضرب عنقه، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به، وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدهما بقتل صاحبه^(٣).

إن المسلمين لم يلقوا في جميع حروبهم - باستثناء بلاط الشهداء في فرنسا - مقاومة أعنف مما لقوا من الفرس في معركة القادسية، فلقد صبر الفرس في هذه المعركة صبراً عجيبيًا وغير معهودٍ منهم، وأظهروا قدرة قتالية فائقة، وأجبروا العرب على أن يقاتلوا في هذه المعركة أربعة أيام، وخسر المسلمون في القادسية أكثر من خمسة وعشرين في المئة من قواتهم.

والقادسية أعظم أثرًا في تاريخ الإنسانية من غزوات تيمورلنك ونابليون، بل من كل الغزوات التي وقعت إلى عصرنا الحاضر، لقد كشفت معركة القادسية عن معدن سعد النفيس وفرط شجاعته، وما إقامته بالقصر - مع ما به من علة تمنعه من مباشرة القتال - إلا إفراطاً في الشجاعة، فكما ذكر الراوية عثمان بن رجاء السعدي: «ولو عزاه الصف فواق ناقة، لأخذ برمته، فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام، ولا أقلقه». هذه المعركة التي سارت بها الجن قبل الإنس؛ فبدرت امرأة ليلاً على جبل بصنعاء

(١) ابن الأثير (١٨٦/٢).

(٢) الطبري (٦٩/٣).

(٣) الطبري (٧٢/٣).

لا يُدرى من هي؟ وهي تقول:

حييتِ عَنَّا عِكرَم ابنة خالِدِ
وحييتك عني عُصبةٌ نخعيّة
أقاموا لكسرى يَضْرِبُونَ جنودَه
إذا ثوبَ الدّاعي أَناخوا بِكُلِّكِلِ
وما خَيْر زادٍ بِالقليلِ المِصرِدِ
حِسانِ الوجوهِ آمَنوا بِمحمِدِ
بكلِّ رقيقِ الشفرتينِ مَهْنِدِ
مِنَ المَوْتِ تَسوَدُّ الفياطلِ مِجرِدِ
وسمِعَ أهلُ اليَمامةِ مِجتازًا يَغْنِي بِهذه الأبيات:

وجذنا الأَكثَرينِ بَنِي تَمِيمِ
هَمُّ ساروا بِأزَعَنَ مُكفَهَرِ
بحورٍ لَأَكاسِرِ مِن رِجالِ
تَزَكَنَ لَهُم بِقادِسِ عَز فِخرِ
غداةُ الرُّوعِ أَضبرهُم رِجالًا
إلى لُجْبٍ فَزرتَهُم رِعالًا
كَأشدِّ الغابِ تحسِبُهُم جِبالًا
وبالِخِيفِينِ أَيامًا طِوالًا
بمردى حَيْثُ قابِلتِ الرُّجالًا^(١)
مِقطعةً أَكفُهُم وَسوقِ

وكتب سعد إلى عمر بخبر النضر على الجوس، فقال: «أما بعد، فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتالٍ طويل، وزلازلٍ شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم يَرَ الرءاون مثل زهاتها، فلم ينفعهم الله بذلك، بل سلبه، ونقله عنهم إلى المسلمين، وأتبعهم المسلمون على الأنهار، وعلى طفوف الآجام، وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى، وفلان وفلان، ورجال من المسلمين، لا نعلمهم، الله بهم عالم، كانوا يدؤون بالقرآن - إذا جنَّ الليل - دويَّ النَّخل، وهم آساد النَّاس، لا يشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة؛ إذ لم تُكتب لهم»^(٢).

هَلْ دَحَرْنَا فِي القادِسيّةِ جَيْشًا
أَمْ بِجَيْشِ شِعازِهِ دونِ خَوْفِ
بِخَمِيسِ مُهلِهْلِ مُسْتَأجِرِ
لا يَهَابُ الحِمامَ «اللَّهُ أَكْبَرُ»
جَحْفَلَ الظُّلمِ بِالعَقيدةِ يَزْخُرُ
مَرْقُ الظُّلمِ زحفُهُ يَتَحَدَّى

(١) تاريخ الطبري (٣/٥٨٣).

(٢) تاريخ الطبري (٣/٥٨٣).

عَلَّمَ الْفُرْسَ والعروش تهاوى أَنْ عَزَشَ الْقُلُوبَ أَنْفَى وَأَطَهَزَ^(١)
 نعم:

سَلُوا فحامة كِسْرَى عن كَتَائِبِنَا وَجَيْشَهُ الصُّخْمَ لَمَّا مَدَّت الْقَضْبَ
 سَرَى يَجْرُ ذُيُولَ الْخِزْيِ مُنْكَسِرًا وَكُسِّرَتْ عِنْدَهُ التَّيْجَانُ وَالْحُجُبُ^(٢)
 نعم يا أخي:

وَمَشَى سَعْدًا عَلَى أَصْدَائِهِ يَسْتَبِيحُ الْفِرْسَ قَتْلَى وَأَسَارَى
 • فَتَحَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ وَالمَدَائِنَ عاصمة كِسْرَى:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غُضِبَتْ مِنْ أُمَّتِي يَفْتَحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ؛ بَيْتَ كِسْرَى». رواه أحمد، ومسلم.

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَتَفْتَحَنَّ عَصَابَةَ مِنْ أُمَّتِي كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ».

أمضى سعد شهرين في القادسية بعد المعركة، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يفعل، فكتب إليه عمر بالسير إلى «المدائن» عاصمة كسرى، وتحرك الجيش المنتصر باتجاه «المدائن»، وسار المسلمون من نصر إلى نصر في «برس»، وفي بابل، وفي «بهرسير»؛ وبذلك أصبح جيش المسلمين في الضفة المقابلة لـ«المدائن»، وحاول سعد أن يؤمن عبور جيشه في السفن، فلم يقدر على شيء منها؛ لأن الفرس ضموا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها^(٣).

وكان النهر عريضًا طافحًا بالماء، يقذف بالزبد لشدة جريانه، وموجه متلاطم، وزاد المد فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفي ليلة من ليالي سعيد، رأى رؤيا، خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة، وعبرث، وقد أقبلت من

(١) من قصيدة «جواب لسؤال» من ديوان «في رحاب الأقصى»، ليوסף العظيم ص (٦٤).

(٢) من ديوان «لحن الخلود»، لعائض القرني ص (٨٣) «طبع هجر».

(٣) الطبري (١١١٩/٣).

المدُّ بأمرٍ عظيم.

● عبور لا مثيل له في التاريخ:

فصدّق الرؤيا، وعزّم على عبور النهر، فجمع الجيش، وقام فيهم خطيبًا، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلّصون إليه معه، وهم يخلّصون إليكم إذا شاءوا؛ فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤتوا منه، فقد كفاكموه أهل الأيام، وعطّلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الأوفى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعًا: عزّم الله لنا، ولك على الرّشد، فافعل»^(١).

ونذب سعد الناس للعبور، ثم قال: «من يبدأ، ويحمي لنا الفراض»^(٢)؛ لكيلا يمنعونا من العبور».

فانتدب عصام بن عمرو التميمي، وانتدب معه ست مئة من أهل النجدات، فعبّر هؤلاء المغاوير، وعبر سعد مع جيشه بعدهم؛ فجاجوا أهل فارس بأمرٍ لم يكن في حسابهم.

سبحان الله!! نهر هادر لا يقل عمق مياهه عن ستة أمتار، تخوضه الخيول سباحةً، وعلى ظهرها الفرسان يقاتلون.

قال لهم سعد، وهم يخوضون؛ ليصلوا إلى شاطئ «أسبانير»: «قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله، ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٣). لقد اقتحموا دجلة ما يكثرثون، وإنهم ليتحدثون أثناء عبورهم النهر الهادر، كما

(١) الطبري (١١٩/٣)، وابن الأثير (١٩٨/٢)، وفتوح الشام، للواقدي (١٢٧/٢).

(٢) الفراض: جمع فريضة: وهي ثغور المخاضة من الناحية الأخرى، ويُسمّى في المصطلح العسكري رأس جسر.

(٣) الطبري (٤٨/٤).

يتحدثون في مسيرتهم على الأرض.

نجحت خطة سعد نجاحًا يُذهلُ له المؤرخون، نجاحًا أذهل سعدًا نفسه، وأذهل صاحبه، ورفيقه في المعركة «سلمان الفارسي».

«عامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله، ونعم الوكيل، والله، لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بُغي، أو ذنوب تغلب الحسنات».

فقال له سلمان: «الإسلام جديد، دُلت لهم - والله - البحور، كما دُلت لهم البر، أما والذي نفسي بيده، ليخرُجنَّ منه أفواجًا، كما دخلوه أفواجًا، لم تَضِع منهم شكيمَةُ فرس»^(١).

فطبَقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشاطئ، ولهم فيه أكثر حديثًا منهم في البر، لو كانوا فيه، فخرجوا منه - كما قال سلمان - لم يفقدوا شيئًا، ولم يغرق منهم أحد، إلا رجلًا من بارق يُدعى غرقدة، زال عن ظهر فرسٍ له شقراء؛ قال أبو عثمان النهدي: «كأنِّي أنظر إليها تنفض أعرافها عريًا، والغريق طاف، فثنى القعقاع عنانَ فرسه إليه، فأخذه بيده فجره حتى عبر»، فقال البارقي - وكان من أشد الناس -: «عجز الأخوات إن يلدنَ مثلك يا قعقاع». وكان للقعقاع فيهم خثولة.

● يومُ الجرائيم:

روى أبو جعفر في تاريخه، أن سعدًا لما أقحم الناس في دجلة، اقترنوا - أي: صار لكل رجلٍ قرين يُلازمه أثناء العبور - فكان سلمان الفارسي قرينَ سعد، إلى جانبه يُسأره في الماء، فقال سعد: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، والماء - لشدة جريانه - يطمو بهم، وما يزال فرس يستوي قائمًا، إذا أعيا يُنثِز له تلععة، فيستريح عليها؛ كأنه على الأرض، فلم يكن بـ«المدائن» أعجب من ذلك، وذلك يوم الماء، وكان يُدعى يوم الجرائيم.

ومن عناية الله - تعالى - بالجيش المجاهد، أنه لا يعبى فرس أحدٍ أثناء عبور النهر، إلا جرثومة يريح عليه.

وعن قيس بن أبي حازم قال: «خضنا دجلة، وهي تطفح، فلما كُنَّا في أكثرها ماءً، لم يزل فارس واقفاً ما يبلغ الماء حزامه، قال المسلمون: ما تنتظرون بهذه النطقة؟ فافتحم رجلٌ فخاض الناس، فما غرق منهم إنسان، ولا ذهب لهم متاع»^(١).

تموت المبادئ في مهدها ويبقى لنا المبدأ الخالد
مراكبُ أهل الهوى أتخمت نُزولاً ومركبنا صاعدُ
سوانا يَلوذُ بعِرافةٍ وأسطورة أصلها فاسدُ
يحدُّثنا الليلُ عن نفسه وفيه على نفسه شاهدُ
إذا عدَّدَ الناسُ أربابهم فنحن لنا ربُّنا الواحدُ^(٢)

وأثناء العبور لم يذهب لأحدٍ من الجيش شيءٌ، إلا قدَحَ كانت له علاقة رثةً فانقطعت، فذهب به الماء، فقال صاحبه: والله، إني لعلى جديدة، ما كان الله ليسلبيني قدحي من بين أهل العسكر؛ فلما عبر، قذفت الرياح، والأمواج قدحه، فأخذه.

● ما تقاتلون إلا الجنَّ:

نظر جنود «يزدجرد» إلى هذه الخيل التي ملأت دجلة، وجعلوا يرُدُّون بالفارسية «ديوان آمد»، ويقول بعضهم لبعض: «والله، ما تقاتلون الإنس، وما تقاتلون إلا الجن».

قال أبو عثمان النهدي: «طبقت دجلة خيلاً ودوابً، حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد، فخرجت بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها، لها صهيل، فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شيء».

(١) القادسية، لمحمد أحمد باشميل (٧٤٤ - ٧٤٦).

(٢) قصيدة «موقف» من ديوان «شموخ في زمن الانكسار»، لعبدالرحمن صالح العشماوي ص (٥) «طبع مكتبة الأديب بالرياض».

وفزع «يزدجرد» ملك الفرس، وما استطاع أن يخرج من باب قصره المواجه للشاطي، وكان بينه وبين الشاطي ثلاثة كيلو مترات... فدلاه من الشرفات الخلفية لقصره الأبيض في زنبيل... ليفتر من «المدائن» ومعه ألف طباخ، وألف فهّاد، وألف بازيار.

إي، والله، في زنبيل!! هذه نهاية الطواغيت.

حتى خيولهم أصابها الرعب نصرًا لأنصار الله؛ فقد جاء في تاريخ الطبري «٤/ ٥٣»: «أن أوائل كتيبة الأهوال بقيادة عاصم أدرك رجالها مؤخرة المجوس، وفيهم فارس منهم يعترض على طريق من طرقها، يحمي مؤخرة أصحابه في فرارهم، وهو يضرب فرسه للإقدام فيحجم، ثم يضربه للهرب فيتقاعس، حتى لحقه رجل من جيش سعد يُدعى ثقيفًا من بني عدي بن طريف، فضرب عنقه، وأخذ ما كان عليه. ودخل سعد «المدائن»، وانتهى إلى إيوان كسرى، فأقبل يقرأ قوله - تَعَالَى -: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٨]»^(١).

● الفاتح العظيم:

وجه سعد هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ومعه القعقاع لفتح محور ديبالي، فانتصر هاشم في معركة جلولاء، وفتح القعقاع وجريز بن عبدالله البجلي خانقين وحلوان وقصر شيرين.

كما وجه عبدالله بن المعتم وربيعي بن الأفكل وعرفجة بن هرثمة البارقي إلى محور دجلة، ففتح عبد الله بن المعتم تكريت، وفتح ربيع بن الأفكل الموصل. ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن، بلغ سعدًا أن الفرس قد حشدوا قواتهم في سهل ماسبذان، فأرسل سعد إليهم ضرار بن الخطاب الفهري، فانتصر المسلمون على الفرس، وفتح ضرار ماسبذان.

(١) الطبري (٤/١٦).

ووجه سعدٌ عمرَ بنَ مالك الزهري والحارث بن يزيد العامري لفتح محور الفرات حتى قرقيسياء الواقعة في ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات، ففتحا هذه المنطقة. كما وجه سعدٌ عتبةَ بن غزوان لفتح جنوب العراق، ففتح منطقة البصرة والأهواز.

كما وجه عتبةَ بنَ فرقد السلمي لفتح شمالي العراق وأذربيجان، ففتح تلك المناطق.

ووجه سعدٌ عياضَ بن غنم، وسهيلَ بن عدي، وعبدالله بن عبدالله بن عتبان لفتح الجزيرة، ففتحوا منطقة الرقة ونصيبين وحران والرها.

فالتفوحات الإسلامية إذن التي جرت في العراق، وفي شرقه وشماله حتى نهاية سنة عشرين الهجرية، فتحها سعدٌ بنفسه، أو أرسل إليها الجيوش والقادة لفتحها، وحتى الجيش الذي فتح نهاوند أرسله سعد، ولكنَّ فَتْحَهَا جرى بعد عزله.

ولقد كان فتح سعد لهذه البلاد فتحًا مُستدامًا. لقد فتح سعد العراق، وأكثر بلاد فارس، وأذربيجان، والجزيرة وبعض أرمينية، أي أنه فتح بصورة مباشرة العراق الحديث، وأكثر إيران بحدودها اليوم، وفتح القسم الجنوبي من تركيا المتاخمة لإيران، والقسم الواقع في شمالي إيران والذي يحد روسيا. وفوق ذلك مَصَّرَ الكوفة وكوفها، فأصبحت القاعدة الأمامية للفتح الإسلامي في الشرق كله، وأمدت العالم الإسلامي بعددٍ ضخم من قادة الفتح والفاتحين.

فرضي الله عن سعد الفاتح العظيم.

وأخيرًا تبقى كلمة:

سأل عمرُ بن الخطاب فارسَ اليمَن عمرو بن معد يكرب عن سعد فقال: «متواضع في خبائه، عربي في نمرته^(١)، أسد في تاموره^(٢)؛ يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويعد

(١) النمرة: هي كساء فيه خيوط بيض وسود تلبسه الأعراب.

(٢) التامور: هو عرين الأسد، وهو بيته الذي يأوي إليه.

في الشريفة؛ يعطف علينا عطف الأم البرية؛ وينقل إلينا حَقَّنَا نَقَلَ الذَّرَّةَ»^(١).

● سعد بن أبي وقاص القائد:

ذكر ابن حجر أن أشد أصحاب رسول الله ﷺ أربعة:

عمر، وعلي، والزبير، وسعد^(٢). و«كان أحد الفرسان الشجعان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه».

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب:

«كان سعد جنديًا متميزًا، وقائدًا متميزًا.

كان جنديًا متميزًا؛ لأنه كان متفوقًا في الرمي فواقًا ظاهرًا^{(٣)(٤)}، شجاعًا مقدمًا، يتحلى بالضبط المتين، ويؤمن بالطاعة لذوي الأمر، يتحمل المشاق العسكرية، له أهداف واضحة يؤمن بها، ويعمل بكل إخلاص لتحقيقها: يقوم بواجبه بدافع من نفسه لا بدافع من غيره، وللمصلحة العامة لا للمصلحة الخاصة، وتلك هي مزايا الجندي المتميز في كل زمان ومكان.

وكان قائدًا متميزًا؛ لأنه كان له قابلية ظاهرة على إعطاء القرارات الصحيحة السريعة، إذ أنه كان يتحلى بعقلية متزنة وذكاء خارق، وكان يحرص كل الحرص على الحصول على المعلومات بالدوريات والعيون واستنطاق الأسرى والاستطلاع الشخصي وباستشارة ذوي الرأي.

وكان ﷺ يبادل قواته محبة بمحبة مثلها، وثقة بثقة تساويها، وله مخيلة تحسب

حساب كل شيء.

وتلك هي صفات القائد المتميز بكل زمان ومكان.

(١) أشد الغابة (٢٩٢/٢)، والذرة أصغر النمل.

(٢) الاستيعاب (٦٠٨/٢).

(٣) الإصابة (٨٤/٣).

(٤) في الإصابة (٨٤/٣) قصة إصابته الهدف بدقة، وفي طبقات ابن سعد (١٤٢/٣): أنه كان من الرماة

المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ.

وبالإضافة إلى كل هذه المزايا، كان سعد قائدًا «مِرِنًا» لا يُصِرُّ على تنفيذ حَرْفِيَّةِ أوامره، ولا يحاسب رجاله إذا انتهزوا فرصة مناسبة للإقدام على عمل عسكري قبل أن يستأذنه، ذلك لأنه ورجاله كانوا يعملون يدًا واحدة في سبيل تحقيق أهداف مشتركة، ولم يكن يخطر ببال أحدهم أن يخالف الأوامر حُبًّا للظهور أو جُرًّا للمغنم شخصي!

ولكنه كان لا يرضى من رجاله أي إخلال بالضبط يؤدي إلى الشغب وعرقله أعمال الجهاد.

قال سعد: «والله لا يعود أحد يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم يبرزهم، إلا سُنْتُ به سنة يُؤخذ بها بعدي»^(١).

وقال ناصحًا رجلين من أعوانه بالتمسك بأهداف الضبط المتين: «إني أحذركما أن تؤثرا أمر الجاهلية على الإسلام، فتموت قلوبكما وأنتما حيَّان! الزما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق، فما رأى الناس كأقوام أعزَّهم الله بالإسلام»^(٢).

والحق أن ضبط سعد كان متينًا للغاية، فكما كان يريد السمع والطاعة من القادة والرجال الذين كانوا يأمروه، فإنه كان يسمع ويطيع أمير المؤمنين سمعًا وطاعة خارجة من أعماق قلبه ونفسه، وقد كان سعد يخبر عمر بن الخطاب بكل شيء، ويستأذنه قبل أن يقدم على عمل أي شيء.

وكان يخبره عن موقف العدو بالتفصيل، وكان يخبره عن طبيعة الأرض التي يحل فيها، ويستأذنه قبل خوض المعارض، ويسأله الرأي في الأسرى والغنائم، وكان عمر - استنادًا إلى أخبار سعد التي تصله تباعًا، وبدافع من حرصه الشديد على انتصار المسلمين - يكاد يتدخل في تفاصيل المعركة.. في موقعها، وفي إعداد خطتها وحتى في تسمية قادة التشكيلات التعبوية من قلب وميمنة وميسرة وساقه - إلخ.

(١) الطبري (٤٤/٣).

(٢) الطبري (٣٠/٣)، وهو يخاطب عمر بن معد يكرب وطليحة الأسدي.

أما سعد فيقبل كل ذلك برحابة صدر، وينفذ أوامر عمر حرفيًا دون تدمير ولا تردد!!

وعند مقارنة أعمال سعد العسكرية بمبادئ الحرب، يتضح لنا أنه كان يطبق مبدأ «اختيار المقصد وإدامته» فقد كان مقصده واضحًا في كل معركة خاضها، وكانت معاركه كلها معارك (تعرضية)، وكان يطبق مبدأ «المباغثة» كلما وجد إلى ذلك سبيلًا، كما فعل عند عبور نهر دجلة بالخييل في معركة فتح المدائن، وكان (يحشد) قوته قبل المعركة، ولا يقدم على تنفيذ خطة حربية قبل أن يتخذ تدابير (الأمن) اللازمة، مستفيدًا من مبدأ «التعاون» بين صفوف قواته وأقسام جيشه من تشكيلات تعبوية وقبائل. ويذل قصارى جهده «لإدامة معنويات قطاعاته»، ويؤمن لها كل متطلبات «القضايا الإدارية»^(١).

سعد بن أبي وقاص وفن القيادة

١- الاهتمام بالشئون الإدارية «اللوجستيك» :

ظهر المسلمون في العذيب بصورة مباغثة، فهرب الفرس، ووجد المسلمون «رماحًا ونشابًا وأسفاطًا من جلود وغيرها، انتفع بها المسلمون»
«وأرسل سعد من مكانه - في العذيب - يطلب غنمًا أو بقرة. وجاءه عاصم بن عمرو بشيران فقسمها سعد على الناس فأخصبوا أيامًا»
«ثم أنه بث الغارات بين كسكر والأنبار، فحوروا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زمانًا»

«وأغار المسلمون - وهم في القادسية - إلى أن جاءوا إلى صيادين قد اصطادوا سمكًا، وسار سواد بن مالك التميمي إلى النجاف والفراض إلى جنبها فاستاق ثلاث مئة دابة بين بغل وحمار وثور، فأوقروها (حملوها) سمكًا واستاقوها؛ فصبحوا

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ص (٢٩١ - ٢٩٣).

العسكر، فقسم سعد السمك بين الناس، وقسم الدواب»، «وكان المسلمون يبحثون عن اللحوم.

فأما الحنطة والشعير والتمر والحبوب، فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا أزمانًا، فكانت السرايا إنما تسري للحوم، ويسمون أيامها بها؛ ومن أيام اللحم يوم الأباقر ويوم الحيتان».

وكان من نتيجة تعايش قوات المسلمين أن أخذ أهل العراق في التقرب إلى المسلمين؛ مما دعا رستم يوم قاد جيوشه لحرب المسلمين أن يطلب أهل الحيرة ويجمع بهم، ويتهمهم بدعم المسلمين بالأموال ومساعدتهم والتعاون معهم، فدافعوا عن أنفسهم بقولهم: «ما يحوجهم - يعني: المسلمين - أن نكون عيونًا لهم؛ وقد هرب أصحابكم منهم، وخلوا لهم القرى؛ فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه؛ إن شاءوا أخذوا يمينًا أو شمالًا،... وقد صانعناهم بالأموال عن أنفسنا؛ إذ لم تمنعونا مخافة أن نسبي، وأن نحارب، وتقتل مقاتلتنا، وقد عجز عنهم من لقيهم منكم؛ فكنا نحن أعجز، ولعمري لأنتم - الفرس - أحب إلينا منهم، وأحسن عندنا بلاء، فامنعونا منهم، نكُنْ لكم أعوانًا؛ فإنما نحن بمنزلة علوج السواد، عبيدٌ من غلب»^(١).

وتُظهِرُ هذه المقولات الصورة الواضحة لاهتمام سعد بتأمين الشؤون الإدارية لقوات المسلمين، كما تُظهِرُ نتائج أسلوب تأمين الشؤون الإدارية على حساب الإقليم. ويمكن تلخيص النتائج بما يلي:

- ١- إن اعتماد قوات المسلمين على ما يتوافر من المواد التموينية في الأقاليم قد حرر قوات المسلمين من الأعباء الإدارية، وضمن لقوات المسلمين قدرًا كافيًا من حرية العمل وحرية الحركة، وقد لجأ المغول «التتار» لهذا الأسلوب بعد فتوحات المسلمين بخمسة قرون، كما لجأ نابليون لهذا الأسلوب ذاته بعد ذلك باثني عشر قرنًا تقريبًا.
- ٢- كان من نتائج هذا الأسلوب خلق فاصل بين سكان البلاد وبين قوات الفرس

التي عجزت عن «حماية أهل البلاد»، وحمل هؤلاء على التعاون مع المسلمين، والإعراض عن دعم الفرس، وخسر الفرس بذلك دعمًا قويًا من أنصارهم. لقد كان من الطبيعي أن يهتم سعد بالشئون الإدارية لتأمين متطلبات قواته، ولكن يظهر بوضوح أن سعدًا قد ربط بين عملية «التأمين الإداري للقوات»، وبين «متطلبات الموقف الاستراتيجي»، ويظهر ذلك من خلال تأمين مخزون ضخم من «الحنطة، والشعير، والتمر، والحبوب ما يكفيهم لو أقاموا أزمانًا»، ولا ريب أن سعدًا كان يهدف حرمان العدو من الموارد التموينية والحياتية، إلى جانب تأمين متطلبات القوات الإسلامية لحرب «طويلة الأمد».

وكان ذلك يقينًا في جملة الأسباب التي أرغمت الفرس على قبول «المعركة الحاسمة» دفاعًا عن مجالهم الحيوي، ودفعتهم لقبول شروط المسلمين في خوض المعركة في المكان والزمان اللذين حددهما سعد بن أبي وقاص. ويُظهر ذلك -أيضًا- أنه ما من عامل واحد، أو مبدأ واحد، كان له تأثير مستقل في حد ذاته، وإنما كانت هناك مجموعة من العوامل المتشابكة والمعقدة التي تضافرت جميعها لتحقيق النصر.

٢- التحريض على الجهاد:

نظم سعد قوات العرب المسلمين في القادسية، ثم أرسل القادة، والخطباء، والشعراء، من أمثال المغيرة، وحذيفة، وعاصم، وطليحة، وقيس الأسدي، وغالب، وعمرو بن معديكرب، والشماخ، والحطيئة، وأوس بن مغراء، وعبد بن الطيب، وأوصاهم فقال لهم: «انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم، ويحق عليهم عند مواطن البأس؛ فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب، وخطبائهم، وذوو رأيهم، ونجدتهم، وسادتهم؛ فسيروا في الناس فذكروهم، وحرضوهم على القتال»؛ فساروا فيهم. فقال قيس بن هبيرة الأسدي: «أيها الناس؛ احمدا الله على ما هداكم له، واذكروا آلاء الله (نعمه)، وارغبوا إليه في عاداته؛ فإن

الجنة، أو الغنيمة أمامكم، وأنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء، والأرض القفر... والفلوات التي لا تقطعها الأدلة».

وقال غالب: «أيها الناس، احمداوا الله على ما أبلاكم، وسلوه يزدكم، وادعوه يجبكم، يا معاشر معد، ما علتكم اليوم، وأنتم في حصونكم - يعني: الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعني: السيف -؟»

اذكروا حديث الناس في غد، فإنه بكم غدًا يبدأ عنده، وبمن بعدكم يثني»
وقال ابن الهذيل الأسدي: «يا معاشر معد، اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كأسود الأجم، وتربدو لهم تربد النمر - أي: اغضبوا - وادرعوا العجاج، وثقوا بالله، وغضوا الأبصار، فإذا كلت السيوف، فإنها مأمورة، فأرسلوا عليهم الجنادل، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه».

وقال بسر بن أبي رهم الجهني: «احمدوا الله، وصدقوا قولكم بفعل، فقد حمدتم الله على ما هداكم له، ووحدتموه، ولا إله غيره، وكبرتموه، وأمنتم بنبيه، ورسله، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا؛ فإنها تأتي من تهاون بها، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم. انصروا الله ينصركم».

وقال عاصم بن عمرو: «يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم (قصدم) الأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم أمرًا تكونون به شيئًا على العرب غدًا».

وقال ربيع بن البلاد السعدي: «يا معاشر العرب، قاتلوا للدين والدنيا، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وإن عظم الشيطان عليكم الأمر، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل».

وقال ربيعي بن عامر: «إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة،

وفي الصبر الراحة، فعودوا أنفُسكم الصبر، تعتادوه، ولا تعودوها الجزع؛ فتعتادوه».

٣- الشجاعة في مواجهة مواقف الخطر:

كان سعد بن أبي وقاص شجاعًا في مواجهة الخوف، واجهته مواقف كثيرة هلعت لها قلوب الرجال إلا قلب سعد، فكان الرسول الأعظم يعتمده، وكان موقفه يوم أحد مشهودًا؛ حيث تمزق المسلمون، وصمد سعد فيمن صمد مع رسول الله. وشارك سعد الرسول في غزواته - أكثرها - وكان تسمية الفاروق عمر له - وهو الرجل الذي عرف أنه أعرف الناس بالناس - وتلقبته بالأسد في برائته إنما هو برهان على شجاعة سعد في مواجهة الخطر.

ولقد كان سعد يوم القادسية مصابًا بالحبوب (الدمامل) في مقعده، فكان ذلك عائقًا له عن الركوب والمسير؛ حتى إنه كان يضطر إلى الرقود على صدره لمتابعة المعركة، وقد اختار رغم ذلك مقر قيادته عند آخر الصفوف، وفي قلب المعركة، وفي مكان مرتفع يشرف منه على ميدان القتال؛ فأعطى بذلك مثلاً لقادته، وللمجاهدين في جيشه.

إن الشجاعة هي أسمى الفضائل الحربية؛ ذلك أن التعرض للخطر هو احتمال دائم في الحرب، والشجاعة عند سعد هي شجاعة شخصية عُرف بها منذ صغره، ثم استمدت هذه الشجاعة من العقيدة الإسلامية معينًا لها، وقد أدى اقتران وعي الشجاعة في شخص سعد، وتوافقهما معًا إلى أكمل أنواع الشجاعة، وهي الشجاعة الفكرية.

لقد كانت حروب المسلمين صعبة، تتطلب جهدًا بدنيًا كبيرًا بقدر ما تتطلب قدرة على احتمال الآلام والصعاب، وزاد من ذلك كله إصابة سعد بنوع من الأمراض المؤلمة، ورغم ذلك كله فقد استطاع المحافظة على صفاء ذهنه، ومجاهاة المواقف المختلفة بردود فعل مناسبة.

ولقد كانت قيادة سعد في ظروف أقل ما يمكن أن يقال فيها: إنها غارقة في

«ضباب الشك»، وكان لا بد من نوع من الإشراق الذهني، والشجاعة الفكرية الكافية لاستخلاص الموقف الحقيقي من وسط الشكوك.

وقد أظهرت رسائل سعد إلى أمير المؤمنين تقديره الصحيح لموقف السكان، ومعرفته الدقيقة للطبيعة الجغرافية الخاصة بميدان معركة القادسية، وذلك منذ الفترة الأولى التي وصل فيها سعد إلى القادسية.

وعلاوة على ذلك كله، فإن الحرب - على ما هو معروف - تترك مجالاً واسعاً للمصادفة، ذلك أنه ليس هنالك مجال من مجالات النشاط البشري يترك مكاناً لهذه الظاهرة الغريبة كالحرب.

وقد سبق أن أشرنا إلى أهمية التوافق في وصول جيش القعقاع بن عمرو، وهاشم بن عتبة منذ اليوم الثاني للمعركة، وما كان لذلك من أثر حاسم في سد ثغرات النظام المتمفصل الذي طبقه سعد في معركة القادسية، وقد كان من المحتمل جداً في مثل تلك الظروف أن يتأخر إمداد جيش القعقاع يومين أو ثلاثة، ولكن رغم ذلك كله، فقد استطاع سعد مجابهة جميع حقائق المعركة، واتخاذ الحلول المناسبة لها، والإفادة من كل المصادفات الطارئة، وتحويلها لصالح قوات العرب المسلمين، وكانت حقائق المعركة كلها هي براهين على ما كان يتميز به سعد من ذهن متحفز باستمرار للكشف عن الحقيقة، وسط غموض الشك، ثم الشجاعة في متابعة هذه الحقيقة، والتصميم على بلوغ الهدف.

لقد كانت شجاعة سعد متميزة بعدد من الخصائص أبرزها قوة الفكر، وقوة الشخصية، والصمود، والحزم وهي مكونات قيادية ساعدته على تجاوز صعوبات مناخ الحرب، وهي الصعوبات التي تتمثل في الجهد البدني، والخطر، والشك، والمصادفة، وقد عرف تاريخ الحرب أعداداً لا يمكن حصرها من القادة الذين تتوافر فيهم بعض الصفات لمجابهة بعض المواقف، ولكنهم قلة هم الذين يجمعون كل الصفات لمجابهة كل المواقف.

٤- القرارات الصحيحة:

كان أول قرار صحيح اتخذته سعد أثناء قيادته، هو اختياره لموقع القادسية من أجل المعركة الحاسمة مع الفرس؛ فقد توافرت في هذا الموقع:

١- عزلته عن أهل البلاد الذين لم يكن سعد ليشعر بالطمأنينة إليهم، وذلك بسبب علاقتهم القديمة مع الفرس.

٢- وقوع القادسية بين حاجزين جغرافيين - الخندق، والعتيق - بحيث يستطيع الاستناد إليهما لحماية قواته.

٣- قرب الموقع من الموارد الحياتية - المياه والطعام - مما يضمن له سهولة التأمين الإداري لقوات المسلمين.

٤- عدم وجود حاجز طبيعي يعوق حركة القوات إذا ما أرادت الانسحاب، وإعادة تجميعها؛ لاستئناف القتال.

٥- حصر الفرس عند القتال بحاجز طبيعي «نهر الفرات».

وقد برهنت مسيرة الأعمال القتالية على صحة انتقاء الموقع، ودوره في تقرير مصير المعركة.

وكان من قرارات سعد الصحيحة توجيه المقدمة قبل كتلة القوات الرئيسية بمدة كافية حتى يضمن بذلك توافر فترة كافية لفتح القوات واشتباكها بالمعركة، ووقايتها ضد كل مباغتة محتملة، ثم دفع المقدمة مسافة كافية عند وصول القوات إلى أماكن تركزها؛ حتى تستطيع اتخاذ تدابير الإقامة، وتنظيم المعسكر في ظروف أمن مطلقة، وكان هذا القرار هو أساس التقليد الذي سارت عليه القوات الإسلامية بعد ذلك.

وكان من قرارات سعد الصحيحة - أيضًا - اختياره الصحيح للقادة على جميع المستويات، ومن أجل تنفيذ الواجبات المختلفة، واختيار القائد المناسب للعمل المناسب، وتُظهِرُ متابعة قصة «القادسية»، وما بعدها أن سعدًا كان ذا خبرة واسعة بمعرفة الرجال.

وكان من قراراته الصحيحة في ميدان المعركة إرسال قوات لحماية النقاط الضعيفة، والتوغل والالتفاف من حول القوات، ثم تحديد بداية المعركة مع موعد ظهر اليوم حيث تكون حدة الشمس قد ارتفعت عن أعين المقاتلين، وكذلك تنظيم عملية القتال الليلية «ليلة الهرير» التي قررت مصير المعركة الحاسمة.

ولقد كان في جملة قرارات سعد الصحيحة إشرافه هو بنفسه على المعركة، والتصميم على إدارتها، ويمكن اعتبار هذا التقليد الذي فرضته الظروف المرضية الخاصة بسعد بداية إدارة المعركة بأوامر خطية، وهو بداية العمل لانتقاء مركز قيادة يشرف على ميدان المعركة كلها، ويسمح باتخاذ القرار المناسب، والإشراف على تنفيذه.

ولم يكن قرار المطاردة - بعد تحول الموقف في القادسية - سوى نتيجة منطقية تستجيب لمتطلبات حرب الحركة، وتلبي مبادئ الحرب التي كان العرب المسلمون يعتمدونها في حروبهم.

وقد لا تكون هناك حاجة للقول: إن الجذور الأساسية للقرارات الصحيحة تمتد في قيادة سعد إلى مجموعة من العوامل أبرزها الاستطلاع، وجمع المعلومات الدقيقة عن العدو، ثم تقدير الموقف تقديراً سليماً «من خلال ضباب الشك»؛ للوصول بعد ذلك إلى القرار الصحيح الذي يعالج الموقف، سواء كان هذا الموقف متوقعاً، أو مباغتاً، ويمثل القرار شخص القائد في جميع الظروف، وبذلك تكون كلمة «القائد» إنما تعني القرار الصحيح.

وليس هناك برهان أفضل من المنجزات الرائعة التي حققها سعد بن أبي وقاص للتأكيد على صحة قراراته، والتسليم بعد ذلك بكفاءته القيادية العالية التي استطاعت حشد كل المعطيات الضرورية، والإمساك بجميع العوامل المختلفة من أجل تحقيق «غاية السلم»، و«هدف الحرب».

وقد يكون من الصعب إجراء تقويم لكل منجزات القائد سعد بن أبي وقاص،

ولعل القول: إنه كان قائد القادسية، هو في حد ذاته، كافيًا عن كل تقديم.
 ٥- حماية المرءوسين:

أرسل سعد قوة من المشاة - كالطليعة - ثم أرسل قوة أخرى لتنفيذ المهمة ذاتها، وعدد أفراد كل واحدة منهما مئة مقاتل، وطلب إلى قائدي القوتين عدم التوغل، وبلغ «رستم» تحرك القوتين المسلمتين؛ فأرسل إليهما قوة من الفرسان، وبلغ سعد أن قواته قد أوغلت فأرسل قوة ثالثة لدعمهما، وحمايتهما، وفي معركة القادسية، شعر سعد بخطورة الفيلة على قوات المسلمين فاستعلم عن طريقة لإخراجها من المعركة، وأرسل إلى القعقاع أمره «اكفياني الفيل الأبيض»، وأمرهما بضرب الفيلة في عيونها. وعرف عن سعد أنه أرحم الناس بالناس؛ والشواهد بعد ذلك غير محدودة، وكلها تبرهن على حماية سعد لمرءوسيه، وحرصه على سلامتهم، وأمنهم، وتأمين متطلباتهم، والرجوع إليهم في الأمور التي يمكن استشارتهم بشأنها، وتمثل قضية «حماية المرءوسين» في الجيوش الإسلامية ظاهرة تتصل بالعقيدة الدينية «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص»، و﴿أَشَدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾، وقد سن الرسول القائد ﷺ السنة المثلى فيما يجب أن تكون عليه العلاقة الأبوية بين القائد ومرءوسيه، وجاء قادة الجيوش بعد ذلك، ليسيروا على النهج ذاته.

وانطلاقًا من هذا المبدأ، أبرز قادة المسلمين اهتمامهم المتعاضم بتدابير الحيطة، والأمن، وكان سعد بن أبي وقاص أول من أبرز نظامًا متكاملًا لتدابير الحيطة سواء كانت قوات المسلمين تتحرك على الطرق، وتتجه إلى المعركة، أو كانت مقيمة في معسكراتها، أو أثناء خوضها لمعاركها القتالية، ولقد جاء بناء المدن الإسلامية في العراق؛ كالكوفة، والبصرة ضمن هذا المفهوم ذاته، فقد ساءت صحة المسلمين عند توغلهم في إيران؛ فجاء بناء الكوفة بهدف وقائي، هو «ضمان المناخ الصحي للمسلمين، وقواتهم».

لقد كانت حماية المرءوسين مسؤولية عامة بين قادة المسلمين كلهم، ويشتركون

جميعًا في الاضطلاع بها، بداية من أمير المؤمنين، ونهاية بقيادة الأعشار، ويكون من الطبيعي، والحالة هذه أن يحتمل سعد القسط الأوفى من هذه المسؤولية؛ لمجموعة من الأسباب، أبرزها:

- ١- ممارسة سعد قيادته في إقليم بعيد، وعلى اتصال مباشر بالعدو.
 - ٢- الحجم الكبير للقوات، بالنسبة لما كانت عليه جيوش المسلمين من قبل.
 - ٣- الاضطلاع بواجبات القيادة في إطار مركزي، وضمن إطار وحدة القيادة.
- لقد عمل أمير المؤمنين على تجهيز جيش سعد بالأطباء، والقادة معاونين للواجبات المختلفة «الإقباض، أو تقسيم الغنائم، وقادة المقدمات، والمؤخرات، والفرسان... إلخ» ولكن ذلك كله في إطار واجبات محددة تضع المسؤولية بكاملها في النهاية على عاتق القائد العام «سعد بن أبي وقاص».

وفي جميع الأحوال قد يكون من الصعب فصل عامل «حماية المرعوسين» في قيادة سعد عن بقية العوامل التي تميزت بها العقيدة القتالية للمسلمين، أو عقيدتهم الدينية، كما أنه من الصعب - أيضًا - فصل هذا العامل عن بقية الصفات الشخصية التي تميز بها سعد، وفي طليعتها الفروسية، والشجاعة، والمعرفة الصحيحة للرجال.

● سعد بن أبي وقاص، وقواته:

كانت قيادة سعد على مسرح عمليات العراق رائعة في قدرتها، وإمكاناتها، فقادت القوات من نصر إلى نصر، ومن موقعة إلى موقعة؛ حتى أرغمت الفرس على الفرار، وكان جيش سعد هو جيش المنجزات الخالدة والمجاهدين العظماء.

قال سعد بن أبي وقاص بعد أن انتهت الحرب عن رجاله: «كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دويّ النحل، وهم آساد الناس، لا يشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة؛ إذ لم تُكتب لهم»^(١).

وعندما رأى سعد ما تجمع في الأقباض، قال: «والله، إن الجيش لذو أمانة، ولولا

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري (٥٨/٣).

ما سبق لأهل بدر لقلت: وإيم الله - على فضل أهل بدر - لقد تتبعت من أقوام منهم هنات وهنات فيما أحرزوا، ما أحسبها، ولا أسمعها من هؤلاء القوم».

وقال جابر بن عبد الله: «والله الذي لا إله إلا هو، ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معديكرب، وقيس بن المشكوح»^(١).

ومما ميز هذا الجيش:

١- الاستعداد الدائم للقتال:

أبرزت معركة القادسية - بصورة خاصة - الروح القتالية لجيش سعد، فقد اضطر هذا الجيش لخوض معاركه بصورة متصلة تقريباً، ما يكاد القتال يهدأ مع ظلمة الليل، حتى يبدأ من جديد مع صباح اليوم التالي، إلى أن جاء اليوم الثالث، وليلة الهرير؛ حيث اتصل القتال في النهار والليل والنهار التالي، وأعقب ذلك المطاردة الحاسمة، وقد يكون من الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن قوات الفرس قد أفادت من تفوقها العددي لتبديل كتائبها في كل يوم تقريباً، في حين كان المسلمون يعملون على الانسحاب والتراجع؛ لإعادة تنظيم قواتهم واستئناف الهجوم من جديد، ولئن كان ذلك برهاناً على الروح المعنوية العالية، والكفاءة البدنية، والقدرة على تحمل الصعاب، إلا أنه برهان - أيضاً - على استعداد المجاهدين الدائم للقتال، مهما كانت الظروف، ومهما كانت مصاعب القتال.

لقد كانت معركة ليلة الهرير النموذج الأعلى للبرهان على «استعداد المجاهدين الدائم للقتال»، ومن المعروف أن المقاتلين العرب كانوا غالباً ما يلجئون إلى الليل لاستخدامه في تحركهم، وتنقلهم؛ حتى يضمنوا مباغته خصومهم عند مهاجمتهم مع أول ضوء من النهار، وحدث في كثير من الأحيان أن نفذوا إغاراتهم في الليل،

(١) تاريخ الأمم والملوك (٤/١٨ - ٢٠).

على نحو ما كان يفعله خالد بن الوليد في إغاراته، ولكن لم يحدث أبدًا أن ألقى جيش بكامله ثقل هجومه في معركة ليلية.

وقد يكون من المؤسف عدم توافر معلومات عن الطريقة التي كانوا يستخدمونها لإضاءة أرض المعركة، أو الطريقة التي يتعرفون بها على أهدافهم، وقد يكون ضوء القمر مساعدًا لهم في عملياتهم، ولكن مهما كانت الوسائل بالنسبة لذلك العصر، فإن حدوث المعركة الليلية على مستوى الجيش إنما هو برهان ساطع على استعداد المجاهدين الدائم للقتال، حتى في أسوأ الظروف، وأصعب الأجواء.

٢- الروح المعنوية العالية:

حدث في يوم أغواث أن تصدى للمجاهد «علاء بن جحش العجلي» مقاتل من أشداء الفرس، وفرسانهم فطعن علاء المقاتل الفارسي طعنةً أصاب منه مقتلاً، وأصاب الفارسي بضربة منه المقاتل علاء في بطنه، وسقط المقاتلان، فأما الفارسي، فمات من ساعته، وأما علاء، فانتشرت أمعاؤه؛ فلم يستطع القيام لمتابعة القتال؛ فعالج إدخال أمعائه في بطنه، فلم ينجح في ذلك، حتى مر به رجل من المسلمين، فقال: يا هذا، أعني على بطني. فأدخله له. فأخذ بصفاقيه (والصفاق جلد البطن)، ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين، فأدركه الموت، وهو على بعد ثلاثين ذراعًا من صف فارس، وكان يردد:

أزجوبها من ربنا ثوابًا قد كنت ممن أحسن الصُّرَابَا (١)

وكان زهرة بن الحوية يرتدي يوم الهجوم على بهر سير درعًا مفصومة؛ فقيل له: لو أمرت بهذا الفصم فسرد - أي: تم وصله؛ حتى لا تكون فيه ثغرة تسمح بمرور السهم - فأجاب زهرة: ولم؟ قالوا: نخاف عليك منه. قال: إني لكريم على الله، أن ترك سهم فارس الجند كله، ثم أتاني من هذا الفصم، حتى يثبت في، فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة، فثبت فيه من ذلك الفصم، فقال بعضهم انزعوها عنه،

فقال: دعوني فإن نفسي معي ما دامت في، لعلي أن أصيب منهم بطعنة، أو ضربة، أو خطوة؛ فمضى نحو العدو، فضرب بسيفه «شهربراز» من أهل إصطخر، فقتله، وأحيط به، فقتل، وانكشفوا.

صورتان من مجموعة صور لا نهاية لها، وكلها تعبر عما تميز به جيش المجاهدين في سبيل الله من روح معنوية عالية، كانت عُذَّتَهُمْ في التغلب على عدوهم. ورضي الله عن عمر بن الخطاب القائل: «إننا لم نهزم الكفار والمشركين بعددنا، وإنما هزمناهم بهذا الدين».

سعد القائد، وفن الحرب

لقد استخدم العرب المسلمون مجموعة من الاستراتيجيات؛ لدعم استراتيجيتهم العليا، وضمان نجاحها، وفي طليعة هذه الاستراتيجيات «استراتيجية الهجوم غير المباشر»، وقد أمكن تطبيق أساليب مختلفة لإحباط إرادة القتال عند الخصم، وإضعاف مقاومته، وإقناعه بفشل مخططاته، وقد انعكس ذلك كله على نفسية قائد الخصم ذاته، الذي أصبح مرغماً على قيادة قواته، «وهو مقتنع مسبقاً بانتصار العرب، وفشل الفرس»، ولم يكن تعبير «أكل عمر كبدي» الذي كرره «رستم» قبل القادسية وأثناءها سوى تعبير عن حالة اليأس من إحراز نصر على العرب المسلمين.

ولقد تطلب الوصول إلى هذه النتيجة في الواقع جهداً كبيراً، وعملاً ضخماً بدأ منذ تولى المثنى بن حارثة الشيباني حرب العراق، ثم جاء خالد بن الوليد دعماً له، واستمرراً معاً طوال عام كامل، ويظهر ذلك من خلال حديث المثنى بن حارثة إلى المسلمين، وقد استنفرهم لحرب العراق «فأبوا إلا الشام، وأبى عمر إلا حرب العراق»؛ نظراً لأن العراق، ووجه فارس «كان من أكره الوجوه إلى العرب، وأثقلها عليهم؛ لشدة سلطان الفرس، وشوكتهم، وعزهم، وقهرهم الأمم»، فوقف المثنى ليقول لهؤلاء: «أيها الناس، ولا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإننا قد تبجحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقِّي السواد، وشاطرناهم - أي: قاسمناهم - أرضهم، ونلنا منهم،

واجترأ مَنْ قبلنا عليهم. ولها إن شاء الله ما بعدها».

وهكذا فإن الصراع المستمر طوال الأعوام الثلاثة التي سبقت «القادسية»، وجهاد المسلمين المستمر، قد عمل على استنزاف قوة الفرس، وإظهار قوة العرب، لا سيما، وأن معارك المسلمين في هذه الفترة كانت - باستمرار - معارك ظَافِرَةً «باستثناء معركة الجسر، أو قس الناطف، أو المروحة»، وقد كان الظفر في جميعها نتيجة للتوازن الدقيق بين «غاية السلم»، و«هدف الحرب» من جهة، وللتوازن المحكم - أيضًا - بين القوى، والوسائط الإسلامية من جهة، وبين «الأهداف المتتالية للعمليات الحربية» من جهة ثانية.

وقد رافق ذلك كله تطور كبير في الطرائق والأساليب التي كان يلجأ إليها العرب المسلمون في تنفيذ أعمالهم القتالية، والتي جاء النظام المتمفصل لحركة القوات في المعركة تنويجًا لها.

ولا يعني ذلك بدهة وصول الفرس إلى مرحلة «الانهيار الكامل»، فقد استطاعوا أن يحشدوا في القادسية ١٢٠ ألف مقاتل - على أقل تقدير - مقابل ٢٠ ألفًا، فكان ميزان القوى ستة لواحد لصالح الفرس، وعلاوة على ذلك، فقد كان الفرس يقاتلون على حدود أرضهم؛ فكانت خطوط إمدادهم ومواصلاتهم قصيرة، مقابل خطوط الإمداد الطويلة للعرب المسلمين.

وجاء التنظيم الجديد لقوات المسلمين؛ كي يزيد من صعوبات القيادة، والسيطرة، فالعمل في «النظام المتمفصل» يتطلب درجة عالية من تنسيق التعاون بين القوات حتى تستطيع حماية مجنباتها، ومؤخراتها، وهو يتطلب - أيضًا - العمل باستمرار لإعادة تجميع القوى والوسائط، وتأمين إمداد مستمر بالقوات الاحتياطية، وهنا تدخلُ القدر ليجعل من قدوم القعقاع بن عمرو التميمي، وهاشم بن عتبة، وتدخلهما في الوقت المناسب - منذ اليوم الثاني للقادسية عمليًا - الوسيلة الوحيدة لسد الثغرة في النظام المتمفصل، وتدخلُ القدر مرة أخرى عندما وُجِّه القعقاع، وحمله

على تجزئة قواته حتى تصل ميدان المعركة تباغماً، وعلى شكل موجة متصلة من الإمداد، وقد يكون الحافز للقعقاع هو دعم الروح المعنوية للمسلمين، ولكن هذا الأسلوب قد أفاد في الواقع لسد ثغرات النظام المتمفصل، وتأمين متطلباته «لإعادة التنظيم، وتأمين القوة الاحتياطية»، فكان ذلك عاملاً كبيراً في إحراز النصر.

لقد تضافرت هذه العوامل كلها، وتلاحمت في إطار متكامل، وقاد سعد قواته في إطار هذه الظروف، وهو مؤمن بالنصر، وقد كان الفاصل بين الهزيمة المنكرة، والانتصار الرائع معلّقاً بخيوط دقيقة، فالسلبات مقابلة للإيجابيات، والتداخل بينهما شديد التعقيد، فكانت كفاءة سعد هي في عمق الإيمان بقدرته من جهة، وبما تميّز به العرب المسلمون من فضائل حربية من جهة أخرى.

وانعكس ذلك على القوات المتصارعة «حتى كان المسلم يشير إلى القائد الفارسي فيأتيه، وعليه السلاح التام، فيضرب عنقه، وحتى أصاب أهل فارس يومئذ بعدما انهزموا، ما أصاب الناس من قبلهم - من القتل - فيدعو المسلم الرجل منهم، فيأتيه، حتى يقوم بين يديه، فيضرب عنقه، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به، وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه، وكذلك في العدة»^(١).

وتمثل هذه الصورة المتحركة النموذج الأعلى لما يمكن تحقيقه في مجال استراتيجية الهجوم غير المباشر، وهو «حمل الخصم على الاستسلام الكامل، مع الخضوع التام لإرادته، والتخلي عن كل إرادة للقتال».

وقد لا تكون هناك حاجة للقول: إن هذا الموقف لم يكن عاماً، أو شاملاً لجميع قوات الفرس؛ فقد بقيت هناك قوات للمقاومة، وبقي هناك تصميم لدى بعض من أكسبتهم خبرات الحروب تصميمًا على متابعة الحرب، ولكن أساليب العمل المتطورة التي طبقتها العرب، وإبداعهم «في فن الحرب»، ومعرفة سعد لخصائص قوات المسلمين، ساعدت كلها على تتويج النصر في ساحة المعركة بانتصارات تكميلية

(١) تاريخ الطبري (٣/٥٦٨، ٥٦٩).

«القضاء على جيوب المقاومة والمطاردة»، وحولت النصر في العمليات إلى نجاح كبير على مستوى السياسة الاستراتيجية.

● استراتيجية الحرب التشتيتية:

يتشابك مضمون «استراتيجية الحرب التشتيتية» مع مضمون «استراتيجية الهجوم غير المباشر»، ويكون الهدف في الحالين واحدًا، وهو «تدمير القوى المعنوية للعدو»، و«حرمان قيادته من اتخاذ القرار المناسب، وتنفيذه في الزمن والمكان الملائمين». وقد خاض العرب المسلمون حربهم ضد الفرس في إطار من الحرب التشتيتية، وذلك منذ بدأ المثنى بن حارثة الشيباني أعماله على مسرح العراق في السنة الحادية عشرة للهجرة، وقد طبق سعد بن مالك هذه الاستراتيجية بوسائل مختلفة، كان في مقدمتها حرمان العدو من موارد معلوماته «بالقضاء على مخافره (مسالحه) المتقدمة» إلى جانب اتخاذ التدابير المختلفة لحماية قوات المسلمين ضد المباغيات المتوقعة، أو الممكنة، وكانت خفة الحركة، والمرونة، ونشر نطاق أمن كبير من العوامل التي مارست دورها لتشتيت قيادات الفرس، وحرمانها من تقدير الموقف الصحيح لحجم قوات المسلمين، وقدراتهم، وأساليبهم الجديدة.

فاستمرت هذه القيادات في تقديرها للموقف على أساس أفكارها السلفية «وهي الأفكار التي تعتبر نبال العدو مجرد «دوك»، أو نبايت، وتعتبر سيوفهم ذات الخلق القديمة، أو القماشية المهترئة أنها لا تستطيع مجابهة سيوف الفرس القوية»، وبذلك فقد كان ظهور قوات العرب في ساحة اليرموك، وهي منظمة بأسلوب يماثل تنظيم قوات الفرس «طلائع - مجنبات - قلب - مؤخرة» من الأمور المذهلة للفرس، وعلاوة على ذلك فقد نظم سعد قواته بما يتوافق مع النظام المتمفصل لقوات العرب المسلمين، وبما يستجيب - أيضًا - لتنظيم الفرس.

وكان هذا التنظيم هو التعاون الوثيق بين قوات الصدمة «الفرسان»، وقوات الرمي «المشاة»، ويظهر ذلك من خلال المقولة التالية: «إن عدوكم قد أبى إلا المراهقة، ورأى

أميركم بأن تحمل الخيل، ومعها الرجالة، ذلك أن القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل، لا رجال معهم عقروا بهم، ولم يطيقوا أن يقدموا عليهم، فتيسروا للحملة، وانتظروا التكبير»^(١).

وبالإضافة إلى ذلك فقد نظم سعد قواته على ثلاثة أساق، نسق الصدمة «الفرسان»، ثم نسق الرماة، فنسق المشاة الثقيلة «حاملي الرماح»، مع تركيزه قوة الصدمة على الجناحين.

ولم يدرك قادة الفرس ميزان النظام المتمفصل، وأخذوا بظواهر التنظيم الخطي، في حين كانت قدرة هذا التنظيم الضمنية هي في مرونته، وكفاءته الحركية العالية. وطبق سعد بعد ذلك أساليب الحرب التشتيتية لمطاردة فلول الفرس بسرعة، حيث أرسل مفارز ومجموعات من الفرسان في كل اتجاه.

«لقد لقي الفرس قوات المسلمين بعدة لم ير الرءون مثلها، فلم ينتفع الفرس بذلك، واتبعهم المسلمون على الأنهار، وفي الفجاج».

لقد ساعدت أساليب الحرب التشتيتية - على مستوى العمليات - في نجاح سعد لاستخدام قوة العرب المسلمين بكاملها، وهكذا كانت قوة العرب المسلمين تشتبك في القتال كلها في حين كان تنظيم الفرس لا يسمح إلا باستخدام جزء فقط من القوة. وقد كان لهذا التنظيم سيئته فيما تكبده المسلمون من خسائر فادحة في الأرواح «أثناء المعركة»، ولكنهم عوضوا عن ذلك بعد المعركة، وبعد أن تحول الموقف لمصلحتهم، فعملوا على مطاردة قوات الفرس، وتدميرها على التابع، فكانت محصلة خسائر الفرس أكبر بكثير من محصلة خسائر المسلمين.

وبذلك كانت استراتيجية الحرب التشتيتية قبل القادسية وأثناءها وبعدها في جملة العوامل التي ضمنت للمسلمين انتصارهم الحاسم.

● استراتيجية الهجمات الوقائية:

إذا كانت معارك المسلمين قبل القادسية هي معارك استطلاعية، فإن معارك المسلمين بعد القادسية هجمات وقائية متقدمة ذات هدف مزدوج؛ أولها نقل المعركة إلى منطقة العدو، وحماية قاعدة المسلمين، وثانيها هو «إجهاض هجمات العدو قبل البدء فيها»، وهكذا لم يمض أكثر من شهرين على القادسية، حتى أسرع سعد بقواته إلى المدائن حتى يقضي على «مقر العدوان» وكانت فلول الفرس قد تجمعت في بابل بقيادة الفيروزان.

وقالوا: «نقاتلهم دستًا قبل أن نفترق»، وأسرع المسلمون إليهم، فدمروا تجمعهم، وانطلق الفرس على وجوههم، ولم يكن لهم إلا الافتراق، فخرج الهرمزان متوجهًا نحو الأهواز، وخرج الفيروزان معه، حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى، وصمد النخیرجان، ومهران الرازي للمدائن.

فأقام سعد في بابل ثم انتقل إلى بهرسير «وأقام المسلمون على بهرسير شهرين، يرمونها بالمجانيق، ويدبون إليهم بالدبابات، ويقاتلونهم بكل عدة».

«وصمد الفرس وراء خنادقهم، وحرسهم، وعدة حربهم، ورموا المسلمين بالمجانيق والعرادات، فاستصنع سعد المجانيق، فنصب على أهل بهرسير عشرين منجنيقًا فشغلوهم بها»^(١).

وفتح المسلمون بهرسير، ثم انتقلوا منها إلى المدائن. وبلغ سعد أن مهران قد عسكر بجلولاء وخندق عليه، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت، وتوجه هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفًا. بناء على أوامر أمير المؤمنين - وانتصر المسلمون بعد معركة طاحنة، وأحبطوا مخطط الفرس الذين مزقتهم معركة المدائن: «افتترقت الطرق بأهل أذربيجان، والباب، وأهل الجبال، وفارس، وتجمعوا فقالوا: إن افتترقت لم تجتمعوا أبدًا، وهذا مكان يفرق بيننا، فهلموا فلنجتمع للعرب به، ولنقاتلهم، فان

كانت لنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا، وأبلىنا عذراً؛ فاحتفروا الخندق، واجتمعوا فيه على مهران الرازي»^(١).

وبلغ سعدا اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق وتنظيم المقاومة في تكريت، وحفر الخنادق، والتصميم على قتال العرب؛ فوجه سعد جيشاً لتدمير فلول الفرس، وفتح تكريت، وتكررت العملية في ماسبذان، وقرقيساء.

لقد كانت استراتيجية الهجمات الوقائية عند العرب محكمة بدقة، ومرتبطة بردود فعل العدو، فكان سعد ينتظر الفرس حتى تتجمع قواتهم، ولكنه لم يكن يترك لهم الوقت لإكمال استعداداتهم القتالية، أو تنظيم قواتهم للهجوم، حتى يباغتهم في مواقعهم، ويعمل على تدمير قواتهم، وكانت هذه الاستراتيجية مرتبطة باستراتيجية الحرب التشتيتية بحيث كانت قوات المسلمين تعوق كل تعاون بين جيوب المقاومة المتتالية، ثم تحشد ما يكفي من القوات لتصفية جيب المقاومة الأكثر خطورة بضربة حاسمة، حيث يتم الانتقال بعدها لتصفية الجيب التالي، وهكذا حتى يتم القضاء على جميع مقاومات العدو.

وكانت استراتيجية الهجمات الوقائية - على أهميتها - في جملة الاستراتيجيات التي استخدمها العرب في فتوحاتهم، وكانت هذه الاستراتيجيات بمجموعها متداخلة بإتقان رائع بحيث تشكل «فسيفساء» فن الحرب عند العرب المسلمين.

● سعد ومبادئ الحرب:

١- المباغثة:

تكمن المباغثة في عمليات سعد بن أبي وقاص ضد الفرس، وتمتد جذورها عميقاً حتى تصل إلى الأفكار السلفية التي كان يعرفها الفرس عن العرب، ولهذا فقد كان سلوك العرب بعد الإسلام مباغثاً بمجموعه بقدر ما كان مباغثاً في كل موقف من المواقف، وكان الفرس يعالجون المواقف المستجدة انطلاقاً من نظرهم المتفوقة على

(١) المرجع السابق (٤/٢٤).

العرب، ومن مكانتهم العليا التي سمحت لهم في مرات كثيرة بتهديد الجزيرة العربية، والتوغل حتى أعماقها.

وقد أفاد المسلمون من موقف الفرس حتى أبعد الحدود لتطبيق استراتيجيتهم في الهجوم غير المباشر وفي قيادتهم للعمليات المتتابعة ضد قوات الفرس، ولخلق حالة من «الشك» تساعد على فصل «عرب العراق» عن قوات الفرس المهيمنة عليهم مادياً ومعنوياً.

ويمكن على ضوء هذه القاعدة إدراك أهمية المباغته التي مارست دورها عندما نظم سعد قواته لمجابهة الفرس في القادسية، وكذلك ما كان من أثر لسلوك المسلمين فوق القادسية «الصلاة، التكبير» مما أذهل الفرس، وأضعف من روحهم المعنوية حتى قبل الاشتباك.

كان سعد يبحث عن المباغته في ساحة العمليات «فبعث طليحة إلى مخاضة أسفل من العسكر... وعبر طليحة العتيق، فدار إلى عسكر القوم، حتى إذا وقف على ردم النهر كبر ثلاث تكبيرات، فراع أهل فارس، وتعجب المسلمون، فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك»

«وحدد المسلمون تعبئتهم؛ وقدموا صفًا، وأتبعوا آخر مثله، وآخر، وآخر، حتى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفًا في القلب والمجنبتين كذلك، ثم لحقت بالفرسان الكتاب»^(١).

لقد كان ذلك في بداية ليلة الهير، وكانت المباغته هي نقطة التحول في الموقف فقد كان الصراع ينتهي في الأيام الثلاثة، «وكلما نال المسلمون من شر نال الفرس مثله»، حتى إذا جدّدت المباغته عزم المسلمين، انطلقوا بتنظيم جديد في قتال ليلي شرس، «كان صليل الحديد فيها كصوت القيون، وقاتل المسلمون حتى الصباح، وأُفرغ عليهم الصبر إفراغًا، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها... حتى إذا كان وجهُ الصبح، انتمى

الناس، فاستدل بذلك على أنهم الأعلون».

واستمر سعد بعد ذلك في الحرص على «مباغثة الفرس» سواء عن طريق دفع قوات المسلمين للظهور في كل مكان، أو عن طريق إبداع طرائق جديدة في ساحة العمليات، أو عن طريق تنظيم القوات تنظيمًا يتوافق مع متطلبات الموقف، وقد كان من المحال على سعد تجديد «المباغثة» بصورة مستمرة، لو لم تتوافر لقوات المسلمين القدرة الحركية العالية، ولو لم تتوافر لهم القدرة - أيضًا - على استيعاب الظروف الجديدة في القتال، والتكيف معها بما يلائمها من التنظيم.

لقد تطور مبدأ «المباغثة» تطورًا كبيرًا عند العرب المسلمين من خلال أعمالهم القتالية المستمرة، وكان في طليعة المبادئ التي اعتمدها في حروبهم، ولكن كفاءة سعد تبرز من خلال قدرته على تحقيق المباغثة في ظروف صعبة كانت فيها أبعاد مسرح العمليات محددة بدقة، وكان العرب والفرس يحاولون وفي وقت واحد الإفادة من نقاط الضعف، فكان تحقيق المباغثة على إطار «العمليات» مع كل تدابير الحيلة التي اتخذها الفرس، إنما هو برهان على القدرة العالية في التكيف مع ظروف القتال والاستجابة بما هو مناسب لها.

٢- المبادأة؛ واستخدام القوة الهجومية:

لم يكن باستطاعة سعد بن مالك حشد قوات المسلمين في القادسية؛ على حدود بلاد الفرس، وإعطاء المبادأة للفرس فيعرض هذه القوات للتدمير؛ وعلى هذا فقد كان الحرص على المبادأة عند سعد متلاحمًا مع بقية المبادئ ومتوافقًا مع معطيات السياسة العليا للعرب المسلمين، وكان هدف المبادأة هو وضع الفرس باستمرار أمام مواقف جديدة؛ وتوجيههم في النهاية نحو المعركة الحاسمة؛ وإرغامهم على قبولها في المكان والزمان اللذين يختارهما سعد.

وهكذا مرت أربعة أشهر تقريبًا بين نزول سعد القادسية وبين وقوع المعركة الحاسمة فيها، ولم تكن هذه الفترة - فترة عطالة عن العمل؛ أو وقتًا ميتًا، وإنما كانت

فترة كلها عمل مستمر وجهد متصل، ما بين اتصالات مع قادة الفرس، واتصالات مماثلة مع أهل البلاد «من العرب» مع توجيه التحديات المتعاضمة لاستشارة الفرس ودفعهم إلى قبول ما كانوا يحاولون تجنبه من الاشتباك.

وقد أفاد سعد من «عامل الزمن» إلى أبعد الحدود من أجل إعداد الظروف المناسبة للمعركة الحاسمة، كل ذلك دون السماح للفرس بانتزاع المبادرة أو الخروج على ما كان يخططه لهم سعد.

ولم تكن الإغارات المستمرة على حدود بلاد الفرس وتوجيه التهديدات إلى قلب قواتهم سوى بعض الوسائل لحرمانهم باستمرار من المبادرة؛ وقد مارست المبادرة دورها في «تنفيذ استراتيجية الهجوم غير المباشر» إذ أدت الأعمال القتالية «الصغرى» والمتفرقة إلى إضعاف الروح المعنوية للفرس، وإشعارهم بالخطر الدائم الذي يقترب منهم دون أن يعرفوا الشكل الذي سيأخذه هذا الخطر أو مدى قوته. وعلى هذا فإن استخدام المبادرة عند سعد بن مالك لم يقتصر على قيادة العمليات الكبرى، وإنما ظهر في كل عملية من عملياتهم حتى ما كان منها على مستوى فردي، وكان في ذلك يطبق مبدأ «الهجوم - الهجوم - ولا شيء غير الهجوم» وذلك قبل أن ينادي به نابليون بعد ألف ومئتي سنة تقريبًا.

ولعل الظاهرة البارزة هي الاستعداد الدائم لاستخدام القوة الهجومية باستمرار؛ لمجابهة المواقف جميعها. هذا على الرغم من إدراك سعد لضعف قوته العددية أمام تفرق الفرس الساحق، وقد كان بالمستطاع تحقيق التفوق لصالح المسلمين في المعارك الصغرى؛ والوصول إلى النتائج المطلوبة في تفتيت الفرس معنويًا، وإكساب المسلمين الثقة بأنفسهم عن طريق الانتصارات الصغرى المتتالية؛ وكان لذلك - دون ريب - أثر حاسم وقوي في تقرير النتيجة النهائية للمعركة الحاسمة؛ إذ إن الخسائر المتتالية للفرس لم تكن منفصلة أبدًا عن محصلة الخسارة النهائية التي قررتها معركة القادسية. وبذلك أخذت الحرب «صفتها المطلقة» وتأكدت هذه الصفة المطلقة من خلال

الإصرار العنيد على متابعة المطاردة؛ لتدمير جميع القوات الفارسية، وأفاد سعد من ذلك كله - من المبادأة، ومن استخدام القوة الهجومية؛ حتى إذا جاءت المعركة الحاسمة؛ كان هناك حالة من التوازن والاستقرار: «تفوق مادي بالقوى والوسائط في جهة، يقابله تفوق معنوي، وتفوق في التنظيم وإدارة الحرب» وبقيت النتيجة النهائية معلقة بخيوط رفيعة ترتبط «بالفضائل الحربية للقوات وإرادتهم على تحقيق النصر بقدر ما ترتبط بلعبة القدر».

ويظهر واضحاً أن انتصارات سعد وقوات المسلمين لم تكن «مجرد ضربات في الفراغ أحكمتها مصادفات الحرب وحدها»، وإنما كانت نتيجة تخطيط دقيق محكم، وإرادة صلبة تتصل في جذورها بالإيمان العميق، وجاءت مصادفات الحرب لتمارس دورها التكميلي، وكانت المبادأة، واستخدام القوة الهجومية في جملة المبادئ التي استخدمت بكفاءة عالية، وسمحت للمصادفات بممارسة دورها^(١).

● سعد وفن الحرب:

تولى سعد بن أبي وقاص قيادة جيش العرب المسلمين خلال أصعب مرحلة من مراحل الحرب على جبهة العراق؛ وكانت هذه الجبهة تحتل المرتبة الثانوية بعد جبهة الشام؛ وعندما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إمرة المسلمين، عين سعداً لحرب العراق، ونقل ثقل الهجوم إلى جبهتها، لا سيما وأن الحرب على جبهة الشام قد تقرر بانتصار المسلمين في معركة اليرموك، وفتح دمشق، فبدأت الإمدادات في التوجه إلى العراق من الشام، ومن الجزيرة العربية.

وكان أمير المؤمنين يشرف بنفسه على قيادة الجيوش، ويعمل على توجيهها، ويحدد لها واجباتها، وكان سعد بن أبي وقاص يعود في أموره كلها إلى أمير المؤمنين، ويعلمه بتطورات الموقف، وينفذ تعليماته وتوصياته بدقة.

وشهدت هذه الفترة، ومن خلال هذا التعاون الوثيق، بداية التطور في العقيدة

(١) للتفصيل انظر: سعد بن أبي وقاص، لبشام العسلي «دار النفائس».

القتالية للعرب المسلمين؛ فقد تم فيها تنظيم مناطق التجمع، ومناطق الحشد، وحددت الواجبات والأعمال التي يجب تنفيذها في كل منطقة، وأخذ جيش المسلمين في استخدام تنظيم جديد - عن طريق التقسيم العشري للقوات -، ورافق ذلك وضوح في تدابير الأمن والحيطه، وتنظيم دقيق لأرتال المسير، وإجراءات حازمة لحماية المعسكرات. كل ذلك مع تنظيم جيد للشئون الإدارية، ومن الطبيعي والواضح أن الخليفة لم يكن يتدخل في جميع الأمور التنظيمية والعملية، وإنما كان يحدد الهدف والخطوط العامة المطلوب تنفيذها؛ فكان سعد بن مالك بن أبي وقاص هو «المنظم الأول» لجيوش العرب المسلمين.

لقد اصطدم المسلمون بجيوش الفرس، وهي جيوش لديها خبرات قتالية واسعة بحكم صراعها الدائم، وهي - أيضًا - متفوقة في ميزان القوى، وكانت تتبع تنظيمًا معينًا ودقيقًا في إدارة الحرب، وعلى هذا قد يكون من الصعب تقويم منجزات سعد بن أبي وقاص إن لم ترتبط عملية التقويم هذه بما كان يطبقه الخصم من طرائق عملية وما يستخدمه من أساليب تعبوية «تكتيكية».

كان تنظيم المعركة عند الفرس يعتمد على قوة الصدمة بالدرجة الأولى، ويظهر ذلك من خلال اقتران ٣٠ ألفًا بالسلاسل؛ لتكوين جدار تتحطم على جبهته هجمات العرب المسلمين. وكانت بقية القوات الفارسية تدعم «جدار الصدمة» بواسطة رماياتها الكثيفة؛ ونتيجة لهذا التنظيم القتالي الذي لا يقبل التجزئة كان باستطاعة الفرس تدمير قوات أعدائهم بضربة واحدة وبأقل ثمن ممكن، فإذا أضيف إلى ذلك التفوق الكبير في القوى والوسائل لصالح الفرس، فإن صورة الاشتباك ستظهر قائمة وغير مثيرة للتفاؤل.

ولكن سعد بن أبي وقاص أفاد من سليات التنظيمات الفارسية وعدم قدرتها على العمل بصورة مجزأة؛ لابتكار الأسلوب المناسب والذي يمكن اعتباره أسلوبًا متقدمًا لأكثر من عشرة قرون.

اعتمد سعد بن أبي وقاص على النظام البديل وهو نظام «الجيش المتمفصلة» وكان هذا النظام يستجيب - في الواقع - لطبيعة قوات العرب «الخفيفة والمرنة»، كما يتوافق مع ما تتطلبه مجابهة التنظيم الفارسي «الثقيل والمحروم من حرية العمل». وبرزت ميزات هذا النظام من خلال المناورات العميقة والقوية لقوات العرب المسلمين، وهي المناورات التي وصل بها القعقاع بن عمرو في ليل الهرير إلى مؤخرة الفرس.

كما برزت من خلال حرية العمل التي كانت تسمح للمسلمين بتنظيم هجماتهم التعبوية بمرونة، ثم الانسحاب بسرعة، وإعادة التنظيم من أجل هجوم جديد.

وأخيرًا فقد برزت ميزات هذا التنظيم أيضًا من خلال المطاردة السريعة والحاسمة لقوات الفرس بعد إلحاق الهزيمة بهم، وظهرت محصلة هذا التنظيم في النهاية على شكل صورة متقدمة «لحروب الصاعقة».

لقد كان العمل وفقًا لهذا النظام يتطلب ميدانًا محددًا يساعد على تحقيق السيطرة والإشراف على المعركة، ويظهر أن سعد بن أبي وقاص قد وضع ذلك في اعتباره عندما نزل القادسية، وصمم على جذب خصمه إليها.

وتظهر مسيرة الأحداث والمفاوضات أن سعدًا كان مصممًا على عدم مجابهة الفرس إلا في القادسية - على نحو يشابه تمامًا ما فعله المسلمون في اليرموك -.

ولقد حال مرض سعد - بالدمامل - بينه وبين قيادته المباشرة للقوات، فأوكل إلى خالد بن عرفطة أمر إدارة المعركة نيابةً عنه، وأخذ في تبليغه أوامره بواسطة الرقاع - أوامر خطية -، وقد يكون من المؤسف عدم الحصول على هذه الأوامر، ولكن أسلوب إدارة المعركة يبرهن على أن سعدًا كان يتابع جميع المواقف الطارئة، ويدرسها، ويحللها، ويعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها، مثل أسلوب القضاء على الفيلة التي أفرغت خيول المسلمين.

لقد كان من الغريب ألا يكتشف الفرس الخطأ الكبير في تنظيمهم القتالي، وأن يتجاهلوا نقاط ضعفه، لا سيما بعد هزيمة قواتهم على أيدي القائد الروماني بيلزير، ولكن من المحتمل أن يكون استهتار الفرس بقوة العرب، وعدم تقويمهم الصحيح لما صار عليه العرب بعد الإسلام، ثم اعتداد الفرس بتفوقهم الكبير بالقوى والوسائط هو الذي دفعهم إلى زج قواتهم في المعركة؛ وفقاً لأساليبهم التقليدية، في حين كان العرب يخوضون حروبهم بأساليب ثورية حقيقية تتميز بالتجديد والإبداع إلى أبعد الحدود.

إن كفاءة سعد بن أبي وقاص وقدرته القيادية لا تقف عند حدود التنفيذ الرائع لأوامر الخليفة، والتوفيق بين ما هو مطلوب وبين القوى والوسائط المتوافرة، كما أن قدرته التنظيمية لا تقف عند حدود وضع الأسس الجديدة لبناء الجيوش الحديثة، وإنما تتجاوز ذلك كله إلى «أسلوب التعامل مع الرجال» ومعرفة قدراتهم، واستشارة الأصالة العربية في نفوسهم، ثم جمع أكبر قدر من العوامل المختلفة التي تضمن النصر؛ وقد يكون من الصعب في كل الأحوال إرجاع النصر الخالد في القادسية إلى كفاءة القائد سعد بن أبي وقاص وحدها وتجاهل تلك الأسس والقواعد التي وضع الرسول القائد ﷺ حجر الأساس فيها وأقام بنيانها على مبادئ ثابتة حددتها العقيدة الدينية الإسلامية.

ونختم بأن هناك ثمة مجموعة من المنجزات التي يعود الفضل في إعطائها صورتها الواقعية وتطبيقها الفعلي للقائد سعد بن أبي وقاص وأبرزها:

١- تقسيم الجيش وتنظيمه تنظيمًا حديثًا على الأساس العشري، وتعيين القادة لمختلف مراتب التسلسل «العرفاء، قادة العشرات، ثم قادة الخمسينات، وأمراء المئات، وأمراء الألوف، وهكذا» وبذلك أخذ الجيش الإسلامي شكل التنظيمات المتقدمة، وكان سباقًا في هذا المجال على جيوش العالم القديم.

٢- تنظيم مناطق الحشد، وتحديد إجراءات الأمن وتدابير الحيطة الواجب اتخاذها

في هذه المناطق.

٣- تنظيم أرتال المسير مع فكرة احتمال مجابهة العدو في كل مرحلة من المراحل، واختيار التشكيل الملائم الذي يسمح بالتحول من تنظيم التحرك إلى تنظيم القتال.

٤- تحديد الواجبات الدقيقة لعناصر الأمن، ودفعها أمام القوات مسافة تكفي لإنذار القوات الرئيسية وإتاحة الفترة اللازمة لاتخاذ تنظيم القتال.

٥- استخدام وسائل اقتحام الحصار؛ والتوسع فيها «المجانيق، العرادات، الدبابة».

٦- تنظيم عمليات عبور الأنهار والموانع المائية «رائدة - وسائل عبور».

٧- تطوير النظام المتمفصل «النظام المرن أو السيال» في قتال المسلمين.

وقد يكون من الصعب حصر منجزات القائد سعد كلها، ولكن من الملاحظ أن جميع هذه المنجزات تتعلق بالأمر التنظيمية والقيادة الفعلية للعمليات، وبذلك يمكن القول، دون مبالغة: إنه أول قائد منظم، وأول قائد للعمليات في جيوش المسلمين^(١).

وختامًا: لا ينسى الناس فاتح العراق، وهم يرون ما حل بالعراق.. عراق ولا سعد له.. أو «واسعداه» واعراقاه ... ولا سعد للعراق.

سيظل اسم سعد رضي الله عنه نابهاً في كل مصادر التاريخ وعلى كل لسان، ويكفي فخر النبي به «هذا خالي فليرني امرؤ خاله» - وما أصدق قول سعد رضي الله عنه لابنه وهو على فراش الموت: «لا تبك عليّ، فإن الله لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة. إن الله لا يدين المؤمنين ما عملوا لله»^(٢).

* * *

(١) سعد بن أبي وقاص، لبثام العسلي.

(٢) طبقات ابن سعد (١٤٧/٣).

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

● أبو الأعور.. السابق إلى الإسلام..

● مجاب الدعوة..

● أحد العشرة ..

● ما سعيد يوم اليرموك إلا مثل الأسد:

عن قيس قال: سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم: «لو رأيته موثقى^(١) عمر على الإسلام أنا وأخته، وما أسلم^(٢)...»^(٣).

الفارس السابق «الذي تقطر منه الفضائل، وتفوح من شذى سيرته المكارم»^(٤). كان له أكبر الأثر في إسلام عمر بن الخطاب، وهو الفارس، الكريم، الرباني، مستجاب الدعوة، عرفته الفضائل، وعرفها منذ أن عرف معنى الحياة. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قال الحافظ بن حجر عن الصحابة، والعشرة منهم خاصة:

وجوه أصحابه كالدُّر مشرقةً
نالوا السيادة في دنيا وآخرة
وبالرضا خُصَّ منهم عشرة زهُرٌ
سعد سعيد زبير طلحة وأبو
لا تسألنَّ القوافي عن مآثرهم
قال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: «كان مقام أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي،
إذا رأيت امرأً عن هديهم صرفاً
والسبق والفضل والتقديم والشرفاً
يا ويح من في مؤالاة لهم وقفاً
عبيدة وابن عوف قبله الخلفاً
إن شئت فاستطق القرآن والصُّحفاً»^(٥)

(١) أي أن عمر موثق سعيد بن زيد.

(٢) يعني: قبل أن يُسلم عمر.

(٣) رواه البخاري (٣٨٦٧).

(٤) فرسان حول الرسول، لأحمد خليل جمعة (٤٥٣/١) «دار الكلم الطيب ودار البشير».

(٥) ديوان ابن حجر ص (١٤، ١٥).

وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، كانوا أمام رسول الله ﷺ في القتال، وخلفه في الصف، وليس لأحد من المهاجرين والأنصار أن يقوم مقام أحد منهم، غاب أم شهد^(١).

● جهاده مع رسول الله ﷺ:

كان سعيد بن زيد من كبار الفرسان الذين أبلوا أعظم البلاء في ساحات الجلال والجهاد والظعن والطمعان.

وقبل بدر كان له مهمة استخبارية:

لما تحين رسول الله ﷺ وصول عير قريش من الشام، بعث طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسسان خَبَرَ العِير، فلما بلغا الحوراء، أقاما هناك حتى مرت بهما العير، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد إليه، فندب أصحابه، وخرج يريد العير، فتساحت العير وأسرعت، وساروا الليل والنهار فرقا من الطلب، وخرج طلحة وسعيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يريدان المدينة؛ ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العير، ولما يعلما بخروجه، قدما المدينة في اليوم الذي لاقى رسول الله ﷺ النفير من قريش ببدر، فخرجا من المدينة يعترضان رسول الله ﷺ، فلقيهان منصرفا من بدر، فلم يشهد سعيد وطلحة الواقعة، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما في بدر، فكانا كمن شهدا^(٢)، وعُدَّا في أهل بدر.

وشهد سعيد بن زيد غزاة قريظة، وكان من فرسانها الذين حاصروا اليهود خمسا وعشرين ليلة، نزلوا بعدها على حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي وافق حكم الله من فوق سبع سماوات.

وقسم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة، وجعل للفارس ثلاثة أسهم: سهمين

(١) مختصر تاريخ دمشق (٣٠١/٩).

(٢) السير الكبير (١٠٠٩/٣).

للفرس، وسهماً لراكبه، أو للراجل، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين.

وبعد ذلك دعا رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه سعيد بن زيد، وأمره أن يذهب بسبايا من بني قريظة إلى نجد؛ ليشتري بها خيلاً وسلاحاً؛ كيما تزيد قوة المسلمين الحربية؛ ففعل سعيد، وذهب إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً، وعاد إلى المدينة، وقد حظي بمرضاة الله ومرضاة رسوله صلوات الله وسلاماته عليه (١).

يُسَاقُ السُّبْيِيُّ شَرْدَمَةً بِنَجْدٍ وَأُخْرَى بِالشَّامِ لَهَا أَلِيلٌ (٢)
أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا سِلَاحًا وَخَيْلًا فِي قَوَائِمِهَا الْحَجُولُ (٣)
مُكْرَمَةٌ تُعَدُّ لِكُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَ الذِّكْرِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وعسى الله أن يُؤنِّقَ على المسلمين بيوم يسوق فيه فارسُ المسلمين المنتظر السبايا الكافرات لبيعهن وشراء السلاح بأثمانهن مثلما فعل الفارس سعيد بن زيد رضي الله عنه

● جهاده بعد رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه:

سعيد بن زيد قائد الفرسان يوم أجنادين:

قائد الفرسان يوم أجنادين، وكان من أشد الناس، وهو الذي أشار على خالد ببَدْءِ القتال يوم أجنادين لما رمى الروم المسلمين بالنشأب، فصاح سعيد بن زيد بخالد قائلاً: «عَلَامَ نَسْتَهْدِفُ لَهُؤْلَاءِ الْأَعْلَاجِ؛ وَقَدْ رَشَقُونَا بِالنَّشَابِ حَتَّى شَمَسَتْ الخيل؟!». فأقبل خالد إلى خيل المسلمين، وقال لهم: «احملوا - رحمكم الله - على اسم الله»، وحمل خالدُّ على الروم، وحمل المسلمون معه بأجمعهم، وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين.. على ميمنتهم مرة، ثمَّ على ميسرتهم، ثم صبروا لرَشْقِ نبالهم، وانطلق جيش المسلمين إلى الروم، فما صبر الروم لهم فَوَاقًا (٤)،

(١) انظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر (١/١٦٤).

(٢) السبايا إلى نجد بُعِثَ بها سعيد بن زيد، وإلى الشام بُعِثَ بها سعد بن عبادة. والأليل: الأنين ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة.

(٣) الحجول: جمع حجل؛ وهو: البياض في رجل الفرس.

(٤) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت، والمراد: الزمن القصير.

وانهزموا هزيمةً شديدة، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وأصابوا معسكرهم وما حوى.

وعند الطبري، عن ابن إسحاق: «فلما رأى القبطار^(١) ما رأى من قتال المسلمين، قال للروم: لفوا رأسي بثوب. قالوا: لِمَ؟ قال: يوم البيس، لا أحب أن أراه، ما رأيت في الدنيا يوماً أشدَّ من هذا، فاختَزَّ المسلمون رأسه، وإنه مَلْفَفٌ». ولعل أروع بطولاته تلك التي سجلها يوم اليرموك.

● يوم اليرموك مثل الأسد احتاج الناس إلى بأسه:

كان سعيد رضي الله عنه من أمراء الجيش في اليرموك، حيث كان على قلب جيش المسلمين، فقد قال خالد بن الوليد لأبي عبيدة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أثناء التنظيم لمعركة اليرموك: رأيتُ أن يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا، ويقف من ورائه وبحذائه مئتان أو ثلاث مئة يكونون للناس رداءً^(٢).

«قال سعيد بن عمرو بن نُفَيْل: لما كان يوم اليرموك كنا أربعاً وعشرين ألفاً أو نحواً من ذلك، فخرجتُ لنا الروم بعشرين ومئة ألف، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة، كأنهم الجبال تُحركها أيدٍ خفيفة، وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون يحملون الصليبان وهم يجهرون بالصلوات، فيردُّها الجيش من ورائهم، ولهم هَزِيمٌ كهزيم الرعد، فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه، هالتهم كثرتهم، وخالط قلوبهم شيءٌ من خوفهم؛ عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحضُّ المسلمين على القتال، فقال: عبادَ الله، انصروا الله ينصركم ويثبتُ أقدامكم. عبادَ الله، اصبروا؛ فإن الصبر منجاةٌ من الكفر ومرضاةٌ للرب، وَمَدْحَضَةٌ للعار، وأشرعوا الرماح، واستسبوا بالتروس، والزموا الصمتَ إلا من ذكر الله عز وجل في أنفسكم، حتى أمركم إن شاء الله^(٣).

(١) قائد جيش الروم.

(٢) تهذيب ابن عساكر (١/١٦٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٨/٧).

قال سعيد: عند ذلك خرج رجلٌ من صفوف المسلمين وقال لأبي عُبَيْدة: إني أزمعتُ^(١) على أن أقضي أمري الساعة^(٢)، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقال أبو عُبَيْدة: نعم، تُقرئه مني ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله، إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا.

قال سعيد: فما إن سمعتُ كلامه، ورأيتُه يمتشِقُ حُسامَه ويمضي إلى لقاءِ أعداء الله، حتى اقتحمتُ^(٣) إلى الأرض، وجثوتُ على ركبتي، وأشرعتُ رمحي، وطعنت أوّل فارس أقبل علينا، ثم وَثَبْتُ على العدو، وقد انتزع الله كلَّ ما في قلبي من الخوف، فثار الناس في وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر^(٤).

«قال حبيب بن سلمة: اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله درُّ سعيد! ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، لما نظر إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض وجثا على ركبتيه، حتى إذا دنوا منه وثب في وجوههم مثل الليث، فطعن برابته أوّل رجل من القوم فقتله، وأخذ - والله - يقاتل راجلاً - قتالَ الرجل الشجاع البأس - فارسًا، ويعطفُ الناس إليه^(٥)، وانتصر المسلمون في هذا المشهد العظيم.

وشهد سعيد بعد ذلك حصار دمشق وفتحها وكان بصحبته أبو عبيدة عليها، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة.

ذكر صلاح الدين الصفدي رحمته الله في كتابه «تحفة ذوي الألباب» أن سعيد بن زيد قد ولاه أبو عبيدة دمشق، وذكر ذلك في بيت من الشعر من قصيدة، فقال: وقد تولاهما سعيد العدوي وهو على الفضل المين محتوي^(٦)

(١) أزمعتُ: عزمْتُ. وأقضي أمري الساعة؛ أي: أموت في هذه الساعة.

(٢) اقتحمتُ إلى الأرض: رميتُ بنفسِي بشدة على الأرض.

(٣) صور من حياة الصحابة، للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا (١٥٥/١ - ١٥٨) «طبع مؤسسة الرسالة».

(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤١/١)، والأزدي (٢٢٦).

(٥) تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، لصلاح الدين الصفدي (٧٧/١)

«طبع وزارة الثقافة - دمشق».

وبعد أن ولاه أبو عبيدة دمشق، نهض أبو عبيدة بمن معه للجهاد، فكتب إليه سعيد بن زيد رضي الله عنه:


«أما بعد: فإني ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يدنيني من مرضاة الله، فإذا جاءك كتابي فابعث إلى عمك من هو أرغب إليه مني، فإني قادمٌ عليك وشيكاً إن شاء الله، والسلام».

أحب سعيد بن زيد الفارسُ العدويُّ أن يكون في عداد المجاهدين بين الأُسنة والرماح، وأقسم بالله قائلاً: «والله، لمشهد شهده رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغيرُ فيه وجهه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمل أحدكم، ولو عمَّر عمر نوح»^(١).
رَضِيَ اللهُ عن سعيد بن زيد، فقد كان بالحق قَوَّالاً، ولما له بذَّالاً، ولهواه قامعاً، وقتَّالاً رغب عن الولاية، وتشمر في الرعاية، عازماً على السَّبْقِ والعبور، المفضي إلى الرفعة والحبور.. كان عن نفسه فانيًا، وفي العبودية غانيًا^(٢).

* * *

(١) انظر: حلية الأولياء (١/٩٥).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٩/٢٠٠).

A decorative emblem featuring a central white oval with a black border. The oval is surrounded by a symmetrical arrangement of dark, stylized floral and leaf patterns. The text is centered within the oval.

فهرس
الموضوعات

فهرس المحتويات

- ٧..... مَقَدِّمَةٌ □
- ١١..... معركة بدر .. وأهل بدر □
- ١٣..... إنتصار الإسلام في يوم بدر □
- ٢١..... عبير الفجر في ذكر غزوة بدر □
- ٢٣..... غَزْوَةُ بَدْرِ الْعُظْمَى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ □
- ٢٣..... - موقع بدر:
- ٢٣..... - زمن غزوة بدر
- ٣١..... - الْمُطْعِمُونَ الممولون لجيش قريش
- ٣٨..... - كلمات للحياة والخلود: -
- ٤١..... - إنا لا نستعين بمشرك: -
- ٤٤..... - الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورتاء الناس ويصدون عن سبيل الله: -
- ٤٥..... - الرأي الحكيم للحباب بن المنذر رضي الله عنه -
- ٤٦..... - البلياء تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع: -
- ٤٦..... - الخلاف في صفوف المشركين حين وصولهم لبدر: -
- ٤٩..... - نعاس يغشى المسلمين قبل المعركة، ومطر للطهارة ياللعجب العجاب: -
- ٥٠..... - وأما قصة الماء: -
- ٥١..... - بناء العريش للنبي ﷺ -
- ٥٢..... - مناجاة واستغاثة ودعاء: -
- ٥٦..... - إذ يريكم الله في منامك قليلاً: -

- ٥٨..... - استفتح أبي جهل ودعاؤه يوم بدر:-
- ٥٩..... - نزول جبريل والملائكة وقتالهم مع المسلمين ببدر:-
- ٦٥..... - ولله در القائل:
- ٦٨..... □ وأما كُفَّار قريش
- ٦٩..... □ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾
- ٦٩..... - ما يضحك الرب من عبده؟
- ٧٠..... □ وبدأت المعركة وكان الأسود بن عبدالأسود الخزومي أول وقودها:
- ٧٠..... - أول مبارزة في الإسلام:
- ٧٢..... - أوامر النبي ﷺ بالتضح بالنبل:
- ٧٢..... - ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾
- ٧٤..... - ﴿وَلَيْسَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾
- ٧٧..... - بأبي وأمي رسول الله ﷺ:
- ٧٧..... - لله در علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :-
- ٧٨..... - نكوص الشيطان على عقبيه
- ٨٠..... - مَقْتَلُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ
- ٨١..... - مصرع أبي جهل لعنه الله فرعون هذه الأمة:
- ٨٩..... - مصرع أمية بن خلف لعنه الله:
- - مصرع أبي ذات الكرش عبيد بن سعيد بن العاص لعنه الله
- ٩١..... - على يد الزبير ﷺ:
- ٩١..... - قذف قتلى أئمة الكفر في القليب:
- ٩٩..... - الذين بدلوا نعمة الله كُفْرًا:
- ١٠٠..... □ مَا بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ

- الأسرى ١٠٠
- قتل النَّصْر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيْط، لعنهما الله ١٠٧
- الغنائم ١١٠
- زيد جِبُّ رسول الله ﷺ يحمل البشارة بالنصر إلى المدينة ١١٣
- رجوع النبي ﷺ إلى المدينة ١١٤
- تَلَقَّى قريش نبأ الهزيمة ١١٥
- أتبكي أن يضلُّ لها بعير ولا أبكي؟! ١١٦
- وبسببها ويَبْعُد سَبْع ليال من وصول الخبر إلى مكة مات أبو لهب لعنه الله، وذهب إلى أمه الهاوية: ١١٧
- الوصية بالإحسان إلى الأسارى، وبعث قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراها ١١٨
- عمليات الافتداء للأسرى ١١٩
- أبو العاص بن الربيع وعفو الرسول عنه وإطلاقه: ١٢٠
- تكليف من لا يجد فداء بتعليم أبناء المسلمين. ١٢١
- قريش تُلقي بآخر ما في جعبتها من سهام أثناء فداء الأسرى فيردُّ الله كيدها إلى نحرها ويُسلم عمير بن وهب ١٢١
- فَرَح النجاشي ﷺ بوقعة بدر ١٢٤
- ما رأيت مثل هذا الأمر فرَّ منه إلا النساء: ١٢٤
- بأبي وأمي أنت يا رسول الله من أعظم قائد ما عرفت له البشرية نظيراً: ١٢٥
- تعبئة جديدة: ١٢٦
- ما قِيل من الشعر في غزوة بدر ١٢٩ - ١٣٧
- وانتهت المعركة فانظر حصادها ١٣٩

- الشهداء البديرون ١٣٩
- أ من بني المطلب بن عبد مناف، رجل واحد، وهو: ١٣٩.....
- ب - من بني زهرة بن كلاب رجلان، وهما: ١٣٩.....
- ج - من بني عدي بن كعب بن لؤي. رجلان: ١٣٩.....
- د - من بني الحارث بن فهر، رجل واحد. وهو: ١٣٩.....
- ١ - من بني عمرو بن عوف (بطن من الخزرج) رجلان. وهما: ١٤٠.....
- ب - ومن بني الحارث بن الخزرج (بطن من الخزرج) رجل واحد ١٤٠.....
- ج - ومن بني سلمة (بطن من الخزرج) رجل واحد، وهو: ١٤٠.....
- د - ومن بني حبيب (بطن من الخزرج) رجل واحد، وهو: ١٤٠.....
- هـ - ومن بني النجار (بطن من الأوس) رجل واحد، وهو: ١٤٠.....
- و - ومن بني غنم (بطن من الأوس) رجلان، وهما: ١٤٠.....
- عدد قتلى المشركين وأسمائهم ١٤١
- أ - من بني عبد شمس بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً، وهم: ١٤١.....
- ب - ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان، وهما: ١٤١.....
- ج - ومن بني أسد بن عبد العزي سبعة نفر: ١٤٢.....
- د - ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر: ١٤٢.....
- هـ - ومن بني تميم بن مرة، أربعة نفر: ١٤٢.....
- و - ومن بني مخزوم (قبيلة خالد بن الوليد) أربعة وعشرون رجلاً ١٤٣.....
- ز - ومن بني سهم بن عمرو (قبيلة عمرو بن العاص) سبعة نفر ١٤٤.....
- ح - ومن بني عامر بن لؤي رجلان: ١٤٥.....
- ط - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص، أربعة نفر، وهم: ١٤٥.....
- أسرى المشركين وأسمائهم ١٤٦

- أ - من بني هاشم أربعة نفر، وهم: ١٤٥.....
- ب - ومن بني المطلب بن عبد مناف خمسة نفر، وهم: ١٤٥.....
- ج - ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر، وهم: ١٤٥.....
- د - ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر، وهم: ١٤٦.....
- هـ - ومن بني عبد الدار بن قصي، ثلاثة نفر، وهم: ١٤٦.....
- و - ومن بني أسد بن عبد العزّي أربعة نفر، وهم: ١٤٧.....
- ز - ومن بني محزوم بن يعطة عشرة نفر، وهم: ١٤٧.....
- ح - ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص خمسة نفر، وهم: ١٤٧.....
- ط - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص أحد عشر رجلا ١٤٨.....
- ي - ومن بني عامر بن لؤي خمسة نفر، وهم: ١٤٨.....
- ك - ومن بني الحارث بن فهر أربعة نفر، وهم: ١٤٩.....
- أسماء البدرين مرتبة على حروف المعجم وعلى القبائل ١٥١.....
- الصحابة البدريون سادات المسلمين ١٥٣.....
- حرف الألف ١٥٤.....
- حرف الباء ١٥٥.....
- حرف التاء ١٥٦.....
- حرف الثاء ١٥٦.....
- حرف الجيم ١٥٧.....
- حرف الحاء ١٥٩.....
- حرف الخاء ١٦٠.....
- حرف الدال ١٦٢.....
- حرف الزاء ١٦٢.....

- ١٦٤..... حرفُ الزَّايِ -
- ١٦٤..... حرفُ السُّيْنِ -
- ١٦٧..... حرفُ الشُّيْنِ -
- ١٦٨..... حرفُ الصَّادِ -
- ١٦٨..... حرفُ الضَّادِ -
- ١٦٨..... حرفُ الطَّاءِ -
- ١٦٩..... حرفُ الظَّاءِ -
- ١٧٦..... حرفُ العَيْنِ -
- ١٧٦..... حرفُ الغَيْنِ -
- ١٧٦..... حرفُ الفاءِ -
- ١٧٦..... حرفُ القافِ -
- ١٧٧..... حرفُ الكافِ -
- ١٧٨..... حرفُ الميمِ -
- ١٨٠..... حرفُ النونِ -
- ١٨١..... حرفُ الهاءِ -
- ١٨١..... حرفُ الواوِ -
- ١٨٢..... حرفُ الياءِ -
- ١٨٢..... □ باب الكنى
- ١٨٤..... □ أسماء جميع البدرين منسوين إلى قبائلهم
- ١٨٤..... □ البدريون من المهاجرين
- ١٨٤..... - أ - من بني هاشم بن عبد مناف ثمانية نفر:
- ١٨٤..... - ب - ومن بني المطلب بن عبد مناف أربعة نفر:

- د - ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ستة عشر رجلاً. ١٨٤
- هـ - ومن بني نوفل بن عبد مناف، رجلاً: ١٨٥.....
- و - ومن بني أسد بن عبد العزي ثلاثة نفر، وهم: ١٨٥.....
- ز - ومن بني عبد الدار بن قصي، رجلاً، وهما: ١٨٥.....
- ح - ومن بني زهرة بن كلاب ثمانية نفر، وهم: ١٨٦.....
- ط - ومن بني تيم بن مرة خمسة نفر: ١٨٦.....
- ي - ومن بني مخزوم خمسة نفر، وهم: ١٨٦.....
- ك - ومن بني عدي بن كعب (قبيلة عمر بن الخطاب) أربعة عشر رجلاً ١٨٧.....
- ل - ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب خمسة رجال ١٨٧
- م - ومن بني سهم بن عمرو هصيص، رجل واحد: ١٨٨.....
- ن - ومن بني عامر بن لؤي سبعة رجال، وهم: ١٨٨.....
- س - ومن بني الحارث بن فهر ستة رجال، وهم: ١٨٨.....
- أسماء البدرين من الأنصار ١٨٩
- أولاد البدرين من قبيلة الأوس ١٨٩
- أ - من بني عبد الأشهل (بطن من الأوس) خمسة عشر رجلاً ١٨٩..
- ب - ومن بني ظفر (بطن من الأوس) رجلاً، وهما: ١٨٩.....
- ج - ومن بني عبد بن رزاح (بطن من الأوس) ثلاثة رجال وهم: ١٩٠.
- د - ومن بني حارثة بن الحارث (بطن من الأوس) ثلاثة نفر، وهم: ١٩٠.
- هـ - ومن بني عمرو بن عوف (بطن من الأوس) ستة نفر: ١٩٠.....
- و - ومن بني أمية بن زيد (بطن من الأوس) تسعة نفر، وهم: ١٩٠..
- ز - ومن بني عبيد بن زيد (بطن من الأوس) سبعة نفر: ١٩١.....

- ح - ومن بني ثعلبة بن عمر بن عوف (بطن من الأوس)، سبعة نفر ١٩١
- ط - ومن بني جحججى بن كلفة بن عوف (بطن من الأوس)
- ١٩٢..... رجلان
- ي - ومن بني غنم بن السلم (بطن من الأوس) خمسة نفر: ١٩٢...
- ك - ومن بني معاوية بن مالك بن عوف (بطن من الأوس) ثلاثة نفر ١٩٢.....
- ثانيا: أسماء البدرين من الخزرج ١٩٣.....
- أ - من بني امرئ القيس بن مالك، أربعة نفر: ١٩٣.....
- ب - ومن بني زيد بن مالك رجلان: ١٩٣.....
- ج - ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج ثلاثة نفر، وهم: ١٩٣.....
- د - ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة رجل واحد: ١٩٣.....
- هـ - ومن بني جشم بن الحارث بن الخزرج أربعة نفر: ١٩٣.....
- و - ومن بني جدارة بن عوف بن الحارث أربعة نفر: ١٩٤.....
- ز - ومن بني الأبجر (وهم بنو خدره) رجل واحد وهو: ١٩٤.....
- ح - ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني عبيد رجلان: ١٩٤.....
- ح - ومن بني جزء بن عدي بن مالك ستة نفر: ١٩٤.....
- ط - ومن بني سالم بن عوف، رجل واحد، وهو: ١٩٤.....
- ي - ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة رجلان: ١٩٤.....
- ك - ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة، رجل واحد: ١٩٤.....
- ل - ومن بني لوزان بن سالم عشرة نفر: ١٩٥.....
- م - ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان: ١٩٥.....
- ن - ومن بني البدي بن عامر بن عوف رجلان، وهما: ١٩٥.....
- س - ومن بني طريف بن الخزرج ستة نفر: ١٩٥.....

- ع - ومن بني جشم بن الخزرج اثنا عشر رجلاً، وهم: ١٩٦.....
- ف - ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب تسعة نفر: ١٩٦.....
- ص - ومن بني خناس بن سنان بن عبيد سبعة نفر، وهم: ١٩٦.....
- ق - ومن بني النعمان بن عبيد أربعة نفر، وهم: ١٩٧.....
- ر - ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة أربعة نفر: ١٩٧.....
- ش - ومن بني عدي بن نايي بن عمرو بن سواد بن غنم ستة نفر،
وهم: ١٩٧.....
- ت - ومن بني زريق بن عامر بن زريق سبعة نفر، وهم: ١٩٧.....
- ث - ومن بني خالد بن عامر بن زريق رجل واحد، وهو: ١٩٧.....
- خ - ومن بني خلدة بن عامر بن زريق خمسة نفر: ١٩٧.....
- ذ - ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ستة نفر، وهم: ١٩٨.....
- ض - ومن بني بياضة بن عامر بن زريق ستة نفر، وهم: ١٩٨.....
- ظ - ومن بني حبيب بن عبد حارثة رجلا، وهما: ١٩٨.....
- غ - ومن بني النجار (وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج)
ثلاثة وخمسون رجلاً ١٩٨.....
- وقفات ٢٠٢
- عدة أصحاب بدر ١٠٦
- من لم يحضر بدرًا وأسهم له النبي ﷺ وعُدَّ من البدرين ٢٠٩
- دستور النصر الإلهي في بدر وفي كل معركة ٢١٢
- وانتصرت العقيدة في أعظم صورة على الكفر في أقبح صوره
وأعنفها ٢١٥

تراجم أهل بدر

الصفحات: ٢١٩ - ٥٧١

- الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٢٢١
- وهو ثاني اثنين ٢٢٢
- جهاد الصديق: ٢٢٤
- مشورة الحرب ٢٢٤
- دوره في الاستطلاع مع النبي صلى الله عليه وسلم ٢٢٥
- ثاني اثنين في عريش بدر ٢٢٥
- الصديق في يوم أحد وحمراء الأسد ٢٢٦
- الصديق في غزوة بني المصطلق ٢٢٧
- في الخندق وبني قريظة ٢٢٨
- في الحديبية لله در الصديق... وماذا قال لعروة بن مسعود الثقفي: ٢٢٨
- كمال الصديقية عند صديق الأمة الأكبر يوم الحديبية وما قاله لعمر ابن الخطاب: ٢٢٩
- في غزوة خيبر: ٢٣١
- في نجد: ٢٣١
- سرية أبي بكر إلى بني كلاب بضرية بنجد. ٢٣١
- سرية أبي بكر إلى بني فزارة: ٢٣٢
- في سرية ذات السلاسل: ٢٣٣
- وقبل فتح مكة: ٢٣٣
- الصديق يوم فتح مكة: ٢٣٤
- في حنين: ٢٣٤

- وفي تبوك. ٢٣٤.....
- الصديق أمير الحج سنة ٩هـ: ٢٣٥.....
- الشجاعة في ذروتها العليا وقمتها السامقة شجاعة الصديق وثباته يوم موت الرسول ﷺ، فثبت الله به الأمة بأسرها: ٢٣٦.....
- الصديق الرجل الشاهق الباهر نسيج وحده في الشجاعة، وموقفه من بعث أسامة ٢٣٩.....
- الردة أعظم فتنة مرت بالمسلمين وتصدى الصديق لها ٢٤٣.....
- أعز الله بالصديق الدين يوم الردة: ٢٤٣.....
- خطة الصديق لحماية المدينة: ٢٤٨.....
- فشل أهل الردة في غزو المدينة: ٢٤٩.....
- خروج الصديق إلى أهل الرّبذة بالأبرق: ٢٥١.....
- الصديق القائد ٢٥٢.....
- إرسال الجيوش لقتال المرتدين في كل أنحاء جزيرة العرب: ٢٥٣.....
- الحطة الحزبية أو الحزب المجلية ٢٥٦.....
- الصديق والقضاء على «حركة البغايا» ٢٥٧.....
- الصديق وإدارة حرب العراق ٢٥٩.....
- **وقفات مع فتوحات العراق ومعاركه** ٢٦١.....
- الحس العسكري العالي عند الصديق الغالي: ٢٦١.....
- فتوحات وانتصارات على جبهة العراق في أيام الصديق القائد: ٢٦٢.....
- جهاد حتى الممات، وأوامر عسكرية على فراش الموت: ٢٦٢.....
- **فتوحات الشام زمن الصديق** ٢٦٤.....
- الصديق وترغيبه في جهاد الروم: ٢٦٥.....
- استنفار الصديق لأهل اليمن: ٢٦٦.....

- عقد الصديق الألوية للجيش الأربعة الذاهبة للجهاد في الشام ٢٦٧..
- توجيه خالد إلى الشام ومعركة أجنادين واليرموك: ٢٧٢.....
- معركة أجنادين ٢٧٤.
- اليرموك ونهاية وجود الروم بأرض الشام: ٢٧٤.
- الصديق القائد العسكري الفدُ ٢٧٥.
- لله در الصديق ودوره الحاسم في دنيا الفتوح: ٢٧٦.
- ميلادنا أقدم من ميلادك: ٢٧٧.
- أسس الانضباط «قواعد الضبط والربط»: ٢٧٨.
- «وحدة القيادة» و«القاعدة الصلبة»: ٢٧٨.
- حرب الحركة: ٢٧٩.
- الصديق و«الحروب التشتيتية»: ٢٨٠.
- «استراتيجية التقرب غير المباشر»: ٢٨٣.
- حروب الإيمان و«عدالة قضية الحرب»: ٢٨٤.
- الروح المعنوية: ٢٨٤.
- عزل ميدان المعركة: ٢٨٥.
- سلامة خطوط الاتصال مع القادة: ٢٨٥.
- نقل محاور العمليات وتحقيق التوازن على مسارح العمليات: ٢٨٦.
- التصرف بالقوى والوسائط المتوافرة لبلوغ أعلى الأهداف يبرز في مثاله الرائع الذي لا يبارى في قيادة الصديق رضي الله عنه: ٢٨٨.
- الصديق من كبار القادة العسكريين والمفكرين الاستراتيجيين: ٢٨٨.
- **الفاروق الشهيد عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ٢٩١
- إنه عمر الذي دعا رسول الله صلوات الله عليه ربه أن يُعز الإسلام به: ٢٩١.

- ٢٩١..... وانظر إلى شجاعته: -
- ٢٩٤..... الفارس الماهر -
- ٢٩٤..... جهاده: -
- ٢٩٦..... وفي أخذ: -
- ٢٩٨... سرية عمر بن الخطاب إلى تربة في السنة السابعة من الهجرة: -
- ٢٩٨..... عمر رضي الله عنه يوم حنين: -
- ٢٩٩..... في غزوة بني المصطلق: -
- ٢٩٩..... مجاهد يَسْعَدُ وَيُسْرُ لسقوط أعمدة الكفر: -
- الفاروق المجاهد يغضب لمحارم الله إذا استُحِلَّتْ؛ كما يغضب النمر
إذا حُرِبَ: ٣٠١.....
- ٣٠٢..... أبو الفتوحات العظيمة: -
- ٣٠٣... وهذا تفصيل لسجل الفتوحات في عصر العبقري عمر رضي الله عنه: -
- ٣٠٦... ومن أهم المعارك التي انتصر فيها المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه: -
- ٣٠٦..... الفاروق القائد: -
- ٣٠٦..... اختيار القادة: -
- القائد الفذ الذي ليس له نظير في عصره وبعد عصره ٣١٠.....
- ٣١٠..... الفاروق القائد واستشارته في أمور الحرب: -
- ٣١١..... الحرص على الحصول على المعلومات: -
- ٣١٣..... الحرص على مصير الجيوش: -
- لله در عمر... يا سارية... الجبل الجبل، من استرعى
الذئب ظلم. ٣١٤.....
- ٣١٦..... معرفة الفاروق القائد الفذ بمبادئ الحرب: -
- ٣٢٨..... الخطط السوقية -

- من وصايا القائد الفذ المجاهد الفاروق ٣٦١
- القائد الفاروق المجاهد يدعو قوّاده للعدل مع المجاهدين: ٣٦٨
- اهتمام الفاروق القائد المجاهد بحدود دولته: ٣٦٩
- الفاروق القائد يستنصر لجنده: ٣٧٥
- وانظر إليه وهو يؤدب جنده ويعلمهم صدق التوكل على الله عز وجل واستنصاره: ٣٧٦
- الفاتح المجاهد في الشام يلقي الدرر على مسامع جنده: ٣٧٦
- فارس الإسلام وفاروقه يُخرج اليهود من جزيرة العرب: ٣٧٧
- تمنى الفاروق للشهادة ونيله إياها: ٣٧٩
- المجاهد الشهيد ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ٣٨١
- الفتوح في عهد عثمان كماء منهمر: ٣٨٢
- سارت جيوش الخليفة تحت راياتها المنتصرة إلى كل مكان: ٣٨٤
- سجل الفتوحات في عهد الشهيد ذي النورين ٣٨٤
- سنة أربع وعشرين: ٣٨٤
- سنة خمس وعشرين: ٣٨٤
- سنة ست وعشرين: ٣٨٥
- سنة سبع وعشرين: ٣٨٥
- سنة ثمان وعشرين: ٣٨٥
- سنة تسع وعشرين: ٣٨٥
- سنة ثلاثين: ٣٨٦
- سنة إحدى وثلاثين: ٣٨٦
- سنة اثنين وثلاثين: ٣٨٦

- سنة ثلاث وثلاثين: ٣٨٦
- سنة أربع وثلاثين: ٣٨٧
- سنة خمس وثلاثين: ٣٨٧
- البطل الشهيد.. حيدرة الأبطال
- ٣٨٩ الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام**
- وفي أحد: ٣٩٠
- قتل عليّ لعمر بن عبد ود فارس قریش في يوم الأحزاب: ٣٩٠
- عليّ عليه السلام صاحب الراية يوم خيبر الذي يفتح الله عليه: ٣٩٣
- **السرايا التي بعثها النبي صلى الله عليه وآله تحت إمرة علي عليه السلام**
- سرية علي بن أبي طالب إلى مدحج في رمضان من السنة العاشرة: ٣٩٧
- قتال علي للمتأولين والمارقين والمنتدعة من الخوارج كلاب أهل النار: ٣٩٧
- إذا جالت الخيل يا أبا الحسن فأين نطلبك؟ ٤٠٦
- شجاعة أبي الحسن وثبات قلبه: ٤٠٦
- الراية مع علي يوم بدر، ومعه جبريل وميكال: ٤٠٧
- قتل علي لأحد حملة اللواء العبدري: ٤٠٨
- حامل لواء المسلمين يوم بني قريظة هو علي عليه السلام: ٤٠٨
- ويضرب أعناق بني قريظة بعد حكم سعد بن معاذ بضرب أعناقهم ٤٠٨
- وفي سرية إلى طيئ لهدم «الفلس» قال أحمد محرم في ديوانه
«مجد الإسلام»: ٤٠٨
- وفي سرية علي عليه السلام إلى «مدحج» قال أحمد محرم: ٤٠٩
- ولله در الشاعر محمد عبد المطلب إذ يقول: ٤١٠

- ٤١١..... يوم أحد -
- ٤١٢..... يوم الخندق -
- ٤١٢..... قتله مَرْحَب بن منسية -
- ٤١٤..... زعامته في المواطن -
- ٤١٧..... **□ عبد الرحمن بن عوف الزهري**
- ٤١٧..... جهاده -
- ٤٢٦..... جهاده بالمال -
- ٤٢٧..... عبد الرحمن بن عوف القائد -
- ٤٢٩..... **□ الصحابي الجليل أبو محمد طلحة بن عُبيد الله التيمي، الشهيد** ...
- ٤٣١..... طلحة ممن قضى نجه -
- ٤٣٢..... قتله لحامل لواء المشركين في أحد «الجلال بن طلحة بن أبي طلحة» -
- ٤٣٣..... «أوجب طلحة حين صُنع برسول الله ﷺ ما صنع» -
- ٤٣٥..... **□ أول من سل سيفه في الإسلام الزبير بن العوام**
- ٤٣٥..... حوارى النبي ﷺ
- ٤٣٥..... في يوم بدر -
- ٤٣٦..... وفي أحد فداه النبي ﷺ بأبويه -
- ٤٣٧..... مصرع قائد حملة لواء مكة بيد الحواري -
- ٤٣٩..... ومن شجاعته وبطولته الفذة يوم أحد فداه بأبويه -
- ٤٣٩..... الزبير رضي الله عنه من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم
- ٤٣٩..... القرع
- ٤٣٩..... شجاعة الزبير وبطولته يوم الأحزاب وتفدية الرسول له بأبويه في
- ٤٣٩..... هذا اليوم

- ٤٤٠..... ويل ليهود بني قريظة من عليّ والزيير
- ٤٤٢..... الزيير يقتل ياسر أخوا مرحب بطل خير أمام حصن ناعم
- ٤٤٤..... ولله در القائل:
- ٤٤٤..... شهود الزيير لفتح مكة
- ٤٤٤..... ويوم حنين يخشى قائد هوازن مالك بن عوف النصرى أسر الزيير له فيفر منه في الشعاب:
- ٤٤٥..... انظر إلى الزيير ومنزلته العظيمة عند رسول الله ﷺ:
- ٤٤٦..... جهاده مع الصديق
- ٤٤٧..... ثبات الزيير في يوم اليمامة وحسن بلائه وشجاعته
- ٤٤٧..... الزيير أحد الذين أشاروا على الصديق يغزو أرض الشام
- ٤٤٨..... في يوم اليرموك يحمل الزيير على الروم ويشق صفوفهم
- ٤٤٨..... الزيير قائد جيش المدد لفتح مصر، وفتح حصن بابلين، والساعد الأمين لفتح مصر
- ٤٤٩..... الزيير وسيفه
- ٤٥١..... حبه للشهادة وتمنيه لها، وشهادة النبي له بأنه شهيد
- ٤٥٢..... أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح القرشي
- ٤٥٥..... أنزل في فضله قرآن يتلى إلى يوم القيامة:
- ٤٥٦..... جهاده في أحد، وثباته مع النبي ﷺ:
- ٤٦٠..... سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في ربيع الآخر من السنة السادسة من الهجرة:
- ٤٦٠..... بعث النبي لأبي عبيدة على رأس مدد فيهم الصديق والفاروق:
- ٤٦١..... سرية أبي عبيدة في رجب من السنة الثامنة من الهجرة إلى القبلية:
- ٤٦١..... غزوة سيف البحر أو غزوة الحَبِط
- ٤٦٢.....

- ٤٦٤..... - جهاده بعد رسول الله ﷺ
- ٤٦٥..... - في اليرموك:
- ٤٦٥..... - بعد اليرموك:
- ٤٦٦..... - في دمشق:
- ٤٦٨..... - بعد دمشق:
- ٤٦٨..... - إكمال فتح سورية:
- ٤٧٠..... - الدفاع عن حمص:
- ٤٧٢..... □ أبو عبيدة بن الجراح القائد.. وأي قائد!!
- ٤٧٢..... - رزق الله أمين الأمة بخصال مثالية؛ منها:
- ٤٧٤..... - وكان الأمراء والفرسان يُؤثرون قيادته على قيادة غيره!!
- ٤٧٨..... □ أبو عبيدة بن الجراح وفن القيادة
- ٤٨٢..... - أبو عبيدة وقواته على استعداد دائم للقتال:
- ٤٨٤..... - وكان ﷺ دائماً يحرض ويحض على القتال.
- ٤٨٤..... - أبو عبيدة وما يُعرَفُ حديثاً بـ«الحرب الشعبية»:
- ٤٨٦..... - جيش أبي عبيدة رهبان الليل وفرسان النهار:
- ٤٨٦..... □ موقع أبي عبيدة من فن الحرب
- ٤٩٧..... - المبادئ العسكرية التي طبقها القائد أبو عبيدة بن الجراح ﷺ
- تمنى الأمين أبي عبيدة للشهادة وموته بالطاعون بعمواس
- ٥٠١..... سنة (١٨ هـ).
- هذه صفحة من أمجادنا جاءت على يد أمين الأمة المغوار في صلحه
- ٥٠٢..... مع أهل دمشق:
- ٥٠٦..... - قصيدة «في موقف العشق يا قدس»

- فارس الإسلام.. الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ٥١٥
- جهاده في سبيل الله - تعالى :- ٥١٦
- في سرية عبدة بن الحارث بن عبدالمطلب، أول من رمى بسهم في سبيل الله: ٥١٧
- سرية سعد بن أبي وقاص إلى «الخزّار» في ذي القعدة من السنة الأولى: ٥١٧
- في بدر سعد بن أبي وقاص يقاتل قتال المغاوير: ٥١٨
- وفي أحد لله در سعد، وما أجمل ما حاز سعد من الفضائل التي لا تقوم لها الدنيا: ٥١٨
- لله درّه من رام خال رسول الله ﷺ: ٥١٩
- حرص سعد بن أبي وقاص على حياة الرسول ﷺ غاية الحرص: ٥٢٠
- سعد رضي الله عنه يوصي بثلاث ماله في سبيل الله - تعالى :- ٥٢١
- فارس الإسلام، مستجاب الدعوة: ٥٢١
- سعد الفاتح ٥٢٢
- سعد يدير معركة القادسية وهو منبطح على وجهه من كثرة الدمامل التي منعه حتى من الجلوس ٥٢٣
- فتح البيت الأبيض والمدائن عاصمة كسرى: ٥٣٠
- عبور لا مثيل له في التاريخ: ٥٣١
- يومُ الجرائم: ٥٣٢
- ما تُقاتلون إلاّ الجيّن: ٥٣٣
- الفاتح العظيم: ٥٣٤
- سعد بن أبي وقاص القائد: ٥٣٦
- سعد بن أبي وقاص وفن القيادة: ٥٣٨
- سعد بن أبي وقاص، وقواته: ٥٤٧

- ٥٥٣..... - استراتيجية الحرب التشتيتية:
- ٥٥٥..... - استراتيجية الهجمات الوقائية:
- ٥٥٦..... - سعد ومبادئ الحرب:
- ٥٦٠..... - سعد وفن الحرب:
- ٥٦٥ □ **سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل** رضي الله عنه
- ٥٦٦..... - جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:
- ٥٦٧..... - جهاده بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم:
- ٥٦٨..... - يوم اليرموك مثل الأسد احتاج الناس إلى بأسه:
- ٥٧١ - فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الأول

من كتاب

أنوار الفجر في فضائل أهل بدر

ويليه المجلد الثاني

وأوله ترجمة

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه